المكتبة الوطنية (الفهرست أثناء النشر)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٠١) لسنة ١٩٩٩

نشر وتوزيع مكتبة بلوتو / الكرادة / ساحة الحرية .
صندوق بريد : ٢١٥٠ / الجادرية

فهرست المواضيع

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الفصل الثاني :

الموضوع الصفحة

لموضوع الصفحة

المقدمــة

تعود أولـى المحـاولات لفهـم دلالـة اللفظ الـى القـرن الرابـع قبـل المـيلاد حيث وصلتنا منـاظرةٌ مستمدّةٌ من الخيال بين سقراط وهيرموجينيز كـان قد كتبها كراتيليس الذي كـان يشكّ في اللغة الـى درجة أنه (استهجن الكلام برمّته وبدأ بالتفاهم مع محدّثيه بالإيماءات فقط) .

ومـع أن موضوع المنـاظرة هـو الأسمـاء ومـدى انطباقهـا علـى أصحـابها ومـا تثيره بعض تلـك الأسماء من سخريةٍ وهزءٍ حينما تكون خلاف المسمى مثل اسم المُناظِر هيرموجينيز حيث هو مشتق من (هرمز) وهو إله التجارة والصيرفة ومعنـاه (المولـود مـن هرمـز) ، فيفترض أن يكـون المسمى بـه مـن الأثريـاء إلاّ أن هيرمـوجينيز كـان فـي الواقـع مفلسـاً . إن موضـوع المنـاظرة هـو تلـك الأسماء ولكننا نلاحظ أنها حاولت البحث عن الدلالة في الأسماء العامة مثل : جبل ، رجل ، حصـان .. الـخ . فهي بذلك أولى الوثائق التي تنطوي على بحثٍ دلاليٍّ بهذا المعنى .

يعلن هيرموجينيز عن موقفه من (اعتباطية الدلالة) . فهو يرى أنه :

(لا يوجد اسم ينسب لشيءٍ معينٍ تمنحه الطبيعة) .

وهذه العبارة دقيقة الى أبعد حدٍّ في وصف جزافيـة الدلالـة لأنـه ينسب النفـي فيهـا الـى الطبيعة وبالتالي فان إطلاقنا الأسماء على الأشياء هو مجرّد اتفاقٍ يمكن تبديله . لذلك أضاف قائلاً :

(... ولكن فقط عن طريق العادة والتقليد لأولئك الـذين يستخدمون الاسم والـذين يوجـدون تلـك الاسماء) . / كراتيليس . ٣٨٤ .

وهذه الفكرة أي الاتفاق على الأسماء هي التي نجحت في النهايـة وسيطرت على علوم اللغة . فتمَّ تأسيس مبادئ علـوم اللغة والبلاغة وأبحـاث الدلالـة اللفظيـة ومـا تعلّق بها فـي العالم الإسلامي على مبدأ اعتباطية الإشارة اللغويـة حيث تمَّ تعميم الفكرة الى دلالـة كل الألفاظ واعتبـر عبد القاهر الجرجاني هو أول واضع لها.

وأمّا فـي الغرب فقد تمَّ تأسيس مبـدأ الاعتباطيـة علـى يـد العـالم اللغوي الشـهير دي سوسير فسمّاه لأول مرةٍ بـ (المبدأ الاعتباطي) وقرر أن هذا الأمـر وإن كـان متناقضاً علـى نحوٍ مـا مـع علم اللغة إلاّ أنه بالفعل مبدأٌ لامنطقيٌّ وعليه فيمكن تأسيس علمٍ للغة على هذا المبدأ .

ومنذ ذلك الوقت والى اليوم لم يحدث أيّ تغيّرٍ ملحوظٍ على مبادئ علم اللغة فكانـت الاعتباطيـة هي الأساس المعتمد لتحليل دلالـة المفردات ومـن ثـم فهم معنـى العبـارة . وقد انعكس هذا الأسـاس على قواعد النحو والإعراب وانعكس على اسلوب تنظيم المفردات فـي العبـارة . فتمّ وضـع أسس علـم

البلاغة والبيان على أساس المبدأ الاعتباطي أيضاً . وتأثّر الصرف بذلك تأثرا بالغاً لفقدان المعايير الحقيقية في قواعده ، فكان الصرف هو الآخر مليئاً بالشواذ والقواعد الجزافية وعمّت النظرية الاعتباطية العالم بأسره واستعملتها الأمم جميعاً في العصر الحديث لشرح وتقعيد لغاتها فانتشرت الفوضى فيها . وذلك بعد ما قام المبدأ الاعتباطي بتخريبٍ عامٍ وشاملٍ لأصول المنطق والفلسفة في الإسلام وبعدما أجهز على الدلالة المحدّدة في نص القرآن فأصبح في نظر البعض كلاماً بليغاً مثل أيّ كلامٍ آخرٍ . وعجز المنظر المسلم عن تحديد مصادر إعجاز هذا النص المقدس فعمّت الفوضى في تفسير سوره وتعدّدت الوجوه المختلفة والمتناقضة لآياته وظهر التناقض فيه مما حدا بالعلماء والمتكلمين إلى أن يقوموا بمحاولات أخرى ووضع حلول جديدة كانت هي الأخرى مصدراً لإعتباطٍ جديدٍ وتناقضٍ أعظمٍ ثمّ أن هؤلاء قد أكثروا من المجازات والكنايات والاستعارات وأعلنوا عن تعميمٍ شاملٍ للمرادفات يخرج عن كلِّ اتفاقٍ جزافيٍّ فضلاً عن القصدية المحتملة في الألفاظ فأخذ كلُّ قومٍ ما يلائم أهواءهم استناداً إلى فكرة المجاز والترادف .

ولقد كان هذا التعدّد في الدلالة هو السلاح الوحيد الذي تستفيد منه الجماعات المتناحرة والمذاهب المتضاربة في الأديان الثلاثة بصفةٍ خاصةٍ فضلاً عن الفلاسفة والمتكلّمين والمدارس النقدية والمدارس اللغوية المختلفة . فكان في وقتٍ واحدٍ علّة الانقسام والتشرذم وكان سلاحه القوي أيضاً . ولا يمكن إحصاء النتائج الوخيمة التي ظهرت من جراء ذلك فمن الممكن بل الواجب إذا تأمّلت جيداً إدراج الحروب الدامية والصراعات السياسية والاجتماعية والفساد العام وسفك الدماء في سلسلة نتائج الاعتباط اللغوي الذي أدّى الى اعتباطٍ فكريٍّ عامٍ تبعه انهيارٍ أخلاقيٍّ كان هو سبب هذه النتائج .

إذا رجعنا الى محاورة سقراط مع صاحبه فيمكننا أن نعتقد أن الاعتباط ليس وليد فكرةٍ أعلن عنها كراتيليس في محاورةٍ متخيلةٍ على لسان هيرموجينيز ، إذ يمكن أن تكون الفكرة سابقةً على ذلك . وتحديداً فأنها كانت قد انبثقت من كهنة اليهود . ويستند هذا التحديد إلى نصٍ وثائقيٍّ يحملُ رغم تأخّر ظهوره دلالةً واضحةً على تأسيس المبدأ الاعتباطي منذ ذلك العهد .

وفي هذا النص ورد وصفٌ لعمل هؤلاء الكهنة في التخريب اللغوي وبعبارتين مختلفتين في انتظام المفردات :

العبارة الأولى : قوله تعالى : (يحرِّفون الكلم عن مواضعه) ٤٦/ ٤

العبارة الثانية : قوله تعالى : (يحرِّفون الكلم من بعد مواضعه) ٤١ / ٥

فالعبارة الأولى تعني تحويل اللفظ عن موضعه الأصلي بالتقدير . تقديماً أو تأخيراً مثلما هو جارٍ اليوم دوماً في النحو العربي والتفسير القرآني وشروح الأدب .

والعبارة الثانية تعني أن التحريف يتمُّ من بعد الموضع . فالموضع لا يُغيَّر وإنما يتمُّ تحريف دلالة اللفظ عن طريق تعدّد الدلالات بالمرادفات والمجاز والاستعارة والكناية وأمثالها .

وتشير وثيقة أخرى الى أن اليهود قد سألوا النبي (ص) عن قيمة الأصوات ورفض النبي (ص) الإذعان الى أن الأصوات جزافية أو أنها لا تمتلك قيمةً مسبقةً ، بل أعلن هذه القيمة في وثيقتين وردتا بأسانيدٍ معتبرةٍ جداً وفق قواعد الحديث لمنظري الفكر الإسلامي لكنها أهملت تماماً بفعل قوّة الفكر الاعتباطي وسيطرته على الساحة الثقافية . وسيأتي شرح هاتين الوثيقتين في موضعهما من أجزاء هذا الكتاب .

إذا رجعنا الى المحاورة نلاحظ أن سقراط حاول الدفاع عن القيمة المسبقة للاسم قبل إطلاقه على المسمى ولكنه اصطدم بمشاكل عديدةٍ . ففي البدء استعمل سقراط فكرة مفادها أن الأفعال التي نفعلها لا نفعلها بمحض إرادتنا بل بالقانون الطبيعي فلكي تحرق خشبةً لا يمكن أن تصبَّ الماء عليها . فكذلك الكلام .. فهو عبارة عن فعل من أفعالنا الكثيرة فهو ناشئ من الطبيعة ، ونحن نستعمل تلك الاسماء التي تلائم مسمياتها في الطبيعة . ولكننا نعلم أن الماء يطفئ النار . فنحن ندرك هذا القانون لكننا لا ندرك أيَّ سبب يدعونا لأن نسمي الرجل رجلاً ولا نسميه حصاناً . وهذه المشكلة تتأكد إذا لاحظنا استعمال الأمم الأخرى لأسماء أخرى . إذ يبدو الخصم محقاً حينما يقول أن الناس يتفقون على الاسم وأنّه ليس محدداً في الأصل من الطبيعة .

ويحاول سقراط محاولة أخرى للدفاع عن قصدية اللغة من خلال فكرةٍ ثانيةٍ هي : إن هناك محاكاة للطبيعة في الأسماء . وهذا الأمر يضطرّه للاعتقاد بوجود دلالةٍ في الأصوات نفسها قبل الألفاظ فيدافع عن هذه الفكرة ثم يحاول إيجاد مخرج من مشكلة الاستعمالات المتعدّدة بافتراض وجود لغة قديمةٍ جداً صدرت عن محاكاة الطبيعة . ولكن المحاكاة تعاني من مشكلةٍ أخرى هي دقّة التمثيل . فقد زعم سقراط أن اللام تنزلق في اللسان وأن هذا الصوت موجود في ألفاظٍ معينةٍ تعبّر عن تلك الحركة . ولكنه أيضاً موجود في كلمةٍ مثل : صلد (skleron) ، بالرغم من هذا الفرض .

وبصفةٍ عامةٍ لا تنتهي المحاورة الى تحديد رأيٍ معينٍ في المسألة . ومثلما يقول هاريس وتلر : (لقد حيَّرت المناظرة العديد من الباحثين إذ عجزوا عن تحديد مكانها في فلسفة أفلاطون او إدراك ما ترمي إليه هذه المناقشة المتأرجحة وذلك لأن أياً من النظريات التي تقدم بها كراتيليس او

هيرموجينيز لن تصمد في نهاية المطاف ولن يقبل الحل الوسط على أنه جواب مقنع على السؤال الأصلي) .

والسؤال الآن هو : هل أن هدف المحاورة هو تكريس الاعتباطية من خلال محادثةٍ متخيّلةٍ اختير فيها سقراط للدفاع عن القصدية حيث تظهر القصدية عاجزة عن إثبات شيءٍ من تصوراتها مقابل الاعتباط ؟ . أم أنها كانت بالفعل محاورةً صادقةً للبحث عن الحقيقة ؟ . ومهما يكن الأمر فالمؤكد أن المحاورة جرت في تاريخٍ متأخرٍ عن فعل اليهود الذي يذكره القرآن الكريم في الموضعين السابقين والمؤكد أيضاً أن الاعتباط اللغوي هو المسيطر على الساحة رغم البعد الجغرافي بين أثينا والأرض المقدسة .

في هذا الكتاب سنقوم مجدداً بإعادة طرح المسألة وتقويم المبدأ الاعتباطي للغوي (دي سوسير) المؤسس للفكر الاعتباطي الجامع لآراء الاعتباط اليهودي والأثني والعالم الإسلامي . ويتألف الكتاب من فصلين رئيسيين :

الأول منهما مخصصُ لتفنيد الاعتباط وإظهار تناقضاته في بناء علم اللغة ونبرهن فيه على أن ما يسمى بعلم اللغة ليس علماً ولا يمت الى أصول العلم بأيّة صلةٍ تذكر . وفي هذا الفصل نضع المبادئ الأساسية لعلم اللغة القائم على وجود علاقةٍ احتماليةٍ بين آلة النطق والأصوات . ونفسر فيه ظهور الأصوات وعلاقاتها بالألف ومظاهره الأربعة وبذلك نضع لأول مرة تفسيراً معقولاً لأحرف العلّة والحركات وتكوِّن الاشتقاقات المختلفة.

وفي الفصل الثاني نوضح معاني الأصوات ونظهر قيمتها الحركية السابقة على أيِّ استعمال وهي كما سنرى حركةٌ فيزيائيةٌ . وفي هذا الفصل يتمُّ شرح حركات عشرة أصوات من هذا التسلسل:

(د ، ح ، ر ، ت ، ك ، م ، ب ، ع ، ل ، ي ... الخ)

وينتهي هذا الجزء من الكتاب بصوت الياء . وقد اخترنا هذا الترتيب لتسهيل الأمر على القارئ بناءاً على فهمنا الخاص لمعاني الأصوات وتعاقباتها حيث يظهر التطابق بين الدلالة الحركية لكل تعاقب مع أصول المعاني المستعملة فيها .

ويفترض أن تتلوه أجزاءٌ أخرى إن شاء الله تعالى في توضيح حركة بقية الأصوات ومعانيها وتعاقباتها .

إن هذا الكتاب هو نظريةٌ جديدةٌ في علم اللغة العام تقوم على مبدأ قصديٍّ يناقض الاعتباط في كل شيء . وغايته تجريد الاعتباطية من سلاحها الفعال في خلق الاختلاف والتناقض اللغوي والفكري وتدمير أداتها في خلق الفئات وتأجيج الفتن وافتعال الحروب الفكرية والفعلية وتفتيت العالم

وتخريب القيم واتخاذ الحقائق هزواً ولعباً وإلباس الأمور بعضها ببعض وتضييع الحدود بين ما هو صحيح وما هو خاطئ .

والكتاب هو أحد خمسة مشاريع تتحرك سوية لتدمير الاعتباط على كافة المستويات وإظهار حقيقته وكشف زيفه وافترائه . وستأتي هذه المشاريع تباعاً .

كما يتضمن الكتاب جملةً من الأبحاث والنتائج الجديدة التي يؤيد بعضها البعض الآخر وتهدف الى أمرٍ واحدٍ وتتحرك نحو هدفٍ محددٍ . ولا تختلف هذه النتائج والأبحاث مع بعضها البعض ولا تناقض نتيجةٌ فيها نتيجة أخرى ، بل تنحدر كما ينحدر الماء من رؤوس الجبال فيلتقي في مجرى واحد . وجميعها يؤيدها العقل والمنطق السليم وشواهد اللغة ونظام القرآن العظيم وخطب الأكابر والبلغاء ونوادر الأدب والأدباء وفرائد الشعراء والاستعمالات العامة من كلِّ مكان . ويمكن للباحثين الاعتماد على تلك الأسس والأبنية الجديدة لتأسيس علمٍ عامٍ للغة يتّصف بما تعنيه مفردة (العلم) حرفياً أسوة ببقية العلوم .

ومعلوم أن هذا الهدف محالٌ بحدِ ذاته ما لم تكن هناك في البدء قيمةٌ معينةٌ او دلالةٌ سابقةٌ للفظ وما لم تكن هناك قبل ذلك قيمةٌ مسبقةٌ لكلِ صوتٍ وهو ما حاولت الاعتباطية تجاهله .

ولا ادَّعي أن هذا الكتاب سيكون له الأثر البالغ بسرعةٍ تليق بما انطوى عليه من نسفٍ للباطل وتأسيسٍ للحقّ في مضمار اللغة ، ولكني اجزم أن الحل القصدي للغة سيكون البديل للاعتباط اللغوي برمّته نحواً وصرفاً وبلاغه ونقداً وتفسيراً وفكراً وفقهاً وأصولاً وعلوماً أخرى متفرعةً عن هذا العلم .. في وقت لن يطول كثيراً .. لتشوّق العالم بأسره الى حلٍ قصديٍّ لمشكلة اللغة وكأنه يناغم حدسه الداخلي العميق - والذي قد لا يكون واعياً تماماً - الى أن القصدية هي مفتاح الحل الميتافيزيقي ومن ثم الحل الشامل للإنسان .

فما دام الحل الفكري غائباً عنّا وما دمنا نحن غائبين عنه وما دامت اللغة هي قالب هذا الحلّ وحامله وأداته وصورته وما دامت اللغة في منأىً عن أيِّ كشفٍ علميٍّ . فيبقى الحل الإنساني الشامل هو الآخر عصياً على الكشف .

لذلك أجزم بان الوقت لن يكون طويلاً حتى تسمع بأذنيك او تقرأ بعينيك أن كتاب (اللغة الموحدة) وكلاً من كتابي (النظام القرآني) و(الحلّ القصدي للغة) هي خير ما أنتجه الذهن البشري المجتهد لفهم سر اللغة عبر تاريخه الطويل . ولن يمرّ إلاّ وقت أقصر حتى يعلم العالم بأسره أن (قفل الميتافيزيقيا) الصدئ لم يكن في الواقع قفلاً خارجياً بقدر ما هو قفلٌ صدئٌ داخل (الأنا) الإنساني .

لقد ظهرت في هذا الكتاب جملةٌ من الأبحاث والنتائج لعل أهمّها :

١ . تفنيد الحل الاعتباطي وإظهار تناقضاته في المبادئ الأساسية وتفسير أمثاله التي يضربها لصالح الحل القصدي وحده دون الحل الاعتباطي .

٢ . شروح جديدة لمشاكلٍ أهملها الحلّ الاعتباطي او تخبَّط وتناقض في بحثها .

٣ . تفسيرٌ جديدٌ للعلاقة بين الدّال والمدلول وفق الاعتباط وإظهار مشكلة شرح الدلالة بدلالة لفظ آخر .

٤ . تفسير تغيّر اللغة وظهور اللغات المختلفة والربط بين الاعتباط وظهور المجموعات اللغوية المختلفة .

٥ . تفسيرٌ جديدٌ لظهور الأصوات بآلة النطق قائمٌ على احتمالات التغيّر في مراكز الحركة والربط بين الأصوات وأحرف العلّة في نظام موحد .

٦ . ظهور قيمة أحرف العلّة وعلاقتها بالألف وتفسير الحركات .

٧ . التمييز بين سلوك أحرف العلّة كأصوات وبين سلوكها كروابط بنائية للأصوات وإظهار العلاقات العددية بين نظام اللغة العربية وآلة النطق واحتمالات التغيّر في المراكز.

٨ . التمييز بين اللغة واللسان وتفسير الظواهر المهملة لآلة النطق لصالح القصدية .

٩ . الكشف عن المعاني الحركية للأصوات وإظهار قيمتها الثابتة قبل الاستعمال .

١٠ . إظهار الدلالة الحركية الثابتة لكلّ تعاقب قبل الاستعمال .

١١ . تفسير العشرات من الظواهر اللغوية المعقّدة وإرجاع تفسير الأحرف المفردة كاللام والباء والتاء الى تفسيرٍ موحَّدٍ .

١٢ . التفسير الملائم للظواهر التي شجَّعت على تطور الحل الاعتباطي في حالة الاعتقاد بسلامة نواياه مثل ظاهرة استعمال الأمم لتعاقبات صوتيةٍ مختلفةٍ للاشارة الى فكرٍ واحدٍ.

وبالطبع مثلما يكون عسيراً على المرء إحصاء المصائب التي نجمت عن الاعتباطية اللغوية في جميع فروع المعرفة وأثر ذلك في الأدب والفكر والأخلاق العامة ، فمن العسير أيضاً إحصاء منافع الحل القصدي للغة باعتباره النقيض الوحيد للحلِ الاعتباطي .

٦ . تذليل صعوبات

الأفكار التي سأذكرها هنا هي بخلاف التسلسل الزمني لها . فقد تمَّ اكتشاف معاني الحروف لخدمة موضوعٍ آخرٍ وكانت نتائجه تهدّم نظرية (اعتباطية الإشارة اللغوية) وتفنّد الدلائل التي تساندها . ولكني سأبدأ هنا بتذليل الصعوبات معتمداً على تلك النتائج لتكون أيسر فهماً وأصحَّ مدخلاً إلى الموضوع . والحقائق تخدمك في أيّ مكان تشاء وليس كما قال سوسير من أنه يجد صعوبة في وضع (الحقيقة) في مكانها الصحيح ! ، لأن الحقائق تؤيّد بعضها بعضاً في جميع الاتجاهات كما هو معلوم .

إن أكبر الدلائل على اعتباطية الإشارة هو أكبر العقبات أمام النظرية الجديدة التي نحن بصددها أي لا اعتباطية الإشارة اللغوية أو (قصدية الإشارة) .

وأكبر تلك الدلائل هو تعدّد اللغات . فلو كان في المفردة شيءٌ ذاتيٌّ يدلّ على المعنى لما تعدّدت المفردات التي تشير الى الشيء نفسه في اللغات المختلفة . وإذن فالمفردة تدلّ على المعنى اتفاقاً أو اعتباطاً ، وهو أمرٌ قد توضّح بما يكفي سابقاً وهذا هو مرجع جميع الدلائل الأخرى لنظريات اللغة .

ولكن هذه المسألة ليست محنةً كبيرةً لا يمكن التغلّب عليها لو كانت هناك بالفعل دراسةٌ جدّيةٌ للمقارنة بين اللغات .

وقبل أن أبيّن الفكرة سأذكر بعض الأمور التي لا بدّ منها والتي تتصل بحركة اللغات في التاريخ ، لأن هذا الأمر سيصبح عقبةً عصيةً حينما تقول إن المفردة ليست اعتباطية .

الأمر الأول : إن الخلق لهم ميلٌ شديدٌ الى اختصار اللغة إلى أدنى حدٍ ممكنٍ من ناحية عدد المفردات . وهذا الميل غريزيٌّ مثل بقية الغرائز ولا يختلف بشيء عن رغبتك وأنت مسافرٌ أن تحمل (مفكاً) متعدّد الرؤوس ، أو أية آلةٍ متعدّدة الأغراض . وهذه الرغبة كانت عامل (تخريبٍ) فعّالٍ للعلاقة الأصلية بين الدّال والمدلول علاوةً على نبذ الكمّ الأكبر من المفردات .

وقصدنا من هذا الكلام هو : إن هذا الميل يجعلهم يستعملون (اللفظ) لأغراض متعددة ، وبالتدريج تبتعد بعض الاستعمالات عن المعنى الأصلي للفظ فيحدث التخريب لهذه العلاقة وهو أمرٌ سيوضّحه المؤلف فيما بعد بما يسميه (الإزاحة) .

ولما كانت العلاقة الحقيقية بين الدّال والمدلول هي علاقةً جوهريةً وحركيةً وقابلةً للانقسام فقد استُغِلت استغلالاً بشعاً في جميع الجهات التي يمكن أن تتحرّك فيها . ولم يكن الإنسان ليقدّر (قدسيتها) وهو جامح الحركة لتثبيت شخصيته بين الكائنات بطرقٍ تخالف النظام الطبيعي الذي انبثقت عنه تلك العلاقة المقدّسة بين المفردة ومعناها الطبيعي . فكان إن استخدم المفردة الواحدة لعددٍ كبيرٍ من الأشياء المادية والمعنوية المتشابهة في انفعالها واستجابتها للمفردة في نحوٍ من التماثل مدفوعاً برغبة اختصار المفردات .

الأمر الثاني : إن الخلق لهم ميلٌ آخرٌ الى الاحتفاظ بما يحتاجونه فقط . وهذه العبارة تحتاج الى توضيح : فليس ما يحتاجونه بالمعنى التاريخي أو الشمولي بل ما يحتاجونه آنياً وحسب . ولا يمتلكون بعدَ نظرٍ أكثر من معدّل حياة الفرد في الجيل الواحد ، ونبذ المفردات التي لا تستخدم أو التي استعيض عنها بمفرداتٍ (متعددة الاغراض) هو عندهم من أيسر الأعمال . وبإمكانك مراجعة أيّ معجمٍ (عربيٍّ) مثلاً أُلِّف بعد مائتي سنةٍ من الفترة التي يحاول المعجم جمع مفرداتها والتي يجهل هو استعمالاتها لتجد هذا الأمر شاخصاً .

وهذا من طبيعة الجمهور حيث كان سيبيد أكثر مفردات اللغة لولا وجود عامل آخرٍ يواجهه وهو (النخبة) التي تتعامل مع العلوم والمعارف والآداب والتي تحتفظ وحدها بأكثرية المفردات لحاجتها إليها . يفسّر المؤلف بهذه العبارات تغيّر اللغة باعتباره أحد ظواهر الصراع بين العلم والجهل أو الترقّي والتقهقر في الوعي ، وهو يستمرّ في ربط الأشياء ببعضها هكذا الى النهاية .

ومع ذلك فإن قوّة الجمهور لا يمكن مقاومتها بسهولةٍ فيرضخ الأدباء والعلماء تباعاً لرغبتهم ويغيّرون مفرداتهم . ويضطرّهم ذلك إلى (تدريس) لغتهم للتلاميذ الجدد في الحقب المتأخرة .

وهم لا يفتأون يقاومون (إبادة اللغة) بنحت مفرداتٍ جديدةٍ أو (استيراد) أخرى او (إحياء) مفردات ميتةٍ أو (إعادة) مفرداتٍ نُبذت في حاوية المهملات كلما سنحت لهم الفرص لتعويض النقص في المفردات .

وهذه العملية التي تحدث تلقائياً هي نوع من الصراع الحتمي بين الجهل والعلم . فاللغة أحسن مقياسٍ لمعرفة تطوّر مجتمع ما من خلال إحصاء أو قياس مساحة ما يستعمل منها فعلاً . وهذا العامل هو العامل الأهم في تطور (تحوّل وتغيّر) اللغة والذي أهمل تماماً عند دراسة (الثبات والتغيّر في اللغة) .

فالثبات والتحوّل هما نسبٌ تفرضها نتائج هذا الصراع وليسا أمراً طبيعياً أو ذاتياً في اللغة . فاللغة أداة للمعرفة ، ودراسة تغيّرها خارج طبيعتها المعرفية لن يؤدي الى أية نتائج ذات قيمةٍ . وإذا كنت تحتاج الى شواهد على ذلك فما أكثرها في كلّ أمة .

ويبقى هنا اعتراضٌ محتملٌ ومفاده : إن العاملَين المذكورين يفترضان وجود لغة (واسعة) في فتراتٍ سابقةٍ نشأ صراع حولها بين الجهل والعلم وهو أمرٌ يخالف النتيجة النهائية .. لأننا كلما أوغلنا في القدم . وجدنا مزيداً من التخلّف وبالتالي مفردات أقل حسب نفس المفهوم .. ولذلك فالفكرة متناقضة .

والجواب على ذلك : أننا فعلاً نفترض وجود لغةٍ واسعةٍ ولكنها لغةٌ ليست مستعملةً وإنما هي لغةٌ (معروضةٌ) للاستعمال . ذلك لأن اللغة . وهي عبارة عن مفردات (وحدات بنائية) تتألّف من تعاقبٍ معينٍ للأصوات . ليست محددةً باحتمالات (معدودةٍ) لهذا التعاقب . فمثلما نشأت احتمالات معدودة مستعملة فمن الممكن أن تنشأ أيّة أعداد أخرى للاحتمالات المتبقية ، فليس ثمة أحدٌ يقول أن هذا الأمر كان ممكناً في مراحل التخلّف وليس ممكناً في المراحل اللاحقة ! .

فاللغة في مفهومنا الموحِّد ليست هي اللغة المستعملة فعلاً ، لأن هذه اللغة المستعملة هي جزءٌ من اللغة (الممكنة) وسنفرّق في بعض المصطلحات بين هذه الأشياء .

وعدا ذلك فاللغة المستعملة هي الأخرى بمفهومٍ مختلفٍ عندنا ، لأنك إذا كنت تقصد بها اللغة المتداولة على الألسن فإن القاموس (قاموس أية لغةٍ) هو دوماً أكبر من أيّة استعمالاتٍ في فترةٍ معينةٍ حتى لو كان القاموس لا يعنى إلاّ بالمفردات المتداولة ، لأنه سيضم المفردات التي لا تستعمل إلاّ في حالات نادرة . فكيف إذا أخذتَ بنظر الاعتبار ما استُعمل فعلاً خلال حقبٍ طويلةٍ فضلاً عن جميع الاحتمالات الممكنة لكلِّ لسان؟.

وعليه ففي أيّة فترةٍ زمنيةٍ هناك (لغةٌ واسعةٌ) يدور حولها صراعٌ ولو كانت هي المستعملة فقط على أيِّ نحوٍ كان وحسب .

الأمر الثالث : وهو خاصيةٌ أخرى من خصائص الجمهور وهي ميلُه الشديد للتعبير عن الشيء الواحد أو الأمر الواحد بصورٍ مختلفةٍ في شدّتها . ولذلك فهو يقوم باستخدام تفرعاتٍ كثيرةٍ للبقية الباقية من المفردات خلال وبعد عمليتي الاختصار بالعدد الكلي ونبذ ما لا يحتاجه من المفردات . ويتم ذلك بأبسط الصور ، وهو أمر يحدث يومياً في المجتمع الذي يعيش فيه كاتب هذه المقالات ولا أظن أنه يخفى على أي فردٍ آخرٍ ، فالمجموعة اللغوية تنحت تراكيب لغوية مستعملة عادةً ، ولكنها تضفي عليها أفكاراً جديدةً للتعبير عن متغيّراتٍ اجتماعية أو اقتصادية أو أخلاقية أو ما شابه ،

وسرعان ما تنتقل تلك التغيّرات الى المكاتبات والرسائل والوثائق (أي الى أنظمة الكتابة) . وهذه العملية تفصم مرّة أخرى العرى الوثيقة بين الدّال والمدلول ، لأنها كثيراً ما لا تأتي مطابقةً لخطوط الحركة الأصلية في المفردة ، وقد تزاح المفردة نفسها عن محورها أكثر من مرةٍ ، وتحدث جراء ذلك (زاويةٌ) بين المفردة الدّال ومدلولها الأصلي . بيد أنها تبقى تشير الى ذلك الأصل كما سترى لاحقاً .

سنلاحظ أربع مفردات مستعملة في بلدي الذي هو بسعة مساحة إنكلترا للتعبير عن الفعل (انظر : look) عدا المفردة الفصيحة فالمجموع المستعمل حالياً خمس مفردات .

فأهل الشمال يستعملون مفردةً مشتقةً من مقلوب حرف من أحرف لفظ (حدقة) أي حدقة العين : ومعنى ذلك إنهم لا يقولون (انظر) كما تقوله الفصحى أو كما يقال في الإنكليزية (look) ، بل سيكون المعنى الدقيق (افتح حدقة عينك) . وأهل الوسط يستعملون مفردةً مشتقةً من العين وصاغوا عليها فعلاً كان موجوداً في الفصحى ولكنه كان يعني النظر عن بعد . أو الفحص العام .

لكن مفردة (حدقة) لم تعد مستعملة إلاّ في الآداب ، وإذ ذاك فان أهل الوسط يفهمون المعنى ولكنهم مع ذلك يرفعون حواجبهم استغراباً من أهل الشمال .

وأهل الجنوب يستعملون مفردةً قديمةً جداً لا تعني أيّ شيءٍ له علاقة بحاسة البصر ، وإنما هي للأشياء التي تحسّ في القلب أو العقل وحسب . وبما أن جميع المناطق لا زالت تستعملها لهذا المعنى أي بمعنى (لاحظ) فإنهم لا يستغربون جميعاً من استعمالها لما تلاحظه حاسة البصر .

وأما سكان المدينة في الشرق حيث تمتد الصحراء فيستعملون مفردة غريبة عن اللغة قد تعني اسم حيوان كان يفاجئهم حيث تشترك معه بثلاثة أحرف أساسية أو أنها مشتقةٌ من (المتابعة والملاحقة) حيث تشارك هذا اللفظ بثلاثة أحرف أساسية أيضا وهي بهذا تعمل بمعنى قريب من لفظ (انتبه) .

وهذا التوزيع ليس اعتباطياً كما يتوهّم البعض وبإمكانك من ملاحظة أن أهل الشمال في مناطق وعرة وأهل الوسط في مدن آهلة متحضرة عند السهل الرسوبي الخصب وأن سكان الجنوب في السهل الممتد حيث الأهوار والأحراش والغَناء الشعبي وأهل المدينة الجنوبية حيث بدايات النمو الحضاري والخشية من الهجرات أو الانتكاسات الاقتصادية .. إذا لاحظت ذلك أدركت العلاقة الحميمة بين المفردة التي اختارتها كلّ جماعةٍ وبين الطبيعة الاجتماعية والمعاشية للجماعة . وهذا هو التفسير العام للترادف بمفهومه العام .

وهذا مجرد مثال بسيط إذ يمكن لكل فرد في العالم ملاحظة هذه الحقائق وأمثالها في مئات المفردات المشتركة في الاستعمال والتي توهّموا أنها بمعنىً واحدٍ .

وهناك استعمالات أخرى لمعنىً (معيّنٍ) افترقت فيه الألفاظ المستعملة عن بعضها البعض افتراقاً كبيراً جعل المجموعات البشرية رغم تجاورها ورغم أنها (مجموعة واحدة لغوياً) ، جعل كلّ منها يعتقد أن المفردات المستعملة عند المجموعة الأخرى غريبةٌ عن لغتها المحلية أو العامة أو كليهما .

وإذا كان هذا الأمر للآن لم يفسِّر العلاقة بين الدّال والمدلول فأنه من جهة أخرى يؤدي الى ثلاث نتائجٍ هامةٍ في الطريق الى ذلك هي :

النتيجة الأولى : إن هذه الملاحظات تؤكّد على فصمٍ مستمرٍّ للعلاقة الحقيقية بين الدّال والمدلول أو خفاءها التدريجي من خلال استغلال طبيعتها ذات الاتجاهات المتعدّدة . [سيتم شرح هذه الاتجاهات لأن اللفظ عند المؤلف هو عبارة عن (حركة عامة) في التعاقب تنطوي على صورةٍ مجسّدةٍ يمكن إطلاقها على أكثر من فكرةٍ متّفقةٍ معها في الحركة] .

النتيجة الثانية : إن هذه الملاحظات تفسِّر على نحوٍ منطقيٍّ جداً نشوء اللغات . فالافتراق يستمر بالتدريج ويؤدي الى نشوء لغةٍ جديدةٍ . وليست العوامل المساعدة على ذلك خافيةً ، فمن أمثلتها : نشوء وهلاك ممالكٍ ودولٍ ونزوح جماعاتٍ وحروبٍ وتأهيل أراضٍ جديدةٍ على مرّ التاريخ وظهور وخفاء أديان وغير ذلك .

النتيجة الثالثة : إن استعمال مجموعة ما لمفردةٍ واستعمال غيرها لمفردةٍ أخرى لأداء نفس (الفكرة) ليس اعتباطياً كما قال سوسير . وأرجوا هنا ملاحظة الخطأ المركب لسوسير وبقية علماء اللغة . فكون الاستعمال المختلف حصل لعوامل غير منطقية أو عشوائية شيء وكون الاستعمال المختلف نفسه اعتباطيٌّ وبدون سبب هو شيء آخر .

إن سوسير يزعم انه ليس ثمة سبب لاستعمال (b-o-f) في طرفٍ من فرنسا واستعمال 0-k-s) (في طرفٍ آخرٍ ! . فهناك سببٌ حتماً لهذا الاختلاف بغضِّ النظر عن كون السبب مقبول منطقياً وإنسانياً أم لا .

فنحن نقول أن الاختيار لكلّ طرفٍ لم يكن اعتباطياً ، وإنما كان ملائماً للخصائص التي ترجى من هذا الحيوان والملائم للحالة الاجتماعية العامة لكلّ طرف . أمّا كون المجموعة اختارت ما يلائمها تاريخياً أو أنها اختارت بصورةٍ (أنانية) أو كان اختيارها ينبثق عن رؤيا فلسفية أو غير

ذلك سلباً أو إيجاباً فهو أمر آخر سيكون من أهمّ وأفضل ما ينتج من دراساتٍ عن (قصدّية) الإشارة اللغوية .

ومن هنا يتبيّن أن إنكار أيّ سبب لتوزيع المفردات لا يوصف إلاّ بأنه جهلٌ تامٌ باللغة ، وهزيمةٌ منكرةٌ من أول الشروع بهذا المشروع . وذلك لأن المرء إذا كان يجد عذراً حيث لا يمكنه كشف العلاقة بين المفردة والمعنى ، فمن المحال أن يجد عذراً لزعمه أن تلك الإشارات الاعتباطية في المعنى تتوزّع اعتباطاً أيضاً على المجموعات . فهذا الكلام على قبحه في ذاته وتناقضه مع أبسط المبادئ المنطقية يتعارض أيضاً مع فكرة المشروع القائمة على مبدأ أن اللغة هي نظام من الإشارات .

الأمر الرابع : هناك مسألةٌ هامةٌ أخرى تؤدي الى الابتعاد عن (الدلالة) الحقيقية للإشارة اللغوية (من الآن سنسمّي العلاقة القصدية بين المفردة والمعنى بالدلالة اختصاراً للكلمات) . وهذه المسألة هي تكوّن الألسن المختلفة .

حيث نقصد من الآن وصاعداً باللسان : مجموعة العناصر التي يتألّف منها النظام الصوتي للمجموعة .

فلكل مجموعةٍ مستقلةٍ لغوياً نظامٌ من هذا النوع تحكمه ثلاثة أشياء : عدد الأصوات التي يمكن أن تنطقها المجموعة ، والنبرات التي تخرج بها هذه الأصوات في صورتها النهائية ، ومجموعة الحركات والمقاطع التي تربط بين تلك الأصوات لتكوين المفردات بحيث أنها تتشكّل بصورةٍ ميسّرةٍ للمجموعة .

ستلاحظ أهمية هذه الفكرة عندما نكشف لك عن معاني الحروف لأن بعض الأصوات لا يتّفق مع بعض فيحدث تزاحمٌ قسريٌّ يؤدي الى انتخاب تعاقبات معينةٍ وهجران أخرى ، ولا يحدث هذا بمفرده بل بمساعدة عامل آخر معلوم للجميع هو ميل الأفراد الى اختصار مكونات المفردة نفسها .

فالتعاقبات المهجورة كان يمكن استعمالها مع حركات ومقاطع مساعدة ولكن عامل اختصار المفردة نفسها يحول دون ذلك .

فالجملة العربية القديمة جملةٌ محكمةٌ وشديدة الوقع في جرسها حيث تنطق جميع الحروف مع حركاتها ومقاطعها . والجملة الجديدة مشذّبةٌ بما يكفي لجعل أيّة مفردةٍ قديمةٍ تدخلها (بنفس صورتها الأولى) وكأنها شيءٌ غريبٌ فيها . وانت تعلم أن إزالة حركة من كل مفردة يعني إزالة مجموعة حروف في الجملة وأن هذه العملية لا تؤدي الى الاختصار وحسب ، وإنما الى تغييرٍ في

الأنساق الكاملة للعبارات والجمل بحيث يجب تنظيمها مجدداً لكي لا تتنافر وهذا يعني ان اللغة تتحول بالتدريج الى لغة أخرى .

هذه العملية لا شكّ ستؤدي الى هجران بعض الأصوات لوجود التنافر الذي تحدثه في التراكيب اللغوية الجديدة .

وترى أنه في العربية قد هُجرت مجموعة أصوات كاملة فلم تعد تُستخدم (القاف) في مصر وأطراف العراق و(الذال) في مصر والشام و(الجيم) في بعض المفردات في عامة المناطق . فتمّ تحويل القاف في مصر الى همزة وفي العراق إلى الصوت (g) في لفظ (go) في الإنكليزية ، وحُوّل الذال الى الزاء في مصر والشام ، والجيم الى ما يماثل (g) في مصر . أما الأصوات التي تهجرها قبائل معينة أو تستبدلها فحدّث ولا حرج .

وهذا يعني أنه قد حصل تغيّرٌ في اللسان نفسه . وهذا الشرح سيعيد التفكير بتكّون الأقوام والشعوب وفق أسسٍ أخرى وأن كان ذلك خارج بحثنا الآن .

فإذا كانت في الحروف دلالةٌ ما تتجمّع فتعطي دلالةً عامةً للمفردة فكيف تبقى تلك الدلالة واضحة مع كلّ تلك التغيرات الجسيمة التي تصل الى حدِ تغيير الحرف واستبداله بآخر مع بقاء العناصر الأخرى للمفردة ؟ .

صحيح أن جميع الحروف البديلة ليست بعيدةً جداً صوتياً ولكنها بعيدةٌ جداً في الدلالة .

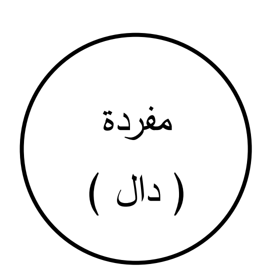
ولم نأخذ اللغة العربية كمثالٍ بدافعٍ خاصٍ ، بل لأنها أحسن مقياس لذلك ، لأن هذه التغيّرات قد حصلت في أمةٍ هي أكثر أمم العالم تأليفاً وافتخاراً ولصوقاً بلغتها وأكثرها افتتاناً بالشعر . وكذلك هي من أكثر الأمم حديثاً عن اللغة بحكم الكتاب المقدس الذي أنزل بلغتها والذي افتتن به أقوام آخرون من أممٍ أخرى ، فدرسوا هذه اللغة لتلك الغاية وهم شعوب كاملة . فإذا حدث مثل هذا التغيّر في مثل تلك الحقبة الهامة في حياة أمة هذه هي علاقتها باللغة فالأولى أن يحدث من التغيّرات ما هو أكبر في اللغات الأخرى في حقبٍ مختلفةٍ .

الأمور الأربعة الآنفة الذكر لا تحدث بطبيعة الحال متفرّقة في الزمان أو مستقلّة عن بعضها ، بل تحدث سويةً ولذلك فإن فصم عرى العلاقة بين الدّال والمدلول هو عملٌ جارٍ على قدم وساق في جميع الحقب التاريخية . وإذا كان هذا هو طريق تكوّن الألسن واللغات فمن غير المنطقي القول أن الإشارة اللغوية اعتباطية لمجرّد أننا نلاحظ لغاتٍ مختلفةً أو ألفاظ متباينة للدلالة على نفس الفكرة او الموضوع ، ذلك أن هذه الألفاظ محكومة باختيارات أخرى داخل نفس الدلالة المتعددة الاتجاهات ، مما يعني إمكانية نشوء دلالات فرعية متعدّدة لنفس اللفظ أو الإشارة الى نفس الفكرة بدلالات متنوعة

من ألفاظٍ عدّة . وهذا الأمر هامٌ جداً واجتياز هذه العقبة هو خطوة كبيرة نحو كشف الدلالة الحقيقية للألفاظ .

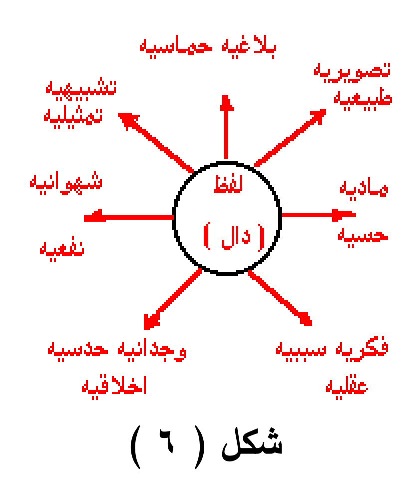
وفي الترجمة مشكلة أخرى تتضح منها الفكرة أكثر فأكثر .

وسأوضح الآن الفكرة الأساسية في تعدّد المفردات لأداء نفس المعنى وتعدّد المعاني للمفردة الواحدة باستخدام الرسوم البسيطة :



شكل (٥)

تقع المفردة الآن في الدائرة وهي عبارة عن تعاقبٍ معينٍ لأصواتٍ معينةٍ وهذا التعاقب يعني شيئاً ما في الأصل ولكنه لا يصف مفردةً في الحقيقة (أي شيء محدّدٍ حالياً) ، وإنما هو عبارةٌ عن حركةٍ جوهريةٍ داخل هذا التعاقب ، وهو بالطبع مختلف كلياً عن أي تعاقب آخر . وكلُّ حركةٍ جوهريةٍ في أيّ تعاقب هي في الأصل واحدةٌ بيد أنّنا نفهم منها أنّها حركةٌ في أكثر من اتّجاهٍ .



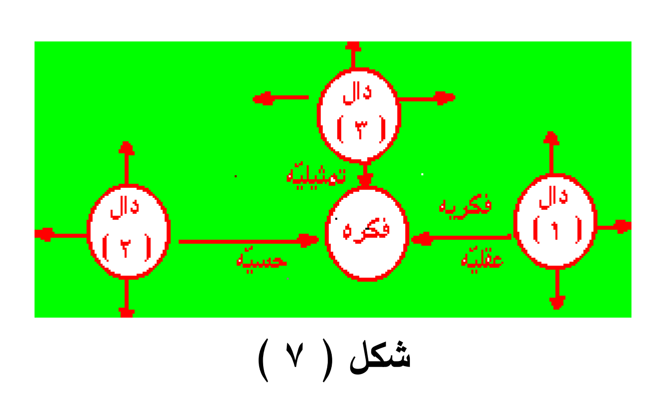
شكل (٦)

يمثل مجاميع من الاتجاهات المتعددة للحركة الجوهرية في المفردة .

وما في الرسم أعلاه هو أمثلةٌ مجتمعة للاتجاهات الكثيرة جداً وليس جميع تلك الاتجاهات . فيمكن تجزئة الاتجاه (فكرية سببية عقلية) الى ثلاثة اتجاهات مستقلة إذا توخّينا الدقة .

فهذه الحركة الداخلية المحدّدة لأي تعاقب تُستعمل أحياناً لتصوير حالةٍ أخرى لا تمت الى أيّ اتجاه من الاتجاهات الأخرى بصلةٍ إلاّ في كونها منبثقة من نفس الحركة .

ولما كان كلّ (دال) يحمل هذه الاتجاهات جميعاً . سواء اكتشفت كلّها أم لا . فإن الفكرة التي يراد التعبير عنها بلفظ تُوصَّل إليها خطوط من عدد أكبر من الألفاظ بحسب ما يراد إيضاحه من الفكرة وتُستعمل لهذا الغرض الاتجاهات المقصودة . وهذا إذا سلمنا معهم بوجود (فكرة) من غير ألفاظ وهو محال . إنما نفترض وجود شيء مجهول لم يطلق عليه لفظ بعد ، فكلّما تمّ كشف المزيد من خصائصه كلما أطلق عليه المزيد من اتجاهات الألفاظ .



شكل (٧)

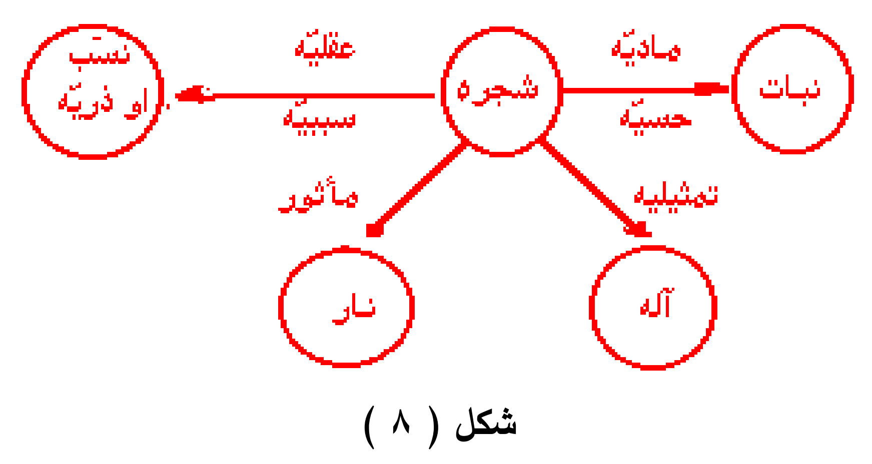
فهنا ثلاثة ألفاظ أشارت لنفس الفكرة ولكن كلّ واحد أشار الى الفكرة من جهة واحدة من الجهات .

ولما كان كلّ لفظ يوجّه أشعةً الى أكثر من فكرة فقد تكونت هنا شبكة معقّدة من العلاقات بين الأفكار والمفردات من جهة وبين الأشياء من جهة أخرى .

ويقوم المرء في (الإبداع الأدبي) بتوصيلات جديدة مستحدثة بين المفردات والأفكار ، حيث هناك دوماً خطوط فارغة (غير مشغولة) وهي احتمالات غير متناهية .

وهناك دوماً خطٌ رئيسيٌّ بين فكرة ما ومفردة ما بحيث أن البعض ظنّوا أن العلاقة بينهما ليست سوى ذلك . ومثال ذلك لفظ (شجرة) حيث هو عند سوسير (شجرة من النبات) .

لكن لهذه المفردة أكثر من اتّجاه في اللغة العربية ، بل وفي الإنجليزية حيث أنكر دي سوسير بقية الاتجاهات أو تجاهلها ، لأن لمفردة (شجرة) أصلٌ يفيد التشعب وكثرة الفروع في العربية وكذلك هو في اللاتينية ولذلك أفاد الإشارة الى العريش والى الصليب .



شكل (٨)

يمثل الأفكار المتنوعة لدلالة لفظ شجرة خلافاً لمبادئ سوسير

فهذا اللفظ مستعملٌ حالياً في منطقةٍ عربيةٍ بأربعة اتجاهات : الأول (مادي حسي) ويقصد به الشجرة المعهودة وهو أقوى الاتجاهات وأثبتها . والثاني (عقلي سببي) ويقصد به (الذرية والأنساب) لأنها تتفرع كتفرعات الشجرة . والاتجاه الثالث (أدبي فكري) ويقصد به (النار) . والاتجاه الرابع (حرفي صناعي) لتمثيل آلةٍ كالشجرة موجودة في ناقل الحركة للمكائن . للجهل بالاسم الأجنبي .

وقد تقول أن هناك استعمالٌ أصليٌّ واحدٌ هو الشجرة المعروفة والباقي هو مجرد (استعارات) ، فقد استعيرت المفردة للتعبير عن أشياء مختلفة فلا يضرّ ذلك بالأصل . وهذا القول منك مجرد وهم وخطأ شائع سنوضّحه فيما بعد .

وتعمّدت الآن استعمال المفردات وحدها في الرسم الأخير من غير أن استعمل الدّال والمدلول (أو الفكرة) ، وذلك لأني أريد منكم الانتباه الى الخلط والتناقض في مبادئ علم اللغة .

٨. الدال والمدلول في الحلّ القصدي

في مثال الشجرة كانت هناك مكيدةٌ ربّما لم تنتبهوا لها . فالسيد سوسير قد أخذ مفردةً اصطلاحيةً مستعملةً ولم يأخذ الأصل اللغوي لها .

ولو أخذنا الأصل (شجر) المؤلَّف من ثلاثة أحرفٍ لوجدنا عدداً أكبر من الاتجاهات ، بينما الاشتقاق الواحد يدلّ على عددٍ أقلّ من الأفكار .

وثمّة شيء آخر فقد رسم سوسير شجرةً نباتيةً للتعبير عن الفكرة بأزاء المفردة ، وذلك لأن هناك إشكاليةٌ في الحديث عن الإشارة اللغوية بطرفيها وتوضيح الطرفين بمفردتين .. لأنّ أيّة فكرة يعبّر عنها بمفردةٍ أيضاً ، وهذا يعني أننا نحاول إيضاح العلاقة بين مفردةٍ ومفردةٍ لا بين المفردة والمعنى !! .

لكن الأمر هو كذلك في واقع الحال وإنْ حاول سوسير إخفاءه ، فقد تكونون قد قبلتم في الحديث السابق قبولاً مؤقتاً أن مفردة (شجرة) تعني (نبات) وتعني (النسب) وأشياء أخرى ، ولكنكم لا بدّ وأن تستغربوا من تحوّل الحديث إلى هذا النحو ، غير أنّ هذا هو الواقع ، فنحن نعبّر عن المفردة بمفردةٍ أخرى نجدها أكثر ملائمةً وإيضاحاً للمفردة الأولى .وهي نفس الهوّة التي وقع فيها البحث الدلالي عند الأصوليين[١] .

ذلك لأنّه ليس ثمّة فكرة بدون حامل لها من الألفاظ ، مثلما لا توجد صورةٌ أو صوتٌ بدون حاملٍ موجيٍّ ، أي أنّه لا فكرة بدون مفردةٍ . وفي مواضعٍ كثيرةٍ أقرّ علماء اللغة بمن فيهم دي سوسير (بأننا لا نستطيع أن نفكّر بدون لغةٍ) ! .

وهذا يعني أن الفكرة واللفظ يظهران أو يقفزان سويةً في أذهاننا ، ولكننا نحاول التعبير عن الفكرة بألفاظٍ أخرى هي غير اللفظ المقترن بها عادةً .

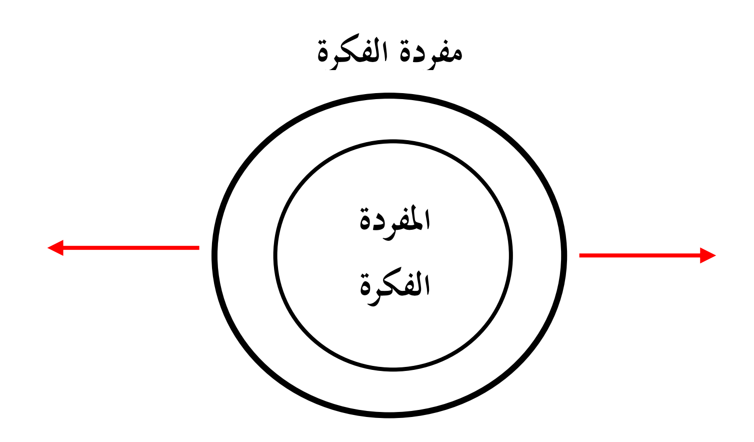
إذا رجعت للشكل (٧) وجدت أن دائرة (الفكرة) تحمل في طيّاتها (مفردةً ما) وهو ما ظهر جلياً في الشكل (٨) .

فالأصل في الاحتمالات المتعاقبة للأصوات أنّها (أفكارٌ) لحركةٍ جوهريةٍ ، فالفكرة هي عين المفردة وليست شيئاً آخراً غيرها . ولذلك فالأصل في الكلام أنّه عبارةٌ عن ترابطٍ بين الأفكار عن طريق المفردات .

---

[١] يشير المؤلّف هنا إلى مناقشاته مع هؤلاء في كتابه الآخر (الحلّ القصدي في مواجهة الاعتباطية) .

وترابط المفردات يعني ترابط الأفكار ، وليس ثمّة فكرة في الأصل تدخلها أسهمٌ للتعبير عنها وليس ثمّة مفردة تخرج منها أسهمٌ للتعبير عن مفرداتٍ أخرى أو للتعبير عن أفكارٍ أخرى . فالمفردة هي عبارةٌ عن (فكرةٍ لنفسها) فقط ، ولا تعبّر عن أيّ شيءٍ سوى ذاتها . فالرسوم السابقة توضّح الأمر على الطريقة السابقة تمهيداً للوصول إلى الصورة النهائية كما في الشكل التالي :



فكرة المفردة

شكل (٩) الدال هو المدلول

حركة المفردة في هذا التصوّر ذاتيةٌ أي أنّها تتحرّك حول نفسها ، وإذ ذاك فإنّها تسير بأيّ اتّجاهٍ (كلّها دفعةً واحدةً) لتقترن بمفردةٍ أخرى من جهةٍ ما ، وحينما يحدث ذلك تنتج ما لا نهاية له من المركبات المختلفة ذات الخصائص المتباينة . ومثلها في ذلك مثل (العنصر) في الكيمياء فهو لا يتغيّر مطلقاً ، لأنّه إذا تغيّر فلن يبقكما لو تحوّل اليورانيوم في التفاعل المتسلسل إلى رصاص ، ولكنه يقترن بعنصرٍ ثانٍ وثالثٍ ورابعٍ .. وهكذا . فينتج من جراء ذلك عددٌ لا نهاية له من المركبات بالارتباط مع العناصر الأخرى استناداً إلى عددها ونوع الأواصر الرابطة في بينها ..

إن السهام في الشكل (٩) المبسّط أعلاه لا تعني أن الحركة للمفردة هي باتّجاه اليمين والشمال فقط ، بل هي حركةٌ في كلّ الاتجاهات ، مثلها في ذلك مثل كرةٍ معدنيةٍ صقيلةٍ تتحرّك على سطحٍ صقيلٍ وسط مجموعةٍ من الكرات الصقيلة الأخرى والتي تختلف عنها في اللون مثلاً ، ولهذا

فهي (أي المفردة) تتجاذب مع غيرها من جهاتٍ معيّنةٍ وتتنافر من جهاتٍ أخرى . وقد لا يمكنك جمع اثنين منها إلاّ باتّجاهٍ معيّنٍ ووضعٍ معيّنٍ ، وقد لا يمكنك فعل ذلك إلاّ بالاتّصال بثالثةٍ أو رابعةٍ في وضعٍ معيّنٍ آخر . فهناك احتمالاتٌ مفتوحةٌ وهناك احتمالاتٌ مغلقةٌ . فالمفردة في الأصل هي عبارةٌ عن فكرةٍ أحادية الدلالة لا تتجزّأ ، ولا يحلّ محلّها أيّ عضو آخر من المفردات .

لماذا إذن يحدث التعبير عن المفردة بمفردةٍ أخرى ؟ .. إذ أنّ هذا هو في الواقع ما يعنيه قولنا أننا نعبّر عن (الفكرة) بمفردةٍ حينما نعتقد أنّ المفردة هي فكرةٌ ما .

ذلك لأننا نجهل تلك الحركة الجوهرية في المفردة ، أي أننا نجهل (فكرة المفردة) ولا نعلم منها إلاّ اتّجاهاً معيّناً لا يفي بما نريده من التعبير عن الاتّجاهات الأخرى ، وقد نجهل المفردة الملائمة (للفكرة) كلّياً ، أي أنها مفقودةٌ في استعمالاتنا ، فنضع للأفكار مفرداتٍ أخرى نظنّ أنّها تلائمها من خلال التشابه ، وأحياناً لا ندرك أن المفردة تعبّر عن الفكرة ولو كانت هي نفسها أي (فكرة المفردة) ، فنعزّزها بمفردةٍ أخرى . وكان ذلك وأشباهه سيؤدّي بنا إلى الابتعاد عن جوهر المعاني للمفردات كلّياً لولا وجود (حمايةٍ ذاتيةٍ) فيها .

وتكمن هذه الحماية في ما يأتي :

أولاً : إننا لا نستطيع أن نستعمل أيّة مفردةٍ لأيّ شيءٍ كلّما أردنا ذلك لوجود تضادٍّ بينهما أحياناً منشأه الحركة ولكننا لا نعلم ذلك ، إذ لم ننتبه له من قبل .

ثانياً : إننا لا نستطيع إنتاج المركبات كما يحلو لنا لوجود تنافرٍ وتجاذبٍ لنفس السبب في أولاً .

ثالثاً : إننا لا نستطيع استخدام أو إنتاج أي تعاقبٍ كما يحلو لنا إذا لم يكن جارياً وفق طبيعة الأصوات من التجاذب والتنافر وملائماً على نحوٍ ما ليحلّ بديلاً عن (فكرة اللفظ الآخر) .

رابعاً : إن في هذا النظام اللغوي مرونةٌ تكفي لإشباع الرغبة في العبث واللعب به من خلال وجود الحركة الخارجية لبعض التعاقبات كالأفعال والتي يمكن أن تقترن بأشياء كثيرة جداً . وحينما تأتي بصيغها الأخرى وتقترن بتلك الأشياء بطريق الخطأ فإنّها لا تثير استغراباً أو إنكاراً لأنّها تمدّ جسوراً إلى حركتها الخارجية وتشير إليها كما لو كانت تريد التأكيد على هويتها التي توشك أن تضيع .

إن الشرح السابق يعني أن (فكرة المفردة) أو (مفردة الفكرة) هي شيءٌ واحدٌ في حقيقة الأمر ، فليس ثمّة فكرة بدون إشارةٍ . فالفكرة لا تسبق الإشارة . وهذا بالطبع لا علاقة له بالشيء الذي تراه لأوّل مرّة ولا تعلم له اسماً ، ذلك لأنّه لم يشكّلْ بعد أيّة فكرة ، وإنّما هو عبارةٌ عن (صورةٍ

) تدركها العين وهي لا تختلف عن أيّة رائحةٍ جديدةٍ لم يشمّها أنفك من قبل ، فأنت لا تمتلك عنها أيّة فكرة للآن . ولكن إذا علِمتَ خصائصها ومصدرها وصفاتها (صورةً كانت أم رائحةً) فقد أمكن لك أن تطلق اسماً عليها . وبالطبع فإنّك لا تطلقه هكذا جزافاً ، بل تحاول أن تجعل الاسم ملائماً للخصائص الداخلية أو الخارجية للشيء المعني . ولكن المهم هو أنّك في هذا العمل محدّدُ الخيارات ، وكلّما عرفت المزيد عن الشيء قلّت بالمقابل خياراتك في تسميته بإسمٍ عامٍ ، بينما تزداد مفرداتك التي تصف تلك الخصائص .

المفردة إذن هي عنصرُ مستقلٌ بنفسه ، وهي ليست شيئاً مختلفاً عن الفكرة ، فالمفردة هي فكرةٌ محدّدةٌ . كلّ ما في الأمر هو أنّ ظهور أو انطباق هذه الفكرة في الأشياء أو عليها مختلفٌ ومتباينٌ . ولو قُدِّرَ لنا أن نعرف حقيقة شيءٍ ما لأمكننا أن نقول أنّ ذلك الشيء هو (المفردة) كذا ولا يكون ولن يكون أيّة مفردةٍ أخرى . ولو قدّر لنا أن نعرف حقيقة مفردةٍ ما لأمكننا أن نقول أنّها الشيء الفلاني لا سواه ، ولا يمكننا أن نقول ذلك بمفردةٍ أخرى ، لأننا حينها سنخلط الأمور مرّةً أخرى ، بل نشير إليه بطريقةٍ ما هي مثلما يفعل (البكم) لنذكر اسم المفردة . ذلك لأنّه كما لا يمكن أن يحلّ شيء مكان آخر مثل أن لا يكون الجبل شجرة . في الواقع . ، فكذلك لن تكون مفردة (جبل) بديلاً لمفردة (شجرة) في اللغة .

إذن المفردة ليست دالاً يشير إلى مدلولٍ خارجها ، بل هي دالٌّ ومدلولٌ في عين الوقت . وهذا أمرٌ هامٌّ جداً لأننا دوماً نفرّق بين دلالة المفردة الذاتية وبين الشيء الذي تُطلقُ عليه . وهذا ما لن يكون في النظرية الموحّدة .

ويمكن تشبيه المفردة بما يأتي :

تقوم الشركات الصناعية بلصق (خريطةٍ مفصّلةٍ) لمكوّنات الأجهزة الكهربائية أو الميكانيكية التي تقوم بإنتاجها على الغطاء الخلفي أو توضع مع الجهاز في صندوق التعبئة . وإذا قامت شركةٌ ما بصنع أكثر من نموذجٍ لا يختلف بشيءٍ عن النموذج الآخر إلاّ بالمظهر الخارجي فقط (وهذا ما يحدث فعلاً بهدف تلبية أذواق الزبائن) ، فإنّ الخريطة المرفقة ستبقى واحدةً .

الخريطة هذه هي بمثابة (اسم حقيقي) للجهاز يطابق مكوّناته الداخلية والحركة الداخلية التي فيه . والمختصّ بتصميم الجهاز يعلم ماذا يحدث في أيّة نقطةٍ من الخريطة بالضبط حتى من دون أن يكون بحاجةٍ لمعاينة هذه النقطة في داخل الجهاز . أمّا الاسم التجاري فليست له أهميّة هنا كما سترى .

وبالنسبة للخبير فإنّه لا يعتقد أنّ الخريطة (دالٌ) وأنّ الجهاز (مدلولٌ) ، كما لا يعتقد أنّ الجهاز هو عبارة عن (فكرة) وأنّ الخريطة تشير إليها . لأنّه في الواقع يتعامل مع الخريطة على أنها هي ذاتها الفكرة ، ذلك لأنّه إذا أراد صيانة عددٍ كبيرٍ من نسخٍ لنفس هذا الجهاز فإنّه يحتاج إلى خريطةٍ واحدة وحسب ، ولن يطلب عشرة خرائط لإصلاح جهازٍ واحدٍ .

إذا افترضنا أنّ الجهاز هو (التلفاز) . وليسمح لنا السادة القرّاء بالسير قدماً في المثل . وإنّ أكثر ما يميّزه هو الشاشة الكبيرة التي تحتلّ مساحة الواجهة ، فإنّ العُوام في البلدان النامية سيلاحظون وجود شيءٍ مشابهٍ له في البنوك يتمثّل في شاشة الحاسبة فيطلقون عليه اسم (تلفاز) أيضاً ، وسيطلقون نفس الاسم على الجهاز الموجود في غرف الإنعاش للمرضى . وهذا بالرغم من أن هذه الأجهزة الثلاثة مختلفةٌ تماماً . وحينما نطلق نفس المفردة على ثلاثة أشياءٍ ، فمعنى ذلك في الواقع أننا (أميون) في معرفتنا اللغوية ، ولا نختلف بشيءٍ عن هؤلاء العُوام في إطلاق لفظ (تلفاز) على جهاز قياس نبضات القلب والحاسبة والتلفاز على حدٍّ سواء . ومن جهةٍ أخرى فإنّ الفكرة التي تتداعى في الذهن عن المفردة هي الأساس . فلو قلنا ثلاثة أسماءٍ (تلفاز ، حاسبة ، جهاز قياس النبض) فإنّ ما يتداعى في ذهن غير المختصّ هو صورة آلةٍ فيها شاشةٌ واسعةٌ . أمّا المختصُّ فلن تدخل تلك الصورة في ذهنه ، بل تدخل ثلاث صورٍ تشكّل العلاقات الداخلية لكلّ جهازٍ لأنه لديه أسلوبه في التمييز بينها والذي سيلقي بظلاله على المظهر الخارجي نفسه ، فيراه الخبير مختلفاً جداً ، لأنّه يحاول أن يلحق أدقّ الاختلافات الخارجية بالاختلافات الداخلية الموجودة في ذهنه الذي يرفض اعتبار الأجهزة الثلاثة شيئاً واحداً . وحينما نطلق نحن الآن ثلاث مفرداتٍ ونزعم أنّها بمعنىً واحدٍ أو العكس نطلق مفردةً واحدةً على ثلاثة أشياءٍ ، فالفرق بيننا وبين من يعرف ما هي اللغة هو كالفرق بين أولئك الأميون والرجل الخبير .

ستلاحظ في الفصل الآتي أننا نستعمل المفردة كدالٍّ ومدلولٍ في آنٍ واحدٍ . ولكن (علم اللغة المعاصر والذي يدرس أنماط اللغة قد تنكّر لهذا الواقع وادّعى أنّ الدّال شيء والمدلول هو شيءٌ أخرٌ . وبهذا التفريق أكّد على وجود العلاقة من حيث كان رفضها عنده هو المبدأ . فهذا التناقض الأول الكبير قد جرّ إلى سلسلةٍ من التناقضات المتّصلة مع بعضها البعض .

٨. فكرة نشوء اللغات المختلفة

سنسمّي من الآن فصاعداً أي ترتيبٍ معيّنٍ للأصوات مثل (ش . ج . ر) بالتسلسل بدلاً من التعاقب ، لأنّ في المصطلح الأخير التباسٌ يتعيّن تجنّبه ، فهو قد يوحي أحياناً بفكرة التناوب في الوقت الذي نؤكّد فيه على أنّ كلّ تسلسلٍ هو كيانٌ مستقلٌّ .

فمثلاً الكيان (ش . ج . ر) يمثّل فكرةً محدّدةً بهذا التسلسل لا سواه . وهذه الفكرة هي شيءٌ ذاتيٌّ في هذا التسلسل ، ونحن نسمّي نبات الرمّان شجرةً ، لأنه في الواقع يشابه إلى حدٍّ كبيرٍ الحركة التي يصوغها هذا التسلسل في ذاته ، ولكنّه يميّزه بمفردةٍ أخرى هي (رمّان) .

وهنا يكمن منشأ إطلاق مفردةٍ ما على ذواتٍ أو معانيّ عديدةٍ ، فهذه الحركة في المفردة عامّةٌ ، ويمكن إذن تضمين الكثير من المعاني فيها ، فالـ (الخصومة) و(المنازعة) متضمّنةٌ في مفردة (شجر) التي لها اسمٌ هو (الشجار) وفعلٌ متصرّفٌ في الزمان هو (شَجَرَ) . وإنّ الاستعمالات الكثيرة لهذه المفردة قد أزعجت أحد اللغويين القدامى لكثرة ما كان يُسألُ عن كثرة المفردات المشتقّة منها ، ودفعه هذا الانزعاج إلى أن يقول أصدق العبارات في تاريخ اللغة وهي :

[كلّ ما كان له أصلٌ واحدٌ وجاءه شيءٌ يفرّقه فتفرّقَ فهو (شجر)] [١]

ولكن المؤسف أنّه لم يذكر مثل هذه العبارة إلاّ في هذا التسلسل (ش ج ر) . ومع أنّ هذا التعريف غير دقيقٍ لكنّه كان يمكن أن يكون ثورةً في عالم اللغة لو قدّر لقائله الاستمرار بمثل هذه الطريقة .

ومن هنا يتبيّن أن الألفاظ (النار وشجرة الرمّان والأنساب وكذلك الخصام الناشب في الجماعة الواحدة) هي أفكارٌ متشابهةٌ في الحركة الطبيعية ، فهي جميعاً تنبثق من أصلٍ واحدٍ وتتفرّع في الاتجاهات كافةً.

ونودُ أن يُلاحظ السادة القرّاء مسألتين هامّتين :

المسألة الأولى : إن علماء اللغة اعتبروا وجود عددٍ من المفردات المختلفة في اللغات المختلفة والتي تشير إلى نفس المعنى والفكرة دليلاً على اعتباطية الدلالة اللغوية . في حين أنّ هذا التعدّد موجودٌ في اللغة الواحدة كما رأينا في مثال المفردات الدّالة على نفس المعنى الموجود في اللفظ (انظر) لدى مجموعةٍ لغويةٍ واحدةٍ ، وهو المثال الذي مرّ سابقاً . وكانت دراسة هذه المسألة

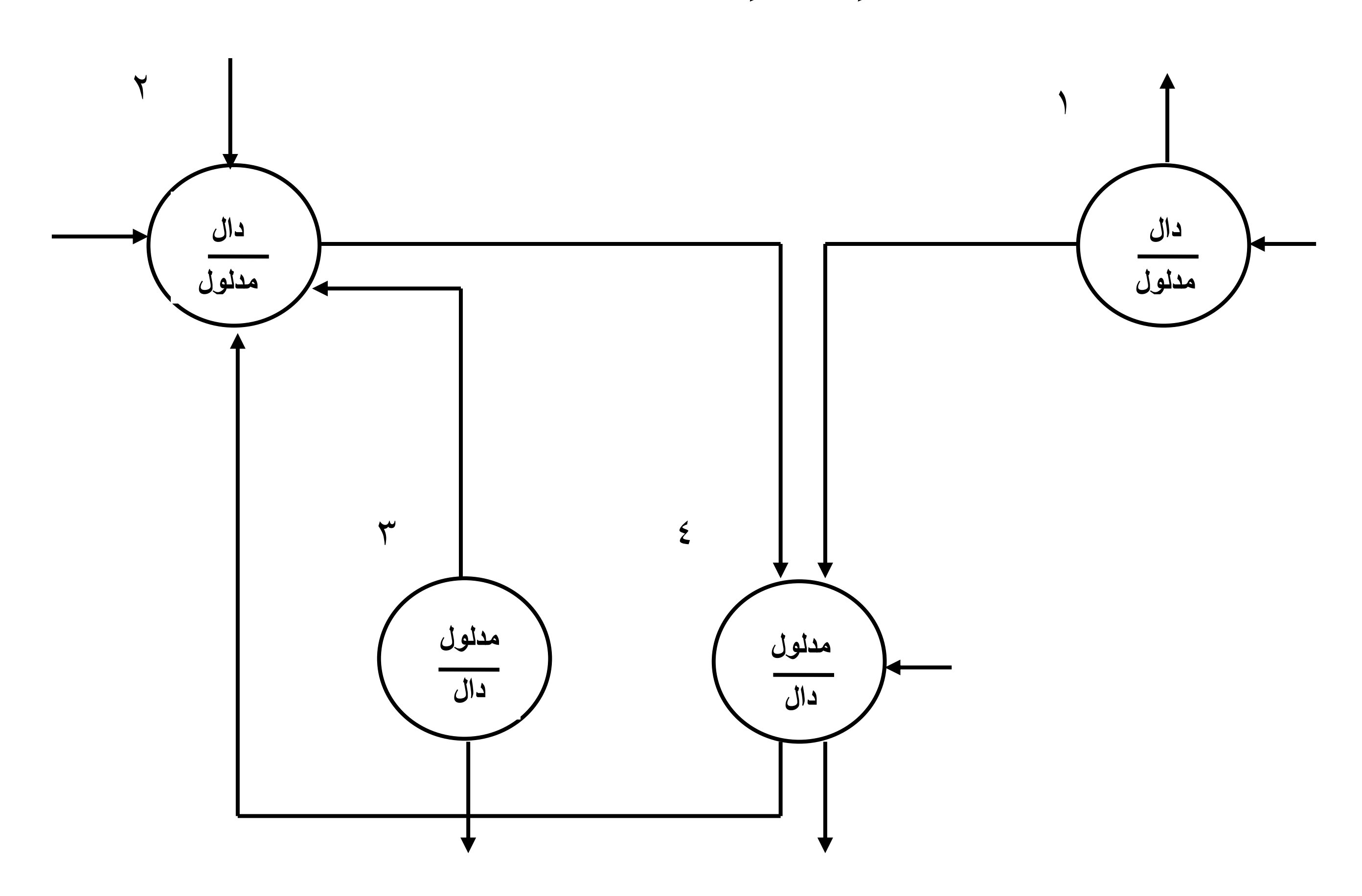
---

١ تاج العروس / ش ج ر /ج ١٢ .

ستؤدّي إلى مبدأ لا اعتباطية التوزيع في أسوأ الأحوال إنْ لم تؤدِ إلى المبدأ الأكبر وهو الدلالة الكامنة في نفس المفردة ، ولكن من المؤسف أن تهمل بزعم أنّ هذا التعدّد قد حدث اعتباطاً وإنْ أعطى للمفردات نفس المعنى .

المسألة الثانية : إنّهم ارتكزوا على ظاهرة تعدّد الإشارات للمعنى الواحد ، بينما لم يذكروا تعدّد المعاني للمفردة الواحدة كما في المثال (شجر) الآنف الذكر . وهاتان الظاهرتان متقابلتان تدور إحداهما على

الأخرى ، بمعنى أنّ كلّ واحدةٍ منهما هي سببٌ للأخرى كما يوضّحه الرسم الجامع في الشكل (١٠) حيث تعمل المفردة بالتناوب كدالٍّ ومدلولٍ (عند علماء اللغة) :



الشكل (١٠) يمثّل طريقة عمل المفردات فيما بينها كدالٍّ ومدلولٍ سويةً خلال الاستعمال

وسيأتي حديثٌ آخر عن الشكل في آخر الموضوع التالي (حيز الإبداع في اللغة الموحّدة)

ويظهر في الشكل :

١. أنّ حيز الإبداع الحقيقي والوهمي متداخلٌ .

٢. الحماية الذاتية للمفردات . حيث لا يوجد اتّجاه بين دالّ اللفظ (٤) ومدلول اللفظ (١) رغم وجود العكس . ولا توجد علاقة بين (١) و (٣) إلاّ عن طريق (٤) .

إنّ تعدّد معاني المفردة الواحدة هو بخلاف الغاية من دراسة الإشارة اللغوية حتى لو كانت اعتباطية ، لأنّ في هذا الأمر صفةٌ أخرى هي (الفوضوية) في إطلاق الإشارة ممّا يعني أنّه ليس هناك نظامٌ لغويٌّ بالمعنى الذي أرادوه ، لأنّ الإشارة نفسها تنتقل من موضعٍ إلى آخرٍ بدون ضابطٍ .

إنّ الاتجاهات الكامنة في حركة المفردة والموضّحة سابقاً في الشكل رقم (٦) تعتبر أساساً لكشف ضابط هذا الانتقال للإشارة اللغوية . ومعنى ذلك أن هناك ضوابطاً داخليةً لاستعمال المفردة ، ومنها تخرج ضوابطٌ لاقترانها مع مفرداتٍ أخرى . وبهذا يمكنك اكتشاف موقع (الخرق) لهذه الضوابط في استعمالات الجماعة لها . وهذه الضوابط ستختلف بالطبع عن الضوابط المعجمية وأيّة ضوابطٍ غيرها جعلت الكلمة الأصلية مولّدةً أو مستحدثةً مثلما جعلت الاستعمال الصحيح خاطئاً والخاطئ صحيحاً في أحيانٍ كثيرةٍ ، لأنّها تعتمد على السماع والشهرة والنقل وغيرها ، وهي جميعاً قواعدٌ ظاهريةٌ لا علاقة لها بالضوابط الذاتية في المفردة والمنبثقة عن حركتها الداخلية .. فكيف إذا زادوا على ذلك كلّه تفسيرهم لها بالاعتباطية ؟ ! .

إنّ المناقلة المستمرّة للمفردة بين المجموعات تؤدّي إلى حركتين متضادّتين تتحكّم بهما عوامل افتراق واجتماع المجموعات البشرية . الأولى منهما هي حركة افتراقٍ بين الاستعمالات اللغوية تؤدّي إلى نشوء لغةٍ جديدةٍ ، والأساس فيها هو استعمال مفرداتٍ عديدةٍ (للمعنى الواحد) ضمن اللغة الأصلية . والحركة الثانية هي حركة ذوبانٍ للمجموعات اللغوية في بعضها البعض وتكتّلٍ واجتماعٍ فيما بينها ممّا يؤدّي إلى اختلاط لغتين أو أكثر في لغةٍ واحدةٍ ، والأساس في هذه الحركة هو العامل الآخر المقابل أي (استعمال معانٍ متعدّدةٍ للمفردة الواحدة) .

إن الظاهرة الأولى كثيرة الحدوث بينما الظاهرة الثانية قليلة الحدوث أو هي نادرةٌ . وإنّ نسبة الظاهرة الثانية إلى الأولى هي كنسبة العلم إلى الجهل وكنسبة السلام إلى الحرب وكنسبة العلاقات الإنسانية إلى الأنانية والعدوان .

وإن أكثر العوامل قوّةً في دفع الظاهرة الثانية إلى التحقّق في أرض الواقع هي الأديان ذات الطابع الأممي .

وأكثر القوى قدرةً في تمكين الحركة الأولى (حركة الافتراق) ونشوء لغاتٍ جديدةٍ هي القوى العنصرية أو القومية . فالفكر واللغة هما مثل الطبيعة التي فيها قوىً تعمل ذاتياً لحمايتها . وكأنّ احتكار تعاقباتٍ معيّنةٍ من الأصوات لقومٍ واعتمادهم على ذلك العامل لتكوين كتلةٍ اجتماعيةٍ تريد التفوّق على غيرها من الجماعات يؤدّي إلى حدوث (عقابٍ) داخلي ، فتنقسم المجموعة المحتكرة نفسها إلى مجموعتين أو أكثر لغوياً . وهذا العامل طبيعيٌّ ، حيث أن من شأن الحركة العنصرية في أي شعبٍ أن تقوم (بإثارة) المجموعات الأصغر التي تمتلك خصائصاً لغويةً مختلفةً عن المجموعة الكاملة للقيام بنفس الشيء أي تكوين ذاتيةٍ قوميةٍ لها عن طريق اللغة . وهذا يحدث حتى لو كانت الخصائص في طور التكوين ، إذ يبدأ الأفراد (وبتعمّدٍ) خلال أحاديثهم باستعمال مفرداتٍ معيّنةٍ دون سواها خلال أحاديثهم ومكاتباتهم (نكايةً) بالعدوّ الداخلي ، ثمّ تأتي الانهيارات الاقتصادية وما يتبعها من حروبٍ أهليةٍ وتكوين إماراتٍ مستقلّةٍ وإشعال حروبٍ طاحنةٍ ، فتؤدّي إلى إدخال تلك الخصائص في الطور اللاحق أي (تبلور لغة جديدة) .

إنّ حركة النشوء والافتراق هي أقوى من حركة الجمع والاتحاد ، وقد يحدث أحياناً أن تتوقّف حركة الجمع في منتصف الطريق بسببٍ من اكتشاف المجموعة اللغوية (للأكذوبة الفكرية) الجامعة لها .

ففي البداية كانت القوميات في الاتحاد السوفيتي السابق قد تأثّرت بالثورة الشيوعية ، وأخذت تتكلّم باللغة الروسية التي كانت هي اللغة الرسمية في البلاد. ولكن بعد تأكيد الإعلام الرسمي وعمليات التثقيف المركزية وبصورةٍ مستمرّةٍ على أنّ اللغة الروسية هي اللغة الأم وأنّ روسيا نفسها هي (أمٌّ) ، أزعج ذلك بعض أولادها فحاولوا إنكار هذه الأمومة من خلال إصرارهم على التحدّث بلغتهم الخاصة ، وإذا كانت مواقعهم الاجتماعية لا تسمح بذلك نتيجة الرقابة المتشدّدة .. فقد يتعمّد الأوكراني مثلاً نطق الحرف الوحيد المختلف مع اللغة الروسية والذي هو حرف الـ (g) ، حيث ينطقه مثل الحرف (h) في مفردة (home) فيقول : (hode) التي معناها سنة بدلاً من (gode) ، وذريعته في ذلك هي عدم القدرة على نطق الحرف (g) . وهي ذريعةٌ مكشوفةٌ لسهولة نطق هذا الصوت .

ومع أن سوسير قد أكّد على أنّ اللغة (تدرس في حدّ ذاتها ومن أجل ذاتها) ، لكنّه أقرّ من جهةٍ أخرى بالحقيقة المناقضة لها ، إذ قريباً جداً وفي نفس الفصل قال : (إنّ عبقرية قومٍ أو مجموعةٍ عرقيةٍ كثيراً ما تقود اللغة إلى سبلٍ محدّدةٍ)[١] ، وذكر أنّه سيواصل العمل من أجل إثبات أن اللغة هي شيءٌ عضويٌّ بهذا المعنى وليس كما زعم (شلايشر) من أنّ اللغة شيءٌ عضويٌّ لها قوانينها الخاصة بالتطوّر .

ولكنّه أيضاً وفي الفصل الذي يتحدّث عن علاقة العرق باللغة أنكر وجود تلازمٍ بينهما ، وذهب إلى ما هو أكثر من ذلك حينما قال في الفقرة اللاحقة أن التمايز بين اللغة والعرق هو بحيث لا يمكن استنتاج شيءٍ من أحدهما وتطبيقه على الآخر !!.. قال : (قرابة الدم والوحدة اللغوية إذن لا ترتبطان بالضرورة ولا تستطيع أن تتوصّل 'إلى استنتاجاتٍ من أحدهما وتطبيقها على الآخر)[٢] . وهذا يعني أنّ سوسير يحاول تجنّب الدخول في أيّ تفسيرٍ محدّدٍ لنشوء اللغات المختلفة ، ولذلك فهو يؤمن بالمتناقضات جميعاً في وقتٍ واحدٍ !. لأنّ ذلك هو السبيل الوحيد الذي يمرّ من خلاله (مبدأ) اعتباطية اللغة . ولا نعتقد أنّه بتسميته في موضعٍ (العرق) وفي موضعٍ آخرٍ (قرابة الدم) ... لا نعتقد أنّ ذلك بمفرده سيجنّبه اكتشاف الأمر من قبل الآخرين .

إنّ دراسة (الفونيمات) في اللغات هي الدراسة الوحيدة التي ستكون نتائجها نافعةً في النظرية الجديدة للغة . وقبل اليوم فإنّ فائدتها قليلةٌ ، لأنّها ستدخل حيز التطبيق العلمي في قضيّتين هامّتين تهرّب من مواجهتهما البنيويون كافةً وهما قضيتي : نشوء اللغات وتفسير اللغة نفسها .

وكان المؤمّل أن تكون نتائج الفونيمات في خدمة البنيوية بمعناها المعروف أعني بمبدئها الأساسي وهو اعتباطية الإشارة اللغوية ، بيد أنّ هذا محالٌ لأنّ وضع (الفونيمات) في أنساق اللغة معناها أنّ البنيوية تتراجع عن مبدئها ، ومن هنا كانت دراسة الفونيمات هي بداية التشتّت والتمزّق الذي طال البنيوية ، فالتمزّق في البنيوية قد اعترف به أكثر البنيويين ، ولكن ارتباط هذا التمزّق بالفونيم هو الشيء الذي لم يجرؤ أحدٌ على ذكره للآن . إن قائمة الفونيمات هي مجرّد عمليةٌ إحصائيةٌ ، ولكنّها ستكون من الآن هامّةٌ جداً لتفسير نشوء اللغات وضبط التغيّرات الحاصلة في الحركة الجوهرية للمفردات .

---

[١] علم اللغة / ٢٥٣ .

[٢] علم اللغة / ٢٤٤ .

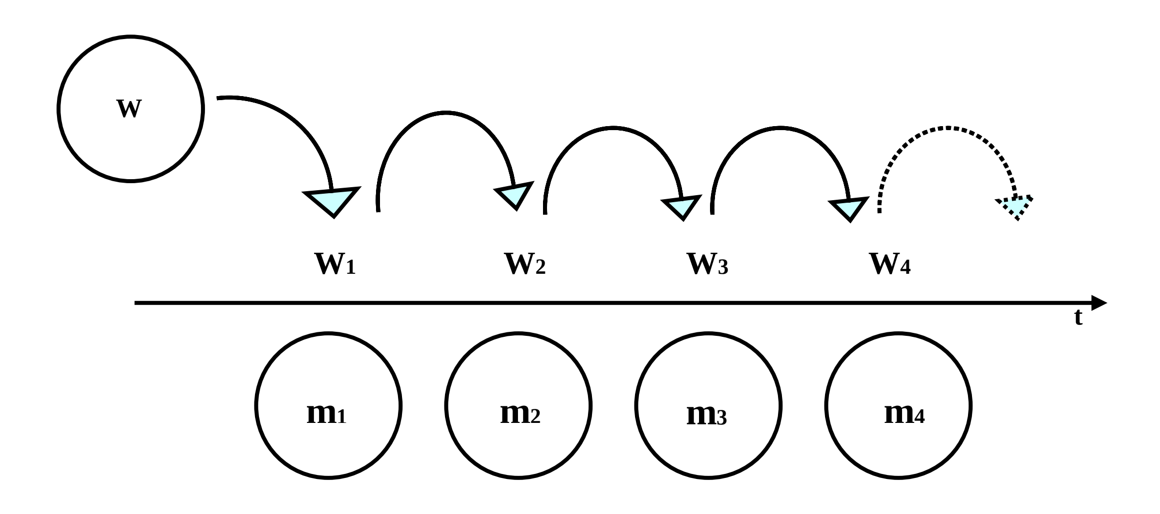
٩. حيز الإبداع في نظرية اللغة الموحّدة

في النظرية الموحّدة للغة حيزٌ كبيرٌ للإبداع يمكن القول أنّه غير متناهٍ ، وليس ذلك منوطاً بالمخطَّطين (٦) و(١٠) فقط . حيث توجد خطوطٌ غير مشغولةٍ للاقتران اللانهائي بين المفردات ، فهذا الأمر لا نظنّ أنّه قد فاتكم الانتباه إليه ، وهو الشيء الذي تفتقر إليه البنيوية بمختلف اتجاهاتها . وإنّما هو أكبر من ذلك في دلالة المفردة نفسها لأنّ هذه الحركة العامة يمكن الاستفادة منها في التعبير عن أشياءٍ كثيرةٍ لا زال الاعتقاد بأنّها غير ممكنةٍ قائماً .

فالاتّجاه المعمول به حالياً والمفهوم من حركة المفردة هو اتّجاهٌ أفقيٌّ ، أي أنّ المفردة تؤدّي الدلالة بالتنقّل على محور المعاني المتباينة وهو أمرٌ لا منطقيٌّ ، أي هو بخلاف الغاية من وضع اللغة . وهذا هو الذي جعل علماء اللغة يصفونها بأنّها (نظامٌ لا منطقي) ، وهو جمعٌ تعسّفيٌّ بين مفردتي (نظام) و(لا منطقي) يمثّل محنتهم من أجل فتح بابٍ لدراسة اللغة .

ومثل هذا التعبير أي (نظام لا منطقي) يشهد على نفسه أنّه تعبيرٌ لا منطقيٌّ ، وبالتالي لا يمثّل شيئاً ذا قيمةٍ في وصف اللغة ، لأنّ مفردة نظام تدلّ على الترابط المنطقي على نحوٍ ما فهي نقيض عبارة (لا منطقي) .

إنّ حركة المفردة قبل (المنهج الموحّد لتفسير اللغة) وهو هذا المنهج الذي نشرحه في هذا الكتاب هي كما قدّمنا باتّجاهٍ أفقيٍّ يحتّمه الفهم القاصر للعلاقة بين الدّال والمدلول والذي حدوده القصوى ليس الاعتراف بـ (اللافهم) ، بل اعتبار (اللافهم) مبدأ من المبادئ . فهذا التفسير هو انعكاسٌ للواقع ، أي أنّه انعكاسٌ حقيقيٌّ للاستعمال العادي الساري المفعول للمفردة ، بل هو الذي رسخ هذا الاستعمال أصلاً .



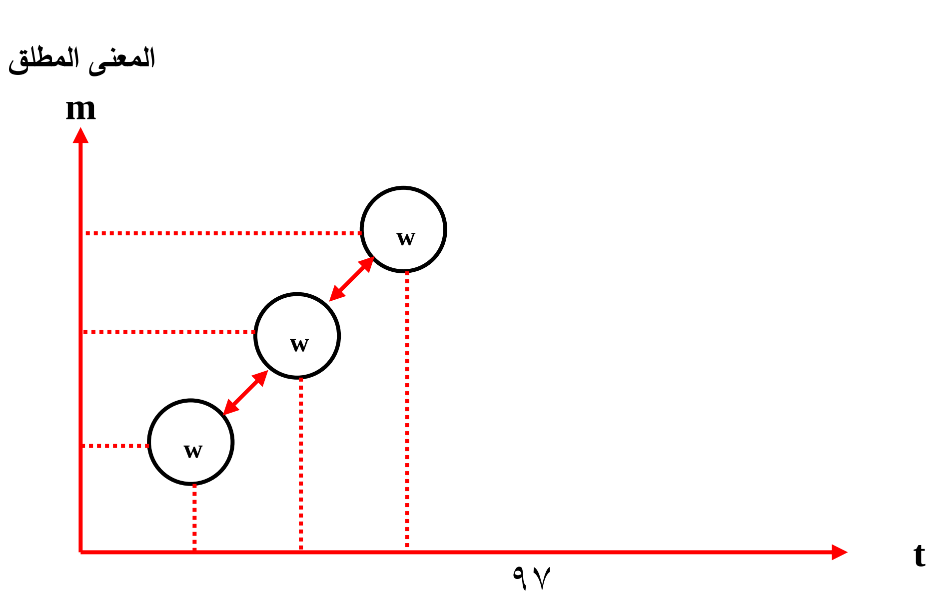
الشكل (١١) يمثّل حركة المفردة في نظريات علم اللغة .

الرسم يمثّل حركة المفردة (w) على الذوات (المعاني المتعدّدة) في الزمان وهو مجرّد مثالٍ يكون عامل الزمان فيه متغيراً جداً لكلّ مفردةٍ على حدةٍ ، والقطعة الزمنية بين كلّ (m) وآخر قد تساوي عقداً من الزمان لمفردةٍ ما وقد تبلغ ألفي سنة لمفردةٍ أخرى ، وكذلك فلا تساوي بين المسافات الزمنية بين المعاني . والمحور العمودي في هذا الرسم مفقودٌ ، لأنّ ذلك هو الحال في الواقع .

وأمّا في هذا المنهج القصدي فإنّ للمفردة حركةً واحدةً تمثّل في جوهرها العلاقة الترابطية بين الأصوات المتألّفة منها بعد إن تكون هذه الأصوات معلومة الحركة أيضاً . ويتحكّم التسلسل بهذه الحركة. أمّا اللفظ المتألّف من صوتٍ واحدٍ فحركته هي حركة هذا الصوت .

وهذه الصفة لا تزاحم أيّة صفةٍ أخرى على المحور ، لأننا ذكرنا أنه ليس ثمة فكرةٌ ما بدون لفظ ، أي أنّك لا تقدر على تصوّر فكرةٍ لم تتألّف لديك أيّة مفردةٍ مناسبةٍ عنها . وإذن فكلّ نقطةٍ على المحور والتي تمثّل فكرةً ما أو معنىً ما فهي في حقيقة الأمر مفردةٌ أخرى . فالمفردة (w) لا تزاحم مفردة أخرى في موقعها ولا تحلّ محلّها قط .

يبيّن الرسم في الشكل (١٢) التالي أن ليس هناك بعد الآن تعدّدٌ لمدلولات المفردة ، فليس ثمّة دلالاتٍ سوى دلالة واحدة ، ولهذه الدلالة أبعادٌ متباينةٌ على المحور العمودي ، فهي في الأصل وفي النهاية شيءٌ مطلقٌ (m) . وعنصر الزمان سيقوم فقط بجعلنا نفهم المزيد عن تلك الدلالة نفسها .



الشكل (١٢) يمثّل حركة المفردة في نظرية اللغة الموحّدة

إنّ الرسم الأول في الشكل (١١) يوضّح العلاقة بين المفردة وأخواتها ، في حين أنّ الرسم الثاني في الشكل (١٢) يوضّح المفردة نفسها . فالناس سيقولون لك : (نحن لسنا بحاجةٍ إلى الرسم الأوّل ، لأنّنا نحسن الكلام ، فنحن نضع المفردة مع أخواتها كما ينبغي أن نفعل أو كما نتصوّر أنّه ينبغي لنا . ونحن نتفاهم جيداً وهذا الرسم لا يعطينا معلومةً جديدةً مثلما أنّه لا يخبرنا أننا لا نحسن الكلام ، فأنت تريد أن تفهم كيف تتكلّم وحسب ، وهذا شأنك فأجهد نفسك !! . أمّا نحن فما حاجتنا لإجهاد أنفسنا ، ذلك لأنّنا في الواقع نتكلّم جيداً ونتفاهم بكلامنا !!) .

أمّا عندما ينظرون إلى الرسم الثاني في شكل (١٢) فإنّهم سيقولون : (يا للهول !! لقد كنّا نتكلّم ونتفاهم ، بيد أنّنا نتكلّم غالباً بطريقةٍ مخالفةٍ للطبيعة .. وكان هذا يسبّب لنا مشاكلَ كثيرةً ، والآن فقط عرفنا ذلك ، لذا فعلينا الآن أن نتكلّم كما ينبغي كي نكشف سرّ الأشياء التي نتكلّم عنها ..) .

إنّ التنقّل بالمفردة على محور الرسم الأوّل محدودٌ ومعدودٌ ومقيّدٌ ، فهو محدودٌ بعدد المعاني (المفردات) الممكن أن يحلّ أحدها بدل الآخر أو التي سوف تظهر على المحور ، ومعدودٌ بمفرداتٍ معيّنةٍ تتبادل فيما بينها ، وأيضاً بمعاني محدودةٍ ومقيّدةٍ بقيود الأصوات والصور والتمثّلات والذوات وخصائصهم .

أمّا التصاعد في معنى المفردة في الرسم الثاني فهو غير محدودٍ ولا معدودٍ ولا مقيّدٍ بشيءٍ سوى نفسه وقدرة المتكلّم في الإسراع بالارتقاء عليه وبه ، لأنّه منفردٌ ووحيدٌ ولا يزاحمه أي معنى آخر ولا أيّة مفردة أخرى . وبالتالي فحركته تكون في جميع الموجودات .

وهذا مثلٌ يبيّن الفرق بين النظريتين القديمة والجديدة :

فالنظرية الجديدة تقول أنّ لاعبي الكرة في الساحة الواسعة يمكن أن تطأ قدم أيٍّ منهم أيّة بقعةٍ فيها ، ولن تطأ قدمان أو أكثر نفس البقعة في عين الوقت ، وإلاّ فستتكسّر الأقدام فينادي الحكم موقفاً اللعبة !!.

وأمّا نظرية دي سوسير وعامّة البنيويين فتقول أنّه يتوجّب أن نفهم بأنّ البقعة تطأها أكثر من قدمٍ واحدةٍ في عين الوقت ، وهو مبدأٌ أساسيٌّ في حركة اللاعبين في الساحة !! . وهذا ما أجبر

المدرّب على أن يرسم خطوطاً لحركة اللاعبين ليحقّق هذا المبدأ (أي التصادم القسري) . ولمّا كان اللاعبون قد رفضوا هذا الحال المزري بهم والغير مقدورٍ لهم أصلاً ، فقد اقترحت إدارة الفريق بقيادة سوسير على المدرّب أن يستبدل جميع اللاعبين بدمىً تتحرّك على سكةٍ !! . ولمّا كان المدرّب يدري بأنّ هذا الاقتراح في أساسه ليس إلاّ خدعة ، فقد انسحب بلاعبيه إلى الساحة الخلفية ليلعبوا لعبتهم المعتادة تاركاً البنيويين يراقبون الدمى التي لا شكّ في أنها قد تكسّرت من أول حركةٍ !!! .

وهناك أمرٌ آخرٌ يوسّع حيز الإبداع في اللغة توسّعاً كبيراً لم يكن ممكناً من قبل ، وهو العودة إلى استعمال المفردة التي لا زالت مستعملةً في لغةٍ أخرى يحسب المتكلّم أنها ليست موجودةً في لغته الخاصة . وقد تكون مستعملةً في وقتٍ سابقٍ باتّجاهٍ معيّنٍ من اتّجاهات حركتها . وكانت الاختلافات اليسيرة في الفونيمات والحركات قد أضاعت صورتها المشابهة لصورتها التي هي عند هذا المتكلّم الذي لم يدرك أنّها في الحقيقة أنها عين تلك المفردة . ولكنّه إذا ترك الاختلافات جانباً وأخذ الأصوات الأساسية والأحرف الصحيحة فإنّه سيعلم بأنّها هي .. ! .

ولا شكّ أيّها القارئ أنّك كنت قد أهدرت وقتاً كثيراً لحفظ مفردات لغةٍ أخرى ، وأغلبها موجودة في لغتك وأنت تعرفها ، لكنك لم تنتبه لذلك . وهذا الأمر ليس من السهل تناوله ولكنّنا سنوضّحه لك في مشاكل الترجمة .

إنّ حيز الإبداع في النظرية القديمة قد أوضحه الشكل (١٠) المار سابقاً ، ولكن الجزء الأكبر من هذا الحيز وهميٌّ . فهناك ربطٌ قسريٌّ لم يكن من الممكن رسمه في هذا الشكل . فإذا عدنا إلى الشكل هذا فإنّ الحماية توفّر عدم ارتباط المفردة (٣) بالمفردة (١) . ولكن في الاستعمال الواقعي يتمّ خرق ذلك دوماً ، ويفترض أنّ مهمة الناقد هي إيضاح هذا الخرق .. لكن النقد الحالي لا يفعل ذلك ، بل يرى أحياناً أنّ (النصّ) صادقٌ في جميع الأحوال ولا يجوز تكذيبه .

لكن الجمهور بخصوص هذه النقطة يفعل ما يتوجّب عليه تلقائياً ، فهو يعرض عن الاستعمالات التي تخرق الحماية ولو أكّد له النقد أنّها من الإبداع .

إنّ القوّة الكامنة في المفردات هي أكبر من القدرة على تفتيتها أو انتهاكها بصورةٍ تاريخيةٍ . فالإبداع الوهمي سينهار مع الزمن في حين يبقى الإبداع الحقيقي حقباً طويلةً ، إذ برغم تغيّر كافة أنساق اللغة فإنّه يبقى محافظاً على قيمته الفنية والجمالية ، والشواهد كما هو معلومٌ كثيرةٌ .

١٠. مسخ دلالة المفردة بالترجمة

أدّت الترجمة منذ أقدم العصور وحيثما كانت إلى مسخ دلالة المفردة ، وكان ذلك هو ذنب اللغويين عامّةً لا المترجمين خاصّةً . وهذا العمل كان يسهم كما هو واضحٌ في تمزيق اللغة وتكوين عوائلٍ جديدةٍ لها (أي تشكيل لغاتٍ جديدةٍ) . ولم يكن المترجمون ليحسبون لتسلسل الأصوات أيَّ حسابٍ يذكر ، بل إنّ المتكلّمين في نفس اللغة الواحدة والتي هي لشعبٍ واحدٍ قد يعجبهم ذكر الألفاظ المتنوّعة التي تُستعمل للإشارة إلى شيءٍ واحدٍ على سبيل المقارنة أو التندّر . وتلك هي أولى بذور الترجمة في اللغة الموحّدة ، وكذلك كانت هي أولى بذور تمزيقها إلى لغاتٍ متعدّدةٍ يُترجَمُ بغضها إلى بعضٍ تحت وهم أنّها من المترادفات .

إذا تُركت الحركات وأحرف العلّة جانباً وأُخذت الأصوات الصحيحة ، ومن ثمّ لفظنا ثلاثةُ أحرفٍ بشكلٍ عشوائي مثل (ب ، ن ، د ـ B , N , D) ، فإنّ هذا يشكّل تسلسلاً لا يحلّ بدلاً عنه أيّ تسلسلٍ آخرٍ . والمفردة المشكّلة من هذا التسلسل في كلٍّ من اللغتين العربية والإنكليزية هي (بند) و(Band) على التوالي .

فنحن نقول أنّ ترجمة مفردة (بند) العربية هي (Band) في الإنكليزية وهي (Band) في الروسية أو الفارسية أو أيّة لغةٍ أخرى .. وهذا ما يرفضه عامة القرّاء عادةً . ولكن هذا هو الواقع في الترجمة الصحيحة التي تعيد اللغة إلى وحدتها بعد تشرذمها بالعوامل السابقة ومنها الترجمة .

إنّ الحركة في هذا التسلسل (بند) وفقاً لمعاني الحروف تعني (فصلُ جزءٍ من الحركة الكلّية بفاصلٍ ما بحيث أنّها تبدو مستقلّةً تماماً) . ولكن سرعان ما أُطلق هذا اللفظ على نفس الفاصل من غير تمييزٍ بصوتٍ إضافيٍّ أو مقطعٍ أو تغييرٍ فيه . فهو في الإنكليزية (قيد) أو (رباط) ، ثمّ أُطلق على ما يحدث للمجموعة المنفصلة فصار يعني (توحيد) أو (جماعة مستقلّة) .

وإذا رجعت إلى العرب وجدتهم يشيرون للمجموعة القبلية الواحدة في الجيش بهذا اللفظ حيث كان النظام السائد في الجيوش هو كراديس ، وكلّ كردوسٍ يمثّل أفراد قبيلةٍ ما . ولمّا كان الفاصل بين كلّ مجموعةٍ وأخرى في الجيش هو عبارةٌ عن (علم كبيرٍ) يُوضع أمام المجموعة (وهناك أعلامٌ أخرى صغيرة يحملها الأفراد داخل المجموعة) ، فقد أُطلقت اللفظة (بند) على نفس العلم الكبير . ونُسيَّ الاستعمال المرافق له وهو (حبّةٌ كبيرةٌ) التي توضعُ كفاصلٍ لكلّ عددٍ معيّنٍ من الحبّات الصغار في (السبحة) .

وإذا ذهبتَ إلى الروس وجدتهم يطلقون اللفظ (Band) على (العصابة) أو (الزمرة المستقلّة) بإضافة حرفٍ آخرٍ لتصبح اللفظة هكذا (Band a) وهو بنفس الفكرة . و لكنهم استعملوه كالإنكليز بمعنى (لفافة) وكذلك (حزام) . ولو عدتَ إلى إنكلترا فستجدهم قد ذهبوا باللفظ مذهباً آخراً . فقد تحوّل راجعاً ليشير إلى المجموعة المنفصلة بحاجزٍ ماديٍّ أو غيره ، فأُطلق على (الاتّحاد) ، وأطلق على (حاجز المحكمة) ، ولمّا كان (المحامي) هو عبارةٌ عن حاجزٍ بين القضاء والمتّهم فقد أُطلق هذا اللفظ عليه !.

ولكن في روسيا انتقل اللفظ من (حزام) و(رباط) و(مجموعة مستقلّة) ليشير إلى (المجموعة التي ترتدي أحزمةً) أي (عصابة مسلّحة) أو (جماعة لصوص) ، وتحتاج المفردة إلى مقطع صفة الفرد (ET) لتطلق على اللصّ المسلّح المنفرد وعلى قاطع الطريق المسلّح (BANDET) . وفي الإنكليزية فإنّ (BANDIT) يطلق على قاطع الطريق المسلّح . في حين أنّه في بلاد فارس كانت للفظ استعمالاتٌ عقليّةٌ فهو يُطلق على الرجل المحتال وذو المكائد .

وهذا المختصر لحياة (تسلسلٍ صوتيٍّ) واحدٍ هو نموذجٌ لأيّ تسلسلٍ آخر . ومن نتائج هذه الاستعمالات مثلاً : إنّ رجل القانون (المحامي) يساوي (قاطع طريقٍ مسلّحٍ) . وهذا صحيحٌ على نحوٍ ما ، إذ أنّ المحامي هو قاطع طريقٍ فعلاً لأنّه يقطع الطريق بين المحكمة والقاضي من جهةٍ وبين الأفراد المتّهمين من جهةٍ أخرى ، وهو مسلّحٌ فعلاً لأجل هذا القطع بسلاح (القانون) الذي يمكنّه من الوقوف هناك .

إذن فعلينا أن نفهم فلسفة اللغة ومعاييرها ، والاعتباطية هي أبعد ما تكون عن ذلك . وفي المثال أعلاه يُفهم المقصود بالحماية الذاتية في المفردات التي تحدّثنا عنها في موضوع (فكرة نشوء اللغات المختلفة) المارّ سابقاً . وهي الحماية التي لا تسمح بالانتهاك التامّ لمعنى المفرد ، أي أنّها تُبقي لذاتها شيئاً ما يلوحُ رغم التعسّف في الاستعمال .

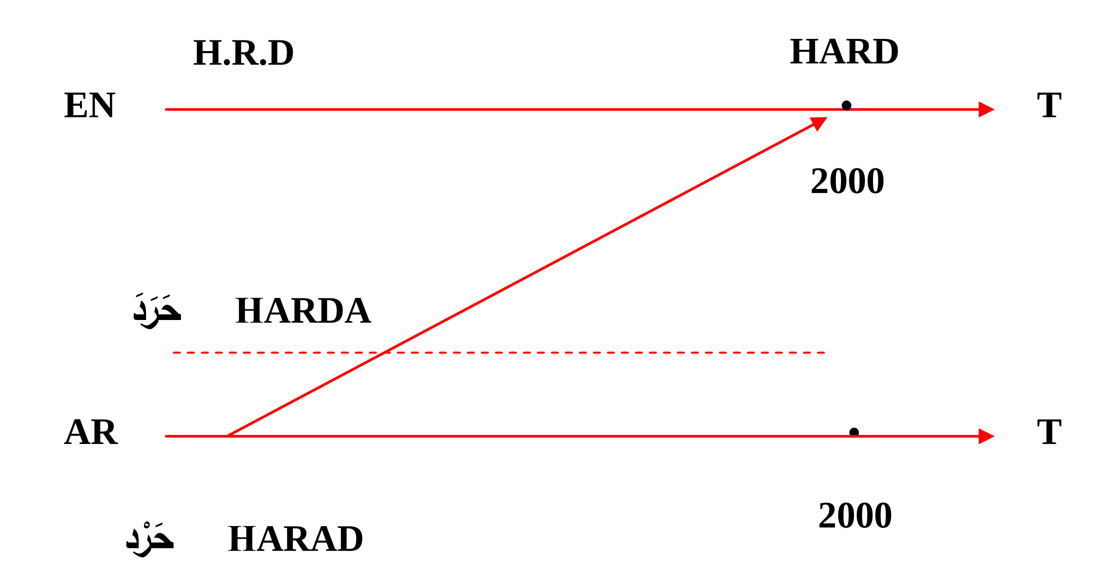
إنّ المترجم وصاحب القانون والمفكّر اللغوي ليس هناك أحدٌ منهم يترجم (BAND) في الإنكليزية إلى (بند) في العربية ويقول أنّ المقصود بها هو (رباط) ، حيث استعمل هذا اللفظ لقيد الخيول لفترةٍ ما (تاج العروس ب ن د) . وإذا حصل وانتبه أحدٌ لأمثال ذلك قيل أنّ المفردة في الأصل أجنبية ، وقد قيل عن هذا اللفظ (بند) أنّه فارسي معرّب .

إذن ليس هناك ترجمةٌ لمفردة (BAND) سوى (BAND) نفسها في جميع اللغات . ولكن من الناحية العملية فإنّ المفردة تأخذ اتّجاهاتٍ متعدّدةٍ ويحلّ بعضها محلّ البعض الآخر خلال الزمان ، وهذا الأمر يؤدّي إلى (إزاحةٍ) عن المحور لا ينتبه لها المترجم ، وإذا انتبه لم يمكنه استعمال مفردة

مضت قديماً لم يعدْ أحدٌ يفهم المراد منها . ولكن في أغلب بل كلّ الأحيان لا يحصل انتباهٌ لمثل ذلك .

وقد أخذ تغيير الأصوات حصّةً أكبر في إضاعة المفردات وتوزيعها وفصم العلاقات بين نفس التسلسلات في اللغات المختلفة . فلا يعتقد المترجم ولا اللغوي بوجود أيّة علاقةٍ بين (HARD) الإنكليزية وبين (حرد) العربية : (HARADA) ، (HAREDA) ، (HAROEDA) . إذ لا يمكن نطق الحاء العربي إلاّ بالهاء الإنكليزي ، إذ هو أقرب الأصوات إليه .

ولو لاحظنا استعمالات كلٍّ منهما لوجدنا أن هذه المفردة هي عين تلك ، ولكن إزاحة المفردة العربية من الاستعمال العادي قد أبعدها عن المحور كما في الشكل (١٣) أدناه :



الشكل (١٣) تمثيل الإزاحة

الرقم (٢٠٠٠) يمثّل الزمن الممتد ألفي سنة قبل الآن . فقبلاً كان العرب يستعملون نفس هذا التسلسل ، أمّا الآن فلا تُستعمل إلاّ في (الأدب المتميز) الذي يحاكي الأدب القديم أو هي تُستعمل في القرى النائية عن المدن . الخط على الحرف (H) يعني أن النطق في العربية مختلفٌ .

لكن المفردة تستعمل في اللغة الشعبية إلى الآن ، بل ويسمّى بها الشخوص على زنة (فعلان) فيقال (حردان) (HARDAN) . كما توصف بها الأشياء في معنى القسوة أو الشدّة أو ثقل الحركة كقول القروي : (حماري حَرَدِ) أي ثقُلت حركته وتباطأت .

لكن أغلب المترجمين يصدّون عن الاستعمال الرفيع للأدب وعن الاستعمال العامي جداً عندما يحاولون الترجمة إلى (اللغة الوسطى) أي التي يستعملها عامّة الناس بمن فيهم الطلبة والمثقّفون .

وهكذا فجميع المفردات المشتقّة في اللغتين والمعاني المستعملة لهذا اللفظ وعددها بحدود (١٥) اشتقاقاً مرجعها في حقيقة الأمر إلى لفظٍ واحدٍ أصله ثلاثة أحرف هي (ح ر د) أو (HR D) .

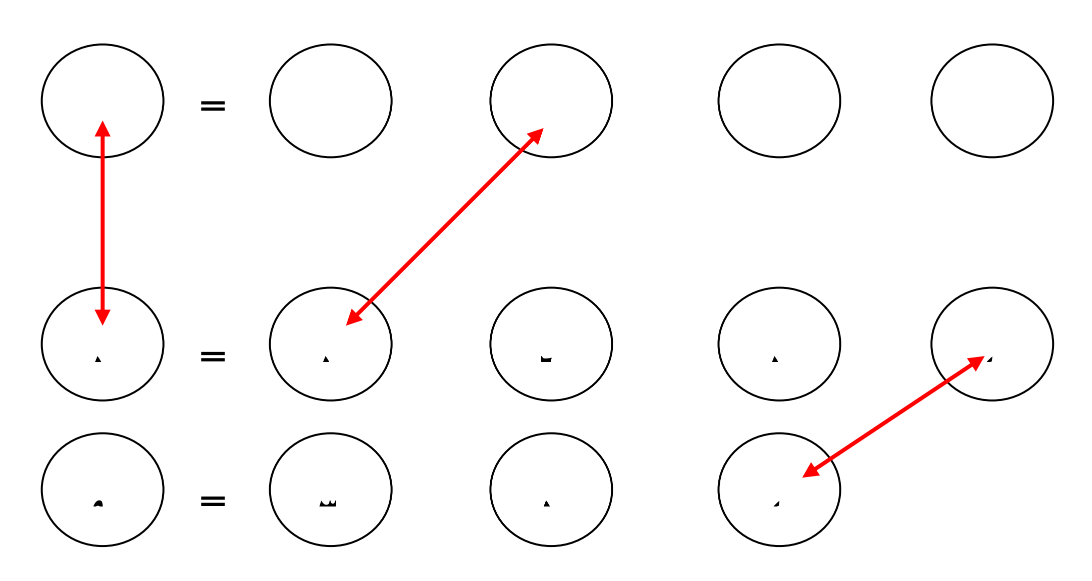
وهناك بعض التسلسلات التي حافظت تاريخياً على صورتها وهذه سهلة الرصد مثل (قتل) العربية التي تلفظ بالإنكليزية (QATALA) وتقابلها فيها (KILL) ، وفي العبرية (QATAL) .

لكننا نقصد ما حصلت له إزاحةً على محور الاستعمالات ، فالمترجم ينقل مثلاً المفردة (JAM) إلى أربعة عشر معنىً في العربية ليس في واحدٍ منها التسلسل (ج ا م) ، وهذا هو مأزق الترجمة . فالأصل على معاني الحروف أنّ هذا التسلسل معناه (اجتماع الحركة المتفرّقة في نقطةٍ واحدةٍ بشدّةٍ) ، فإذا كانوا أشخاصاً فهو (ازدحام) ، وعلى المترجم أن يترجمه إلى الإنكليزية هكذا (EZDEHAM) ، ولا علاقة له بـ (JAM) حيث فقد أحد أهمّ أصواته وهو (J) بالرغم من اتّفاقهما في النهاية أي المقطع (AM) . ومع أنّ جميع الاستعمالات الأخرى هي جزءٌ من معنى هذا التسلسل وواقعةٌ فيه (ملأ ، ثبت ، اعترض ، صدّ ، ..) إلاّ أنّها تُترجم إلى ألفاظٍ عدّةٍ ، وحينما يفعل المترجم العكس أي نقل تلك الألفاظ إلى الإنكليزية ، فإنّه لا يمرّ قط بالمفردة العربية (جمأ) . (JAMAA) . والتي هي في الواقع (JAM) . ذلك لأنّ المفردة في العربية قديمةٌ ، والمترجم نفسه قد يكون لم يسمع بها ولم تعد تستعمل حالياً ، بل ولا يمكن له أن يذكر أنّ لها صلةٌ بلفظ (جم) .. . المفردة العربية للفظة (جمأ) تعني كفعلٍ تجمّعاً شديداً للناس أو تثبيتاً وربطاً للحيوان . ومأزق الترجمة ليس في النقل من لغةٍ إلى أخرى وحسب . فالمعجم الإنكليزي والعربي يفعلان ذلك ، إذ يجعلان للمفردة معانٍ متعدّدةٍ بمفرداتٍ أخرى ، وهذا خطأٌ ، إذ يتوجّب وصف الاستعمال وصفاً شاملاً بما لا يقلّ عن عبارةٍ كاملةٍ لكلّ مفردةٍ ، وذلك لأنّ المعجم يعبّر عن المعاني المتعدّدة للفظ الواحد بمفرداتٍ منفصلةٍ ، وهذا يعني أنّه يساوي بين مجموعة مفرداتٍ ومفردةٍ واحدةٍ في المعنى ، وكلّ

واحدةٍ من مجموعة المفردات تأتي في موضعها من التسلسل الهجائي للمعجم ويفعل معها الشيء نفسه ، أي يعطيها معانٍ متعدّدةٍ مستعملاً لذلك ألفاظاً أي مفرداتٍ .

إذن فنحن من يعمل هذا الإرباك والاعتباطية في اللغة ، وليست الاعتباطيةٌ صفةٌ في ذات اللغة .

لنفرض أنّ لكلّ مفردةٍ (تسلسلٍ معيّنٍ) نرمز له برقمٍ ما ، فالمفردة رقم (١) لها معانٍ عدّةٍ هي المفردات (٣٣ ، ١٠ ، ٥ ، ١١٢) على سبيل المثال كما في الرسم أدناه :



الشكل (١٤) يوضّح الإرباك المعجمي

ولنفرض أن المفردة رقم (١١٢) الموجودة في المعجم تأخذ عدداً متوسطاً من المعاني ، أي خمسة من المعاني تماماً مثل المفردة السابقة (١) .

فإذا افترضنا (بأحسن الأحوال) أن المفردة (١١٢) لم تشارك المفردة (١) إلاّ في معنىً واحدٍ فقط هو الذي يحمل رقم (١٠) ، وأنّ المعاني الستة الأخرى (٣٣) ، (٥) ، (١٢٠) ، (٦٠) ، (١٧) ، (٤١٣) لم تشترك مطلقاً بين المفردتين (١) و(١١٢) [وهذا شيء مثالي لا وجود له في الواقع] .

فسينتج من ذلك أنّ :

المفردة (١) = المفردة (١٠) = المفردة (١١٢) .

والإرباك ليس هنا فحسب ، وإنّما هو في نتيجةٍ أخرى هي :

بمـا أنّ المفـردة (٥) = المفـردة (١) والمفـردة (١١٢) = المفـردة (١) مـن النتيجـة الأولى .

والمفردة (١١٢) = المفردة (١٠)

إذن :

المفردة (٥) = المفردة (١٠)

وهكذا .. تتساوى بقية المفردات فيما بينها . وبهذا الأسلوب تتساوى خمسةٌ وعشرون مفردة أو يجب أن تتساوى لما يتعلّق بمفردتين فقط على الجانب الأيسر من الشكل السابق هما المفردتان (١) و(١١٢) ، وقس على ذلك لو أدخلنا المفردة (٩٩٠) ومعانيها في الافتراضات أعلاه .

وإذا سرنا بهذه الطريقة فالمعجم كلّه لن يكون إلاّ مفردةً واحدةً فقط !!! .

لكنّ أكثر الناس لا يفعلون ذلك ، لأنهم أكثر فهماً للغة التي يستعملونها من واضعي المعاجم ، وهم يفهمونها بالسليقة ، بل ويحسّون تماماً بما يرمي إليه المعجم من غايةٍ لهذا التساوي في المعاني . وهم يدركون أنّ العملية ليست رياضيةً وإنّما هي عمليةُ (تركيبيةٌ) . فالتركيب يفرض معنىً لا يمكن للمعجم أن يوضّحه إلاّ بالاستعمال (الأكثر شيوعاً) لإحدى المفردات .

وإذا كان الأمر كذلك فمن الاعتباط وصف اللغة بأنّها اعتباطيةٌ والتعامل معها على هذا الأساس .

إنّ فقدان الأصل لمعنى كلّ مفردةٍ هو السبب في هذا الإرباك المعجمي ، والمقصود بهذا الفقدان هو عدم إدراك ما يعنيه التسلسل . ولكن بعدما يتمّ الكشف عن معاني الأصوات فإنّ الأصل لكلّ مفردةٍ سيصبح معلوماً ، وعند ذاك يتعيّن تصحيح المعاجم ويتعيّن البتّ في دلالة الألفاظ التي اختلف فيها اللغويون أو تحيّروا أو تردّدوا في معانيها .

إنّ تدمير اللغة وتمزيقها قد جاء من الطريقة المعمول بها حالياً في كلّ اللغات ، أي تفسير المفردة بمفردةٍ أخرى . ولطالما تساءل طلاّب العلم عن المغزى من هذا قائلين : لماذا نستعمل عدداً أكبر من المفردات للشيء الواحد ؟ . وعلم اللغة الحالي لا يجيب على هذا السؤال ، لأنّ هو الذي يفعل ذلك ولا يدري لماذا يفعل ؟! .

ولكنّنا بعد الكشف عن معاني الأصوات ينبغي أن نفسّر اللغة ونقول للطلبة : كلا .. نحن ما استخدمنا قطّ مفردتين لنفس المعنى .. بل نحن لا نستطيع أن نفعل ذلك بتاتاً فهذه هي الطبيعة الحقّة للغة ، وهذا هو مثل أن لا يمكن أن يكون (إسحاق نيوتن) هو (البرت إينشتاين) . وسنقول لهم : نحن أخطأنا سابقاً ، فكلّ مفردةٍ هي كائنٌ حيٌّ ولها شخصيتها المتميّزة ، وحينما يقول

البعض أنّ هذه المفردة تعني تلك في نفس اللغة أو في اللغات المختلفة برغم اختلاف الأصوات الواقعة في تسلسلهما فهذا القول هو مجرّد وهمٍ سنحاول أن نتخلّص منه سويةً .

وحينما يقول البعض أنّ (B.O.F) و(O.K.S) هما اسمان يطلقان على الحيوان المعروف ولا يحملان أيّة دلالةٍ حقيقيةٍ عنه ، فعلينا أن ندرك أنّ هذا القول هو خطأٌ ووهمٌ ، فإنّ في (B.O.F) صفةٌ واحدةٌ في الأقلّ ملائمةٌ لهذا الحيوان لها علاقةٌ بكبر الحجم والانتفاخ ، وإنّ اللفظ (O.K.S) له دلالةٌ على الشراسة والمشاكسة ، وإنّ كلٌّ من هذين اللفظين قد لا يعبّران تعبيراً حقيقياً عن هذا الحيوان ، وإنّ الاسم الحقيقي له هو الذي تتطابق فيه جميع خصائص هذا الحيوان مع جميع خصائص الحركة في مفردة هذا الاسم ، وهو اسمٌ واحدٌ بتسلسلٍ معيّنٍ من الأصوات قد نجده في إحدى اللغات وقد لا نجده فيها وقد يكون في لغةٍ قديمةٍ مهجورةٍ .

وبالتالي فإنّ هناك مفاضلةٌ ليس فقط بين مفردتي (SISTER) و (BOEUF) خلافاً لما ادّعاه علماء اللغة ، بل بين مفردتي (O.K.S) و(B.O.F) اللتان تشيران إلى نفس الكائن في منطقةٍ لغويةٍ ضيقةٍ .

ولو رجعنا إلى أوّل مثلٍ ضربناه لشرح السبب في اعتقاد علماء اللغة بمبدأ اعتباطية المفردات اللغوية ، ونعني به مثل (الحصان) حيث أفاد هذا التسلسل (ح ـ ص ـ ن) معانيّ عدّةً منها : ذكر الخيل والمرأة العفيفة والمرأة المتزوّجة والسور العظيم ، لو رجعنا إلى هذا المثل لوجدنا الآن طريقاً لجمع هذه المعاني في أصلٍ واحدٍ .

فالمفردة بهذا التسلسل تفيد على الأصل إبراز حركةٍ بمعنىً عامٍ . وهذا المعنى هو (تعاظم الحركة بحيث تحيط نفسها بما يمنع من التأثير عليها ، وتتوصّل إلى إنشاء تفرّعاتٍ لها فيما بعد) . وهذا الوصف لهذه المفردة مأخوذٌ من المعاني المكتشفة للحروف كما سترى لاحقاً في الفصل الثاني .

ولا بدّ أنّك أيها القارئ الكريم قد علِمت علاقة هذا الوصف بـ (الحصون والقلاع) وعلاقته بـ (المرأة المتزوّجة) حيث أن الرجل هو بمثابة سورٍ لها ، وكذلك علاقته بـ (المرأة المتعففة) من حيث أن العفّة مانعٌ لها من الابتذال ، وأيضاً علاقة ذلك بنظرة العرب لذكر الخيل ، حيث يرى فيه ما يحصنه من الابتذال ، فهو مرتفعٌ بما يكفي وسريعٌ كما يجب ومركبٌ نافعٌ في الحرب والسلم والحلّ والترحال في مناطق أغلبها قفارٌ وبراري .

ولكن هذه التفرّعات للمفردة لا يمكن أن تحدث في مجموعةٍ لها نظرةٌ مختلفةٌ لعفّة المرأة ، كما لا يمكن أن تحدث لسكّان الجبال الذين لا يستخدمون الحصان ويتعذّر بناء القلاع في مناطقهم ، بيد

أنّه من الممكن أن يُستخدَم نفس هذا التسلسل الصوتي وبنفس معناه الحركي لأشياء أخرى تخصّهم .

وفي الترجمة يتعذّر معرفة ذلك ، حيث سيكون التسلسل الذي يعني (قلعة) عند المترجمين هو بمعنى الوادي المحاط بالجبال من كافة الجهات عند سكّان المناطق الجبلية . وسوف يُشتقّ منه لفظ (البغل) بدل (الحصان) . وتتأثّر الألفاظ بالفونيمات والحروف المختلفة النطق وأساليب الاشتقاق .

وإذا كان الأمر كذلك ممّا نجده في آلاف المفردات فليس من المعقول القول أنّ اللغة هي عبارة عن إشاراتٍ اعتباطيةٍ لمجرّد وجود الاستعمال المختلف لنفس التسلسل أو العكس .

إذن فالحصان ليس إسماً بقدر ما هو وصفٌ لهذا الكائن . وهذا الوصف مطابقٌ للصفة التي يهتمّ بها العربي دون سواه . وعلى ذلك فإنّ ما نعرفه من أسماءٍ ما هي إلاّ إطلاقٌ تبريرهُ الوحيد هو وجود تشابهٌ على نحوٍ من الأنحاء مع تلك المسمّيات في نوعٍ من التماثل بين حركة الأصوات والأشياء . وقد تسأل : ما هو القدر غير الصحيح وغير الجائز من هذا الإطلاق ؟ .

إنّ هذا السؤال هو من أعقد وأصعب الأسئلة إن لم يكن أصعبها جميعاً . فمثل هذا السؤال ما كان ليظهر في علم اللغة قبل هذا المشروع . وهذا دليلٌ كافٍ على صحّة التوجّه في هذه النظرية ، لأنّ ذلك هو ما يُنتظَر أن نفعله كلّنا ممّا يمكن أن نسمّيه علماً للغة . ولا نحسبكم أيها السادة القرّاء تتوقّعون أن تكون الإجابة على هذا السؤال بسطرٍ أو سطرين أو حتى بكتابٍ كاملٍ بل وبعدّة كتبٍ ، كما لا نظنّكم بدرجةٍ من القسوة بحيث تطالبون المؤلّف مبتدع هذه النظرية بإجابةٍ كاملةٍ عن هذا السؤال ، لأنّ هذا الأمر يحتاج إلى جهود تستمرّ لفترةٍ قد تطول ، إذ يتوجّب إعادة النظر بالمعجم اللغوي العام كاملاً وإعادة النظر بمبادئ النحو والصرف والإعراب لكلّ لغةٍ بالاستناد إلى المبادئ الأساسية لهذه النظرية . وهو الأمر الذي يُفترضُ أن تنهضوا به مع المؤلّف أو من بعده .

ومع ذلك فهناك فكرةٌ ممتازةٌ تختصر الطريق والعمل إلى أدنى حدٍّ ممكنٍ ، وهي فكرةٌ تقوم على أساس البحث عن الأصوات القياسية والمفردات القياسية الأولى (STANDARD) ، وهو بحدّ ذاته مشروعٌ يكافئ مشروعنا الحالي .. وسوف يتّضح بالتدريج من خلال مبادئ هذه النظرية للغة الموحّدة .

١١ . العلامة الصوتية وقيمتها
بين الدّال والمدلول

تناقض سوسير كما بيّنت سابقاً مرتين بشأن أيهما أسبق الفكرة أم الإشارة (المفردة) .

وحينما جاء يناقش المفردة من حيث أنها تتألف من مجموعة أصوات ، عاد الى الموضوع مؤكِّداً أن الفكرة قبل الصوت مبهمةٌ ولا شكل لها ، وإنما تتّضح معالمها عند ارتباطها بالإشارة .

معادلة الصوت . الفكرة تنطوي عنده على التقسيم أعلاه ، ولذلك فلا يمكن ملاحظة العناصر المكونة لها (لأنها ليست ذات قيمة) بل وغير واضحة المعالم ولا شكل لها ، وإنما يتألف الشكل النهائي من الارتباط بين الصوت والفكرة .

لكن الصوتَ ماديٌّ ، ونفترض أنه كما يقول سوسير لا شكل له ولا قيمة قبل الارتباط . فبماذا يرتبط الصوت إذا كان الطرف الآخر (الفكرة) لا يمكن أن يظهر ولا (يتّضح) وهو (مبهم) ولا (شكل) له قبل الارتباط ؟ .

إن كلام الرجل لينطوي على مخادعةٍ ، ولذلك ينصحنا دوماً أن لا نتحرّك باتجاه تحليل العناصر نفسها بل نفعل العكس ، أي نركِّب هذا الثنائي المتكوِّن من عناصره الأولى . فكرة وصوت . لماذا ؟ لأننا إذا فعلنا العكس اكتشفنا فوراً أنْ ليس ثمة فكرة قبل الارتباط ولا شيء سوى الصوت . ويبدو أنه لا يريد أن يوقعنا بهذا المأزق ! .

والنظام الذي تتّخذه اللغة إنما يحدث خلال عملية التشكّل ، وهو بالتالي نظامٌ فكريٌّ وذلك يدفعنا الى الاعتقاد أن الفكر يتّخذ نظامه في أثناء عملية تحليله وإذن فهو بغير نظام قبل التحليل !
.

وهذا التأرجح من سوسير بين الطرفين يدلّ على حيرةٍ عظيمةٍ في تفسير العلاقة بين الأصوات والأفكار.

وحينما يتحدّث عن أمرٍ واحدٍ فإنه يعبّر عنه بأكثر من مفردة ، وصولاً الى المفردة الملائمة التي يريد إثبات شيء أو نفيه عنها في نفس الجملة ، فيبدأ بشيءٍ مختلفٍ تماماً عما ينتهي به .

لاحظ كيف يتغيّر التعبير بصورةٍ تدريجية من (كلمات) الى (إشارات) الى (لغة) في النص الآتي :

(إن تفكيرنا إذا أغفلنا التعبير عنه بالكلمات ما هو الا كتلةٌ غير متميزة لا شكل لها . وقد اتفق الفلاسفة وعلماء اللغة دائماً على انه لولا الإشارات لما استطعنا أن نميّز بين فكرتين تمييزاً واضحاً . فلولا اللغة لأصبحت الفكرة شيئاً مبهماً)[١] .

إن الجملة الأخيرة من الواضحات والجملة الأولى أمرٌ واضحٌ كذلك . والغرض من ذكر هاتين الجملتين هو حشر الجملة الوسطى بينهما لأنها هي المقصودة من هذا المقطع .

ولكنه نسب هذه الجملة إلى الفلاسفة وعلماء اللغة ، ذلك أن تعبير هؤلاء عن هذه المسألة هو ما في العبارة الأخيرة ، حيث أنّ الإشارات من غير نظامٍ لغويٍّ يربطها تبقى عائمةً ولا تعبّر عن فكرةٍ واضحةٍ فضلاً عن التمييز بين فكرتين .

إذا اعتقدت أن الجمل الثلاثة بنفس القيمة فلا بد أن تعترف أن دي سوسير يكرّر نفس الأشياء بصورةٍ مملّةٍ ومقرفةٍ لدرجة أنه يعيدها ثلاث مراتٍ متجاورةٍ في مكانٍ ضيقٍ.

لكن الواقع أنه أراد أن يعطي للاشارة دلالةً فكريةً من حيث يرفض تلك الدلالة رفضاً قاطعاً عن طريق حشر الجملة الوسطى بين جملتين تسالم عليهما علماء اللغة .

فالإشارة ما هي إلاّ مفردة (صوت) وهذا الصوت لا يحمل أيّة دلالةٍ على فكرةٍ ما . والفكرة عائمة ومبهمة قبل ذلك ، ثم يربط مبهمٌ مع مبهمٍ بطريقةٍ (اعتباطيةٍ) لا يدري هو كيف تحدث ، لأن الفرد لا يمكنه (خلق) مفردة ، والمجتمع لا سلطة له على كلمةٍ واحدةٍ . وبعد هذه السلسلة من الأشياء الغامضة تظهر لغةً ذات نظام !! .

هذه هي خلاصة كل النظرية التي ابتدعها سوسير .

فهذه النظرية لا تفسّر نفسها فضلاً عن أن تفسّر المفردة فضلاً عن أن تفسّر نشوء اللغة فضلاً عن تفسير النظام اللغوي فضلاً عن تبيين العلاقة بين الصوت والمفردة .

قال سوسير : (وهل للأصوات كياناتٌ بذاتها محدّدةٌ سلفاً ؟ كلا .. فالأصوات كالأفكار من هذه الناحية)[١].

وربما تنخدع بهذا التصوّر فتحسب أن قيمة المفردة تظهر فعلاً من ارتباطها بالفكرة (أُذكِّرك أن الفكرة خافيةٌ تماماً والطرف الآخر مفقود) ، وأنها تشبه أي رمز ترمز به لفكرةٍ ما أو شيءٍ معيّنٍ فإنــه يأخذ قيمته الرمزية بعد إن قمت بهذا التحديد . الرمز كذا للفكرة كذا . . لكن يجب أن تعلم أنه في هذه

---

[١] نفس المصدر .

[١] علم اللغة . ١٣١ .

الحالة يكون الشيء المرموز معلوماً فأنت لا يمكن أن تتّفق مع صاحبك على مجموعة رموزٍ جديدةٍ تخصّكما مثلاً من دون أن تحدّد لكلِّ رمزٍ مرموزه بحجة أن سوسير قال أن المرموز سيظهر ويتّضح تلقائياً من خلال العلاقة والارتباط .. إذ سيحقُّ لصاحبك أن يقول : (وأين هو الارتباط ومع من هي العلاقة ؟).

وأراد سوسير تشبيه الأمر بصورٍ عديدةٍ واعتقدَ في النهاية أن أفضلها هو ما اخترعه من تمثيل مع قطع الشطرنج .

فقد زعم أن قطعةً مثل الحصان لا تمتلك أيّة قيمة خارج اللعبة وقيمتها تظهر من خلال الارتباط باللوحة كلّها وبذلك فهي تشبه (الصوت) أو (المفردة) . فيمكن إذا فُقدت القطعة استبدالها بواحدةٍ أخرى ولا يشترط أن تكون شبيهةً بالحصان .

وهذه مغالطة كبرى يؤسف أنها مضت من غير مناقشةٍ مدةً طويلةً . فقطع الشطرنج في اللعبة ليست (مادةً) ارتبطت بفكرةٍ مثل ارتباط (الصوت بالمعنى) وإنما هي أجزاء لنفس الفكرة المعلومة سلفاً.

فهناك لعبةٌ فيها فكرةٌ عامّةٌ مؤلّفة من أجزاءٍ ، وتؤدّيها هذه الأجزاء سويةً : ملكٌ ، حصانٌ ، قلعةٌ ، فيلٌ ... الخ وفق حركات وضوابط اتُّفِق عليها . ولمّا كان لا يمكن تحريك قلاعٍ وفيلةٍ حقيقيةٍ فقد تمَّ وضع رموز لهذه الأشياء .

فالحصان فكرةٌ سواء باللغة أو في لعبة الشطرنج ، وهو جزءٌ من فكرة الكلّ ونظام اللعبة وقيمته ليست في كونه شبيهاً أو غير شبيهٍ بالحصان الحقيقي ، بل هو مجرّد رمزٍ يكفي فيه الاتّفاق على أنه يمثل حصاناً ولكنه يعمل كجزءٍ من الفكرة ، أي أنه يتحرّك كحصانٍ وفق شروط اللعبة .

لقد بحث سوسير عن شيءٍ فيه نظامٌ ويتألّف من أجزاءٍ لا قيمة لها إلاّ في كونها رموزاً تظهر قيمتها داخل النظام ، فلم يجد في الكائنات شيئاً هو على هذا النحو . وأدرك أنّ هذا محال ، فحاول أن يوجد شيئاً بنظامٍ مؤلّفٍ من أجزاءٍ ذات قيمةٍ أصليةٍ باعتبارها جزءاً من الفكرة الكلية للنظام ، ومن ثم رُمِزَ لتلك الأجزاء مرة أخرى برموزٍ لأداء الفكرة الكلية على لوحةٍ أصغر من ساحة الفكرة فلم يجد إلاّ الشطرنج . فأهمل الأفكار الجزئية وربط بين الفكرة الكلية والرموز مباشرة . بينما لاعب الشطرنج يعلم القيمة المسبقة لكلّ قطعةٍ وليس هو مجنوناً ليقابل خصمه على قطعٍ غير معلومة القيمة سلفاً . ولما كانت الرموز (مفردات لغوية في النهاية) : حصان . ملك . فيل .. الخ ، فقد ظنّ أن اكتشاف الأمر سيكون عسيراً للغاية وأن المثال سيؤدي الغاية على أفضل وجه .

١٢ . أهمية علم اللغة

لا أتحدث باعتباري مختصّاً بدراسة اللغة ، إذ أني بالفعل لست كذلك . لكنني منذ وقتٍ مبكرٍ أحاول دراسة مناهج تعليم القيم (أديان وفلسفات وأفكار) ، وخلاصة ما توصّلت إليه خلال ثلاثين سنةٍ من البحث والدراسة هو وجود خرابٍ في الفكر عموماً وخلطٍ وإبهامٍ في القيم نفسها . والمرحلة الأخيرة من البحث تميّزت بكشف شيءٍ جديدٍ آخرٍ على أثره تمّ تعديل العبارة من (خراب) الى (تخريب) ، حيث وجدت أنّ هناك تعمّدٌ في خلط القيم ببعضها البعض .

في البدء لم أنتبه الى اللغة فحسبت أن الأمر عاديٌّ . فاللغة تستخدم من قبل الجميع ولكافة الغايات باعتبارها وسيلةً لنقل الأفكار . وكان البحث عن (نظام محدّدٍ للقيم) قد دفعني الى الانتباه الى نفس اللغة ، ثم حاولت دراسة هذه (الأداة) لا باعتبارها وسيلة لنقل الأفكار بل باعتبارها غايةً في نفسها ، أي أنها فكرةٌ من الأفكار .

وأستطيع أن ادّعي الآن وبعد دراسة (القيمة اللغوية) أن مردَّ كلِّ (خراب أو تخريب) في النهاية هو الى (تخريب اللغة) أساساً .

وما كنت أحسب أن الأمر بهذه الأهمية حتى عثرت على (وثائق سريّة) تبيّن أن عملية (تخريب اللغة) تحدث بصورةٍ منظّمةٍ ومدروسةٍ منذ ألفي عام في الأقل . وأقول أنها (سريّة) ليس لأنها لا يمكن الاطلاع عليها ، بل لأنها كتبت (بلغةٍ) تجعل الاطلاع على ما فيها (أمراً عسيراً) .

أقول : لا زال العالِم اللغوي بمنأى عن المؤثرات السياسية مهما تقلّبت النظم الحاكمة والدول والحدود خلافاً لجميع العلماء بلا استثناء . فالضغوط تلاحق المؤرخ والكيميائي وعالم الفيزياء وقد يُجبر الفيلسوف على تجرّع كأس من السم[1] شأنه شأن الآخرين .. إلاّ المختصّ باللغة فإنّه ظاهرياً على الحياد التام . ولكن حقيقة الأمر هي بخلاف هذا الظاهر ، لأن اللغة قد (خُرِّبت) بما يكفي للأمن من هذا الجانب . وعالِمُ اللغة جزءٌ من الخراب وعنصرٌ فاعلٌ فيه فهو متروكٌ ليس لأنه غير مؤثّرٍ ، بل لأن تأثيره بلغ حداً أصبح معه حلقةً من حلقات تخريب القيم هي الحلقة الأهم .

إن وضع علمٍ للغةِ بعيدٌ في مبادئه عن علم الاجتماع وعلم الاقتصاد ومذاهبهما وعلم الفيزياء والتاريخ والسياسة هو في الواقع عملٌ مكرّسٌ لخدمة القوى الهدّامة للمجتمع الإنساني . فإن علم اللغة هو أخطر العلوم قاطبةً وأكثرها استغلالاً من قبل قوى الشرِ في العالم .

---

[1] (إشارة الى موت سقراط) .

١٣ . إشكالية التحدّث عن علم اللغة باللغة

هذه إشكاليةٌ حقيقيةٌ وإن كانت غير ظاهرةٍ للعيان . فالعلاقة الرياضية والصيغ القانونية التي تصاغ بها بقية العلوم تمنحها (يقيناً) بدرجةٍ ما . وعلم اللغة لا يفتقر الى الصيغ الرياضية وحسب ، بل هو عرضةٌ للتلاعب والتخريب الشامل والخروج من قبضة الرقابة والنقد العلمي ، لأنه علمٌ يتحدّث عن نفسه بواسطة الناس . أما بقية العلوم فإن الناس يتناقلونها بواسطة اللغة . وإذ ذاك فلا يمكن فعلاً التحدّث عن اللغة بهذه اللغة وهو أمرٌ أكثر سلبيةً مما قاله سوسير : (أقرب الناس الى اللغة سليقة لا يستطيع التحدّث عنها) . فكأنه عوّض عن هذه الإشكالية بلفظ (سليقة) باعتبار أن الأكثر سليقة في اللغة يتحدّث كما لو كان هو اللغة عينها .

إذن لا بدّ من (لغة قياسية) . (STANDARD) ندرك مسبقاً وعلى وجه اليقين أنها لغة صحيحة . وفي هذه الحالة ندرك صحّتها من خلال نظامها الداخلي فقط .

وقد تكون تلك اللغة لغة قوم معيّنين أو فئةٍ معينةٍ أو شخص حكيمٍ واحدٍ فهذا لا يهم ، المهم أنها لغةٌ تستخدم الأصوات نفسها التي ننطقها .

ولكن سوسير رغم تأكيده على هذه الحقيقة (أصّر) على أن يحدثنا عن اللغة من دون التفتيش عن لغة قياسية ، بل أصرّ على أن يؤكّد على أمرٍ يناقضها تماماً وهو اعتباطية اللغة معتبراً ذلك مبدأً هاماً يقوم عليه (علم اللغة) ، مقرّاً مع ذلك أنه مبدأٌ متناقضٌ في نفسه . ولذلك فإن دهشتي من تصديق علماء اللغة لما يقوله دي سوسير متابعاً لعلماء العرب من الجرجاني والزملكاني والسكاكي الى آخر القائمة لهو أكبر من دهشتي من (علومه اللغوية) .

وندرك بسرعة إذا جمعنا كلَّ كلامه في قبضةٍ واحدةٍ أننا بإزاء (تأسيس سوفسطائي) لشيءٍ يسمّيه هو علم اللغة لا يمت الى العلم الحقيقي بصلةٍ تذكر .

صحيحٌ ... إن اللغة (نظامٌ) ولكن أيّة لغة يمكن أن تطلق عليها (نظاماً) ؟ .

بعد التمهيدات السابقة كلّها فانك تدرك الآن وبجلاء أن اللغة الوحيدة التي يمكن أن تكون (نظاماً) هي (اللغة القياسية) .

ومن المحال تصوّر أن تلك اللغة هي لغة مجموعة من الأفراد حتى لو كانوا (علماء اللغة وحدهم) أو (مجموعة الفلاسفة) . فإن محاولات الجمع مثلاً بين (رأي الحكيمين طاليس

وأفلاطون) تؤكّد حقيقةً واحدةً هي أن ما تحدّث به الحكيمان لم يكن خاضعاً لنظامٍ لغويٍّ موحّدٍ وألاّ فلا حاجة للجمع[1] .

فالفارابي حينما يحاول الجمع فإنما يقوم بعملٍ واحدٍ وحسب : هو اختراق التشوّش الذي فعلته اللغة بآراء الرجلين والنفاذ الى مقاصدهما الحقيقية . فهو يعتقد أنّهما متفقان في الحقيقة وأنّ اللغة هي التي فرّقت بينهما . وكذلك أهل المنطق حينما يقف فريق ثالث بين فريقين متخاصمين ويقول : توقّفوا إنكم متفقون فعلاً ونزاعكم (نزاع لفظي)[2] .. ومرد ذلك كلّه الى علماء اللغة .

ومثل هذا يحدث أيضاً في المقاهي والأسواق والطرقات وفي أضيق الأماكن . وكلّ ذلك وغيره الكثير يدلّ على وجود خرابٍ في نظام اللغة . فأنت تدرك الآن الكثير من النظم مثل خطوط الهاتف والمركز الرئيسي لمراقبة الطائرات أو أنظمة الحاسبات أو مجموعة القوانين في القضاء أو غير ذلك .

وحينما يكون رقم هاتفي ورقم هاتفك بنفس الرقم ، فانك لا تصدّق أنه لم يحدث أي شيء البتة في نظام البدالة والخطوط . وحينما يرنّ جرس هاتفك عند ضرب خمسة أرقام مختلفة ، تدرك أيضا وفي الحالتين أن هناك خلل في نظام الهواتف . ويدفعك الى هذا الاعتقاد شعورك بأن الأمر الذي اتفقنا عليه (رقم هاتفي هو كذا ورقم هاتفك هو كذا) يجب أن لا يتغيّر إلاّ باتّفاق جديد .

ولكن النظام اللغوي المزعوم لا يسلك مثل هذا السلوك ، فهو لا يتغيّر في محور الزمان فقط ، وإنما هو (متغيّرٌ في ذاته) في الأذهان المتعدّدة التي تستخدم هذا النظام ، بسببٍ من دخول علماء اللغة على الخط لتفسير النصوص .

وهو يشبه في المثال الآنف قولك : أنني لا أعلم رقم هاتفي بالضبط ، فهناك رقمٌ واحدٌ في الأقل يتغيّر دوماً . وإذن فهو يعمل هكذا (كما يقول سوسير) وعليّ أن أفهم أن اللغة نظامها في (الاعتباط) ، بمعنى أن أقبل بهذا (الواقع) ، وعليّ قبول فكرة أن جرس هاتفي سيرنّ دوماً وسأجيب دوماً وأتوقّع كذلك أني لست معنياً بالمكالمة ، ويحرّم عليّ دي سوسير أن أقول العبارة : (عفواً الرقم خطأ) . لأن هذا هو المعمول به ، بل سأقول دوماً : عفواً ! أنت تريد فلان ؟ نعم أنا فلان من أنت ؟ .. كلا .. أنا لست فلان الفلاني أنا شخص آخر غيره .. عفواً كيف اتّصل بفلان ؟ .. عزيزي لا أدري أضرِب الأرقام المشابهة لهذا الرقم ألف مرة لعلّه يظهر فلان الذي تريد !!! .

فمن ذا الذي يصدّق أن علاقاتٍ تقوم على الاعتباطية تشكّل نظاماً حقيقياً محترماً ؟ .

---

[1] كمثالٍ : كتاب (الجمع بين رأي الحكيمين) وهو من كتب الفيلسوف الفارابي .

[2] النزاع اللفظي : من المصطلحات المتكررة في علم المنطق .

علينا إذن على هذا الأساس الاعتباطي أن نعيد كلّ مرّةٍ ما قاله أرسطو وأفلاطون لنتأكّد إن كانا متّفقين أو مختلفين ولو بعد ألفي عام !! .

إذن فلغتنا التي نتحدّث بها الآن هي في الواقع (نظام) وهي (نظام قصدي) و (صارم صرامة النظام الطبيعي) . ولكننا نحاول كما حاولنا من قبل تخريب هذا النظام وجعله اعتباطياً الأمر الذي حدث فعلاً .

ومعنى ذلك : إن (النظام اللغوي) حالياً هو نظامٌ (مخرّبٌ) ولكننا نستطيع إعادته ليعمل بصورةٍ طبيعيةٍ .

وفي هذا يكمن الفرق بين نظريةٍ لعلم اللغة تدرِّس اللغة باعتبارها أمراً واقعاً بما في ذلك الخراب الذي حلّ بها وتعتبر هذا الخراب هو ذلك النظام ، وبين نظريةٍ تفرّق بين النظام بما هو نظام وبين الدمار الذي حلّ به وتحاول إصلاحه .

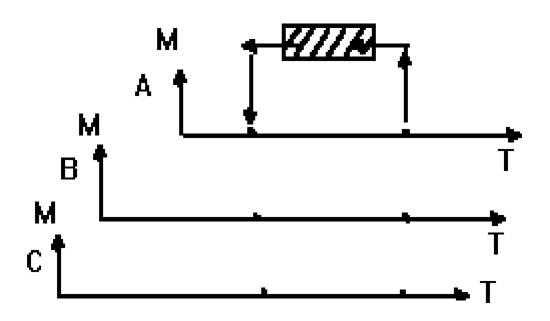
إن نظرية دي سوسير (وعلماء اللغة بشكلٍ عامٍ) تؤدي الى مزيد من الإنهاك للنظام اللغوي وتحرّكه باتجاه التراجع والفوضى ، ولن تنفعها تسميتها اللغة (نظاماً) أيَّ شيءٍ لتغيير هذه الوجهة المؤذية للنظام اللغوي والتي يفرضها عليها إيمانها الراسخ بمبدأ الاعتباط .

١٤. عامل الزمان لحياة التسلسل الصوتي الواحد

سنوضّح مرة أخرى التغيّرات الحاصلة في (تسلسلٍ) معيّنٍ من حيث إشارته للمعنى خلال الزمن لجماعات مختلفة من الناس .

لنفرض أن هناك (مخزنٌ) للتسلسلات مؤلّفٌ من الأصوات في الصندوق العلوي من الرسم (١٥) .

المحاور التي تحت الصندوق هي محاور الزمان لثلاث جماعاتٍ مختلفةٍ في لغتها ، وكلِّ تسلسلٍ ينزل من الصندوق للاستعمال الى جماعةٍ ما في زمن ما ، وهذا الزمن يختلف عن زمن نزوله الى القوم الآخرين ، وبالتالي فأنه (أي التسلسل) سيقع على (مفهوم) أو معنىً مختلفٍ ملائمٍ لتلك الجماعة ، وواقعٍ ضمن أحد اتجاهات المفردة . وهي الاتجاهات المبينة بالأشكال (٦، ٧ ، ٨ ، ٩) المارّة سابقاً . وكذلك فإنه عند هجران تسلسلٍ ما فإنّه يعود الى المخزن في وقتٍ مختلفٍ . فكلُّ لفظٍ بتسلسل معيّن قد يكون مستعملاً لمفاهيمِ عدّةٍ مشابهةٍ لحركة اللفظ في لغاتٍ مختلفةٍ . ويُنبذ اللفظ أيضاً في عصورٍ مختلفةٍ ، فيبقى مستعملاً في لغة قومٍ في حين يمكن أن يُنبذ في لغة قوم آخرين . وكلُّ جماعة تستنفد كلَّ ما في التسلسل من قوّةٍ وصفيةٍ وحركيةٍ باتجاهاتٍ عدّةٍ خلال الزمان كما يتّضح من الرسم (١٦) الآتي :



الشكل (١٥) يمثل حركة التسلسل في الزمان لثلاثة أقوام (A ، B ، C) لمفردتين واحدة تستعمل والأخرى تهجر .

إن المحور العمودي هو محور المعاني ، ويفترض أن تكون المعاني متطابقةً في كلّ اللغات لنفس التسلسل . لكن عامل الزمان فرّق المفهوم المحدَّد للتسلسل الى فروعٍ واقعةٍ ضمن الحركة الأصلية للتسلسل ، لذلك وقعت في مواقعٍ مختلفةٍ .

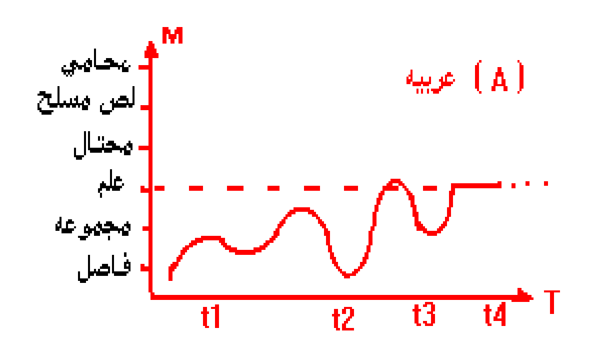
في الرسم (١٦) تظهر العلاقات التفصيلية بين المعاني المتعدّدة (لمفردةٍ واحدةٍ) في خمسةٍ من اللغات خلال زمنٍ واحدٍ (حقبة واحدة) مكونٍ من ألفي عام . ولنأخذ نفس المفردة مثلاً (بند) كما تكتب بالعربية أو (BAND) كما تكتب بالإنكليزية .

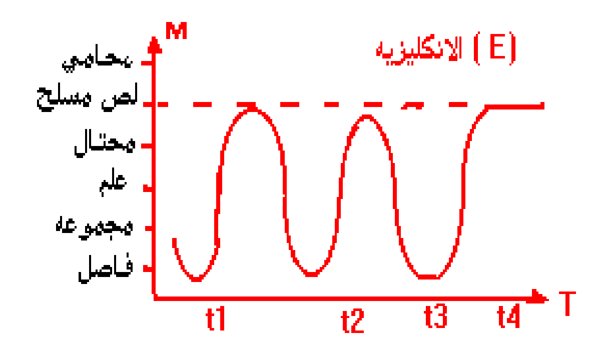
نقسم المحور الزمني الى أربعة مقاطعٍ كلٌّ منها يساوي (٥٠٠) سنة . والآن نلاحظ كيف جرى استعمال هذه المفردات باللغات الخمسة بالمعاني المذكورة سابقاً وحسب التسلسل : فاصل ، مجموعة ، علم كبير ، محتال ، لص ، ومحامي[1] .

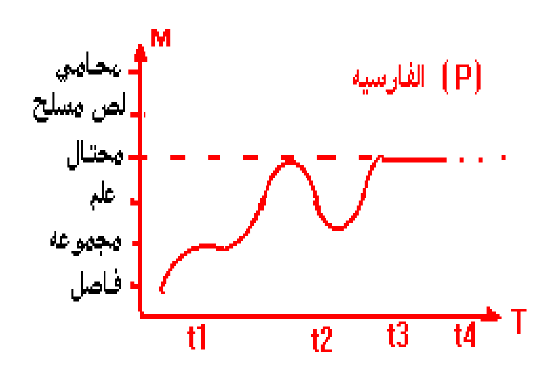
اللغات هي : العربية ، الإنكليزية ، الفارسية ، الروسية ولغة خامسة مفترضة .

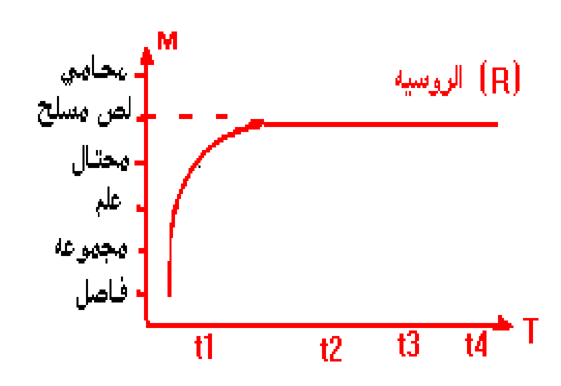
إنّ المحور العمودي هو محور المعاني المتعددة .

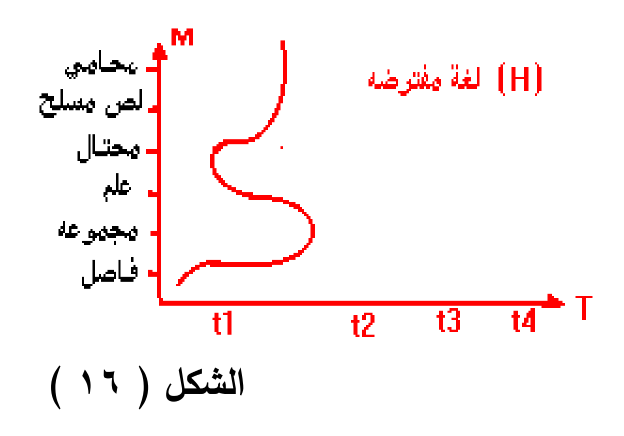
[1] راجع موضوع (مسخ دلالة المفردة بالترجمة)الذي مرّ في ص ٥٢ .


M
محامي
لص مسلح
محتال
علم
مجموعه
فاصل
عربيه (A)
t1
t2
t3
t4
T


M
محامي
لص مسلح
محتال
علم
مجموعه
فاصل
الانكليزيه (E)
t1
t2
t3
t4
T


M
محامي
لص مسلح
محتال
علم
مجموعه
فاصل
الفارسيه (P)
t1
t2
t3
t4
T


M
محامي
لص مسلح
محتال
علم
مجموعه
فاصل
الروسيه (R)
t1
t2
t3
t4
T



الشكل (١٦)

فنلاحظ أن لفظ (BAND) استعمل عند العرب بمعنى حاجز أو فاصل وانتقل الى المجموعة المنفصلة بعلم كبير ثم أطلق على العلم واستقر معناه هناك وهو المعنى رقم (٣) في التطور الزمني لانتقال المعنى الى المقاصد البعيدة عن حركته الأولى . وبقي المعنى بعد ذلك على شكل دالّةٍ خطّيةٍ .

وفي الفارسية تذبذب المعنى وصولاً الى (محتال) وهو الرقم (٤) واستمر كذلك زمنيا الى (t_4) . وفي الإنكليزية بقي اللفظ يتأرجح بين جميع النقاط وبقي يعنيها كلها الى الفترة (t_4) واستمر كذلك بدالّةٍ جيبية الشكل .

وفي الروسية ارتفع المدلول الى (لص مسلح) وفقد الصلة بالمعنى الأصلي ظاهرياً وهو (الفاصل) واتخذ شكل دالّةٍ خطيّةٍ الى (t_4) .

وفي الرسم الخامس نفترض وجود جماعة استعملته بمعانٍ معينةٍ ثم هجرته فانقطع الخط بعد (t_1) .

وإذا أردنا أن نعرف أيّ الجماعات قام بأقلِّ ما يمكن من (التخريب) للمعنى الأصلي فهي الجماعة (A) . وأكثرها هي الجماعة (R) . اما الجماعة (E) فقد حافظت على جميع المعاني بشكل مربك .

وهذا التقسيم لا يصدق بالطبع الاّ على هذه المفردة ((BAND) . فمن المنطقي القول أن الجماعة التي تحافظ على الأصل لتسلسلٍ معينٍ تقوم بتخريب تسلسلٍ آخرٍ أو العكس . لكن إذا وجدنا أن عدداً كبيراً من (التسلسلات) حدث فيها نفس المقدار من الحفاظ أو التخريب فمن الممكن الحكم على الأقوام أيُّهم أكثر حفاظاً على روح المفردات وأيُّهم أطول باعاً في تخريب اللغة .

إذا تمّت دراسة جميع الوحدات اللغوية لكلّ أمةٍ بهذه الطريقة وبمساعدة المعاني الحركية للأصوات (والذي سيأتي في بابه) فهذا العمل يعدُّ فعلاً دراسةً جدّيةً وعلميةً للغة .

والدراسة بهذه الطريقة أيسر وأسرع من أيّة طريقةٍ سابقةٍ تجاهلت التعدّدية في الاستعمالات

فـي اللغـة الواحـدة وتجاهلـت التـأثيرات الاجتماعيـة وتجاهلـت الحركـة التاريخيـة للمفـردة وتجاهلـت القصدية فـي نشوء المفردات وتجاهلـت العلـل فـي التوزيـع إلـى ظواهرٍ كثيـرةٍ جداً تجاهلتهـا الطرق اللغوية العامة وبضمنها البنيوية وهي (أي هذه الظواهر) من أهمّ العوامل في دراسة اللغة .

ولا نظنك أيّها القارئ اللبيب لم تنتبه الى أن هذا المخطط وحده لمفردةٍ واحدةٍ قد جعلك تتخيّل أو تفكّر بـ (اللغه الموحدة) في الأصل أو قد حفّز فيك الطموح الى (لغةٍ موحّدةٍ) مستقبلاً .

ويبقى سؤالٌ آخرٌ : كم من الوحدات على شاكلة (BAND) في جميع اللغات ؟

إن الإحصاء هنا ليس سهلاً . لكنني وباستعراضٍ عشوائيٍّ عثرت علـى (٥٠%) مـن الجـذور المشتركة للوحدات بين الإنكليزية والعربية والروسية (وهي اللغات التي أُحسِنُ قراءتها) . ومعلوم أن هذه الطريقـة لا تمت الـى الترجمـة وأسـاليبها الحاليـة بأيّـة صلـةٍ . فإننـا نبحـث عـن نفس التسلسل الصوتي في اللغات الثلاثـة وهي لغات تعتبر متباعدةً كثيراً حتـى علـى مبادئ التقسيم القديم للغات السامية . بشرط الانتباه الشديد لتلك الاستعمالات المتكررة للفظ والابتعاد به عن أصله .

وهناك معاجم درجت علـى ترتيب المعاني المتعددة بأسلوب تـاريخي وهـذه المعاجم نافعةٌ جداً لمثل هذا العمل كالمعجم الوسيط في اللغة العربية .

وسؤال آخر أيضاً : وهل يمكن استعراض التسلسل الصوتي في خمسة آلاف لغة في العالم ؟

إن الأقوام حريصـةٌ جداً علـى لغاتهـا ويتوجب علـى كـل مجموعـة لغويـة أن تحضـر (المـؤتمر اللغوي العالمي) مثلاً وأن تأتي بدراسةٍ عن عددٍ معينٍ من التعاقبات الصوتية المقررة سلفاً من قبل هيئـة المـؤتمر ، وسـيكون الواجـب بعـد ذلـك إجـراء الدراسـة المقارنـة وسـوف يعـاونهم (الحاسـب الإلكترونـي) إذا كـان العمـل مجهداً ، إذ يمكـن أن يبـرمج لإظهـار الأصوات الأساسـية المشـتركة فـي الألفاظ كافةً .

والسـؤال الثالـث : وهـل تقـوم هـذه الدراسـة بانحيـازٍ معيـنٍ الـى لغـات معينـة (حسـب أكثريّـة المتكلّمـين بهـا مـثلاً كاللغـات : الصـينية أو الإنكليزيـة أو العربيـة أو الفرنسـية . أو حسـب التطـوّر والأهمية الاجتماعية والفكرية للمجموعة اللغوية وتستثنى اللغات التي تتحدّث بها عشرات القبائـل فـي أمريكا اللاتينية وغيرها) أم نعتبر اللغـة الصغيرة والكبيـرة والخاصـة بأمّـةٍ كبيـرةٍ أو صـغيرةٍ متقدمـةٍ أو متخلفةٍ على قدم المساواة من الأهمية اللغوية ؟

أقـول : يمكـن تقديم نصيحة للوصول إلـى إجابـةٍ علـى هذا السؤال . ولكـن الأهـم هـو السـؤال الآتـي : هل سيعمل الجميع فعلاً بهذه النصيحة حتى ولو كانت صحيحة ؟ .

الملاحظ أن الدراسات السـابقة كانـت منحـازةً جداً إلـى لغات القـائمين بهـا . وكلمـا ابتعدنا أكثـر الى دي سوسير وجدنا انحيازاً أكبر قد يصل إلى درجة (التمييز العنصري) أحياناً .

ولست أنصح (بعدم الانحياز) ! بل أنصح بالانحياز التام لتلك اللغة أو المجموعة اللغوية التي تكون قد حافظت أكثر من غيرها على الحركة الجوهرية للأصوات . وإذا افترضنا أنها ستكون لغة قبيلةٍ متخلفةٍ جداً وليست لغة دولةٍ صناعيةٍ عظمى ، فإن المحافظة على أصول اللغة يعني أن تلك القبيلة المتخلفة (تمتلك) من الأفكار ما هو أكثر تقدميّةً ممّا تمتلكه الدول الصناعية بشرط أن يتمّ البحث عن تلك الأفكار (بدون انحياز) .

لكن الحقيقة كما يبدو ليست على وفق هذا الافتراض تماماً . فليست هناك جماعةٌ متخلفةٌ جداً ومع ذلك لا زالت لغتها تمثل اللغة الحقيقية أو (القياسية) . فهذا الفرض لا يصحّ إلاّ في حالةٍ واحدةٍ وهو أن امتلاك هذه الجماعة المتخلّفة لهذه اللغة شيءٌ وإدراكها لها هو شيءٌ آخرٌ ، بل قد تكون لغتها شيئاً ولسانها شيئاً آخر . وفي هذه الحالة فإنّ هذه اللغة الصحيحة والقياسية لن تكون قطعاً هي اللغة التي تتحدّث بها هذه المجموعة المتخلّفة ، وإنما هي لغة (كتاب) تمتلكه لفردٍ قديمٍ وحكيم جداً وهي قد لا تعي مطلقاً ما فيه من نظامٍ لغويٍّ محكمٍ فهو بلسانها ولكنه ليس بلغتها.

وأنا شخصياً أعتقد بأن الأمر على هذا النحو ، لأن مثل هذا الكتاب قد وقع قديماً في يديَّ وكان هو المسبب في ظهور فكرة اللغة الموحدة وهو الكاشف عن المعاني الحركية للأصوات . وهو كتابٌ يتميّز بنظامٍ لغويٍّ دقيقٍ للمفردات والتراكيب ، ودقّته تفوق الدقّة التي يظهر بها النظام الكوني في الكبر أو النظام الذرّي في اللطف والصغر .

وعلى العلماء خاصةً بذل الجهد للعثور على تلك اللغة في هذا الكتاب أو في غيره فتلك هي اللغة القياسية بالفعل .

من جهةٍ أخرى لا يمكن نبذ أو تجاهل أيّة لغةٍ لأيّة أقلّيةٍ اجتماعية تجاهلاً تاماً . فالمسألة هنا لا علاقة لها بعلم اللغة الاجتماعي إن كان ثمة علم بهذا الاسم ، بل لعلاقتها بعلم اللغة بشكلٍ عامٍ . لأننا الآن نتحدّث عن اللغة لا عن لغات متعددة وهذا اللفظ (اللغة) مختلف في مفهومه عما كان عليه الحال في النظرية السابقة .

فاللغات في النظرية السابقة هي عبارة عن أنظمة مختلفة وتتّفق في المبادئ فقط . أما في النظرية الموحدة فاللغات نظام واحد لا غير . وحينما يقال (اللغة) بالمفرد في النظرية الموحدة فالمقصود به (اللغات) بشكلٍ عامٍ . فالأنساق والقواعد التركيبية هي شيءٌ ثانويٌّ سيظهر تلقائياً عند فهم الحركة الداخلية ويمكن بذلك تفسير سبب الاختلاف في قواعد التراكيب ، لأن الأساس الآن هو تسلسل الأصوات . فأي تسلسل للأصوات هو جزء من اللغة أي أنه (وحدة لغوية) سواء استخدم أم لم يستخدم.

التفريق بين اللغة بالمعنى المذكور وبين الكلام لا يحمل أيّة أهمية الآن وإنما تظهر أهميته

عند دراسة الفارق بين الكلام والنص المكتوب .

فالكلام المنطوق يجب أن يفُرّق عن الكلام المكتوب من ناحيةٍ واحدةٍ وحسب . هذه الناحية هي أن (الناطق) يستعمل لغاتٍ مساعدةٍ غير ظاهرةٍ فيمكنه اختصار الكلام الى أدنى حدٍّ ممكنٍ بخلاف (الكاتب) .

وهذه اللغات المساعدة هي : (النبرات الصوتية وشدّتها . نظرات العين . سحنة الوجه – موضوع الكلام . العلاقة الموضوعية للكلام مع المتلقي . استعداد المتلقي . الجذور المتّفق عليها بين الطرفين لموضوع الكلام . حركات اليدين ووضع الجسم . اتجاه الرأس للمتكلم والمتلقي .... الخ) فكلّ ذلك في نظرنا يؤثّر على طريقة صياغة التراكيب خلال المحاورات المباشرة .

وكلّ تلك الاشياء يجب أن تتّضح إذا أراد المتكلّم نقلها الى نفس المتلقّي عن طريق الكتابة . وهو سيوضحها (قهراً) بالاعتماد على تراكيبٍ معينةٍ وأساليبٍ معينةٍ دون غيرها .

وإذا تمكن شخصٌ ما من إلقاء خطابٍ على مجموعةٍ ما موضحاً مسائل عديدة ، وعند كتابة نفس الخطاب لا يحتاج الى أيّة تغييرات في التراكيب ، فإن ذلك الخطاب سيعدّ نظاماً حسناً جداً في استعمال اللغة . ولكني لا أعتقد بإمكانية الالتقاء بمثل هذا الشخص .

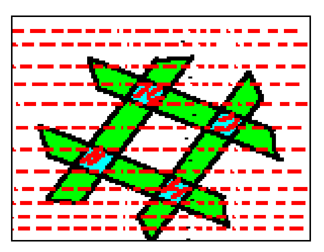
إن (لغة الأقلّية) ، أي لغة جماعة قليلة العدد (قبيلة أو عشيرة) . تعتبر في هذا المنهج جزءاً من الوحدة اللغوية ، لأنها حافظت على عددٍ من التسلسلات الصوتية واستعملتها .

فاللغة في هذا المنظور تتألف من (جميع الاحتمالات الممكنة) لتسلسل الأصوات وهي بعددٍ كبيرٍ جداً . وقد استعملت كلُّ مجموعةٍ إنسانيةٍ جزءاً منها واشتركت بأجزاءٍ معينةٍ ، وبالطبع فالمستعمل الآن يعدُّ شيئاً ضئيلاً نسبةً للكلّ .

وإذا تصوّرنا أن الاحتمالات الممكنة كلّها موزعة في المربع الموجود في الشكل (١٧) وتساهلنا في رسم الجزء المستعمل لكلّ مجموعةٍ فيظهر في المربع نموذج لأربع لغات في العالم على شكل أشرطةٍ .

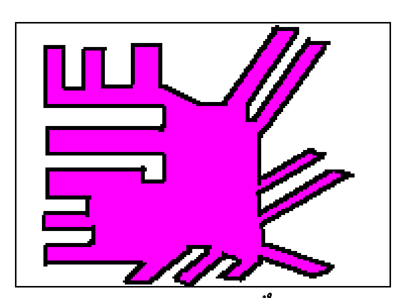
والشيء السيئ الوحيد في الشكل هو (الثبات) فمن الممكن معالجته بتصوّر النقاط الداخلية الموزعة (أي التسلسلات) وهي تتحرك ببطء شديد داخل المربع فبعضها يخرج من الشرائط وبعضها يدخل وبعضها يبقى ثابتاً وبعضها يتغيّر ببطء داخل الشريط ، وهذا الأمر يمكن توضيحه أكثر بالصور المتحركة .

النقاط المشتركة تمثل التسلسلات الصوتية المشتركة بين اللغات . والمربع الكامل ما هو الا اللغة الموحدة .



الشكل (١٧) نموذج للعلاقة بين أربع لغات
فيما بينها وفيما بينها وبين اللغه الموحدة

ولكن إذا أدخلنا جميع اللغات المعروفة في المربع فالتشابك سيكون شديداً ويصعب تمييزه ، ولكن الصورة النهائية المتخيلة ستكون رائعة ومبشِّرة بكلّ خير وهو ما يظهر في الشكل (١٨) وذلك بافتراض أننا نمسح المختلف ولا نبقي الاّ المساحات المشتركة .



الشكل (١٨) صورةٌ متخيّلةٌ للوحدات المشتركة في اللغه الموحدة

الصورة مبالغٌ فيها قليلاً لأن المربع في الحقيقة أكبر من مساحة الوحدات المشتركة بكثيرٍ . إذن فلغة الأقلية تمتلك جزءاً ما في اللغة الموحدة .

ولذلك أعتقد أن سبب تشبّث المجموعة أي مجموعة بلغتها وفي أسوأ الظروف ما هو الاّ (نزعةٌ طبيعيةٌ) للحفاظ على هذا الجزء من مقوّماتها .

والمجموعة هذه لا تتخلّى عن لغتها الاّ إذا أمِنت من ضياعها أماناً كاملاً علماً أن دخول شريط صغير في واحد أكبر منه وابتلاع الكبير للصغير لا يعدّ في هذه الحالة ضياعاً للوحدات المشتركة مع الصغير ، بل هذا هو الأمان الحقيقي من الضياع .. لأن الوحدات اللغوية أصبحت في ظل مجموعةٍ أكبر وأقوى تتألف من المجموعتين معاً . وبالطبع فان هذا لا يحدث الاّ عند توفر (فكر فلسفي وأخلاقي) مؤثر يضمّ المجموعتين معاً ويحترم الوحدات اللغوية لكلٍّ منهما .

إن التصوّر السابق لا يخلو من مشكلتين وسأثير هاتين المشكلتين :

إذا كانت الأصوات عناصراً جوهريةً تمتلك او تشير الى حركة أو أنها نفس تلك الحركة فهل الأصوات المستعملة حالياً هي حركاتٌ حقيقيةٌ كلّها أم حصل لها بعض التغيّر والتخريب أيضاً

(بالفونيمات) المتعددة مثلاً وبالتحولات العديدة للأصوات نفسها المشار إليها في الفصول السابقة ؟.

وإذا كان الجواب : (كلا ..) .. ليست كلها حقيقيةً أي أنها ليست جميعاً عناصراً أصليةً للحركة . و(نعم ..) .. قد حدثت لها تحولات . فهنا تبرز مشكلتان :

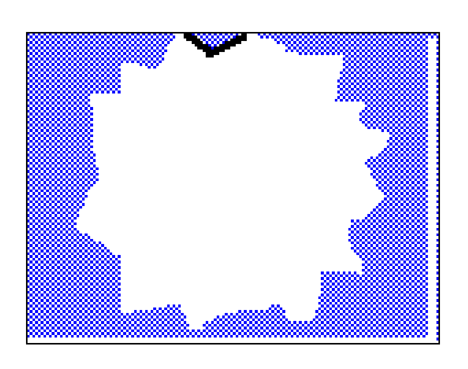
المشكلة الأولى : لعل الأجزاء المشتركة في الرسم السابق تنطوي على عناصر دخيلة أو مشوهة من الأصوات .

والجواب : نعم تنطوي على مثل تلك العناصر .

المشكلة الثانية : لعل الجزء الذي قسّمناه من الوحدات غير المشتركة ينطوي على عناصر لا وجود لها إلاّ هناك وإذن فإننا فقدنا عناصراً أصيلةً من اللغة .

والجواب : نعم يبدو أننا من المحتمل أن نكون قد فعلنا ذلك .

إذن فعلينا الآن تحديد العناصر الأصيلة للأصوات فنقطع من المساحات المشتركة كلّ دخيلٍ وندخل كلّ أصيل وعندئذ سنحصل على قاعدةٍ تختصر عملنا الى أدنى حدٍّ ، هي نبذ العناصر الدخيلة أو إعادتها الى أصولها وعندئذ سيكون الشكل الأخير أكثر انسجاماً وجمالاً بعد القطع وهو الشكل (١٩) وهو شكلٌ شبيهٌ بالشمس .



شكل (١٩) الصورة المتخيلة النهائية للوحدات الأصيلة
المتألّفة من العناصر الصوتية الأصيلة

وكيف نعرف الأصوات الأصيلة ونميّزها عن غير الأصيلة ؟

للإجابة على هذا السؤال نحتاج الى إجابةٍ قبل ذلك على السؤال الآخر وهو : هل من الضروري أن تكون (اللغة القياسية) والتي هي لغة النظام الفعلي والمنطقي لتسلسل

الأصوات أن تستخدَم جميع العناصر الصوتية الأصيلة ؟ .

هذا السؤال معقّد جداً لأننا بحاجة الآن الى معرفة الحركة التي تعنيها الأصوات فوراً .

لكن إذا كانت الأصوات عبارة عن (عائلة) ولكلّ فرد في هذه العائلة اختصاصه وجميعها تشكّل (مجتمعاً) مثيلاً للنظام الطبيعي ، فمن الممكن تصوّر أن هناك (تكافلٌ) على نحوٍ من الأنحاء يضمن انضباط النظام مع وجود نقص في بعض الأفراد .

أعني أن (الحكيم القديم) . الذي جاء بكتابٍ وحيدٍ بنظام لغويٍّ منطقيٍّ . بمقدوره أن يؤلّف كتاباً آخراً يخلو من بعض الأصوات الأصيلة ويكون بنفس الإحكام والصرامة التي تميّز بها كتابه الاول والذي استعمل فيه جميع الأصوات .

لكن هذا الكتاب لن يكون في جميع الأحوال (أكثر تفصيلا) للأشياء من الكتاب الأول .

فأنت تعلم الآن أننا إذا عثرنا على (لغةٍ منطقيةٍ بنظامٍ منطقيٍّ) فأنها لن تكون مجرّد تسميةٍ للأشياء ، بل وستقوم بتفسيرها مادامت العناصر المكونة لها مرتبطة بنظامٍ محدّدٍ ومادامت تلك العناصر هي بنفس الحركة الطبيعية للأشياء التي أطلقت عليها التسلسلات المختلفة لتلك العناصر .

هذا يعني أن مثلنا اليوم مثل قومٍ في كوكبٍ آخرٍ استعملوا بصورةٍ عشوائيةٍ الاسماء الكيميائية ورموزها المعمول بها عندنا للمركبات والعناصر وهم لا يدركون شيئاً عن العلاقة بين تلك الرموز ومرموزاتها .

فإذا افترضنا أنهم اكتشفوا أن (أَجتوسوفور)١ . تكتب لفظياً هكذا . عبارة عن منحوتٍ لخمسة متغيراتٍ تمثّل مركباً مؤلفاً من ذرتي (هايدروجين) وذرة (كبريت) وأربع ذرات (أوكسجين) ، وبعض هذا المنحوت يشير الى عدد الذرات وبعضه يشير الى عناصرٍ طبيعيةٍ أمكنهم ذلك من اكتشاف لغة الكيمياء كلّها ، وفهم المركبات بأسرها تباعاً ، مثلما نحلّ اليوم بعض رموز اللغات القديمة بالمقارنة بين عناصرها واحداً واحداً .

وسيعلم هؤلاء القوم مثلاً أن (H) حرف و (2) رقم وهكذا . وعندئذ سيعلمون أن الاسم الأصلي ليس (اجتوسوفور) ، بل هو (أج تو أس أو فور) وأنهم غيرّوه استخفافاً وجهلاً ليس إلاّ .

وهذا الاكتشاف لا يمنع من حصولهم على (نظام) إذا كان هناك نقصٌ في عناصر (الجدول الدوري) ، من حيث أن التفاصيل هي عبارةٌ عن (نظامٍ صارمٍ) ، بل سيكون النقص في عدد التفاصيل لا في النظام نفسه .

إذن (فالحكيم القديم) يمكنه أن يخاطب مجموعةً تستخدم بعض الأصوات المحرّفة وسوف يتجنب استعمال التسلسلات التي تتضمّن تلك الأصوات ، أو يقوم بتعديلها بحيث تبدو عندهم من

(الغرائب) في الاستعمال اللغوي[1] . لكن المجموعة اللغوية في حقيقة الأمر لا تحتاج (فعلياً) إلاّ لما قامت بالمحافظة عليه من الأصوات الأصيلة ، فهناك تناغم بين الاستعداد الحقيقي لقبول الأفكار وبين ما يماثلها من الأصوات .

لكن مثل هذا الكتاب سيكون خاصاً بالمجموعة اللغوية وليس نظاماً شاملاً يتضمّن تفصيل كل شيء . وإذن فالكتاب الذي يكون تفصيلاً لكلِّ شيء لا بدّ أن يستعمل جميع الاحتمالات الصوتية الممكنة.

ماذا نقصد بالاحتمالات الصوتية هنا ؟

نقصد أن آلية تكوين الأصوات مركّبة بطريقةٍ تضمن تشكيل عناصرٍ صوتيةٍ فعليةٍ تمثل حركاتٍ منفصلةً وتلك هي العناصر الأصيلة . أما الأصوات غير الأصيلة فهي (تشوّهات) مختلطةٌ لتلك الأصوات لا تمثل حركةً مستقلّةً صحيحةً . وهذه الفكرة هي إحدى أساسيات هذه النظرية وهي تختلف بالطبع عن الدراسات الأخرى للأصوات .

---

[1] يبدو أن المؤلف يشير إلى كتب عن (غرائب القرآن) فهو يعتبر هذه الغرائب جزءاً من اللغة الموحدة ما دام الكتاب الذي هو القرآن عالمياً وما دامت أصوات اللسان العربي هي الأصيلة . والمرجّح أن هذه العلاقة ستظهر في كتابه الآخر (النظام القرآني) .

١٥ . العناصر الصوتية المستقلّة

أ . مكونات آلة النطق

تختلف مكونات آلة النطق في هذه النظرية عمّا سبقها من نظريات . ويمكن إدراج أوجه الاختلاف فيما يأتي :

أولاً : **إن هذه النظرية تلاحظ (تصميم) آلة النطق باعتبارها آلةً حقيقيةً مؤلّفةً من أجزاءٍ ومكوناتٍ للقيام بحركاتٍ تخرج بصورتها النهائية على شكل أصواتٍ تتناغم مع الحركات التكوينية في الطبيعة ، فهي صورتها الأولى .**

فالأجزاء التي تتألّف منها الآلة تتناوب في الحركة باحتمالاتٍ معدودةٍ ومحدّدةٍ ، والأصوات الطبيعية (العناصر الصوتية المستقلة) هي الأصوات الخارجة من هذه الاحتمالات فقط . وحينما لا يتمّ تحريك المكوّنات حسب الاحتمالات هذه ، فستظهر نتائجُ (صوتيةٌ) مختلفةٌ لا تمثّل الحركة الطبيعية ، كأن تقع الحركة متردّدةً بين احتمالين . أي صورتين للحركة مثلاً .

ثانياً : **إن المكوّنات الأساسية لآلة النطق هي المكونات المتحرّكة بالأمر الرئيسي الآتي من الدماغ ، ولا تعتبر الأجزاء الأخرى التي تتحرّك تباعاً من ضمن آلية النطق ، لأنها مقهورةٌ على اتخاذ الوضع المعيّن لأجل أن تنفّذ الأجزاء المتحرِّكة عملها . فالتجويف الأنفي وتجويف الفم وفتحة الهواء عند لسان المزمار لا علاقة لها بآلة النطق وأجزائها المتحركة ، وإنّما هي توابعٌ تتّخذ أوضاعاً مختلفةً لتسمح للأجزاء المتحرِّكة بتنفيذ حركاتها ، وكذلك أعلى اللهاة فهو تابعٌ لا متحرّكٌ .**

ثالثاً : يُلاحظ في المكونات الوضع (الاعتيادي) ، أي حينما تكون كلُّ الأجزاء في وضعها (الابتدائي) ، ثم تلاحظ التغيّرات الاحتمالية للأجزاء مع بعضها البعض لتكوين الأوضاع المستقلة . فهذه الأوضاع هي مصدر العناصر الأصيلة للأصوات . وهذه هي الطريقة العلمية لدراسة أيّة آلة .

رابعاً : **يعتبر الهواء في هذه النظرية هو (المادة الخام) التي يمكن تشكيلها بصورٍ متعدِّدة . وهذه التشكيلات هي (حركاتٌ) متباينةٌ قادرةٌ على الانطباق على أيّة حركةٍ ممكنةٍ في الطبيعة . وهي عناصرٌ أساسيةٌ وحينما تكون بوضعٍ متسلسلٍ على أيّ وجهٍ فإنّها تقوم بوصف التغيّرات المحتملة كلّها في الوجود .**

والصوت هو (الصورة) المجسّمة لهذه الحركة فهو يساعد على حفظ الحركة في (صورةٍ) ، وهو (صورةٌ) جَمَدَت على حالها الاول ، أي أنه صورةٌ جامدةٌ للحركة جمدت في جزء من الثانية ثم سرعان ما تلاشى هوائها.

ومثل عمل الصوت هو مثل أن تقومَ بتشكيل صورٍ وأجسامٍ وتماثيلٍ من مادّةٍ هلاميةٍ

لا شكلَ لها ، ولكنها تتجمد فوراً لتبقى الحركة التي فعلتها على هيئةٍ مجسمةٍ ليمكنك تمثّلها أو حفظها في مكان ما أو إعطاءها لشخص آخر . لكن الأصوات لا تتلاشى فوراً وإنّما بعد فترة ما.

ولنلاحظ الآن مكوِّنات آلة النطق على هذه الأسس . فإننا نجد أن الشفتين تؤلّفان مكوَّناً واحداً ، أي أنهما جزءٌ واحدٌ فقط من أجزاء آلة النطق ، لأن الشفة السفلى هي التي تتحرّك والشفة العليا تتابعها في الحركة .

سنرمز للشفتين بعلامة ( ) في الشكل (٢٠)ونعتبرهما جزءاً واحداً .

ونلاحظ كذلك أن الأسنان هي كلّها جزءٌ واحدٌ أيضاً ، لأن الفكّ الأسفل هو المتحرّك والفكّ العلوي ثابتٌ .

ويتحرّك الفكّ الأسفل متابعاً لتغيير الفتحة بين الأسنان والتجويف الفموي . إذن فالفكّان ليسا جزءاً من آلة النطق وإنما يقومان بتحريك الأسنان فقط . والأسنان السفلى هي التي تتحرّك ، فالأسنان كمجموع هي جزءٌ آخرٌ من أجزاء آلة النطق وسنرمز لها بالعلامة ( ) في الشكل (٢٠) .

أما اللسان فنلاحظ أنه يتحرك بثلاثة نقاط . إذ يتحرّك من طرفيه ومن الوسط بالتناوب مع بعضها البعض ، وهو مرتكز على إحدى تلك النقاط .

والمهم أننا لا نلاحظ الأجزاء بما هي أجزاءٌ من مكوَّنٍ فسلجيٍّ هو الفم مثلاً ، وإنما نلاحظ الأجزاء باعتبار حركتها فقط .

فالأسنان لها حركة واحدة (أعلى ـ اسفل) . وكذلك الشفتان فلهما أيضاً حركةٌ واحدةٌ . أما حركة الانطباق الشديد أو الانفراج القليل لهما فهي من التوابع الحركية وليست حركةً أساسيةً . ومثالهما يمكن ملاحظته من الفرق بين نطق كلٍّ من الصوتين (ف ـ ڤ) .

وإذن فالمراكز المتحرّكة فعلاً هي خمسةٌ . ثلاثةٌ في اللسان وواحدةٌ في الشفتين وواحدةٌ في الأسنان .

أما الأجزاء المادية لهذه المراكز فهي ثلاثة : (لسان ، شفتان وأسنان) .

سنرمز للسان بالقوس (xxx) في الشكل (٢٠) وفيه ثلاثة مراكز للحركة . وإذا سمّينا المراكز : (A , B , C) فإنها تتناوب بالاحتمالات الآتية :

١. A B C الوضع الابتدائي

٢. Aَ B C يتحرك A فقط مع ثبات B ، C

٣. A Bَ C يتحرك B فقط مع ثبات A ، C

٤. A B Cَ وهكذا بالتناوب

٥. Aَ Bَ C

٦. A Bَ C

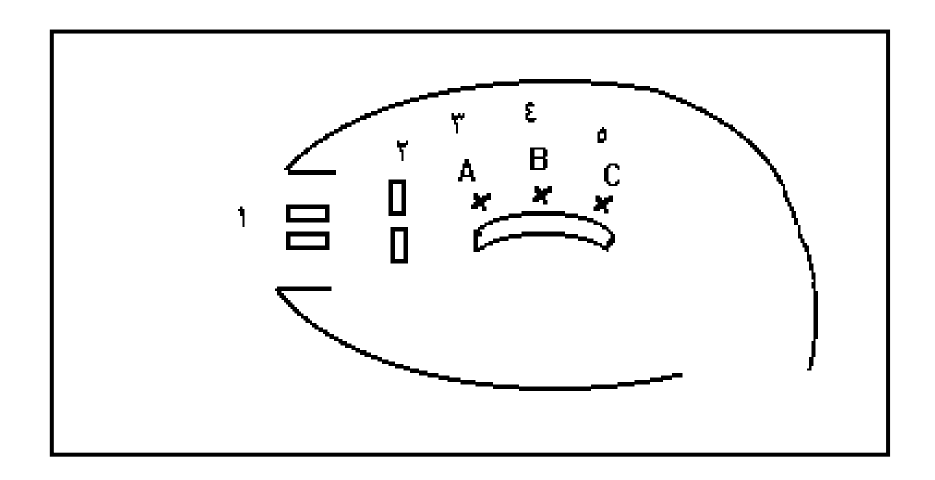
٧. Aَ B Cَ

٨. Aَ Bَ Cَ الاحتمال الغير ممكن .

جدول يبيّن احتمالات حركة المراكز الثلاثة للسان

إن علامات الفتحة (َ) الموجودة على الحروف تشير الى التناوب في تغيّر الحركة في المراكز الثلاثة . فالاحتمالات الكلّية هي سبعة احتمالات مع الوضع الابتدائي بدون حركةٍ . أما مع الوضع الذي تتحرّك فيه ثلاثة مراكز سويةً وهو الاحتمال الأخير فهي ثمانية . وإن تغيّر المراكز الثلاثة سويةً (وهو الاحتمال الأخير) غير ممكن عملياً . لكن الاحتمالات تزداد مع أخذ مراكز الحركة بمجموعها وملاحظة الاحتمالات المتكونة للتغيّر فيها .

سوف نرقّم المراكز من واحدٍ الى خمسةٍ ونلاحظ جميع الاحتمالات المتكونة عند تغيّر الوضع لمركزٍ واحدٍ ولمركزين ولثلاثة مراكزٍ وأربعة مراكز وخمسة مراكز على الترتيب كما في الشكل أدناه .



شكل (٢٠) المكونات الأساسية لآلة النطق (مراكز الحركة الخمسة)

الجدول التالي يمثل احتمالات التغيّر لمراكز آلة النطق حيث أن حالة (٠) هي الوضع الابتدائي وحالة (١) هي حالة التغيّر للمركز المعيّن في أعلى الجدول .

	C	B	A	٢	١	ـ المتغيرات
	٠	٠	٠	٠	٠	ـ الوضع الابتدائي
	١	٠	٠	٠	٠	ـ احتمالات تغيّر مركز واحد
	٠	١	٠	٠	٠	
	٠	٠	١	٠	٠	
	٠	٠	٠	١	٠	
	٠	٠	٠	٠	١	
	١	١	٠	٠	٠	ـ احتمالات تغير مركزين معاً
	١	٠	١	٠	٠	
	٠	١	١	٠	٠	
	١	٠	٠	١	٠	
	٠	١	٠	١	٠	
	٠	٠	١	١	٠	
	١	٠	٠	٠	١	
	٠	١	٠	٠	١	
	٠	٠	١	٠	١	
	٠	٠	٠	١	١	
@	١	١	١	٠	٠	ـ احتمالات تغيّر ثلاثة مراكز معاً
	١	١	٠	١	٠	
	١	٠	١	١	٠	
	٠	١	١	١	٠	
	١	١	٠	٠	١	
	١	٠	١	٠	١	
	٠	١	١	٠	١	
	١	٠	٠	١	١	
	٠	١	٠	١	١	
	٠	٠	١	١	١	
@	١	١	١	١	٠	ـ احتمالات تغير أربعة مراكز معاً
@	١	١	١	٠	١	
	١	١	٠	١	١	

١ ٠ ١ ١ ١

٠ ١ ١ ١ ١

@ ١ ١ ١ ١ ١ ـ احتمالات تغيّر خمسة مراكز معاً

مجموع الاحتمالات الكلي يساوي (٣٢) احتمالاً . وتستثنى منها الاحتمالات التي تكون فيها المراكز الثلاثة (A,B,C) في حالة تغيّرٍ وهي أربعة حالات مؤشّرة بالعلامة (@) على يمين الجدول ، فالباقي (٢٨) احتمالاً .

إن الصوت العام (حرف الألف) لا علاقة له بمكونات آلة النطق لأنه (كما سنلاحظ) التحوّل الأول الذي يطرأ على الهواء ليحيله الى مادةٍ ممكنة التشكّل والجمود على الصورة النهائية أي تكوين شبح يتلاشى .

أي أن الأصوات المذكورة هناك ليست نهائية إذا أخذنا طبيعة حرف الألف بعين الاعتبار ، ويمكننا إجراء تعديل معين على هذا الأساس .

ب . الطول الزمني الثابت للأصوات المستقلة

هناك ثلاثة طرقٍ لتمييز الأصوات المستقلة . أي العناصر الفعلية التي تشكّلها آلة النطق وفق الفهم الجديد لآلة النطق . وهى :

الأولى : الاعتماد على (لغةٍ قياسيةٍ) شموليةٍ لكتاب اللغة (للحكيم القديم) واعتبار الأصوات المستعملة فيه هي الأصوات الحقيقية .

الثانية : التوصّل الى طرقٍ يقينيةٍ في دراسة آلة النطق وإحصاء احتمالات التغيّر في مراكز النطق الفعلية .

الثالثة : الاعتماد على قياس الصوت زمنياً . وأعني بذلك أن للصوت المستقل طولاً ثابتاً في الزمن مثل الطول الثابت الذي يمكن قياسه في (الإشارات المرئية) في الراسم الذبذبي (أوسيلوسكوب . Oscilloscope) .

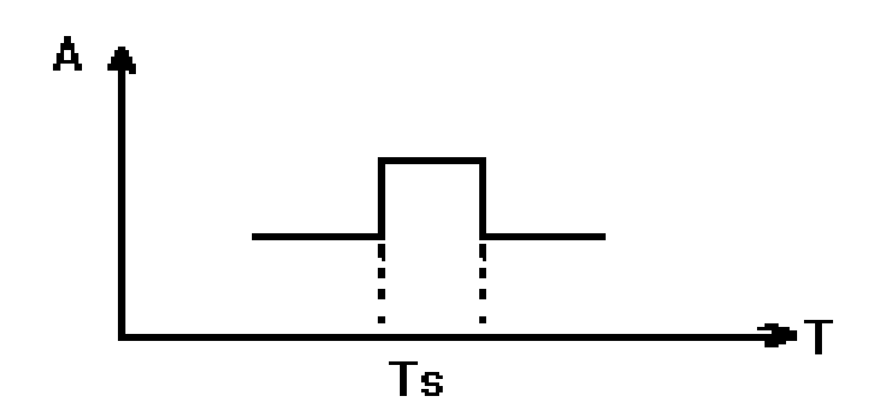
حاول الآن أن تنطق حرف الكاف وتجعله طويلاً بأقصى ما تستطيع . إنك لن تقدر أن تطيل في حرف الكاف نفسه لأنك ستطيل فقط البداية أو النهاية التي تحمله . هكذا :

[ك ي ي ي] ، [كا آ آ آ آ] ، [كـ و و و] ...الخ .

وبإمكانك أن تبدأ أو تنتهي بالواو أو الياء أو الفتحة . ولكن هذه جميعاً في حقيقة الأمر هي صورٌ مختلفةٌ للألف :

[آ آ آ] ، [أَ أَ أَ] ، [و و و] ، [ي ي ي] .

إذن سواء أَكنت مستعجلاً أو كنت تغني بمفردةٍ فيها الصوت (k) فان إخراج (K) نفسه يستغرق زمناً واحداً فقط . ذلك لأن الصوت الحقيقي إذا تشكّل جمد فوراً . وبمقدورك أن تكرّر الصوت ولكن من المحال أن تطيل في زمنه .



الشكل (٢١) يمثل زماناً واحداً لكلّ العناصر الصوتية

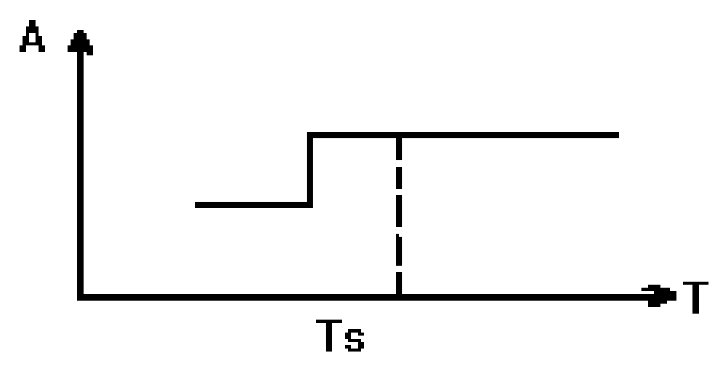
إن الصوت المستقل هو مثل نبضةٍ لها زمن ثابت هو (Ts) على محور الزمن (T) . أما المحور (A) فيشير الى الشدة .

ولكنك ستقول : إن بإمكانك إطالة زمن الأصوات (م ، ف ، ث) . (M , F , TH) ما شئت .

ولكن هذا مجرّد خداع . فالصوت الحقيقي ينتهي بآخر حركة للشفتين وآخر حركة للسان .

أما الاستمرار بأحداث صوت مثل (ثثثث ..) فهو إما تكرار أو مجرد اندفاع للهواء مع إبقاء اللسان قريباً من وضعه عند تشكيل الصوت .

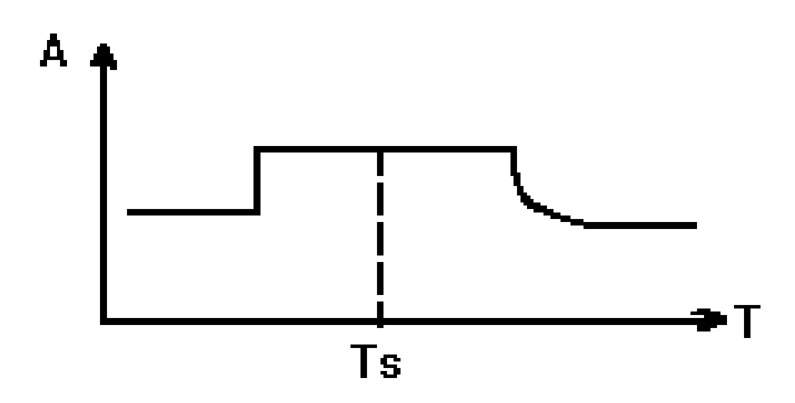
إنّ الصوت الحقيقي (المجسّم) هو قطعةٌ واحدةٌ جامدةٌ ، وهي القطعة التي تخرج عند لفظ مفردة فيها حرف (الثاء) مثل : (Thank you) . وينتهي التشكيل عند استقرار اللسان بعد الحركة السريعة جداً . وعند محاولة الاستمرار بإطالة الصوت فالناتج هو قطعةٌ غير منتهيةٍ كما في الشكل رقم (٢٢) :



شكل (٢٢) يمثل محاولة زيادة زمن الصوت المستقل بلا جدوى .

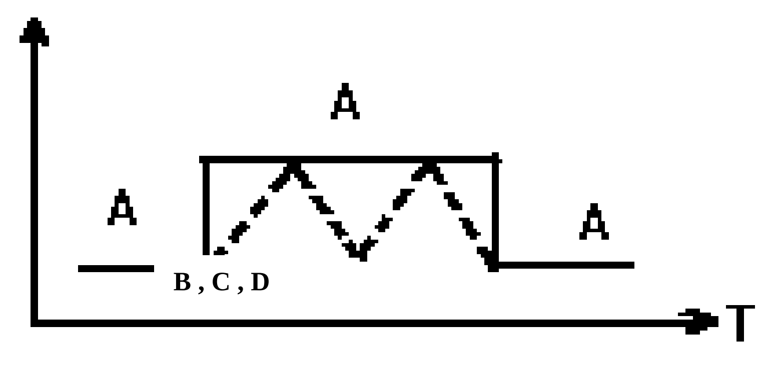
وعند مدّ الصوت أكثر من الحدّ المقرر لزمنه لن يتشكل بعد ذلك ، لأن الرجوع إلى الألف سيكون عسيراً على اللسان ، فحركة اللسان هي حركةٌ (لحظيةٌ) آنيةٌ (تخفق) الهواء مع استعدادٍ سابقٍ لجميع مكونات آلة النطق لإنتاج صوت ، ولا يستطيع اللسان تكوين صوت بخفقٍ سريعٍ وآخر بطيء ، فسرعته في تشكيل الأصوات واحدة .

وحينما تحاول مدّ صوت مثل (الميم ، الفاء ، التاء) فإنّك لا تنجح بإخراجه بعد ذلك إلاّ مشوّهاً ، لأن الجبهة الأخيرة للنبضة ستكون مشوهةً .



شكل (٢٣) يمثل الخلل في الصوت بعد مدّ الزمن .

تتشكّل في داخل مربع النبضة الصوتية صورةٌ جامدةٌ للصوت . والغلاف الخارجي للنبضة وحاملها ابتداءاً وانتهاءاً هو الألف .



شكل (٢٤)

حرف الألف يحمل الأشكال المتنوّعة للأصوات

ولكلّ صوتٍ صورة مختلفة داخل هذا الحيّز . وبإمكانك أن تجرّب أنه ليس بمقدورك مطلقاً نطق أيّ صوتٍ من غير الاستعانة بالألف ابتداءاً أو انتهاءاً ، علماً أن ظهور الألف هو بالفتحة أو

الضمة أو الكسرة في العربية أو هي أحرف العلّة في الإنكليزية : [a - o - e - i].

وذلك لأن هذه الأصوات التي نسميها أحرف ليست في الواقع إلاّ حالاتٌ مختلفةٌ للوضع الابتدائي نفسه لآلة النطق ، أي حالاتٌ مختلفةٌ للألف .

ومعنى ذلك أن اللسان يكوّر الألف ويشكّل منه غلافاً لنبضةٍ صوتيةٍ ويستعمل هواء الألف لتكوين الصورة الجامدة ، ويُبقي شيئاً منه للالتحام . إن الصورة الجامدة هي تمثال للحركة ولكنه تمثال ينبض بالحيوية ولا يرقى إليه أي مستوى من النحت لأيِّ مخلوقٍ ينحت بيديه .

بإمكاننا الآن أن ندرك جزئياً لماذا تدخل الأحرف (أ ، ي ، و) في كلِّ المفردات لتشكّل اشتقاقاتٍ متنوعةً ؟ . ولماذا أصبحت متميزةً في النحو والقواعد ممّا دعا الى تسميتها بأحرف (العلّة) . فأما أنهم سموها هكذا لأنها تصيب الجميع بلا استثناء ، وأما لأنها (سبب وعلّة) لتشكّل الأصوات .

هذه الأحرف تدخل في المفردات جميعاً وتغيّرها . وشأنها مع الأصوات هو كما لو كانت هذه الأصوات مؤلفةً من مادةٍ عصيّةٍ على الالتحام والتجانس والارتباط إلاّ إذا استخدمت لها مادة من نفس تكوينها هي هذه الأحرف (أحرف العلّة) ، كما أن هذه الأحرف هي الأساس في الحركات . ولذلك لا يمكن المدّ في الأصوات نفسها لأنها (متحجرة) ، ويمكن المدّ فقط في المادة المرفقة معها والتي تمثّل تكوينها ، وهي مادةٌ خامٌ منتزعةٌ من مادّة الألف المتعدّدة الأشكال والتي لا زالت قابلة للاستعمال ، لأن اللسان لم يخفقها ولم يشكّلها بالصور الجامدة التي عليها باقي الأصوات .

ج ـ احتمالات التغيّر في مراكز الحركة لآلة النطق

على ضوء ما تقدّم يمكن القول أن الأسنان والشفتين هما من التوابع أيضاً . فاللسان بمراكزه المتحركة الثلاثة هو الذي يؤلف الاحتمالات الرئيسية للأصوات الأصيلة المستقلة .

إذن فهو يتناوب في تحريك هذه المراكز بالاحتمالات السبعة المذكورة سابقاً . وهذه الاحتمالات هي نفسها تتكرّر عند حدوث التغيّر في الأسنان والشفتين فتنتج نظاماً سباعياً آخر فآخر حسب وضع الأسنان والشفتين وهي أربعة احتمالات .

لنلاحظ عدد الاحتمالات بهذه الطريقة :

لذا نرمز بالعلامة (×) للأسنان والشفتين إذا كانا بالوضع الابتدائي بدون تغيّر وبالرمز (–) إذا تغيّرا وبالتناوب كما في الجدول التالي .

فحينما تكون الأسنان والشفتان بالوضع الابتدائي يشكّل اللسان سبعة أصوات . وحينما يحدث

تغيّر في الأسنان دون الشفتين ينتج سبعة أخرى ، وبالعكس حينما يكون التغيّر في الشفتين دون الأسنان ينتج سبعة ثالثة . والاحتمال الرابع هو التغيّر في الأسنان والشفتين معاً فينتج سبعة رابعة فالمجموع (٢٨) صوتاً .

الأوضاع السبعة للسان	الأسنان	الشفتان	احتمالات ظهور الحركات (سكون المراكز)
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧	×	×	أ
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧	–	×	ءَ
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧	×	–	ءُ
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧	–	–	ءِ

المجموع = ٢٨

ومن هذا المجموع بالطبع جميع الاحتمالات الأربعة للوضع الابتدائي المشار إليه في احتمالات اللسان السبعة سابقاً (A B C) .

فهذا الاحتمال (أي احتمال الوضع الابتدائي للسان) ينتج أربعة أشكالٍ للألف لا دخل للسان بها وهي (آ ، ءَ ، ءُ ، ءِ) . والتي هي أحرف العلة . بحسب التناوب لوضع الشفتين والأسنان والمكوَّن من أربعة احتمالات .

ويبقى الاحتمال الأخير وهو الاحتمال الثامن من أوضاع اللسان حيث تتغيّر جميع المراكز سوية ، وهو احتمالٌ لا يمكن تحقيقه وبإمكاننا أن نتصوّرَ أنه الوضع الذي يكشف حركة الألف نفسه وهو عين المحال .

إذن فالتقسيم الصوتي سيكون بنظامٍ سباعيٍّ يتكرّر أربع مرات ، وهذا النظام هو نظامٌ طبيعيٌّ يوجد له مثيلٌ في الكون مرتبطٌ بموجوداتٍ كثيرةٍ كما هو معلوم .

إذا أمكن تحديد العلاقة بين الاحتمالات أعلاه والأصوات المتكوّنة فقد تمّ اكتشاف الأصوات المستقلّة الأصيلة .

والعملية هي مثل ما رأيناه في الأشكال الأربعة لظهور الألف .

ففي الوضع الابتدائي أربعة احتمالات :

لسان	أسنان	شفتان	الناتج
ابتدائي	ابتدائي	ابتدائي	آ
ابتدائي	تغيّر	ابتدائي	ءَ
ابتدائي	ابتدائي	تغيّر	ءُ
ابتدائي	تغيّر	تغيّر	ءِ

إذن فالأصوات المجسمة المنحوتة الأصيلة هي فقط أربعة وعشرون صوتاً :

٢٨ - ٤ = ٢٤

وربما ظنّ البعض أن في هذا التحليل مشكلةٌ أخرى هي :

إذا كان الصوت يتشكّل بصورةٍ لحظيةٍ وبزمنٍ محددٍ فمن أين تأتي الأشكال المختلفة لنفس الصوت عند الأقوام ؟ .

وعلى عكس ما نتصوّر .. فهذه ليست مشكلةً ، لان مثل هذه الظاهرة قد وجدنا لها حلاً معقولاً الآن :

فالمظاهر الأربعة للألف هي التي تؤثّر على الصورة النهائية للصوت ، مثلها في ذلك مثل قطع (اللبِن) والطين الذي يبنى به ، فالأشخاص الذين لا يحسنون البناء وعملهم عشوائي يقدمون للبناء (اللبِن) ملطخاً بالطين .

والطين هنا واحدٌ . أما في الأصوات فهناك أربعة أشكالٍ من المادة الأولية لبناء وتركيب الأصوات مع بعضها وهي المظاهر الأربعة للألف .

إن المراكز الأساسية للسان (ثلاثة مراكز) هي التي تقوم (بتصوير) الحركة بمثالٍ شاخصٍ جامدٍ هو الصوت .

فالتلطيخ بالأشكال الأربعة للألف وتشوّه التماثيل الجامدة للأصوات بها هو بعددٍ محدّدٍ يمكن حسابه بسهولةٍ ، إذ يساوي عدد مظاهر الألف مضروباً بعدد مراكز الحركة المكوِّنة للصور الصوتية ويساوي : ٤ × ٣ = ١٢ .

وهذا الرقم مهمٌّ جداً لأنه جزءٌ من النظام الطبيعي ، وهو الجزء الذي يقوم دائماً بكشف العشوائية والتخبط والتخريب في النظام الطبيعي من خلال السماح لهذه العشوائية أن لا تحدث إلاّ بنظام محدّدٍ فهو يعمل كمذكِّرٍ دائميٍّ بصرامة النظام الطبيعي . إن تشكّل الهواء بهذه الصور المختلفة إنما ينطوي على حركة ، فالهواء يتلاشى فور تكوّن الصوت من حيث هو صورة ثم يتلاشى الصوت من بعده بفترةٍ أطول والرموز الكتابية هي الأبقى .

د . المظاهر الأربعة للألف

إن أشكال الألف الأربعة (آ . الفتحة . الضمة . الكسرة) تعتبر مادةً لبناء الأصوات وتراصِها مع بعضها ، فبدون هذه المادة لا يمكن تشكيل المفردات . وأقلُّ مفردة لا بدّ أن تتألف من صوتٍ واحدٍ مستقلٍّ مع واحدٍ من هذه الأشكال الأربعة لتكوين حركة تخصّ هذه المفردة الأحادية الصوت .

ومثل الأشكال الأربعة هذه هو مثل نهايات الشريط الذي يحمل الصور فالصورة جامدة ولكي تظهر حركه كلية من تلاحقها لا بدّ من أن تتصل مع بعضها البعض . فالتوصيلات تلك هي مثلٌ للأشكال الأربعة للألف . هل يمكن أن تكون هناك صورٌ بغير شريطٍ حاملٍ مادي أو راديوي أو موجي ؟ .. كلا !!

ولما كان كلُّ صوت يحتاج الى أن يظهر محمولاً على مادةٍ وتظهر نهايات المادة من الطرفين فعند التركيب الفعلي . للمفردات . كما في الشريط تعمل المادة التي بين الصور بشكلٍ مشتركٍ أي أنها توصل بين صورتين والنتيجة : إن كلّ صوت يحتاج الى حركةٍ (علامةٍ) واحدةٍ .

وبالطبع من الممكن (تسكين) أحد الأصوات بصورةٍ مفاجئةٍ وذلك عند انتهاء مقطعٍ معيّن ، لأن مادة الصور الأربع لا تعني سوى الاستمرار ببناء الأصوات .

فعند توقّف الشخص الذي يحاول بناء هيكل من مكعبات عند حدٍ معينٍ حسب التصميم فإنّه لا يستمر بوضع المادة اللاصقة لتلك القطع . وحينما يبدأ بالقطعة الأولى لا بدّ من مادةٍ لاصقةٍ ، إذ لا يمكن التعبير عن أي شيءٍ طبيعيّ بحركةٍ جامدةٍ واحدةٍ .

هذا يفسر لماذا نبدأ دوماً بأحرفٍ متحركةٍ في حين يمكننا التوقف على الأحرف الساكنة ، بل يتوجّب ذلك .

لأنك لو قلت : (رأيتُ صديقيَ القديمَ) وحرّكت (القديم) بالفتح انتظرَ السامع تكملة الكلام وإذا سكّنت القديم علم أنك قد أنهيت الجملة .

فهذه الفتحة مادة لبناء أو لصق الصورة الجامدة . فالسامع ينتظر صورةً أخرى إذا تلقّت أذنه الفتحة .

إن القول : (العرب لا تبدأ بساكن ولا تقف عند متحرك) ليس في الواقع مخصوصاً بالعرب وحدهم ، فهو قانون بنائي عام للأصوات وتركيبها وهو قانون طبيعي .

إذا أخذنا المفردات الثلاثية الأحرف ، وهي الأكثر شيوعاً كما سنرى فستحتاج وهي منفردةٌ الى حركتين في الأقل .

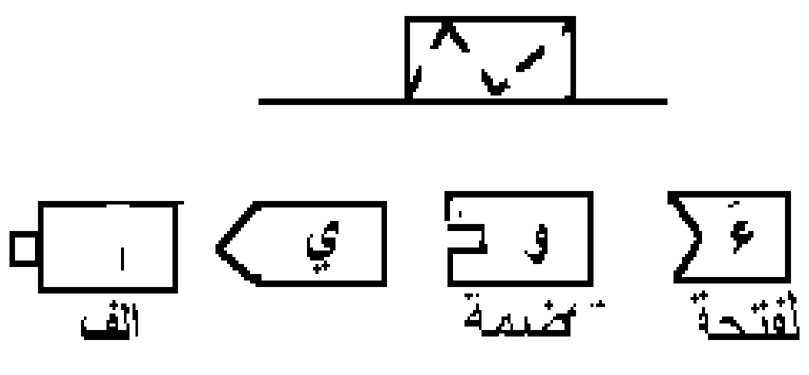
وإذا أحصينا الاحتمالات المتكونة من الصور الأربعة بترتيبها بنظام ثنائي وجدنا احتمالاتها تساوي (١٢) احتمالاً كما يأتي :

٤ ٣ ٢ ١ :   ٢ ، ١   ١ ، ٢   ٣ ، ٢   ٤ ، ٣
              ٣ ، ١   ١ ، ٣   ٤ ، ٢   ٣ ، ٤
              ٤ ، ١   ١ ، ٤   ٢ ، ٣   ٢ ، ٤

ولكن هناك أربعة احتمالات أخرى وهي المكررات : (١,١) ، (٢,٢) ، (٣,٣) ، (٤,٤) فالمجموع إذن هو (١٦) احتمالاً .

إذن كلّ صوت من الأصوات يمكن أن تدخل إحدى الحركات في أوله أو آخره فتتكوّن بذلك ثمانية حالات لكلّ صوتٍ وهي الحالات التي تجعله مهيئاً الآن للالتصاق بصاحبه (الحرف الآخر) وهذا يؤدي الى ارتفاعٍ شديدٍ في الاحتمالات الكلية الممكنة مثل : [ءَ ج ، جأ ، يج ، جي ، وج ، جو ، آج ، جآ] . وهذه المرونة ضروريةٌ لتشكيل مفرداتٍ متنوعةٍ جداً على نفس التسلسل .

يمكن تصوّر أن الصوت الواحد هو عبارةٌ عن (نبضةٍ) بزمنٍ واحدٍ كما في الشكل المستطيل أما المظاهر الأربعة للألف فيمكن مدّها الى أطول من ذلك ولنفرض أن أشكالها كما في الصورة الآتية :



شكل (٢٥) المظاهر الأربعة للألف

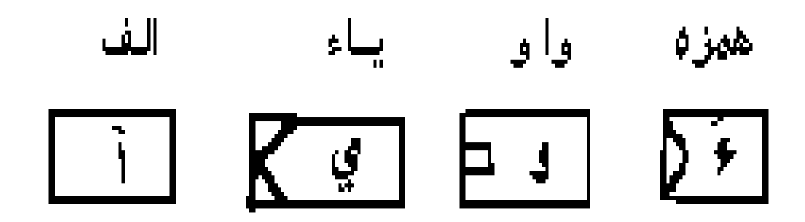
كلّ صوتٍ لا بدّ أن يرتبط بتوصيلةٍ واحدةٍ من هذه الأربعة ليمكنه الارتباط بصوتٍ آخرٍ كما لو كان كلُّ صوتٍ يعرّف نفسه للآخر مستعملاً إشارةً من مادّته الأصلية التي تكوَّن منها .

ولكن هناك ظاهرة أخرى :

إذ يمكن إغلاق تلك الأشكال وتكوين نبضاتٍ منها تسلكُ سلوكَ الصوت المستقل .

وإذا حدث ذلك تكوّنت ثلاثة أصواتٍ جديدةٍ : الهمزة بقطع حركة الفتحة وتشكيلها كما تتشكّل الأصوات الأخرى والواو والياء .

وحينمـا تتحـوّل الحركـات الـى أصـواتٍ وتـدخل الـى البنـاء بهـذه الصـورة فأنـهـا تحتـاج الـى (توصيلات) كما لو كانت أصواتاً فعليةً . ويمكن أن نتصوّر أن شكلها بعد الإغلاق هو كما في الرسم أدناه :



شكل (٢٦) إغلاق المظاهر الأربعة للألف لتشكيل أصوات مستقلة

لكنها في هذه الحال لا تأخذ زمناً محدداً فيمكن مدّها بخلاف باقي الأصوات .

ويبقى الألف هو وحده الذي لا يطرأ عليه أي تغيير ، لأنه المادة الجوهرية فهو صوتٌ لا حركـةٌ ، ولكنـه صـوت لـم ينـتج مـن حركـةٍ فـي المراكـز المـذكورة لآلـة النطـق ، وذلـك هـو تميّزه عن جميـع الأصوات . وهذا الصوت هو أجلى مظاهر الألف الحقيقي الآتي الى آلة النطق .

إن لعملية البنـاء تكملـةً تـأتي فـي أحد أجزاء هذا الكتـاب بعد التعرّف علـى الحركـة الكامنـة فـي الأصوات .

هـ . العلاقات العددية في أسماء الحروف مع أجزاء آلة النطق

لماذا نسمّي الحرف (ن) هكذا : نون ولا نسمّيه (ناء) مثل تاء وباء وثاء ؟

ولماذا لا نسمي هذا الحرف (نيم) على غرار (ميم) ؟

ولماذا لا نسمي هذا الحرف (ناف) على غرار قاف ، كاف ؟

ومن الممكن أن تسأل ذلك عن أيّ نوعٍ من الحروف : لماذا لم نسمّه على غرار النوع الآخر ؟

ولا يهتم الباحثون بمثل هذا الأمر ، فهذه الأسماء الخاصّة بالحروف شأنها عندهم شأن ملايين الألفاظ التي وضعت اعتباطاً ، إذ يكفي عندهم أن الحرف المشار إليه تبدأ به هذه الأسماء للدلالة على صوت ذلك الحرف .

غير أننا نرى أن هذه التسمية ليست اعتباطيةً مطلقاً ، وإنما هي متّصلة بالحركة الداخلية للأصوات وتنوّه في حقيقة الأمر عن هذه الحركة .

في اللغات الأخرى كالإنكليزية لا يظهر هذا التنوع في التسميات فقد دخلت الألف والياء على بعض الحروف ابتداءاً وعلى البعض الآخر انتهاءاً لتحقيق الأسماء على الترتيب مثل :

أي ، أم ، أس ، أن ... [an , am , as , an ,....] ومثل :

بي ، سي ، دي ، كي ... [be , ce , de , kae ....]

ولكن في اللغة العربية توجد أسماءٌ للحروف تثير الاستغراب والدهشة ، فقد (دخلت) الأصوات مع بعضها البعض لتسمية نفسها بأسماءٍ مختلفةٍ كما لو كانت عائلةً متألفةً من أشخاصٍ عقلاءٍ جداً . ونجد في اللغة اللاتينية آثارٌ مثل هذه .

هذا الأمر المدهش للغاية ستلاحظون تفسيره في آخر هذا الكتاب وهو تفسير بالغ المتعة.

ولكني هنا أريد التنويه الى العلاقات العددية لهذه الأسماء مع الأعداد الواردة في الشرح السابق لآلة النطق ومراكز حركتها واحتمالاتها .

فالأرقام التي كانت لدينا هي :

(3) = عدد مراكز حركة اللسان (تكوين الأصوات).

(5) = العدد الكلي لمراكز الحركة .

(7) = عدد احتمالات وضع اللسان (الحركة الممكنة) .

(4) = عدد أشكال الألف / عدد أفراد المراكز الثانوية للحركة .

(12) = عدد احتمالات التغيرات الصوتية .

(24) = عدد الأصوات المستقلة الأصيلة .

(28) = العدد الكلّي للحروف .

(2) = عدد المراكز الثانوية للحركة (الأسنان والشفتان) .

(8) = عدد الاحتمالات الكلية لوضع اللسان .

والآن لنلاحظ هذه الأرقام الخاصة بالأسماء :

أ . (١٢) : اثنا عشر حرفاً تسمّت بحرف الألف والهمزة وهي :

[ب ، ت ، ث ، ح ، خ ، ر ، ز ، ي ، هـ ، ط ، ظ ، ف]

ب . (١٢) : اثنا عشر حرفاً اعتمدت في أسمائها على حروفٍ أخرى لا علاقةَ ظاهريةً لها بهذه الحروف وهي :

[ص ، ض ، د ، ذ ، ع ، غ ، ق ، ج ، ك ، ل ، س ، ش]

ج .(٣) : ثلاثة أحرف لا يمكن تسميتها إلاّ بنفسها فكرّرت صوتها نفسه مستخدمةً حرفاً وسطياً يعمل كواسطةٍ . وهي :

[(م ـ ي ـ م) ، (و ـ ا ـ و) ، (ن ـ و ـ ن)]

ولكن الطريف أن الأحرف الوسطية هي ثلاثةٌ أيضاً ، فاستقلّ كلُّ حرفٍ بوسيطٍ لوحده . ونلاحظ كذلك أن الوسطاء الثلاثة هم مظاهر الألف (أحرف العلة) .

٤ : نلاحظ أيضاً أن الحروف التي تسمّت بحروفٍ هي غيرها ، منها أربعة حروفٍ اعتمدت على حرف (النون) وتوسّطت جميعاً شكلاً واحداً للألف هو الياء وهذه الحروف هي :

[ع ، غ ، س ، ش] . والجميع بإضافة : ي ـ ن

نلاحظ كذلك أن الباقي من الأحرف الاثنى عشر في الفقرة (ب) بعد إخراج المجموعة التي فيها (ي ـ ن) هو ثمانية .

د . (٨) : هذه الثمانية المتبقية (مجموعة الثمانية) من الفقرة السابقة توزّعت على أربعة أزواج ، وكلّ حرفين منها اعتمدا على حرفٍ ثالثٍ وعلى النحو التالي :

مجموعة دال = صاد ، ضاد

مجموعة لام = ذال ، دال

مجموعة فاء = قاف ، كاف

مجموعة ميم = جيم ، لام

فالمجموع ثمانية

٥ . نلاحظ أن حرف الألف قد دخل سبع مرات في مجموعة الثمانية .

و . إذا أحصينا الحروف التي استخدمت (كأسماءٍ) لتسمية الحروف الاثنى عشر في الفقرة (ب) وجدنا أن عددها خمسة حروف وهي على التوالي :

(نون ، دال ، لام ، فاء ، ميم) .

ز . إذا لاحظنا الحروف الخمسة هذه وجدناها استعملت لنفسها وسطاء من حرف الألف كما لو كان الأمر نظاماً محدّداً :

ثلاثة بالألف وهي الحروف : دال ، لام ، فاء

واحد بالواو هو : نون

واحد بالياء هو : ميم

وهي أحرف العلّة الثلاثة ، فتم التنويه عن الثلاثة بثلاثةٍ من الخمسة .

ولكن أكثر الأشياء دهشةً وإثارةً ويمكنه فتح بابٍ لمعرفةٍ أعمقٍ بكثيرٍ هو أن حرف الألف الذي تتألف منه الحروف لم يسمِّ نفسه إلاّ بنفسه وبحرفين من الخمسة :

ألف = ألف ، لام ، فاء

ولكنه اخذ (أل) التعريف رغم أنف الجميع حتى لو لم تعرّفه بأل التعريف . إذ لو قلت (ألف) بدل (الألف) لبقيت أل التعريف ملاصقةً له ولا تنفك عنه . فكأنه يقول أنه معرّف بذاته ولا يحتاج الى تعريفٍ وبالتالي فهو الذي يشكّل الصور المختلفة ولا يمكن تشكيل صورةٍ له .

ح . (٧) : إذا أحصينا الحروف التي اعتمدت على تسمية نفسها ولم تتّصل بالألف مباشرةً كمجموعاتٍ وجدناها سبع مجموعاتٍ تعبّر عن المجاميع السبعة لأوضاع اللسان وهي :

١ . مجموعة الثلاثة (أحرف العلة)

٢ . مجموعة الألف (الألف وحده)

٣ . مجموعة النون

٤ . مجموعة الدّال

٥ . مجموعة اللام

٦ . مجموعة الفاء

٧ . مجموعة الميم

ط . (٤ ، ١) : إذا لاحظنا الأسماء الخمسة أعلاه من حيث أسماءها هي وجدنا أن أربعةً منها تسمّت بأحرفٍ غير الألف وواحداً فقط هو الذي تسمّى بالألف وهو الفاء إشارة الى أن الألف هو واحدٌ دوماً . وإذا لاحظنا الباقي فهو بالطبع أربعة . وهذه الأربعة هي مظاهر الألف فحيث لا يظهر الألف نفسه تظهر مظاهره . وبالإمكان التوسّع بالكشف عن هذه العلاقات العددية ، ولكني

اترك الأمر للباحثين لعلّه ينفعهم في استخلاص منهجٍ لدراسة اللغة يتّسم بالتواضع أمام النظام التكويني والنظام التشريعي لخالق آلة النطق عزّ وجل .

و . العلاقات العددية لأجزاء آلة النطق مع الصيغ الاشتقاقية

في الشكل (٢٧) مخططٌ واضحٌ لمجموع الصيغ الاشتقاقية للأفعال . الدائرة الصغيرة ترمز الى التسلسل (ف . ع . ل) . والمربع الصغير يرمز إلى التسلسل (فاعل) ويوضع .

نلاحظ وجود علاقاتٍ عدديةٍ أيضاً وكما يلي :

. صيغ المخاطبين : كلُّ حقلٍ فيه خمس صيغٍ وعدد الحقول ثلاثةٌ بعدد مراكز الحركة الفعلية .

. صيغ الغائبين : اثنا عشر صيغةً بعدد الحروف المعرّفة بالألف أو بعدد الحروف المعرّفة بغيرها.

. صيغ المتكلمين : ثمان صيغٍ بعدد الاحتمالات الكلية .

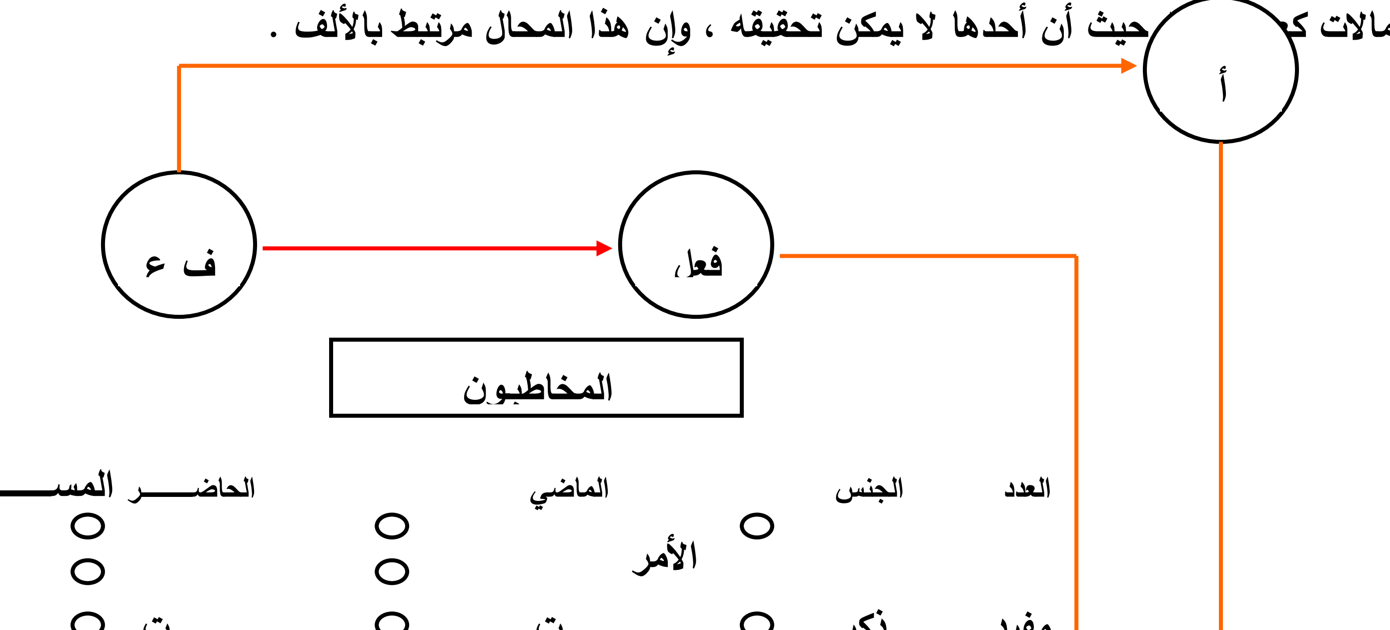
. إذا لاحظنا أسماء الحروف فهناك ستة من الأسماء استخدمت (الياء) كوسيطٍ للتسمية هي : (س ، ش ، ع ، غ ، ج ، م) حيث توسّطها الياء جميعاً .

ولو لاحظنا الآن صيغ الأسماء في المخطط لوجدناها ستَّ صيغٍ أيضاً كأنها نظامٌ صوتيٌّ يرصد الأصوات : (فاعل ، فاعلة ، فاعلون ، فاعلتان ، فاعلان ، فاعلات) . وهذا الرقم (٦) مهمٌ جداً في مدلول الاسماء وعلاقة وجودها بحرف الياء .

مجموع الصيغ كلها (٢٥) صيغةً وهي بعدد الأصوات المستقلة (٢٤) . وكأنما رمز لمظاهر الألف بواحدٍ فقط وأضيف إليها فأصبحت (٢٥) صيغةً وهو أقلُّ رقمٍ للصيغ يمكنه أن يعطي مدلولاتٍ للأشياء بدون التباس .

. إذا أحصينا الهمزات في هذا المخطط فهي (٧) وهي إشارة واضحة إذ هي أولى حركات الألف وارتباطها بهذا العدد هو لإيضاح العدد الكلي للاحتمالات الممكنة النطق في مراكز الحركة .

ـ إذا أحصينا عدد المرات التي تكرر فيها الألف في المخطط فهو ثمانية وهو يشير الى الاحتمالات كـ حيث أن أحدها لا يمكن تحقيقه ، وإن هذا المحال مرتبط بالألف .



ـ بعد تشكّل المفردة وتلاحمها لا يمكن فكّ الترابط بين أعضائها مع الحفاظ على مدلول التسلسل إلاّ بأداةٍ قادرةٍ على ذلك لكونها من المادة التي تألفت منها تلك العناصر . وهذه المادة هي الألف ومظاهره الأربعة .

وهناك علاقات أخرى يمكن التوسّع فيها لملاحظة الجذور الدالة على وجود النظام اللغوي العام بالدّقة التي تلاحظ في الأنظمة الطبيعية بشكلٍ عامٍ .

١٦ . عــــــــام

١. إن بناء المفردات من الأصوات هو باحتمالاتٍ لا متناهيةٍ إذا أخذنا بعين الاعتبار أن المفردات تُبنى أيضاً في الجمل والعبارات . أما المفردات في وضعها المستقلّ فتعبّر عن الأشياء التي هي بالطبع محدودةٌ مهما كثرت ، وفلسفياً هذا يعني أن الفكر لا نهائيٌّ بعكس الوجود الذي هو محدود . ذلك أن الفكر . يخلق وجوداتٍ بصورةٍ مستمرةٍ لأن الخيال الفكري أبعد من الحدود الموجودة فعلاً .

٢. إن الصوت هو صورةٌ جامدةٌ لحركةٍ تكوّنت بسرعةٍ هائلةٍ وجمدت على حالها كما ذكرنا سابقاً . فإذا كانت الحركة المراد وصفها يكفيها صوتٌ واحدٌ للوصف لأنها حركةٌ جزئيةٌ غير متكاملةٍ فهو ذاك إذن . وإذا كان يكفيها صوتان فهذان الصوتان سيعبّران عن تلك الحركة من خلال تلاحمهما . وإذا ثلاثة فثلاثة . وإذا أكثر من ذلك فأكثر وهكذا . والأكثر وضوحاً لوصف حركةٍ ما والأقل (جهداً) هو بالطبع ما تألف من ثلاثة أصوات . فالنقاط الثلاثة تمثل خطاً فيه بداية ووسط ونهاية ، أو (ميلاد ، حياة ، موت) أو (طفولة ، شباب ، هرم) أو كما تشاء من تعبيرات للزمن بالوصف (كان ، يكون ، سيكون) .

إذن فالمفردات الثلاثية الأحرف هي الأكثر شيوعاً في اللسان الطبيعي .

والى حين ظهور هذا الشرح مع معاني الحروف فسنأمل الانتهاء من البحث والجدال في منشأ اللغة هل هو ثلاثي أم ثنائي أم أحادى أم هو رباعي ؟ .

إن مثل الحركات في الأصوات كمثل الصور المتلاحقة في الشريط السينمائي فهي صورٌ جامدةٌ وكلٌّ واحدةٍ منها يعبّر عن (نقلةٍ) واحدةٍ في الحركة قد تستعمل أو قد لا تستعمل . والفارق أن تلك الصور هي حركاتٌ محدّدةٌ وخاصةٌ ، أما حركات الحروف فعامّةٌ .

ومن الممكن وجود تغييراتٍ في الوجود والطبيعة والناس هي عبارةٌ عن نقلةٍ واحدةٍ فقط يكفي لوصفها حرفٌ واحدٌ . أو نقلتان . فيعبّر عنهما بحرفين .

إذا تصوّرت رجلاً يرفع كرةً من الأرض ويستقيم واقفاً ثم يرفعها خلف رأسه بكلتي يديه ، وبعد ذلك يقذفها الى الأمام . فإن الشريط السينمائي سيعبّر عن هذا التصوّر بصورٍ جامدةٍ لكنها كثيرةٌ جداً وسبب كثرتها هو مسألةٌ فيزيائيةٌ تخصّ العين لا غير . إذ يتوجّب لغرض مخادعة العين إمرار عشرة صورٍ لكلِّ نقلةٍ أمدها ثانيةٍ واحدة ليرى المرء أن الرجل الرياضي يتحرّك فعلاً . ولكن الحقيقة أننا نرى صوراً جامدةً عديدةً متلاحقةً بعضها إثر بعض . وليست هناك مشكلةٌ مثل هذه في الأصوات . فإذا افترضنا أن ثلاثة أحرفٍ يعبّر كلٌّ منها عن نقلةٍ ما فإن تلك الحركة لا توصف إلاّ بثلاثة أحرفٍ وبتسلسلٍ معيَّنٍ . وإذا تابعنا آراء البعض وعكسنا التسلسل وقلنا لا فرق

صارت الكرة تأتي من الهواء ويأخذها الرياضي من فوق رأسه وينحني ليضعها على الأرض .

وسوف يختلف الأمر بيننا إذ هو عندنا يريد تحقيق هدفٍ وعند الآخرين يريد الخلاص من هدفٍ كان محققاً إلاّ قليلاً . وهذا هو الفرق بين اللغة الموحدة ونظريات اللغة القائمة .

٣. في المثال السابق . إذا كان الرافع للكرة قد أطلقها من يده وضربها بقدمه في حالةٍ ثانيةٍ ، وفي حالةٍ ثالثةٍ أطلقها من إحدى يديه وضربها بالأخرى . فإنه عند محاكاة هذه الحركات في عالم الأصوات فإنها ستوصف بثلاثة مفرداتٍ اشتركت بالحرف الأول فقط . وحيثما كان هناك انحناءٌ ورفعٌ فيأتي نفس الحرف سواء في وسط الشريط الذي نفترض أنه يصور هذه الحركات سينمائياً أو في نهايته أو في أوله . وهذا بالطبع مجرد مثال . والمقصود منه أن الحرف يؤدي حركةً واحدةً فقط هي ذات الحركة أينما يأتي في أيّة مفردةٍ وفي أيّة لغةٍ . فاللغة من هذه الناحية هي لغةٌ واحدةٌ وكلٌّ تسلسلٍ بعددٍ من الحروف إنما يصف حركاتٍ بعدد هذه الحروف بيد أنها بنظامٍ تعاقبيٍّ محددٍ وصارمٍ سوف نوضّحه لاحقاً .

٤. يجب أن نفرّق الآن بين الصوت باعتباره حركةٍ جامدةٍ وبين الحرف الكتابي . فالحرف الكتابي في اللغة الموحدة قد أصبح رمزاً لتلك الحركة الجامدة ومع ذلك فهذا الرمز لم يكن عشوائياً لأنه انعكاسٌ لنظام الأصوات والمفردات .

إن الصورة الكتابية نفسها ليست عشوائيةً أيضاً . فمع الاختلاف الشديد بين الصور الكتابية لمختلف اللغات فإن هناك أشياءٌ مشتركةٌ كما إن هناك جذورٌ ذات صلةٍ بالحركة وربما تبتعد الصورة الكتابية عن الأصل ولكنها لا تفقد الصلة مع الحركة الجامدة بشكلٍ تامٍ كما ستلاحظه في موضعه من جزءٍ لاحقٍ إنشاء الله .

٥. إن الأمثلة التي سنسوقها ستكون من اللغة العربية بصورةٍ عامةٍ . ولسنا نقصد منها إظهار خصائص هذه اللغة ، وإنما نقصد أساساً إلى إظهار القوانين العامة للأصوات . ويتوجب إذن معرفة الطريقة التي تمَّ بها استغلال تلك القوانين في اللغات الأخرى .

إن مثل الصوت هو مثل رجلٍ له عملٌ محددٌ اختصَّ به وهو لا يحسن سواه ، ولكنه إذا كان يعمل في بلاده (نجاراً) مثلاً فيقوم بصنع الأثاث وغيره ، فقد يُكلف في استراليا بمهمة قطع أشجار الغابات . وعند ذهابه الى اليابان فربما يكلِّفونه بتغليف مقاعد السيارات ! . ولكن أهل الأهوار سيفرحون بمجيئه ليعمل لهم القوارب السهمية الشكل ليتنقلوا بها داخل الأحراش وغابات القصب النابتة في الماء ما داموا لا يفكرون بأثاثٍ فخمٍ ولا سياراتٍ ولا يحيط بهم سوى القصب .

إن ما نراه من اختلاف في استخدام الحرف أو التسلسل هو من هذا القبيل ، وعلينا أن نبحث عن الشيء المشترك في سلوك الحرف أو التسلسل في جميع اللغات .

وإذا سأل أحدٌ ما عن حرفة الذي هو في عين الوقت : (صانع أثاث ، مركِّب زوارقٍ ، مغلِّف مقاعدٍ ، قاطع أشجارٍ) ؟ . فليس من المعقول القول أنّك إذا قلت في الإجابة : حدّادٌ أو طبيبٌ أو أديب أو نجار فالأمر سواء بسواء .

ولكن هذا هو كلُّ ما حصلنا عليه من علم اللغة السابق : إجاباتٌ من هذا النوع .

إن نظرية اللغة الموحدّة تنطوي على تفاصيلٍ كثيرةٍ يمكن إدراكها من غير إشارةٍ ، وتتضمَّن ذاتياً إجاباتٍ وتفسيراتٍ وردوداً على جميع الظواهر اللغوية التي تعجز النظرية البنيوية عن إيجاد تفسيرٍ لها . كما تتضمَّن ردوداً على التفسيرات الموضوعة لتلك الظواهر حسب النظرية القديمة .

ومن تلك الظواهر التغيّر في اللغة وعلاقته الغامضة بالتطوّر المذكور في البنيوية ، ومنها عدم أو قدرة اللغة في حماية نفسها ، ومنها الفرق بين اللغة والكلام ، ومنها قيمة المفردة ، ومنها الأمثال المضروبة في النظرية القديمة لظواهر اللغة . تلك الأمثال العجيبة التي سنفنّدها لاحقاً .

ولا أريد الخوض في جميع التفاصيل لأن انبثاق الإجابات والتفسيرات الملائمة والمتلائمة من النظرية الموحدّة واضحٌ وضوحاً كافياً .

ولكن بسببٍ من احتمال وصف النظرية الموحدة بالغموض من قبل البعض أو احتمال أن يقال أنها تركت تفسير الظواهر اللغوية الأخرى فسأذكر نقاطاً مركزةً جداً . على أن مثل هذا الاتهام المحتمل لو ذكر مع عدم تضمّن هذا الكتاب لأي شيءٍ سوى معاني الحروف فإني شخصياً أعدُّه جهلاً بالأمور وتعدّياً على قواعد العلم والمنطق ، لأنّ في موضوع معاني الحروف بمفرده إجاباتٌ شافيةٌ على جميع التساؤلات ، وهو بذاته إعلانٌ عن موقف النظرية من جميع المناقشات ، وبالطبع فإن إجابات هذه النظرية ومواقفها منسجمةٌ مع بعضها البعض ويؤيّد كلُّ جزءٍ منها الأجزاء الأخرى بخلاف ظاهرة التبعثر والتناقض في النظريات البنيوية والتي اعترف بها البعض بصورةٍ أو بأخرى .

لنلاحظ الآن مجموعةً من الأمثلة المضروبة على اعتباطية اللغة والأفكار المتصلة بها :

١٧ . مناقشة الأمثال الاعتباطية في علم اللغة

من المؤسف أن نقول : إن الأمثال المضروبة للظواهر اللغوية أو الأفكار التي تحاول تفسير اللغة كانت نفسها أمثالاً لا تصلح لهدم البنيوية ونسفها وحسب ، وإنما هي أمثالٌ لا تدخل هناك إلاّ وأحدثت تناقضاً في أسس البنيوية وعلم الأصول الذي أسّس تلك النظرية .

وهذا أمرٌ محتومٌ لأن إدخال أمثلةٍ من النظام الطبيعي في فكرةٍ متناقضةٍ لا يقوم إلاّ بإبراز التناقض وجعله ينمو نمواً سريعاً .

فلم ينتبه العلماء الى أن الأمثال نفسها كانت متَّجِهةً الى جهةٍ غير التي أرادوها منها ، فهي متجهةٌ الى نقض علم اللغة وليس إلى تأييده .

أولاً : مثل الماء

ضُرب هذا المثل لإظهار عدم وجود قيمةٍ للمفردة إلاّ بعد أن تتعلّق بالمدلول حيث قالوا:

هناك عنصران هما الصوت والفكرة كلاهما غير واضحٍ ولا شكل له ، والصوت لا قيمة له . ولكن بعد إطلاق اللفظ على فكرةٍ ما تظهر قيمةٌ للصوت (معنى) وتبرز الفكرة وتتحدَّد معالمها .

والمثل المضروب هو تكوّن الماء الذي يختلف كلياً عن العنصرين المتكوِّن منهما وهما الهيدروجين والأوكسجين .. وهذه هي خلاصة المثل .

وبالطبع لا يوجد مثلٌ من الطبيعة يصلح لأداء هذه الفكرة (اللافكرة) !

فإنهم يتحدثون عن (القيمة) نفسها ابتداءاً وفجأة وعند ضرب المثل يتحوّل الحديث الى الخصائص ! . ومع ذلك فإن الأمر ينكشف لأن هناك بابٌ واحدٌ للدخول مهما استمرَّ الدوران .

والمفروض البقاء في نفس الوحدات . فالعناصر المكوِّنة للماء هي عناصرٌ مستقلّةٌ ذات قيمةٍ قبل الاتحاد ، ولها خصائصٌ معلومةٌ لا تقلُّ أهميةً عن المركّب المتكوِّن منها إنْ لم نقل أنها أهمّ .. حيث أننا نستطيع أن نمتنع عن الماء لمدّة يومين أو أكثر ، ولكننا قد نموت إذا امتنعنا عن الأوكسجين مدّة دقيقتين ، هذا أولاً . وأما ثانياً : إن العنصرين المكوِّنين للماء متكافئان أو أنهما كليهما ذوا طبيعةٍ غازيةٍ ، بينما الصوت والفكرة شيئان مختلفان تماماً .

وإذا كان المقصود من المثل هو فقط لتشبيه الاختلاف الحاصل في الناتج عن جميع عناصره ، فإن (فكرة الاختلاف عن عناصره) داخلةٌ في أجزاء المثل نفسه وعناصره ، إذ لا يمكن غضَّ الطرف عن قيمة العناصر وحدها .

إننا نطالب علماء اللغة بمثلٍ يبرز (الفكرة) من الطبيعة أو من أيَّة حركةٍ ولو كانت

عشوائيةٍ تقوم بها الكائنات ، مثلما نطالب الأصوليين في العالم الإسلامي بنفس المطلب .

ولكنّنا نؤكد مرّةً أخرى بأنّه لا يمكن الإمساك بِمثلٍ من هذا النوع ، ذلك لأنّ (اللافكرة) وبكلِّ بساطةٍ ليس لها أيُّ مثل .

ثانياً : مثل الألوان

وهذا المثل مشابهٌ للمثل السابق في التخليط وتلبيس الأمر . فاللون كما يزعم البنيويون تظهر قيمته في اللوحة حين يدخل في أحد الأشكال في الصورة ، وقبل ذلك فليس له قيمةٌ محدّدةٌ . وهم يقولون أيضاً أنه بسبب هذه الفكرة فمن الممكن أن تكون هناك أيَّة مفردةٍ بديلةٍ للمفردة الأخرى ، لأن اللغة من هذا الجانب اعتباطيةٌ .

فلنقترح إذن على الرسامين الفقراء أن يستخدموا أيَّ لونٍ يجدونه متيسِّراً ويضعونه على أيِّ جزءٍ من اللوحة التي يرسمونها ما دام دي سوسير يقول أن اللون لا قيمة له سابقة على وجوده في اللوحة .

هل نُطالبُ بإيضاح الأمر بأكثر من هذا الاقتراح ؟

حسناً .. إذا كان الأمر لا زال ملتبساً الى هذا الحدّ .. فإننا نقول أن المخادعة تكمن في محاولاتهم دمج القيمتين في قيمةٍ واحدةٍ . ذلك أن لكلِّ لونٍ قيمةً محددةً سلفاً وعندما يظهر في جزءٍ من اللوحة فليست اللوحة هي التي تمنحه القيمة الجديدة إننا نقول العكس !.

نقول : إن اللون منح قيمته للوحة ، وجعل السماء مثلاً تظهر أنها سماء زرقاء بزرقته والشجرة أنها شجرةٌ خضراء بخضرته . فماذا سيقول البنيويون عن هذا القول ؟

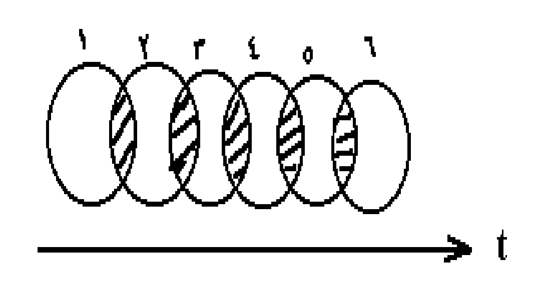
إن اللوحة هي التي أعطت للّون (حيزاً) لإظهار قيمته الكامنة فيه وهذا هو كلُّ ما حصل وهو عين ما تقوله اللغة الموحّدة . فلولا أن في كلِّ لونٍ قيمته المتأصلة فيه لما انتخب الرسّام من الألوان ما يمكِّنه من إظهار فكرته ! . إذن فاللون يحمل قيمةً ذاتيةً كامنةً فيه قبل اللوحة . وبالطبع فلا شأن لنا بالذي يعبث بالألوان كيف يشاء ولا بالذي يهذي كيف شاء .

ثالثاً : مثل النظام الشمسي

ضُرب هذا المثل كتشبيهٍ لفكرة التوازن الذي يحصل في نظام اللغة بعد التغيّر . إن العلاقات في هذا المثل هي بين المصطلحات الآتية : التغيّر ، التطور ، النظام اللغوي ، التغيّر التزامني (الآني والزمني) المستمر ، اللغة ، الكلام .

وسنوضّح فكرة دي سوسير كما فهمها أكثر من خبيرٍ ولكنّا سنستخدم رسماً واضحاً وطريقةً

أوضح كما سنحاول الدفاع عنه بأقصى ما نستطيع :



شكل (٢٨) يمثِّل التغيّر في اللغة

الدائرة الأولى تشير إلى موروثٍ لغويٍ في حقبةٍ قديمةٍ ، وبعد فترةٍ ما حدثت تغيّراتٌ في الكلام أدَّت الى دخولها في الموروث اللغوي الجديد (الدائرة الثانية) .

أي أن كلَّ تغيّرٍ في الكلام يصبح جزءاً من اللغة . فالكلام يقوم (بتوليدٍ) جديدٍ في اللغة أو (تطويرها) مع أنه جزءٌ منها .

والعلاقة بينهما كما يقول سوسير هي كالعلاقة بين البيضة والدجاجة ! .

ونحن شخصياً لا نرانا مقتنعين بهذا المثال ولكنّا سندافع عنه .

في الدوائر توجد نقاطٌ كثيرةٌ تمثل المفردات الكثيرة جداً . ولنفرض أنها دائمةُ الحركة داخل الدائرة . إذن فقد عبرت من الدائرة رقم (١) الى الدائرة رقم (٢) أعدادٌ كبيرةٌ من النقاط وحدثت تغيّراتٌ فيها . ويمكن في لحظةٍ زمنيةٍ أن نقول أنها اللغه كذا في الزمن كذا . ونفس الشيء يحدث في كلِّ مرةٍ يحدث فيها عبورٌ للنقاط من دائرةٍ إلى أخرى .

إذن فالدائرة (٦) لا زالت تحتوي على مفردات من الدائرة (١) .

لننطلق الآن إلى محاورةٍ مفترضةٍ مع أحد البنيويين :

اللغة الموحّدة : هل اللغة نظام ؟

البنيوي : نعم .. إنها نظام .

اللغة الموحّدة : هل يستطيع هذا النظام أن يحميَ نفسه ؟

البنيوي : كلاّ .. نظام اللغة لا يحمي نفسه ! .

اللغة الموحّدة : هل التغيّر في اللغة يتمُّ بنظامٍ ؟

البنيوي : كلاّ . . التغيّر عشوائيٌّ (اعتباطيٌّ) .

اللغة الموحّدة : لماذا لا يختلُّ نظام اللغة بهذا التغيّر إذن ؟

البنيوي : لأنه يعيد توازنه مثلما يعيد النظام الشمسي توازنه بعد حدوث تغيّرٍ فيه من مثل (إزاحة كوكبٍ عن موقعه) أو غير ذلك .

اللغة الموحّدة : ولكنك كنت قد قلت أن اللغة لا تحمي نفسها ؟

البنيوي : لا تحمي نفسها من التغيّر . فالتغيّر يحصل قسراً ولكنها تعيد توازنها مثل النظام الشمسي .

اللغة الموحّدة : حسناً جداً .. من أين يستمدُّ هذا النظام تلك القوّة التي تعيد توازنه؟

البنيوي : تأتي من كونه نظاماً . (الانتظام) نفسه قوّةٌ داخل النظام .

اللغة الموحّدة : إذن فالنظام يحمي نفسه من (اللا انتظام) ولكنه لا يحمي نفسه من التغيّر العشوائي ؟ نعم بالضبط ! . لكن متى يبدأ النظام بإعادة التوازن : مع التغيّر أم بعده ؟

البنيوي : .. ارفض الإجابة !!.

اللغة الموحّدة : ما هو الشيء الذي نفعله إذن حينما ندرس اللغة ؟ . يبدو أننا لا نستطيع أن ننتفع بأيِّ شيءٍ من الدراسة ! ، إذ لا يمكننا أن نقف ضد التغيّر العشوائي ولا يمكننا أن نكون معه . ومع أن اللغة (ملكنا) جميعاً إلاّ أنها أصبحت بهذا المعنى مثل نجوم السماء . أصبحت اللغة لا تحتاجنا لأنها تعود الى التوازن بمجرّد حدوث خللٍ ما أو بعده ، والخلل لا نفعله نحن ولا نتحكّم به ولا نسيطر عليه لنساعد اللغة على تجاوز محنتها أو التخفيف عنها . فلماذا ندرس أو نواصل دراسة اللغة يا هذا ؟ . فلنترك كلَّ ذلك جانباً ولنسألك مرةً أخرى : هل التغيّر هو نفسه التطوّر أم أنه شيءٌ آخرٌ ؟

البنيوي : بالطبع لابد أن يجيب المرء في البداية أنه شيءٌ آخرٌ .

اللغة الموحّدة : هل التغيّر هو دائماً نحو الأحسن أم نحو الأسوأ أم هو بين بينٍ أم مرة هكذا ومرة هكذا ؟ . وبمعنى آخر هل يستلزم التغيّر أن تكون اللغة أفضل من ناحية كونها نظاماً أم أدون أم أن درجة الانتظام باقيةٌ نفسها ؟ . فلنفرض أن التوازن معناه أن الانتظام هو بنفس الدرجة دوماً مهما كانت التغيّرات . فأين التطوّر إذن . لأننا نفهم من التطور أنه تغيّرٌ إيجابيٌّ ؟

ولنفرض أنك ستقول : كلا . التغيّر هو دوماً نحو الانتظام الأفضل . أي باتّجاه اللغة الأكثر انتظاماً وعندئذ يكون التغيّر هو عين التطوّر . وسوف نقول لك : حسناً جداً .. فلماذا الاضطرار الى إعادة التوازن مادامت التغيّرات تنبثق من نظامٍ حسنٍ الى ما هو أحسن وليست هي في النهاية سوى

تطوراً ؟ . ثمّ : ما المقصود بإعادة التوازن ؟ وهل تشمل جميع التراكيب المحتملة أم تشمل فقط التراكيب التي تتّصل أو يحتمل أن تترابط مع المتغيّرات فقط ؟ .

إنك أيها البنيوي وقومك تقولون أن العناصر المكوِّنة للغة (أصواتاً ومفرداتٍ) لا قيمة لها إلاّ داخل التراكيب اللغوية (وقد سبقكم بهذا القول عبد القاهر الجرجاني المنظر اللغوي المعروف) . وفي النظام الشمسي فإنّ العناصر لها قيمةٌ لأنها داخل نظامٍ . مع أن العناصر المتغيّرة في اللغة مختلفةٌ فهي تتغيّر من داخل النظام . وفي النظام الشمسي الطبيعي فإن عناصر ه باقيةٌ بقانون الاستمرارية على نفس نظامها إلاّ إذا أثّر عليها مؤثرٌ خارجيٌّ . والمؤثِّر هذا هو بالطبع مثل مذنبٍ يأتي من خارج النظام . فهل التغيّر في اللغة من داخلها أم هو من خارجها ؟

البنيوي : نرفض الإجابة .

اللغة الموحّدة : سؤالٌ آخرٌ : هل التراكيب المحتملة والتي سيبتدعها المبدعون من خطباء وشعراء هي من النظام الحالي للغة أم أنها من نظامٍ متوازنٍ يحدث في المستقبل ؟

البنيوي : هذا سؤال مزعج نرفض الإجابة عليه !!.

انتهت المحاورة المفترضة ..!!

سنقدِّم مثالاً بديلاً للبيضة والدجاجة : لأن البيضة تنتج دجاجةً جديدةً هي غير الدجاجة الأُم تماماً . فأين هي من الوحدات اللغوية ونظامها ؟ . والدجاجة الجديدة هذه ستضع بيضةً جديدةً هي غير البيضة الأولى . وهذا يعني أن الرسم السابق تكون الدوائر فيه منفصلةٌ تماماً عن بعضها . وعليه فاللغة الحالية لقومٍ ما لا علاقة لها باللغة السابقة لنفس القوم ، وهذا يعني أن هناك (تبديلٌ) وليس تطّورٌ أو تغيّر .

لكن المثال الذي سنذكره لن يتّفق مع الاعتباطية ولا التغيّر العشوائي وإنما يتّفق فقط مع النظرية الجديدة (اللغة الموحّدة) شأنه شأن أيّ مثالٍ آخر نختاره . ومثالنا هو :

إن الناس يزرعون الأرض بقطعٍ متجاورةٍ أو متباعدةٍ ، وهم خلال ذلك يزحفون على أرضٍ لم تستغل بعد ، فيصلحونها ويزرعون فيها . وفي نفس الوقت إذا رأيتهم كمجموعٍ . وهذه صفة اللغة : أنها جماعية . تراهم يتركون قطع أراضٍ أخرى لأنها ضعفت أو انقطع عنها الماء أو هاجمتها الأملاح أو المياه الجوفية أو آثار البراكين ... الخ .

فالأرض المزروعة في كلِّ لحظةٍ هي خليطٌ من أرضٍ جديدةٍ وأرضٍ موروثةٍ سبق أن زُرعت . فبعض القديم يزرع من آلاف السنين وبعضه من مئات أو عشرات ، وبعض الجديد كان مزروعاً سابقاً من مئات أو آلاف السنين .

الأرض رصيدٌ ثابتٌ فكذلك احتمالات التسلسل . إذ هي بعددٍ كبيرٍ جداً وثابتٍ .

وما نزرعه متغيّرٌ وكذلك ما نستخدمه من اللغة .

ولا نزرع عشوائياً وإنما وفق ضوابط . كذلك لا تستخدم اللغة إلاّ وفق ضوابط .

وكلُّ أرضٍ نقدر أن نزرعها نظرياً ولكن هناك مصاعب وخسائر ونحتاج الى علمٍ متطورٍ في حالات كثيرةٍ ، كذلك كلُّ تسلسلٍ نستطيع نظرياً أن نستعمله لشيءٍ ما .

وكلُّ أرضٍ نهملها تصبح قفراً وتعود الى رصيد الأرض ، كذلك يعود إلى رصيد اللغة كلُّ تسلسلٍ مهجورٍ .

ولا نسأل : هل اللغة نظامٌ أم لا ؟ لأن عناصر اللغة ذات قيمةٍ ، ولا تظهر قيمتها إلاّ من خلال نظامٍ لغويٍّ من أجل ترابطها . فالنظام تحصيل حاصلٍ لهذه القيمة السابقة .

أما أن يقول المرء أن العناصر لا قيمة لها وتتكون القيمة بعد انتظامها في اللغة ، فهو مثل أن يقول المرء أن الأرض لا قيمة لها وإنما تتكوّن القيمة بعد الزرع . وقد ينطلي الأمر على البعض بهذه المغالطة فيقال له : إنك قد ترمي الى أنه يتوجّب علينا أن نترك الأرض حتى تزرع نفسها ... !! .

وهذه نتيجةٌ تطابق النصائح التي يقدِّمها أكثر البنيويين وعلماء الاعتباط .

فعناصر اللغة (شاء البعض أم أبى) تحمل قيمتها الكامنة فيها مثل الأرض التي لها قيمةٌ كامنةٌ فيها زُرعت أم لم تزرع ، واستبعاد الكثير من العناصر لن يجدي نفعاً في تكوين نظريةٍ حصيفةٍ تفسِّر اللغة وظواهرها ، بل سيؤدي الى العكس من ذلك .

إن مَثَلُ الأرض يحقِّق ما يراد منه من حقائقٍ لإبراز التغيّر . لانهم أرادوا وصف التغيّر في الكلام من أنه يدخل في نظام اللغة . فالكلام يؤثر في اللغة واللغة هي أصل الكلام . ولكنّ مثال البيضة والدجاجة لا يحقّق هذا الفهم لأن الكلام لا يولِّد لغةً جديدةً بكافة أنظمتها كما تولِّدُ البيضة دجاجةً كاملةً فيما بعد .

بينما الأرض المزروعة هنا هي مثلٌ للكلام ، والأرض التي تزرع نظرياً هي مثل للغة . فكلُّ أرضٍ مزروعةٍ جزءٌ من الأرض الكلية ، وهي تأخذ من هذا الكلِّ وتعيده إليه . والتغيرات التي تحصل في الأرض ليست متشابهة فبعضها (يؤذي) الأرض وبعضها على العكس من ذلك يظهر قيمتها الكامنة .

فكذلك التغيّرات في الاستعمال اللغوي . وهذا الأمر هو الذي يجعلنا ندرس اللغة من أجل أن يتّضح طريق استخدامها وإظهار قيمتها الكامنة ، وهو مثل الهدف من علم الزراعة حيث يحدّد أفضل الطرق لاستغلال القيمة الكامنة في الأرض .

رابعاً : مَثَلُ النقود

حاول البنيويون إبراز (اعتباطية) اللغة من خلال مثل النقود . فأنت على رأيهم تستطيع شراء شيءٍ بالنقد الذي لديك أو استبداله بنقدٍ آخرٍ أو بفئاتٍ من غيره .

وليست الجمل التي شرحت المثل الغامض لسوسير بأطول من هذه الجملة . وهذا يعني عندهم ان المفردات اللغوية اعتباطيةٌ تماماً .

وسبب استعمال هذا المثل هو أنهم بحثوا عن شيءٍ يستعمله الناس جميعاً وهو موحّد النظام فوجدوا النقود فضربوا المثل بها .

ولكنهم فقدوا ثلاثة أشياءٍ :

الأول : القيمة حيث برزت القيمة في النقود أكثر من غيرها من الأمثال في حين أنه لا قيمة للمفردة قبل الاستعمال عندهم ، بينما النقود لا تمتلك (قيمةً دائميةً) قبل الاستعمال فقط بل هي عبارة عن (قيمةٍ) مجردةٍ .

والثاني والثالث : (التغيّر والتطوّر) والاعتباطية معاً .

ذلك لأن جميع هذه الاشياء تخضع للقيمة في النقود . فلما تحدّدت القيمة أصبح التغيّر والتطوّر وحتى التبديل بفئةٍ أخرى أو نقدٍ من نظامٍ نقديٍّ آخرٍ أو شراء حاجةٍ مرتبطاً بالقيمة ولا يحدث اعتباطاً .

لكنهم توخّوا الغموض في المثل تجنباً لمشكلةِ أنظمة النقود المتعدّدة لأن المثل ضدهم .

فالمثل ضرب في البداية لجعل المتلقّي يتصوّر أن الأمر يجري في بلدٍ واحدٍ ثمّ نقلوه في نفس العبارات الى (تبديل العملة بغيرها) من أنظمةٍ أخرى في بلاد أخرى . وعليه أن يفهم أن العملة عبارةٌ عن رمزٍ وفي البلاد الاخرى رمزوا لها برموز مختلفة . فكذلك المفردات ومثلما يمكنه أن يستعمل أيّة نقودٍ ويستبدلها فكذلك الأمم تستعمل ما شاءت من رموزٍ لفظيةٍ . وتلك هي اعتباطية اللغة . إذن هناك تلاعبٌ في عناصر المثل أخفوه عشرات السنين وإن ما حدث في هذا المثل مشابهةٌ الى حدٍّ كبيرٍ إلى ما حدث في مثل الشطرنج.

في هذا المثل اختفى صوت الدّال والمدلول (الفكرة واللفظ) أو الإشارة تماماً لأنه في النقود توحّدت الفكرة مع القيمة ، ولم تعد النقود ترمز لشيءٍ إلا لنفسها .

ويمكنك أن تسأل : هل أستطيع أن استبدل القطعة النقدية في بلادي بقطعةٍ واحدةٍ فقط غيرها ؟

والجواب : بالطبع انك لا تستطيع ذلك لأنه ليس هناك شخصٌ يستبدل دولاراً حقيقياً بآخرٍ حقيقيٍّ مثلاً . ولا يفعل ذلك شخصٌ عاقلٌ .

يمكنك فقط أن تستبدل القطعة بأكثر من قطعةٍ أو العكس ، واحدةً فئة خمسة ، بخمسةٍ فئة واحدٍ ، أو واحدةً فئة مائة بأربعةٍ فئة خمسةٍ وعشرين وهكذا .

لذلك قلنا مراراً وفي كتابٍ سابقٍ عن نظام اللغة :

لا يجوز شرح مفردةٍ بمفردةٍ أخرى ، ويجوز شرح المفردة بعبارةٍ مؤلفةٍ من مفرداتٍ عديدةٍ

فليس هناك شيءٌ يحلُّ محلّ المفردة سوى نفسها . والعبارة الشارحة ستحاول توضيح المعنى لتلك المفردة فقط .

لقد وجد البنيويون أن المثل لا يمكن إتمامه في النظام النقدي الواحد ، لأن المرء لا يستبدل قطعةً (ذات قيمةٍ) بقطعةٍ أخرى من نفس العملة تحمل نفس القيمة إذ لا وجود لقطعتين بنفس القيمة في العملة الواحدة .

ولا يمكنهم كذلك البدء بالمثل في الأنظمة النقدية المتعددة ، لأن القيمة لكلِّ اسمٍ من أسماء العملات المختلفة مختلفةٌ . فالين الياباني لا يساوي الباون الإنكليزي ولا يساوي الدولار الأمريكي وهكذا.

وهم يريدون أكثر من (رمزٍ) لقيمةٍ واحدةٍ كمثلٍ للمفردات المتعدّدة التي تطلق على المعنى الواحد وهو مطلوب لا وجود له في كل أرجاء الكون .

فماذا يفعلون ؟ . يبدءون بالمثل من القيمة الموحدة (نظامٍ نقديٍّ واحدٍ) وينتهي المثل بالأنظمة المتعدّدة . وذلك بحشر عبارة (أو استبدالها بقطعةٍ من فئةٍ أخرى) بين عبارة (شراء حاجةٍ) وعبارة (استبدالها بفئات أخرى) ، والجمع بين النظام الواحد والأنظمة المتعدّدة بعبارةٍ مكتوبةٍ بقيت نفسها تُردَّدُ في الكتب والنشريات عدَّة عقودٍ من الزمن . فالشراء والاستبدال بالفئات الأخرى يجب أن يكون في نفس النظام النقدي ، أما القطعة من فئةٍ أخرى فغير ممكنةٍ إلاّ في الأنظمة المختلفة حيث يحتمل أن تطابق قطعةٌ بعددٍ معينٍ من الفرنكات قطعةً معينةً من فئات الباون مثلاً .

والغريب أن جميع الشرّاح لهذا المثل تمسّكوا بصياغته بنفس الأسلوب الذي صِيغ به أول مرَّةٍ .

والعالم كلُّه لا زال ينتظر منهم مثلاً واحداً صحيح الصياغة يصلح لتمثيل اعتباطية اللغه أو الأفكار المنبثقة عنها . وننصحهم أن لا يفتشوا لأنهم لن يجدوا مثلاً يصلح لما يريدون .

الفصل الثاني

معاني الأصوات

أو

الحركة الفيزيائية للأصوات

١. تمهيد مختصر

أولاً : إلى وقتٍ قريبٍ جداً كنت أعتقد وبسببٍ من عدم اطلاعي الكافي على بحوث علم اللغة أن هذا العلم يدرس الأشكال اللغوية في محاولةٍ للعثور على الرابط بين الدّال والمدلول .

وحينما دفعتني دراسة الأفكار والقيم وكشف عناصر التخريب فيها الى محاولة تحديد علاقة اللغة بهذا التخريب ، توجَّهت مباشرةً الى دراسةٍ للتركيب الحرفيّ للألفاظ ومحاولة تحديد قيمةٍ معينةٍ للفظ . وكانت هذه هي دراسةٌ قديمةٌ جداً اعتبرتها ساذجةٌ حينها وقد ظهرت أهميتها بعدئذٍ هنا وتمَّ اكتشاف أربعة حروفٍ على ما سأذكره قريباً .

عندئذ أدركت أن الرابط بين الدّال والمدلول قد انكشف بصورةٍ تجعل علم اللغة سينحو منحىً آخراً ، وعندها فقط بدأت بالاطّلاع على بعض تلك البحوث .

ولكني فوجئت أن تلك البحوث قد حلّت المشكلة بين الدّال والمدلول (بإنكار وجودها) واعتبرت ذلك مبدأً هاماً (أو وحيداً) لدراسة اللغة ! .

ولذلك وضعت الفصل الأول لأمرٍ واحدٍ فقط هو إثبات أن تلك الأفكار متناقضةٌ بنفسها وقبل اكتشاف أيّ بديلٍ مناسبٍ لها باعتبار أنها قائمةٌ على أسسٍ متناقضةٍ .

ولم تكن هناك حاجةٌ غير هذه لذكر هذا الفصل لأن معاني الحروف تكفي وحدها لنسف تلك النظرية وتأسيس نظريةٍ جديدةٍ .

والغاية من ذلك واضحةٌ . وهي عدم التسليم بوجود أيّ عذرٍ لتأسيس مثل ذلك العلم المزعوم .

وجاءت لذلك السبب (بعض المصطلحات) متشابهةٌ . أمّا لأنه لا وجود لمصطلحٍ آخرٍ مناسبٍ ، وأما لأن المصطلح السابق مناسبٌ بمفهومٍ آخرٍ ، وأما لأنه وضع خلال البحث عن الحروف الأولى فلا يمكن تغييره . لذلك فمن الضروري ملاحظة التشابه مع الفوارق الجوهرية في المفاهيم مثل : صورة ، لسان ، تركيب .. الخ .

أما مفردة (لغة) فقد توضّحت بما يكفي ، فقد استعملت تارّة للمفهوم العام عند القرّاء ، بمعنى أنها (نمط من أنماط نظام الكلام) فيصحّ الجمع على (لغاتٍ) ، وتارّة بالمعنى المقصود في هذه النظرية أي (نظام الكلام) وهو نظامٌ واحدٌ ، وتارّةً بالمعنى الأوسع (أي مجموع المفردات المتألّفة من الأصوات) وهو نظام الترابط الصوتي (نظام كلّ وحدةٍ لغويةٍ منها) وهو نظامٌ باحتمالاتٍ لا متناهيةٍ ، فيه ما هو ممكنٌ عقلاً وفيه ما هو محال وفيه ما هو متضادٌّ أصلاً في حركة الأصوات مع بعضها البعض كما سيتّضح ذلك في علم الحروف .

واللسان هو وحده المختلف لأنه ناتجٌ عرضيٌ للتغيّرات الطارئة على هذا النظام ترابطاً وأصواتاً وتراكيباً ونبراتٍ . فالألسن طارئةٌ على اللغة بمعناها الواسع ، ولذلك فمن المنطقي بل من الواجب الاعتقاد أن هناك لسانٌ واحدٌ يطابق النظام الشامل للغة بمعناها الواسع .

ثانياً : ليس من الضروري الحديث عن الطريقة التي تمَّ بها كشف معاني الحروف ، لأن ذلك سيكون أشبه بالمذكّرات منه بالعلم . وباختصارٍ كانت الطريقة مشابهةٌ وإلى حدٍّ بعيدٍ لاكتشاف اللغات القديمة . حيث تمَّ كشف حرفٍ واحدٍ وبالمقارنات المتعدّدة تمَّ كشف الحرف الثاني وبالضرب بثالثٍ مراتٍ كثيرةٍ جداً تمَّ تقدير أو تخمين ثالثٍ ثمَّ أعيد تعديل تعريف معاني الثلاثة مراتٍ عديدةٍ وبالاستعانة بأشياءٍ كثيرةٍ لا مجال لذكرها . والعمل ليس متشابهاً لجميع الحروف فبعضها كان واضحاً لدرجة أنه يكفي في كشفه ملاحظة دخوله في مائة مفردةٍ وبأسبوعين مثلاً وبعضها كان يبقى خافياً شهوراً عديدةً في حين احتاج الصوت الأول (الألف) الى عدّة أعوام .

ثالثاً :كان أصعب الأشياء هو نقل حركة الصوت التي يشعر بها الباحث الى المتلقِّي بعباراتٍ معينةٍ . ولذلك حاولت إيضاح هذه المسألة بعدَّة طرقٍ :

الأولى : إعطاء تعريفٍ عامٍ لعمل كلِّ حرفٍ من الحروف .

وصغت هذا التعريف أحياناً بأكثر من عبارةٍ واحدةٍ في محاولةٍ للإحاطة بما يعنيه الحرف . ومعلومٌ أننا نتحدّث بلغةٍ مؤلفةٍ من نفس الحروف التي أريد تعريفها . وهذه بحدِّ ذاتها مشكلةٌ ، لأن الحرف لا يعبِّر عنه سوى نفسه بالدقَّة المطلوبة . ولذلك تجد عبارات التعريف قد تكرَّر فيها نفس الحرف المعرَّف بعددٍ أكبر مما يجعل الأمر غريباً ، ولكن ذلك لا يحدث إلاّ قسراً .

فليس من الممكن مطلقاً تعريف الحرف بعبارةٍ تستخدم فيها الحروف بصورةٍ متساويةٍ أو عاديةٍ بل سيدخل الحرف المعرّف قسراً مهما حاولنا إبعاده إذ ليس من مفرداتٍ تلائم التعريف تحلُّ بديلاً لتلك التي نختارها أولاً .

هذا الأمر أكَّد لنا ويفترض أن يؤكِّد لكم مرّةً أخرى صحَّة الفكرة أن لم نقل صحَّة التعريف نفسه جزئياً .

الثانية : استعنا بالرسوم لتشبيه الحركة التي يفعلها الصوت .

والمشكلة هنا هي : هل الصوت يعمل حركةً أم أنه هو الحركة ؟

الصوت في الحقيقة عبارةٌ عن حركةٍ تجسّدت في صوتٍ أولاً وفي رمزٍ كتابيٍّ ثانياً (حرف) . وإذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن رسم حركةٍ له ؟

هذا الأمر غير ممكنٍ .. ولكننا احتلنا عليه برسم دائرةٍ تعبّر عن الحركة ثمَّ تحَدث تغيُّراتٍ في

تلك الدائرة بالرسم المجاور ، ومددنا سهماً من الدائرة الأولى باتّجاه الدائرة الثانية فتلك التغُّيرات هي عبارةٌ عن حركةٍ طارئةٍ على الحركة الأولى ، ووضعنا على السهم اسم الحرف إشارةً الى أن هذا التغيّر هو حركة هذا الحرف . وعندما تكون حركة الحرف مرتبطة بغيرها أمكن الاستغناء عن الدائرة الأولى ، لأن حركة الحرف تتّضح فيما بينه وبين أجزائه أو أمثاله كما في الفاء والتاء .

الثالثة : إعطاء أمثلةٍ للحركة المتصوَّرة للحرف من خلال حركاتٍ معينةٍ اصطناعيةٍ أو طبيعيةٍ وغالباً ما تأتي هذه الأمثلة خلال شرح الحرف وحركته في المفردات .

الرابعة : وضع قائمةٍ لكلِّ حرفٍ بنماذجٍ من الألفاظ التي بدأت به في المعجم العربي ، لإظهار عمله المشترك في هذه الألفاظ ثمَّ تغيير تعاقبها وملاحظة الناتج المتغيّر عند كلِّ حالةٍ .

ومن خلال ذلك تمَّ ملاحظة عمل الأحرف الأخرى لتكوين حركةٍ متكاملةٍ للتسلسل .

في البداية لا يملك القارئ فكرةً واضحةً عن معاني الحروف ، وهذه عقبةٌ أساسيةٌ أمام فهمه لكيفية تشكيلها لمعاني ألفاظها عند تركيبها ، لان الحركة من الحرف لا تظهر إلاّ بالألفاظ ، أي خلال البناء اللفظي لذلك طلبت من القارئ مطالعة التعريفات كاملةً لكلِّ الحروف قبل البدء ، كما طالبته بالرجوع إليها كلّما نسيَ حركة الحرف . فإذا بدأنا بحرف الدّال فلا يظهر المعنى الحركي إلاّ بلفظٍ ولا أقل من حرفين للفظٍ ذي معنى .

إذن عندما تأتي لفظة (دب) مثلاً فعليه أن يلاحظ الباء في القائمة ويلاحظ ما ينتج من الحركتين معاً . في هذه الحالة يكون قد حفظ حركات الحروف خلال القائمة الخاصة بالحرف الأول ويتكرّر نفس الشيء في قائمة كلّ حرف .

أي أن المرء لا يدرك حركة الحرف الواحد بصورةٍ مستقلةٍ تماماً عن باقي الحروف إلاّ بعد الممارسة ومعاناة العمل في استكناه معنى اللفظ من حروفه .

الخامسة : تعمّدتُ عدم الالتزام بأي تسلسلٍ معجميٍّ أو غيره ، إذ الغاية الأولى هو البدء بالطريق الأسهل للمتلقي ليفهم الامر بأوضح طريقةٍ . لذلك عمدت إلى قلب تسلسل الحروف في غير الباب المخصّص له لإظهار الكيفية التي تنقلب فيها الحركة ونتائجها عند تغيير التسلسل ، ومع هذا فأن الأمر يستلزم من القارئ التركيز الشديد ومحاولة تخيّل هذه الحركة .

السادسة : حاولت قدر الإمكان الاختصار من جانبٍ والتوضيح من جانبٍ آخرٍ مع تفسير بعض الظواهر في أحكام وقواعد اللغة . مثلاً .. لماذا تبدأ الضمائر للغائبين جميعاً بحرف الهاء ؟ وغير ذلك من المظاهر الغريبة .

السابعة : ذكرت نماذجاً قليلةً من بعض التسلسلات الموافقة في أصل المعنى الحركي في (اللغة الإنكليزية) والتي لا زالت مستعملة بهذا المعنى أو تفرّعاته . وتركت الكثير منها جداً لأنها

تحتاج الى توضيحٍ أكثر كالتوضيح المارّ ذكره في مفردة (بند) والذي مضى ، ولكن من المؤمل أن تأتي نماذجُ كثيرةٌ منها في الأجزاء اللاحقة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

ثالثاً : أطلب من قرّاء هذا الكتاب أن يعلموا أنني أتحدّث عن معاني الأصوات ولا علاقة لهذا بأيّة لغةٍ ، وإنما يسهل عليّ كتابة هذا الكتاب والشواهد المرفقة به باللغة العربية حيث أن المعاني هي نفسها في كلّ اللغات . لذلك يمكن للباحثين إجراء نفس التطبيقات على التسلسلات المستخدمة عندهم إذا لم يكونوا من العرب ، حيث سيجدون أن المعنى المكتمل للمفردة هو حاصل مجموع معاني الأصوات المشتركة وطريقة تسلسلها وفق هذه التعريفات .

وقد تمّ اختبار هذا المنهج مرّاتٌ عديدةٌ بأخذ تسلسلاتٍ من لغات أخرى يجهل الباحث معناها ، وتمّ كشف المعنى العام بواسطة معاني الحروف ، فأحياناً جاء مطابقاً حتى للاصطلاحات بنسبة ٩٥% أو ١٠٠% وأحياناً يكون مطابقاً بنسبةٍ أقل . ولمّا كانت الاختبارات تتضمّن نفس الأصوات فقد دلّ ذلك دلالةً قاطعةً على أن التعريفات صحيحةٌ بالصيغة التي هي عليها حالياً وأن انخفاض المطابقة هو للسبب الذي أوضحناه سابقاً ، حيث تبتعد بعض الجماعات بالمفردة عن المعنى الحركي كثيراً آخذةً منه اتجاهاً واحداً ثم تشتّق من ذلك الاتجاه استعمالاتٍ أخرى بعد سلسلة من التحوّلات . ومع ذلك فأن المعنى العام يظلّ متطابقاً بأدنى مستويات التطابق مع المعاني المستخدمة .

ومن تلك الاختبارات مثلاً : إن أحد الأصدقاء سأل عن المعنى المتحصّل من تسلسل الأصوات (س ، ن ، ب) مع ترك أحرف الإمالة حسب طلب الباحث . ولم يكن الباحث يعلم عن هذا التسلسل شيئاً ، إذ لم يُستعمل في العربية كما قدّر إضافةً إلى أنه لا يعلم من أيّة لغة جاء به السائل .

وأجابه الباحث على النحو التالي : المعنى الاعتباري العام هو مثل أن يقوم شخصٌ ما بالتحدّث بهدوءٍ تامٍ وسريّةٍ تامةٍ لشخصٍ آخر ، وبعد قليلٍ يقوم الشخص الآخر غاضباً ويكون في وضعٍ متشنجٍ جداً . وأما المعنى المادي فإن مثله مثل شخص يضع (قنبلةً) في مكانٍ ما سراً (أو لغم مثلاً) وبعد مدّةٍ ينفجر اللغم .

وفتح السائل القاموس ثمّ قال مبتسماً : صحيحٌ ! فالمفردة في الإنكليزية لها معنيان الأول : يحرّض والثاني يفجّر ! .

ومنه تظهر الفوارق في الدلالة الحركية بين الألفاظ . وهو شيءٌ ينقض الترادف المزعوم لا في اللغة الواحدة فقط كما ذكره بعض اللغويين ، بل بين اللغات كلّها والذي هو محل اتّفاقهم .

لكن هذا المنهج لا يوّضح المعنى هكذا فعلى رأي السائل أن المعنى أدقّ بكثيرٍ من المعنى المعجمي لأنه يوضّح طريقة التحريض وطريقة التفجير من خلال وصفٍ شاملٍ للمعنى الفعلي من

هذا التسلسل الذي يمكن إطلاقه على حركاتٍ كثيرةٍ أخرى في الطبيعة أو الاجتماع .

وبمثل هذا الاختبار يمكن إجراء أي عددٍ يريده أيّ باحثٍ ومن أيّة لغةٍ كانت ، ولذلك نؤكّد أن هذا المنهج يمكنه تصحيح الاستعمالات اللغوية وإعادة النظر في المعجم اللغوي العام ووضع قواعدٍ جديدةٍ للترجمة وما يلحق كل ذلك من تفاصيل .

رابعاً : لقد تجنبت ذكر الصور المختلفة للتسلسل من حيث الحركات . فمثلا التسلسل (ح ـ : ـ م) يكتب هكذا بدون حركاتٍ لإيضاح الحركة العامة لهذا التسلسل . لأن هناك : حُكمْ ـ اسم مصدر ، وحَكَمَ مفتوح الثلاثة فعل ماضي ، ويَحكُم بإضافة ياء وتحويل حركة الكاف الى ضمّه وهكذا .

ويتوجب علينا الرمز للحركات الثلاثة برمزٍ آخرٍ غير (الحركات) تجنباً للالتباس مثل (العلامات) ، لأننا بصدد الحديث عن الحركة لكل صوت . إن هذه العلامة هي حركةٌ جزئيةٌ من أصواتها المغلقة بالمعنى السابق .

فالفتحة حركةٌ جزئيةٌ من الألف والكسرة حركةٌ جزئيةٌ من الياء والضمة حركةٌ جزئيةٌ من الواو . وبذلك يمكن تفسير (التحوّلات) في هذه العلامات خلال الاشتقاق لأول مرةٍ في التاريخ اللغوي إذا التزمنا باعتبارها (مادة رابطة) للأصوات وتقوم بتوجيه الحركة . إن مثلها في الحركة مثل الزعانف في السمكة أعني في تأثيرها على الحركة الكلية لكلّ تسلسلٍ .

وكذلك سنتمكن وبالبحث المتواصل أكثر من ذلك من معرفة سبب الشذوذ الحاصل في بعض المفردات عن القواعد سواء في العربية أو غيرها .

لأنك ستدرك أن كلّ تسلسلٍ هو كيانٌ مستقلٌ بذاته وإننا حينما نصنف الألفاظ (قواعدياً) فإننا نقوم بتدمير جزئيٍّ للمعاني الكامنة فيها كمن يجمع الأجناس المختلفة ويجبرها على العيش في مكانٍ واحدٍ . هذا يعني أن مراجعة القواعد أو إعادة كتابتها سيصبح ضرورةً ملحةً إن لم نقل أمراً محتوماً .

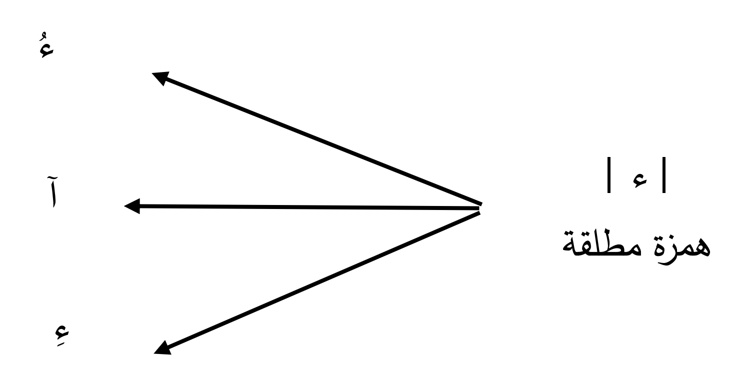
٢. ملاحظات على الهمزة

إن الهمزة كإشارةٍ في اللغة العربية مهمةٌ جداً ، وهذا لا يعني أنها ليست موجودةً في البناء الصوتي لبقيّة اللغات ، كلُّ ما في الأمر هو أن النظام الكتابي في اللغات الأخرى قد أهملها ولم يرمز لها برمزٍ كتابيٍّ .

الهمزة نقطةٌ لابتداء ظهور الألف . فكل مستقيمٍ أو خطٍ يبدأ بنقطةٍ . ولكن هذه النقطة أخذت في العربية شكلاً مستقلاً في النظام الكتابي لأنها تميّزت في النطق الصوتي .

وحينما نكتب لفظاً إنكليزياً يبدأ بالألف مثل (أمبير) فإنّا نعيد كتابة الهمزة بوضعها فوق الألف عند نقل اللفظ الى النظام العربي أو نضعها تحت الألف كما في لفظ (إنكلترا) .

نلاحظ أن الأشكال الأربعة لمظاهر الألف تبدأ بالهمزة شأنها شأن جميع الأصوات الأخرى ، ولكنها في هذه الأربعة أكثر وضوحاً لأنها تتشوه إن لم تبتدأ بالهمزة.



شكل (٣٠) يمثل العلاقة الداخلية بين مظاهر الآلف

وينطق هذا الشكل كالنطق في الحروف الإنكليزية (E- O- A) ما عدا أن تدوير الواو في العربية أقلّ منه في الحرف (O) ، أعني تدوير الشفتين .

بإمكانك أن تنطق الحركات الأربعة . لا الحروف المشكّلة منها . من الوضع الابتدائي للألف بغير تغييرٍ في أيّ جزءٍ من أجزاء آلة النطق .

سنلاحظ فيما بعد أن انطلاق الحروف (و . آ . ي) من الهمزة له دلالةٌ في تسمية الحروف وفي دخول هذه الأصوات في الاشتقاقات المتنوّعة والتصرّف بالمفردة ولو بعد اكتمالها في عملية البناء .

٣. ملاحظات على الألف

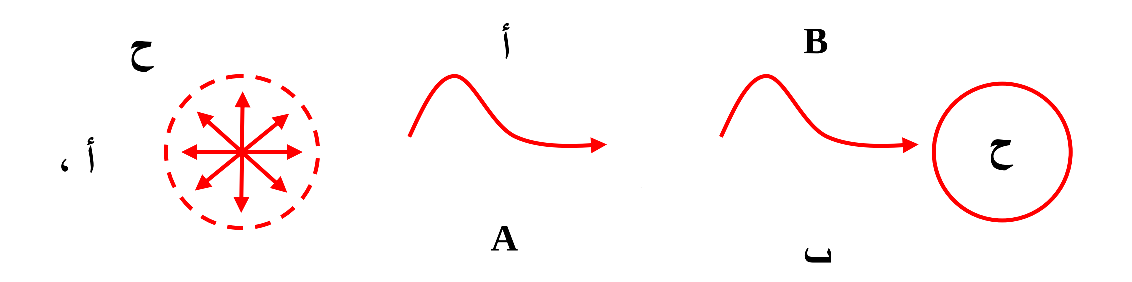
١. ذكرنا أن حرف الألف ليس حركةً ظاهرةً ولكنه صوت ، ونحن نرسم الأصوات على أنها حركة فكيف نرسم الألف ؟ .

إننا نكتب هذه الملاحظة بعد عامين من (رسم الألف) فعلاً . ولم يكن هناك شيءٌ من التفسير الملائم قد مرّ بخلدنا عند محاولة رسم الألف . كلُّ ما في الأمر أنه كان أحد أربعة أحرفٍ عرفتُ على نحوٍ ما فاعليتها فتمّ رسم تلك الحروف ما عدا الألف . ومن خلال دخوله في المفردات وفاعليته فيها تمّ إدراك أنه ليس حركةً ، وإنما هو شيءٌ جوهريٌّ تنبثق عنه الحركة . وعندئذ رسمت صورةً لهذه الفاعلية وأمّا كيف رسمتها فهذا ما سأشرحه فيما يلي :

افترضت أن الفاعلية هذه هي نقطةٌ لا تُرى وتخرج منها أشعةٌ لتشكيل دائرةٍ مقطّعةٍ لترمز الى (تكوّن) حركةٍ خلافاً للدوائر الكاملة لباقي الأصوات . ومن المركز تنبثق أسهمٌ الى محيط الدائرة . اي أن الألف هو الذي يصنع الحركة التي تشكّل مادةً لعمل باقي الأصوات . وحالياً فليس لديَّ أيّة نوايا لتغيير هذا الرسم ولا أجد بديلاً مناسباً له .

لقد تمَّ وضع النقطة في المركز لمجرّد الدلالة على انبثاق الحركة من حيث لم تكن من قبل .

ومن الضروري إعادة قراءة هذه الملاحظات بعد الاطّلاع على حركات الأصوات ، إذ ستكون مفهومةً بصورة أدقّ وخاصةً بعد صوت الفاء .



شكل (٣١) يمثّل الحركة المنبثقة من الألف وظهورها بالباء

٢. لكن هل هذا هو الألف ؟ كلاّ .. إنه فقط المظهر المتكامل من مظاهر الألف .

ونودُّ أن يلاحظ القرّاء اسم الحرف الذي هو (الألف) ، والمكوَّن من (ألف ولام وفاء) وإن هذا الاسم يستبطن (ألفاً) حقيقياً آخراً والمسألة تدور هكذا فلا نصل قط إلى معرفة الألف الحقيقي .

كما نرجو ملاحظة التطابق في الاسم العربي مع نظيره اللاتيني (ألفا) . فعند تعريف الألف فهناك لامان وألفان في العربية وهناك ألفان في اسمه اللاتيني . والأمر هو نفسه في اللاتيني إذ يستبطن ألفاً آخر .. . وليس اعتباطاً أن يدخل الفاء في اسم هذا الصوت ولكنك ستلاحظ أهمية ذلك فيما بعد .

٣. الدائرة (ح) أي الحركة المتكوّنة المتقطعة هي ليست (الدائرة) أو الحركة المشار إليها في بقية الأصوات . وهذا الرسم مكبّرٌ جداً . والمتكوّن هو في الواقع نقطةٌ يجب أن تتوسّع لتشكيل حركةٍ (دائرة) ملاحَظَةٍ من قبلنا .

والذي يقوم بذلك هو (الباء) . الحرف الذي لا يقلُّ إشكالاً وتعقيداً في فهمه عن الألف . واكتشاف هذه الفاعلية في الألف والباء والعلاقة بينهما لم تحصل إلاّ بعد جهدٍ جهيدٍ .

ومن الباء تكوّنت الحركة وأمكن ملاحظتها . وجاءت الأصوات الأخرى بعد ذلك لتقوم بعملها في تشكيل مركباتٍ متنوعةٍ للحركات من خلال التغيير الجوهري فيها .

لقد ظهرت الحركات الجوهرية التي تشكّل منها العالم ظهرت أخيراً بصورةٍ مماثلةٍ لها في آلة النطق عند الإنسان . إن الكشف عن حركة الأصوات يعني البدء باكتشاف الموجودات بطريقةٍ علميةٍ ، بيد أن هذه العملية تحتاج الى الربط بين ذلك كلّه وبين علوم الطبيعة الأخرى .

٤. التكوين الوجودي لمظاهر الألف

تشكِّل مظاهر الألف الأربعة ثلاثةَ محاورٍ متعامدةٍ في الفراغ (الهواء) أو العدم لإنتاج (وجودٍ) أو صورةٍ وجوديةٍ أولى . وهذه المظاهر هي :

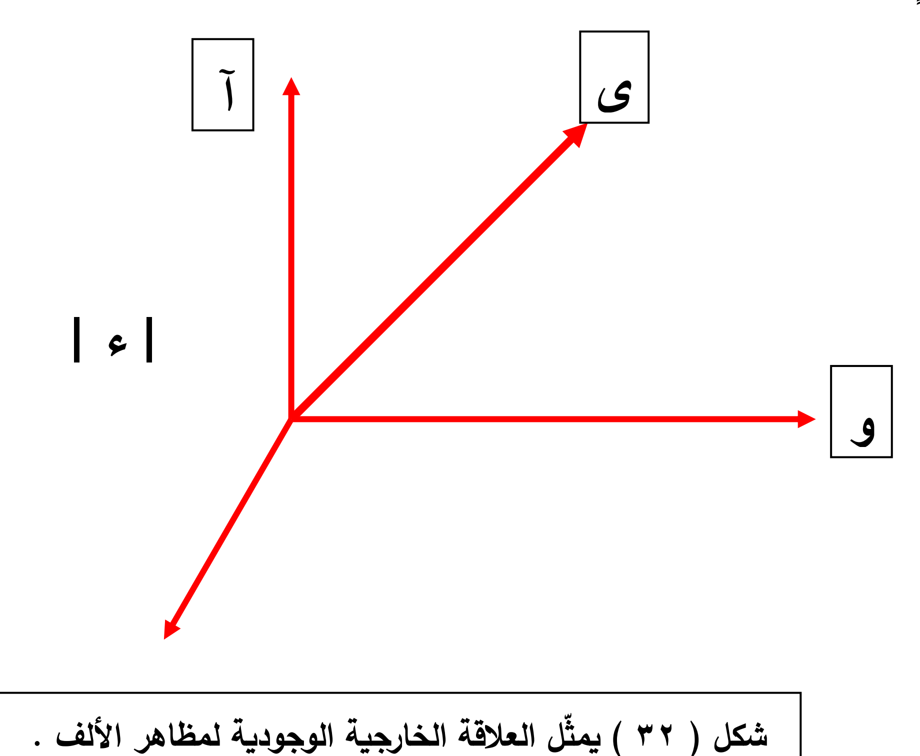
الهمزة : وهذه هي نقطة الأصل في المحاور وهي أول حركةٍ ممكنةٍ بدون تحريكٍ لأدوات النطق ، ويمكن أن تكون أيضاً آخر الألف بالاتجاه المعاكس ، فهي جزء من الألف ولا يمكن أن تتكوّن بدونه ، أما الألف نفسه فلا يتأثّر بها ولا يتوقّف وجوده عليها .

الواو : ويمثل حيز المكان . وهو يتحرّك لتشكيل نقاطٍ مكانيةٍ ، أما **الياء** فهو محور الزمان .

العلاقة بين المظاهر الأربعة تظهر في الشكل (٣٢) الذي سيفسِّر لأول مرةٍ ما تفعله أحرف العلّة في التسلسلات .

<u>السكون</u> : هو انقطاعٌ للحركة . أي عودةٌ الى نقطة الأصل .

وحينما يأخذ الحرف إشارة سكونٍ فمعنى ذلك أن الحرف اللاحق بدأ من جديد . أي انه لا يستمر في بناءٍ معينٍ على حركة الحرف السابق .



شكل (٣٢) يمثّل العلاقة الخارجية الوجودية لمظاهر الألف .

نقطة الأصل هي عبارةٌ عن همزةٍ مطلقةٍ بين خطَّين يفترض أنها بلا حركةٍ ، ولكن بما أنها جزءٌ من الألف فالفتحة في أصل تكوينها ، لكنها قد تأخذ شكلاً زمانياً (الياء) أو مكانياً (الواو) . فأساساً وكما ذكرت فإن كلَّ صوتٍ فيه مظهرٌ من مظاهر الألف ، وعند تشكيل المفردات لا بدّ من ظهور الحركة . باعتبارها صورٌ متلاحقةٌ جامدةٌ . ظهوراً (وجودياً) ، وهذا لا يتحقّق إلا بواحدةٍ من أربع حالاتٍ :

١. أن تكون نقطة الأصل مكرّرة (الهمزة) . فهي تعبّر بشكلٍ أو آخرٍ عن ارتباط الزمان

بالمكان مثل ضَرَبَ :

(ض ـ ءَ ـ ر ـ ءَ ـ ب ـ ءَ) .

٢. أن تكون مادّة التواصل بين الأصوات مؤلفةً من ألفٍ (ولو مكرّراً مع سكونات) . لأن الألف المتكامل الوجود يستبطن الواو والياء مثل (آبْآ) : (آ ـ بْ ـ آ) من "آبَ" للاثنين بمعنى رجعا .

٣. أن يكون أحد الطرفين (واو أو ياء) مع الهمزة لإدراك العنصر الغائب من أحد الطرفين عن طريق الهمزة مثل (يَمَّ) : (ي ـ ءَ ـ م) ياء وهمزة مفتوحة ، ومثل (قُلْ) : (ق ـ ءُ ـ ل) حيث ظهر الواو كعلامةٍ للهمزة .

٤. أن يجتمع الواو والياء حتماً لتحقيق اتّصال الزمان والمكان . أما أن ينفرد الواو أو الياء لوحده كمادةٍ للاتصال ، فلن تخرج الحركة الى الوجود ، إذ لا مكان بلا زمان ولا زمان بلا مكان مثل (يو) : (you) : ضمير المخاطب في الإنكليزية اجتمع فيه الواو والياء .

اللفظ الثلاثي مؤلّفٌ من ثلاث حركاتٍ : فالشيء العام فيه أن الحرف الأول يبدأ الحركة ولتكن هي مثلاً (مد خيوط بالعرض) ، والحرف الثاني يبني على تلك الحركة للحرف الأول حركته هو ولتكن مثلاً (تقريب المسافات بينها ودمجها) ، والثالث يبني حركته على حركة الحرف الثاني ولتكن مثلاً (رفع للأعلى) . فالناتج هو اقتطاع سطح مستوي من واحدٍ أكبر .

فإذا سكِّن الأول توقّفت الخيوط في مكانها وصار الدمج والتقريب محالاً . وإذا سكِّن الأخير لم يتمَّ اقتطاع المستوي الصغير من الأكبر . وإذا سكِّن الأوسط فمعنى ذلك أن الحركة توقّفت عند هذه الصورة فيأتي الثالث ويرفعها لأنها مكتملة .

هذه الصورة الساكنة في وسطها تعطي دلالةً على (الاسمية) الخاصة بمثل هذه الحركة . فهي ليست (فَعَلَ) ، (يَفعَل) أي (صيغ الأفعال) . وإنما حدث سكونٌ داخليٌّ آخرٌ في التلاحق بين الصورة الجامدة هو بمثابة (انظر هذا هو الشيء) ، لذلك كانت الأسماء الثلاثية مسكّنةً من وسطها مثل : قطْعٌ ، ضرْبٌ ، شكْلٌ .... الخ .

والألف إذا دخل في البداية أشار للفاعلية ، لأنه الفاعل الأصلي في تشكيل الأصوات مثل : أَفعلُ (أنا) ، إفعلْ (أنت) . حدث ذلك في النظام العربي وحدث غيره في غيرها .

وفي هذه الحالة أمكن تسكين الآخر لإنتاج فعل الأمر ، لأن السكون هو انقطاع الحركة ، والمفرد الفاعل مرموز للألف أصلاً بخلاف المؤنث والجمع والمثنى فهو يشير إليه . ومعنى السكون أن هناك (انتظارٌ) لإتمام الحركة ولكن إذا كثر المأمور بالفعل عدداً وكانوا جماعةً جيء بعنصر المكان الذي يجمعهم وهو (الواو) فيقال : افعلوا .

وإذا كان الألف مثلاً من أصل المفردة غاب عن الحضور في فعل الأمر للمفرد وسكن آخر

حرف للدلالة على انفراد المأمور واضطراره الى تنفيذ الأمر مثل : أخذَ ، خُذ .

وإذا أريد الرمز للفعل وهو ما زال مستمراً فلا بدّ أن يؤتى بعنصر الزمان (الياء) فيقال : فعَلَ بالماضي ويَفعلْ الآن واستعملوا غيرها في اللغات الأخرى وبقصديةٍ مطابقةٍ للحركة كما سيأتي في موضعه .

وإذا أريد وصف شيءٍ ما على أنه ارتبط بشيءٍ آخرٍ واتّصف به دوماً جيء أيضاً بعنصر الزمان ليعبّر عن هذا الارتباط في آخر التسلسل الاسمي فيقال : بحري ، وجبلي ، وفرنسي ... الخ .

وكذلك تتقلب المظاهر الأربعة لظهورات الألف فيما بينها لتأدية المعنى المقصود أو الإشارة الى الذوات .

فالفعل الماضي (قال) حاضره (يقول) ويبقى الألف إذا بني للمجهول أي (يُقال) .

فالألف إشارةٌ الى (الفاعل) في الزمن الماضي والفاعل غائب الآن والألف حلَّ محلَّه ، ولكنه حينما (يقول) يكون موجوداً فيأتي (مظهر المكان) بدلاً عنه . ولكن إذا نسب القول لمجهولٍ أعيد الألف للتنويه عنه ويتحلّل الألف الى عناصره مجدداً في الاسمية مثل (قول) و(قيل) . فالقول مرتبط بالمكان لوجود الواو المكاني كما في التنزيل (فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) فهو مرتبط بواقعةٍ معينةٍ ، أما (القيل) فهو اسمٌ عامٌ في الزمان لوجود الياء الزماني كما في قوله تعالى (ومن أصدق من الله قيلا).

وإذا أريد اشتقاق اسم للقائم بالحركة من نفس التسلسل أدخل الألف وصار اسماً له فيقال (فعَلَ ـ فهو فاعل) .

وإذا دخل أولاً لم يكن فاعلاً بعد وإنما هو مزمعٌ أن يفعل أو يأتمر بالفعل ، ولذلك يدخل بعد تمام الحركة الأولى (الحرف الأول) للدلالة على أنه كان قائماً بها وأصبحت صفةً له .

وهكذا وبمثل هذه الطريقة يمكنكم تفسير جميع التحولات في الاشتقاقات المختلفة وبخاصةٍ إذا علمتم حركات الحروف الأخرى وهي تفسيراتٌ ستلاحظ بعضها في تسلسلات الحروف في الفصل الآتي .

اصطلاحات الإشارة إلى المعاجم وملاحظات متفرقة

اصطلاحات الإشارة إلى المعاجم :

١	. مط	المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية	المكتبة العلمية
٢	. قم	القاموس المحيط	الفيروز ابادي	شركة الحلبي بمصر
٣	. تك	تكملة المعاجم	رينهارت دوزي	دار الرشيد للنشر
٤	. عب	العباب الزاخر	الصغانّي	= = =
٥	. مق	معجم المقاييس	احمد بن فارس بن زكريا	دار الكتب العلمية
٦	. مخ	مختار الصحاح	الرازي	مكتبة النهضة/بغداد
٧	. فر	المفردات	الأصفهاني	المكتبة المرتضوية/طهران
٨	. خص	المخصص	ابن إسماعيل النحوي	دار الفكر
٩	. تع	تاج العروس	الزبيدي	
١٠	. دك	القاموس الإنكليزي		
١١	. رس	القاموس الروسي		
١٢	. عم	استعمال عامي (ليس في معجم)		

ملاحظات :

١. عند ترجمة هذا الكتاب إلى اللغات الأخرى ننبّه إلى ضرورة الترجمة الصوتية للمفردات موضوع البحث في الفصل الأوّل وكذلك التسلسلات الصوتية في الفصل الثاني .

٢. لا يمكن قراءة هذا الفصل في المعاني الحركية للحروف إلاّ بتمهّلٍ وبطءٍ شديدين وتركيزٍ قويٍّ للذهن من أجل محاولة التصوّر الصحيح للحركة الكلية لكلِّ تسلسلٍ .

٣. في الحروف الأولى لا مناص من مراجعة المعاني حيثما أشرنا إليها لحين اكتمال عددٍ لا بأس به من الحروف .

٤. كلّ حرفٍ هو كيانٌ مستقلٌ وحركةٌ مستقلةٌ ومجموع حركات الحروف يستوعب جميع الحركات المحتملة التي وجدت والتي سوف توجد في الكائنات .

٥. الحرف البادئ بالحركة منفتحٌ على جميع الحركات الممكنة الواقعة تحت حركته لحين مجيء الحرف الثاني في التسلسل حيث يحدد مساراً جديداً للحركة حينما يقوم ببناء حركته على الحرف

الأوّل ، ويأتي الحرف الثالث فيبني حركته على الحرف الثاني وهكذا .

٦. في هذه المرحلة أخذنا ارتباط الحروف الأصلية مجرداً عن كلّ العلامات أو الاشتقاقات واللواحق لتحديد الحركة العامة ولحين التوسّع في ذلك مستقبلاً في جزءٍ آخر من الكتاب . ولكننا من جهة أخرى قمنا بتفسير بعض اللواحق والاستعمالات بصورة منفردة .

٧. تتمّ قراءة ناتج المفردة بواسطة النظام التسلسلي للغة الموحّدة وخلاصته :

""إن كلّ صوتٍ يقوم ببناء حركته على الصوت السابق . فالموضوع ونتائجه يتغيّران كلّما اختلف التعاقب مع بقاء نفس الأصوات مثل : (ركش . شكر . كشر . شرك ....) . ومثاله مثل رجلين يرسم أحدهما دوائر حمر والآخر نقاطاً بيضاً ، ولا يعملان إلاّ هذين العملين فقط . فإذا رسما على لوحٍ ازرقٍ بهذا التسلسل (أي يرسم أحدهما على ما رسم الآخر) ، كان الناتج لوحاً ازرقاً عليه دوائرٌ حمرٌ منقطةٌ بأبيض . وإذا انعكس تسلسلهما كان الناتج لوحاً ازرقاً عليه نقاطٌ بيضٌ فيها دوائرٌ حمرٌ ! .

فالصوت اللاحق لا موضوع له سوى ما فعله الصوت السابق . أما الصوت الأوّل فهو منفتحٌ على كلّ المواضيع .

فإذا أصبح عدد الأصوات ثلاثة فالنتائج تزداد عددياً وتصبح ستة احتمالات وهكذا . وبصفة عامة إذا عسرت قراءة التسلسل فيمكن مراجعة الملحق المعنون (توضيح اللغة الموحدة)[١] . وهو كتاب صغير الحجم كتبناه لهذا الغرض وسواه من الغوامض في هذه النظرية .

[١] هذا الملحق الذي يذكره المؤلّف (رحمه الله) لا زال مخطوطاً ، ونعمل حالياً على إعداده مع باقي المخطوطات كي يظهر في صورة جزءٍ مستقلٍ من هذا الكتاب . (المشرف)

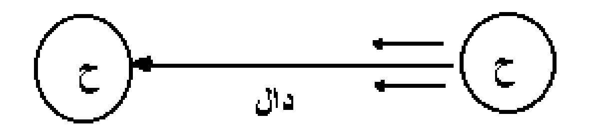
معاني الحروف

الحركة الفيزيائية للأصوات

الحركة المذكورة لكلّ صوتٍ في هذا الفصل هي عين الحركة التي تحدث لجزيئات الهواء في آلة النطق وتنطوي على القيمة الذاتية المسبقة للأصوات

الدال

** اندفاع الحركة بتدبيرٍ مقصودٍ إلى جهةٍ محددةٍ وإلى أبعد مدى **



شكل (٣٣) صورة حركة الدال

الدّال حركةٌ جوهريةٌ وهو من الأصوات الأصيلة المستقلة . وصورته الجامدة مختلفةٌ بالطبع عن الصورة الموضحة بالرسم . فالرسم يحاول إبراز الحركة فقط من خلال التغيّر بين الرسم الأيمن والرسم الأيسر .

حركة الدّال عنيفةٌ وشديدةُ الوطأة ولذلك تمَّ تعزيز السهم بسهمين آخرين أقصر طولاً للدلالة على العنف وشدّة الاندفاع . وكما تلاحظ في الرسم فإنّه لم يحصل أي تغيّرٍ في الحركة ذاتها ، وإنّما انتقلت هي من موضعٍ إلى موضعٍ آخر بعنفٍ فقط ، وهذا قد يوهمك إذا تمسّكت به لأنّ الحركة الأصلية للدّال هي حركةٌ جوهريةٌ فيفترض أنّها تحدث داخل الدائرة وهو شيء لا يمكن رسمه ، ولذلك فالاندفاع مرسومٌ على العموم .

في بعض الحروف الأخرى يمكن تصوّر ورسم الحركة كما في حرف الحاء الذي هو تعاظم للحركة فأمكن رسم الدائرة الثانية للحركة والناتجة منه بحجمٍ أكبر ، أما الدّال فهو اندفاع الحركة إلى هدفٍ مقصودٍ ومحدّدٍ سلفاً وبشدةٍ ، لذلك جعلنا الحركة كلّها تنتقل فقوّة الدّال ظهرت في الرسم في السهام لا في الدوائر نفسها .

وبصفةٍ عامةٍ يستحسن الاطلاع على بضعةِ حروفٍ قبل أن تزعج نفسك بالتفكير دون طائل ، وعندها سوف تتجلّى لك الحركة الجوهرية من خلال التسلسلات المتنوعة ولا تتوقف عند أول إشكالٍ قد يخطر ببالك ، بل انطلق قدماً في الاطلاع على بقية الحروف وتسلسلاتها ليكون في إمكانك حلُّ الإشكالات كافة .

تظهر لك حركة الدال المقصودة سلفاً والمندفعة بشدّةٍ في جميع التسلسلات التي تنطوي على تلك الحركة حتى لو كانت كامنةً فيها . فمثلاً التسلسل المؤلف من دال وراء . مهما كان

مظهر الألف الرابط بينهما كالياء أو الواو أو الألف أو أجزاءهم من العلامات . ينطوي على حركةٍ عامةٍ ، فالعلامات تغيّر من الاتجاه العام للحركة لكنها لا تؤثّر على هذا التسلسل من حيث هو اندفاعٌ مقصودٌ إلى حدٍّ معينٍ ويتلوه الراء الذي يفيد إجراء هذا الاندفاع بصورةٍ منظمةٍ ومكرّرةٍ لمراتٍ عديدةٍ . فلفظ دور (door) في الإنجليزية والذي يترجم إلى (باب) ينطوي على تلك الحركة الكامنة ، فإطلاقه على الباب هو من جهة كونها تتحرّك باتجاهٍ محدّدٍ وإلى حدٍّ معينٍ دوماً ، وهذه الحركة الكامنة فيها تكرارٌ بحرف الراء .

وهذا اللفظ يقابله لفظ (الدَّور) في العربية والذي يستعمل لما يدور حيث حافظ على صورة هذه الحركة العامة . وكذلك لفظي (الدار) و (الدير) مع الأخذ بنظر الاعتبار معاني العلامات وأحرف العلّة التي سنوضحها في موضعها من هذا البحث .

أما لماذا أُستعمل في اللغة العربية لفظ (باب) وفي الفرنسية لفظ (porte) وفي الروسية لفظ (dvaer) ... الخ كأسماءٍ لنفس الشيء ؟ . فإنّ ذلك هو بسبب اختلاف النظرة إلى الباب وعملها عند كلّ قوم . ففي العربية لفظ (باب) يعني موضع انبثاق الحركة وسيأتيك تطبيق تعريفه في تسلسلات حرف الباء . وفي الفرنسية يعني لفظ (بورت porte) موضع انبثاق الحركة وتكررها وتجمّع الحركات فيها (وهذا من حاصل معاني حروف اللفظ) . وفي الروسية فإن (dvaer) يعني المنطقة التي يتمّ فيها اندفاع الحركات المجتمعة والمتفرقة في آنٍ واحدٍ .

فإذا حاولنا تحليل نظرة كلّ قوم إلى هذا الشيء الذي هو (الباب) وجدنا أن الباب في العربية يحمل معنىً فلسفياً ، لذلك أطلق على كلّ ما له علاقة بانبثاق الحركة العامة مثل : باب الفرج ، باب السعادة ، باب العلم ... الخ . بينما يكون المعنى مضحكاً إذا أطلقت لفظ (door) الإنجليزي أو (porte) الفرنسي مضافاً إلى هذه الألفاظ .

في لفظ (door) الإنكليزي يكمن تعريفُ لطبيعة الباب من الناحية العملية فقط . وفي الفرنسية هو منطقة تجمّعٍ وتفرّقٍ فيصحّ إطلاقه على الميناء مثلاً أو مدرج الطائرات أو مرسى السفن . وفي الروسية يصلح اللفظ لبوابات المدينة الكبيرة وكذلك لكلّ بوابةٍ ضخمةٍ مثل بوابات السدود .

فلو سألت عربياً ما : ما تفعل بالباب ؟ . فسيقول : تفتح وتغلق . وإذا سألته : كيف تفعل ذلك ؟ فسيقول : لأنّها (تدور) ، فهنا تضطّره ليتفوّه بالتسلسل الإنجليزي نفسه في (door) .

من هذا المثال وغيره مما سيلي في تسلسلات الحروف أرجو من القرّاء الكرام أن يتصوروا ما أعنيه بوحدة القيمة المسبقة للأصوات والمعنى العام لكلّ تسلسلٍ وجميع ما يترتّب عليه من مفاهيمٍ للغة الموحدة .

وبصفةٍ عامةٍ يمكن للقارئ الكريم ملاحظة اشتراك الروسية والإنجليزية بحرفين وبنفس التعاقب: الدال ومن بعده الراء . وكذلك ملاحظة اشتراك الفرنسية مع الإنجليزية والروسية بتأخّر الراء واشتراكها مع العربية في تقدّم الباء . وذلك عند مقارنة الألفاظ الأربعة ببعضها [مع التسامح في البدء بين الباء والباء المضخّمة پ:(p)] :

babe
porte
door
dvaer

فالتسلسل هنا يحمل أهميةً عظيمةً ، ولذلك لا نحتمل وجود لفظ في أيّة لغةٍ يتألف من تلك الأصوات بتسلسلٍ معكوسٍ ليشير إلى نفس الفكرة فمثل هذا الأمر محالٌ . وللقرّاء أن يقوموا بأيّة تجربةٍ فإنّي واثقٌ من صحّة ما أقول .

الدّال حركةٌ واعيةٌ لأهدافها فهي غير عشوائيةٍ ولا يمكن أن تكون عشوائيةً مطلقاً ، وهي تتضمّن المكان بصورةٍ ذاتيةٍ . أمّا من ناحية الزمان فإنّ الحركة المنفردة عنيفةٌ وسريعةٌ جداً لأنّه ليس ثمّة من شيءٍ يصدّها عن الهدف الواضح والمحدّد . ولكن يتوجب عليك التفريق بين الدّال كحركةٍ مفردةٍ وبينه عند مجيئه في التسلسلات . فهو يسرع بالحركة إذا جاء متأخراً (في نهاية اللفظ) ، ولكن إذا جاء أولاً فالحركة العامة تعتمد أيضاً على ما يلحق به من أصواتٍ . فالصوت اللاحق لا ينفرد بالحركة وإنّما يبني حركته على السابق . وهذه المسألة في غاية الأهمية لمعرفة طبيعة الحركة العامة في كلّ تعاقب .

مثلاً في اللفظ (در) الراء يكرّر اندفاع الدّال بصورةٍ منظّمةٍ . وإذا عكست التسلسل (رد) فالراء يكرّر حركات الطبيعة الممكنة والدّال هو اندفاعٌ مقصودٌ لهذا التكرار باتّجاه هدفٍ معيّنٍ . فكلّ حرفٍ لاحق يبني حركته الخاصة به على الحرف السابق له . ومن هنا فالحرف الأوّل له أهميةٌ استثنائيةٌ فهو يحدّد سلفاً جزءاً من الحركات الممكنة في الطبيعة .

إذن فزمان التسلسل الكلّي هو معدل الزمان المتحصِّل من هذا التسلسل للأصوات بعينه لأنّ لكلّ صوتٍ زمانه الخاص به .

في (در) . الراء مقهورٌ على تكرار الاندفاع في الدّال لذلك فسرعة الحركة هي سرعة الدال فهي حركةٌ سريعةٌ .

في (رد) الدّال هنا مجبورٌ على دفع حركة التكرار المنظَّم باتّجاه معينٍ وبذلك تمَّ تخفيف سرعة الاندفاع فهي أبطأ من (در) .

أمثلـة :

١ . إذا أطلق المرء رصاصةً باتّجاه نقطةٍ معينةٍ فحركة الرصاصة بين النقطتين هي بحركة الدّال .

٢ . إذا دُفع عمودٌ قائمٌ أو جدارٌ دفعةً واحدةً لإسقاطه على إحدى الجهات فالحركة هي بحركة الدال .

٣ . إذا تمَّ تنويم شخص ما (مغناطيسياً) وأُمر بالذهاب إلى مكانٍ محدّدٍ فانطلاقه إلى ذلك المكان هو بحركة الدال .

بعض تسلسلات حرف الدال

ألفاظ :

د . ب . ح : الدال : اندفاعٌ إلى هدفً مقصودٍ .

الباء : انبثاقٌ تامٌّ للحركة بعد كمونٍ . (انظر الباء)

الحاء : تكبير الحركة إلى أقصى حدٍّ ممكنٍ . (انظر الحاء)

فالناتج من هذا التسلسل هو حركةٌ عامةٌ تفيد تجاوز الحدّ الطبيعي في أي فعلٍ ، مع تعاظمٍ في نهاية الحركة .

المعجم : دَبَح الرجل إذا طأطأ رأسه في الركوع وجعله أحطّ من ظهره .

الاستشهاد : من النبويّ في المعجم :

((.. نهى (ص) أن يُدبّح الرجل في الركوع كما يدبّح الحمار))

نلاحظ أن تحديد المعجم لمن يدبح أنّه الذي يطأطأ رأسه في الركوع هو أمر لا مسوغ له ، والشاهد النبويّ بخلافه لأنّه لم يكتف (ص) بقوله يدبح حتى قال (في الركوع) وهذا يعني أنّه يمكن أن يدبح في أي عملٍ أو حركةٍ أخرى متجاوزاً الحدّ الطبيعي .

ولا يوجد شاهدٌ آخر لأنّ التسلسل كان ميتاً وأحياه الحديث النبوي .

د . ب . ر : الدال : اندفاع الحركة باتّجاهٍ مقصودٍ ، الباء : ظهورٌ آخر لها بعد الكمون والغياب . الانبثاق . (انظر الباء) ، الراء : تكرّر الحركة بترتيبٍ معينٍ . (انظر الراء)

فالحركة العامة المتكونة من هذا التسلسل هي انطلاق وفتور ثمّ انطلاق جديد وهكذا باتّجاه محدّدٍ كلّ مرةٍ . فهو مثل ملاحقةٍ أو مطاردةٍ لشيءٍ ما واقتفاء آثاره علماً أن الراء يقوم بإعادة

وتكرار الحركة المتكونة من (دَ . بَ) .

المعجم :

لا يمكن للمعجم بما في ذلك الذي يعتني (بمقاييس الألفاظ) جمع الألفاظ :

دَبَّرَ ، أدبر ، تدبّر ، دُبُر على أصل مشتركٍ واضحٍ .

أما الآن فالحركة واضحةٌ : فالمُدبر يلاحق النجاة والمتدبر يلاحق الحقيقة والحلول ، والمدّبر للأمر يلاحق الخلل دوماً فيصلحه ليستقيم .

د . ب : الدال اندفاع باتجاهٍ مقصودٍ والباء ظهورٌ آخر للحركة فهذه حركة مجردةٌ هي وصف لحركة كلّ متحرك يقطع مسافة ما . والدّاب : هو كلّ قاطعٍ لمسافةٍ بحركةٍ انتقاليةٍ :

(خلق الله كلّ دابةٍ من ماء)

إذن تدخل حركة النبات في نموه وقطعه مسافة في الامتداد أفقياً أو عمودياً في مجموعة الدواب بخلاف ما اصطلح عليه .

ب . د : الباء ظهور للحركة بعد غيابٍ والدال اندفاعها باتّجاهٍ مقصودٍ .

ب . د . ا : الألف إنشاء حركةٍ جديدةٍ وتوجيهها والسيطرة عليها من بعد (انظر الألف) . مجموع التسلسل يعني نشوء حركةٍ كاملةٍ ابتداءً لغايةٍ ما بعد انبثاقها .

ب . د . ر : الباء ظهور بعد غياب والدال اندفاع باتجاهٍ مقصودٍ إلى الحدّ الأبعد والراء تكرار وإعادة .

فهذه الحركة لكلّ أمر أو شيء يُظهر بعد خفاءٍ تامٍّ ظهوره الأقصى ثمّ يعود من جديد خفاءاً وظهوراً وهكذا .

د . ر : الدال اندفاع باتجاه مقصود والراء تكرار لهذا الاندفاع .

(درَّ حليب البقرة) إذا خرج باندفاعاتٍ متكرّرةٍ .

ر . د : انقلاب التسلسل السابق .

التكرار أولاً ثمّ الاندفاع إلى مركز الحركة .

(فرددناه إلى أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن)   ١٣ / ٢٨

الردّ إذن ليس إرجاع لأنّ الإرجاع مرةٌ واحدةٌ والرد إعادةٌ في كلّ مرة .

فالمقصود بـ (رددناه) إعادته كلّ مرةٍ من القصر إلى المرضعة وهي (أمه) ولكن آل فرعون لا يعلمون أنّها أمه ، وقوله تعالى : (فرجعناك إلى أمك) المقصود به العودة الأخيرة التي لم يعد بعدها إلى القصر إلاّ بمحض إرادته لتجاوزه مرحلة لرضاع ، فتوجّه فيها الخطاب إليه .

كلمات أجنبية :

Read . إعادة الحركة والاندفاع إلى المركز .

الاصطلاح : قرأ ، درس ، تلا

المعنى الدقيق هو إعادة تكرار النص لتحصيل الزبدة التي فيه (ترديد) .

D – REED : مفزع ، مروع .

DERIDE (درد) : اندفاع ثمّ تكرار لهذا الاندفاع ثمّ اندفاع جديد للتكرار . فهذا التسلسل يفيد اجتماع الحركتين في واحدة هكذا [د . ر . ر . د] ، ولا ينتج من الحركة أي حاصل مقابل الجهد فهذه الحركة عبارة عن عبث في عبث أو مشقة زائدة .

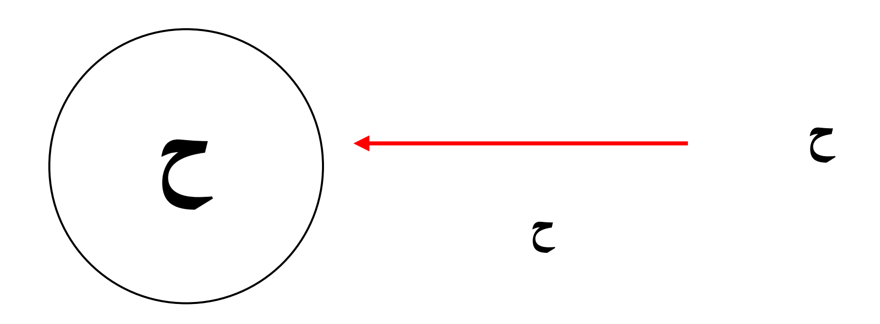
الاصطلاح : يسخر ، يهزأ

دَرْد : (بالفارسية) : جهد ، مشقة ، نكد [تك / ج٣]

وستأتي التسلسلات المقترنة بالدّال من الحروف الاخرى في تلك الحروف تدريجياً .

الحاء

** تعاظم الحركة في ذاتها إلى حدها الأقصى **



شكل (٣٤) صورة حركة الحاء

الحاء حركةٌ جوهريةٌ بطيئةٌ جداً ولذلك فهي شديدة الخطورة لأنّها تتنامى أحياناً من غير أن ينتبه لها أحد فتعمل بعض المفاجآت .

في الرسم الأيمن (حركةٌ) ما من حركات الطبيعة . وأمّا الرسم الأيسر فهو حصيلة ما حدث للحركة عند انفعالها بالحاء . صحيحٌ إن الرسم يمثّل صورةً ماديةً في أبعادها ولكن لا يفوتك أن الحاء هو تعاظمٌ للحركة بصفتها العامة لا من حيث الحجم المادي فقط ، وإنّما من حيث الحجم المعنوي أيضاً . فالرجل الذي لا زال يتعلّم حتى يبلغ الحكمة تتعاظم معرفته بحركة الحاء ، والعداوة التي تتنامى وتبلغ درجة (الحقد) إنّما تتمّ حركتها إلى هذه الدرجة بمثل حركة الحاء ، والمثال المادي لهذه الحركة يمكن أن يكون هو الثمرة مثلاً إذا كبرت وحان قطافها فهذا الأمر فيها يتمّ بحركة الحاء .

وينبغي أن نعلم من الآن أن الحرف لا يشبه في عمله ما يقوم به الإنسان ، لأنّ الحرف يقوم بعمله على أحسن وجهٍ وأتمّه لا، وإنه يقوم بنفس العمل أينما وقع وفي أي لفظٍ في أي تسلسلٍ .

وكلّ ما تختلف به الألفاظ عن بعضها هو في نوع الحروف المترابطة وطريقة ترابطها أي تسلسلها فإذا تغيّر موقع الحرف في اللفظ تغيرت الحركة العامة الناتجة من التسلسل .

يتضمّن الحاء عنصر المكان ذاتياً ، فحيث لا يمكن حدوث تعاظم إلاّ في حركةٍ ما والحركة تتضمّن المكان . فإنّ كلّ الأصوات الأصيلة متشابهةٌ من هذه الناحية حيث تنطوي على

المكان . ولكن الزمان مختلفٌ فيها وتحدّده طبيعة حركتها الداخلية .

أما الحرف الذي هو (مكانٌ محضٌ) فهو كما علمت (الواو) ، في حين أن الحرف الذي هو (زمان محض) فهو (الياء) .

أما الألف فهو المكوِّن الأوّل للحركة . وهو عبارةٌ عن تعامدٍ بين الزمان والمكان لإنتاج (وجودٍ) ما ، وسوف تتّضح لك العلاقات بين الألف ومظاهره (أحرف العلة) بالتدريج وتبلغ غايتها عند مجيء الثلاثة في مواضعهم من هذا الكتاب .

من خصائص الحاء أنّه حركةٌ شديدةُ المراس فبالرغم من بطئها الشديد إلاّ أنّها تصارع كافة القوى المحيطة بها لتحقيق غايتها من التعاظم والتفاقم إلى أقصى ما يمكن .

وفي الحقيقة أنّها واحدةٌ من الحركات الكلّية . أي تلك التي تنطوي بصورةٍ غير منظورةٍ على حركات حروف أخرى تعمل في خدمتها لتتوصل إلى مرادها .

وسوف تلاحظ أيضاً أن الحاء ولهذا السبب لا يعجبه عمل حروف أخرى تتنافى أو تتناقض أهدافها مع أهدافه ، فهو يفارقها في عمله ولا يجاورها في لفظٍ من الألفاظ ، لأنّه يبحث دوماً عمّن يحميه من التراجع ويقوي عزيمته في تحقيق أهدافه من التعاظم والنمو . فكلّ حرفٍ يحمل حركةٍ مناهضة لهذا التعاظم يتجنّب هو والحاء أن يتلاقيا .

<u>أمثلـة :</u>

١ . إذا تكون نجمٌ جديدٌ وتعاظم وبلغ ذروته في الكبر والحرارة فإنّ حركته هذه هي بحركة الحاء .

٢ . إذا تخيّلنا وجود شخص عرف بذاته جميع العلوم واستقل بنفسه عن حاجة الآخرين فذلك التحوّل الذي يطرأ على معرفته هو بحركة الحاء .

٣ . إذا سمن رجلٌ ما سمناً كبيراً فذلك يكون بحركة الحاء . ولكنها حركةٌ ماديةٌ تخص البدن وحجمه كما هو واضح . وتدخل جميع الاستعمالات تحت هذه الحركة .

بعض تسلسلات حرف الحاء

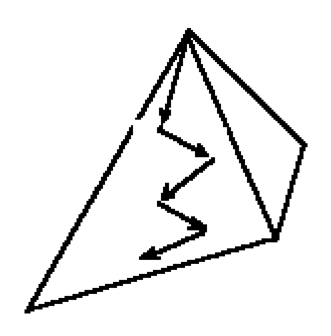
<u>ألفاظ عربية :</u>

ح ـ د : الحاء تعاظم الحركة والدّال اندفاع إلى أقصى مدى .

فقد بلغت الحركة نهايتها . وهذا هو رمز الحدّ ، بمعنى النهاية التي تنتهي عندها غاية الحركة

.

ح . د . ر : إذا تكرّرت الحركة السابقة بحرف الراء فيؤدي ذلك إلى الدلالة التي في حركة (الانحدار) كلفظ . مثل السيل الذي ينحدر من أعلى الجبل . فالقوه الذاتية للماء متعاظمة في الأعلى والدال اندفاعها والراء تكرار الاندفاع ، لأنّ السيل لا ينحدر باتجاهٍ واحدٍ ، بل بعدّة اتجاهات كما في الرسم الذي يتبين فيه أن كلّ سهم هو (ح . د) ، والمجموع هو (ح . د . ر) .



شكل (٣٥) صورة لحركة السيل في التسلسل (ح . د . ر)

ح . ر : تعاظم الحركة وتكررها . الاسم مطابق مطابقة تامة (للحَرّ) في معناه الفيزيائي ، لأنّ الحر لا يحدث فجأة وإنّما يتنامى ويتكرر مع استمرار ارتفاع زاوية ميلان الشمس صيفاً ، ويكون الواصل من الأشعة أكثر من المفقود من الحرارة ليلاً ، فهذا تنامي وتكرار سويةً . كما إنّ اللفظ مطابق للحُر الذي هو خلاف العبد مع تعديل العلامة إلى المكان (الواو) .

ح . ر . د : تعاظم الحركة وتكرّرها واندفاعها بعد ذلك .

تتضح من التسلسل حركةٌ كليةٌ شديدة الخشونة لأنّ الاندفاع هو من بعد التحرر .

<u>المعجم :</u>

حردت الدّابة : إذا خبطت في المشي .

حرد فلان : ثقل الحمل عليه فلم يستطع المشي . الوصف للمشي .

حرد النجم : إذا انقضّ . الوصف للحركة .

حردت السنة : أجدبت لقلّة الماء . قست بعد إن تحرّرت من خصائص المناخ .

رجل أحرد : بخيل ولئيم ، قاسي .

ح ـ م : الحاء : تعاظم الحركة بذاتها إلى أقصى حدٍّ ، الميم : اكتمال الحركة وامتلائـها [انظر الميم] .

الناتج من التسلسل : تنامي الأمر (أو الحركة الكلية) بما يفي بالمتطلبات .

المعجم :

حمَّ التنوّرَ : أوقده ، حُمّ التنور : اتّقد ، حمّ الماء : سخنه ، حمَّ الأمر فلاناً : أهمّه .

ح ـ م ـ م : دخل امتلاء واكتمال ثاني على التسلسل .

المعجم :

حمَّ الرأس : نبت شعره بعد الحلق ، حَمَمَ الفرخ : نبت ريشه ، الحُمم : كلّ ما تخلّف من احتراق النار .

ماله حمَمَ غيرك : ماله همٌّ غيرك ، الحمم : الرماد .

تلاحظ في جميع الاستعمالات تعاظم لأمر واكتماله فيصبح في النار رماداً أو في الأمر همّاً وللأرض خضرةً بعد جدبٍ ... الخ .

ح ـ م ـ د : تعاظم الحركة واكتمالها ثمّ اندفاعها إلى هدفٍ مقصودٍ .

الناتج من التسلسل أي شيءٍ صحيحٍ في ذاته مكتمل الشروط وله هدف معلوم .

المعجم :

حَمَدَ فلاناً : رضي فعله ومذهبه . وحمد فلاناً أثنى عليه مرةً بعد مرةٍ .

م ـ د ـ ح : اكتمال الحركة بالميم واندفاعها باتجاهٍ مقصودٍ بالدّال وتعاظمها إلى أقصى حدٍّ بالحاء .

يفيد التسلسل أي حركةٍ عامةٍ للتوسّع الأقصى في الفعل ولكن باتّجاهٍ محدّد لغايةٍ محددةٍ .

المعجم :

مدحه مدحاً : أثنى عليه .

هذا خطأ [والصحيح : توسّع في الثناء عليه بما ليس فيه كما سترى]

امتدح المكان : اتّسع .

امتدحت خاصرة الماشية : امتلأت واتّسعت شبعاً .

لقد ظهر لك الآن الاختلاف بين (ح ـ م ـ د) و (م ـ د ـ ح) وما ذلك إلاّ لانقلاب الترتيب في نظام الحروف .

ملاحظة : ستظهر تسلسلات أخرى للحاء مع باقي الحروف . ولا يفوتك أننا نستعمل المعاني المعجمية مؤقتاً بهدف التأكيد على مطابقتها لما هو معرّف من معاني الحروف وبقصد التدريب إلى أن تتأكّد لديك قابلية استنباط المعاني من الحروف ومن ثمّ الرجوع إلى المعاجم أو الاستعمالات لمقارنة التعريف وتصحيح أو ضبط ما لم يتّفق معها وكذلك تمييز الفروق الدقيقة بين الألفاظ إذ لا ترادف في اللغة الموحدة .

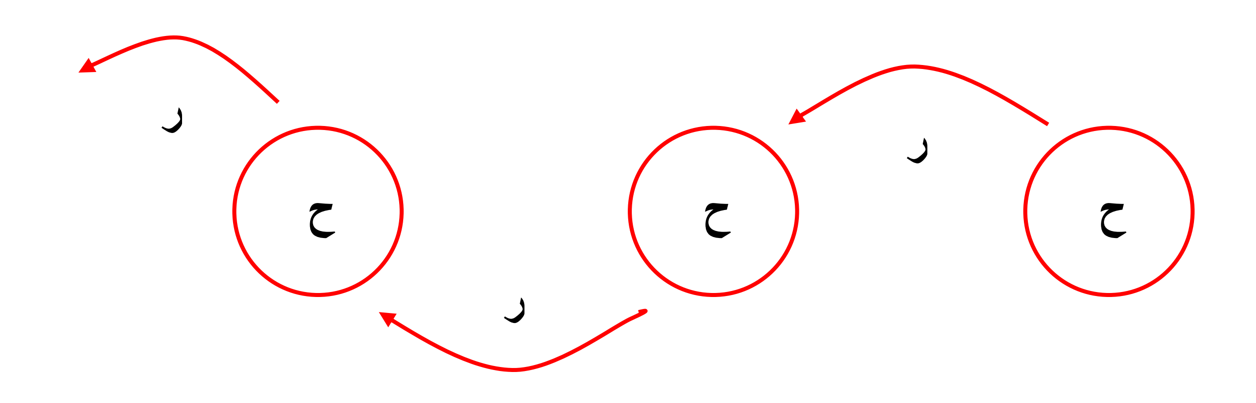
ألفاظ أجنبية :

يوجد إشكالٌ في انقلاب الحاء إلى الهاء واختلاطه بالهاء الفعلي . ويتوجب هنا التدقيق . ومن الألفاظ الثمانية السابقة يوجد لفظ :

(HARADA) حيث هو (حَرَدَ) وقد ذكرناه كمثل في الفصل الأوّل وهو بمعنى : قاسي ، خشن أو فظّ.

الراء

** ترتّب الحركة وانتظامها بتكرار معين **



شكل (٣٦) صورة حركة الراء

أمثلـــة :

١ . اهتزاز الشوكة إذا ضُربت وحركة الأرجوحة وحركة البندول كلّها أمثلةٌ مشابهةٌ لحركة الراء .

٢ . تصوّر الوقائع الماضية والأشخاص وتذكّرهم والاندماج مع تلك الصور يشبه حركة الراء .

٣ . عودة المرء إلى داره في عين الوقت كلّ يوم مشابهةٌ لحركة الراء .

من تسلسلات حرف الراء

ألفاظ عربية :

ر . د . ح : الراء تكرار منظّم والدّال اندفاع الحركة والحاء تعاظمها .

لقد ظهر في هذا التسلسل عنصر زماني بصوره واضحة جداً بسبب التكرار من البدء والتعاظم في نهاية الحركة المندفعة بالدّال .

المعجم :

رَدَحَ بالمكان : أقام فيه . ثبُت وتمكّن .

ردح البيت بالطين : كاثفه عليه طبقه فوق أخرى .

جَملٌ رداح : ثقيل الحمل .

الرَدْح : المدة الطويلة .

د . ح . ر :اندفاع مقصود والحاء تعاظم والراء تكرار .

الحركة العامة في التسلسل تشبه دفع باب بقوةٍ وتوجد قوةٌ في الجانب الآخر تقاومها . والداحر فيها هو المستمسك و(الدَحور) و(المندحر) هو المغلوب . وكذلك مثل رميٍّ متواصلٍ على حدٍّ معينٍ يمنع الآخر أن يصل إلى هذا الحدّ فضلاً عن تجاوزه .

المعجم :

دحَرَه : دفعه وأبعده وطَرَدَه .

[كذلك في الجميع ولم تذكر استعمالات أخرى] . ويصح جزئياً (دفعه) دون أبعده وطرده .

ر . د . م : الراء تكرار منظّم والدّال اندفاع والميم اكتمال الحركة وتمامها .

نلاحظ أنّه لا يوجد انفراج بين مكررات الحركة . أي أن الحركة مندفعة بصورةٍ متصلةٍ ، لأنّها تؤدي الغرض منها بالميم . إذن يمكن إغلاق أيّة فرجةٍ بالزمان أو المكان بالتسلسل (ر . د . م) .

المعجم :

ردَمَ الشيء ردْماً : دام ، رَدَمَ الثّلْمة : سدّها .

ردم الحفرة : هال فيها التراب ، ردم الثوب : رَقَّعَهُ .

م . د . ر : من الممكن أن نقول أن هذا التسلسل يعني اتساع الشيء أو الأمر وتكاثره . واستعمل اللفظ كإسمٍ للحجارة الأرضية وهذا واضح إذ الأرض واسعةٌ . والحجارة كثيرةٌ ولكنه أطلق على الاتساع باتّجاهات أخرى أيضاً .

المعجم :

المَدَر : الطين اللزج . والقطعة مدرة . وأهل المَدَر والوبر هم أهل القرى والبدو ، الأمدر : الممتهن الذي لا يتعهّد نفسه بالنظافة .

مَدَرَ مدّراً : انتفخ جنباه وضَخُم بطنه .

يظهر أن جميع الاستعمالات تصويريةً ، إذ لا يوجد استعمال فيها يطابق الحركة نفسها وإنّما يلائم صفاتها فقط .

د . م . ر : الدال اندفاع باتجاه مقصود ، والميم اكتمال الحركة ، والراء تكرار وإعادة .

إن اكتمال الحركة بعد اندفاعها يعني انتهاء غايتها فالإعادة استنزاف للحركة . [في التمثيل اللغوي للشيء أو الأمر]

إذا أزيل التكرار فالصورة المتكوّنة هي مجموع حركةٍ مندفعةٍ بقصد هدفٍ ما ويتم اكتمال الحركة بالميم ، فهذه الحركة فاعلة وحيوية ولكن تكرارها يشبه تكرار ريّ الأرض بلا انقطاع .

المعجم :

دَمَرَ فلان : دُمُوراً ودماراً . هلك . ودمَرَ عليهم : دخل بغير إذن . هذا الاستعمال تمثيليّ ولكنه مطابقٌ تماماً للحقيقي في الحركة . ومثل (الدم) فإنّه يتكرر في الحركة داخل البدن ولكنه (بإذن) وكلّ دفقةٍ منه فاعلةٌ وحيويةٌ ولها غايةٌ فاقتصر على حركتين (د . م) .

د . ر . م : الدال اندفاع الحركة والراء إعادة وتكرار والميم اكتمال .

الحركة العامة هنا هي حركة تنامٍ سريعٍ واكتمالٍ .

ويبدو أنّه حدث التباس في هذا التسلسل على أهل المعجم . فقد جمعوا بالعبارتين (دَرَمَ الصبي والشيخ : مشى مشية الأرنب ودَرَمَ الصبي والشيخ تحاتت أسنانهما) ! ، جمعوا بهما أشياء متناقضةٍ ومختلفةٍ

وقالوا : دَرَمَ الكعب : اكتنز باللحم فلم يبن له حجم (مو / ج ١ / ٢٨٠)

والصحيح لم يبن عظم لا حجم .

ومن النبوي وجدت : أنّه (ص) إذا أراد أن يتزوّج بعث من ينظر إليها وقال : (شمْ ليتها فإنّ طاب ليتها طاب عُرفُها وإن دَرَمَ كَعبُها عظُمَ كَعثَبُها) .

إذا افترضنا أن النموَّ السريع للصبي يُسقط أسنانه قبل الأوان علمنا أن إطلاقه على الشيخ (

تمثيل) وهو بعيدٌ جداً عن الأصل بل خلافه . وأمّا المشي : فهو إذا قارب الخطو سريعا فقد (درم) ، ولا شكّ في أنّه مأخوذ من الصبي ثمّ أطلق على الأرنب والفأر وأطلق على مشية الشيخ (تمثيلاً) .

(درمت) الشفتان : احمرتا بالدارم ، والدارم : نبات تستكُ به النساء فتحمرُ لثاثهن تحميراً شديداً (مط) .

وكلّ ذلك تمثيلٌ لأنّه يعطي صورةً عن اكتمال الخلقة وحسن نموها بما في ذلك اسم (الدارم) إذ لا علاقة له باللون الأحمر . والاستعمال الحقيقي الوحيد هنا هو ما في النبوي (دَرَمَ كعبُها) .

م . ر . د : الميم اكتمال الحركة والراء تكرار منظم .

يفيد التسلسل (م . ر) الحركة العامة في (المرور) : انتقال من نقطةٍ إلى نقطةٍ والاستئناف مجدداً إلى نقطةٍ ثالثةٍ وهكذا . ولكن عند دخول الدّال كحرفٍ ثالثٍ . وصورته أنّه اندفاعٌ سريعٌ موجهٌ ، فقد تحقّق الآن خرقٌ لكشف النقاط . ومثل الأوّل (مرّ) هو مثل رجلٍ مارٍّ على الدور والمساكن ، ومثل الثاني (مرد) هو مثل الرجل المارّ على المساكن إذا اقترب منها ودخل في واحدٍ وخرج من الآخر .

وهذا التسلسل يفيد التجاوز الشديد عن الحدّ ، لأنّ الدّال يقوم بإخراج الحركة المرنة الموجودة في الحرفين السابقين عن طبيعتها إلى ما هو أعنف وأقسى بشكلٍ مفاجئٍ .

المعجم :

مَرَدَ الإنسان مُرُداً : طغى وجاوز حدّ أمثاله (مط) .

إن وضع المعجم لعبارة (جاوز حدّ أمثاله) هو بمنتهى الدقّة المطلوبة لهذا التسلسل .

مرد فلاناً : مزقَّ عِرضَهُ . مَرَدَ الغلام : بَلَغَ خُرُوجَ لحيته ولم تَبْدُ .

وهكذا إلى استعمالات أخرى تفيد التجاوز عن الحدّ لأمثاله .

ر . ب . ح : الراء تكرار ، الباء انبثاق بعد غياب والحاء تعاظم لها .

يفيد التسلسل إظهار ناتج غير منظور من شيء يتكرّر عليه الفعل وتكبيره مرّة بعد مرّة .

المعجم :

ربحت تجارته ربحا : كسبت .

الصحيح : إن الكسب مستقلٌ ، وإنّما الربح زيادة على رأس المال ولكن بما أنّه أطلقه على

التجارة صحّ على ذلك .

وجميع الاستعمالات الأخرى مطابقةٌ للحركة ..

ح . ب : الحاء تعاظم الحركة والباء انبثاق بعد غياب .

يفيد التسلسل تنامي القوة الداخلية للأمر أو الشيء ثمّ ظهوره جزءً متنامياً متطاولاً .

والحركة مطابقةٌ للقوة في (حَبِّ) الزرع أو (الحُب) الذي يعني شدة التعلّق .

ح . ب . ر : الراء تكرار أفاد إعادة الحركة الآنفة مرات عديدة .

إذا طرأت هذه الحركة على الأرض فقد نبتت واخضرت وإذا طرأت على النفس فقد ابتهجت بحُبٍّ يتجدّد كلّ حين (بالراء) .

المعجم :

حَبَرَ حبراً : ابتهج ونَضُرَ ، حبرت الأرض : كَثُر نباتها ، حَبَرُ حُبوراً : نعّمه وسَرّهُ . قال تعالى :

(ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبَرون) .

انتقل التسلسل ليطلق على الزينة والنقش الذي يثير الابتهاج والسرور ومنه إلى (الحبر) المستعمل للكتابة وإلى استعمالات أخرى كلّها تتعلّق بهذه الحركة مبتعداً عن الأصل تارة ومقترباً أخرى .

الحابور : طائر جميل . الحبرة : ثوب مزيّن . الحِبار : مجلس السرور ، الحبار : أثر ويبس في اليد من العمل (كأنه يثير الابتهاج في نفس حامله) أو (لأنّه بمثابة الزينة والنقش) .

ح . ر . ب : الحاء تعاظم الحركة والراء تكرار .

الآن القوّة متجمعة ومتكاثفة بالحاء والراء ، فإذا دخل الباء (انبثقت) فيكون خروجها شديداً وقاسياً .

يمكن إطلاق الحركة على أيّة قوة بهذه الصفة مثل الغضب الشديد أو الحقد أو العداوة .

المعجم :

الحرب : الويل والهلاك ، حَرِبَ : اشتد غضبه .

حارب الله : عصاه ، وتلا : (إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلّوا ..) .

نلاحظ أن القرآن لم يطلب من أتباعه أن يحاربوا ، بل طلب أن يقاتلوا في الحرب (فإما تثقفنَّهم في الحرب فشرّد بهم) ، لأنّ المحارب على أصل الحركة في التسلسل حاقدٌ غضوبٌ ذو عدوان .

أحرَبَ النخل : أخرج حَرَبَهُ (الطلع) ، على صفة (حَربْة) أداة الطعن ، وهي على (ح ـ ر ـ ب) . فقولهم أحرَبَ النخل تمثيل على الأصل لأنّها تخرج من أصلب مواضعها .

ب ـ ح ـ ر : الباء انبثاق الحركة ، الحاء تعاظم ، الراء تكرار .

الحركة العامة تفيد تشكّل أو تكوّن شيءٍ مهوّلٍ كبيرٍ لم يكن من قبل . فالحركة لا تصف البحر حالياً ولكنها تصفه عند تكوّنه في الأصل ـ (حيث تفتقت الأرض بالماء وانفهق جو السماء) ـ اقرأ تكوّن البحر في نهج البلاغة .

تبحّر المكان : اتسع (مط / ١ / ٣٩)

أقول : هذا غير دقيق إنّما هو اتساعٌ مفاجئ وكبيرٌ وسريع في آنٍ واحدٍ

استعمالات أخرى من (ب ـ ح ـ ر) :

الباحر : الأحمق الذي إذا كُلّمَ بهت . كأن الحركة تفاجئه فيبهت .

الباحر : الفضولي أو الكذّاب ـ كأنه يتوسّع حيث لا يقدر على الإحاطة فيذكر الأكاذيب .

الباحور : القمر . هذا الإطلاق حركيٌّ صرفٌ : انبثاق إذا هلّ ، وتعاظم إذا اكتمل ، وتكرار في الشهر اللاحق . لكنّ تنقصه المطابقة التامة مع الحركة في النصف الثاني من كلّ شهر حيث يتناقص في الحجم . إذن فالإطلاق كما أرجّح يكون على النصف الأوّل .

البَحْيرَه : ناقة الجاهلي المعروفة في القرآن ، وهو مأخوذ من التحرك الواسع لأنهم لا يمنعوها من ماءٍ أو كلأ بعد خمسة أبطن . وهو (تمثيل) لا يطابق قدرات الناقة ، لذا قال تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ... إلى قوله لا يعقلون) .

أي أن البحيرة ممكنة الوجود لكنّ الله لم يجعلها ، فلن تكون ناقة ولا غيرها إذ لا علم لهم بذلك فهو افتراء . أعني أن الافتراء هو في استعمال اللغة أيضاً ، لأنّ (الجَعْل) كما سيأتيك في لغة القرآن هو تحقّق الوجود لما هو ممكن الوجود .

البحر من الخيل : الواسع الجري ـ (مط) .وقال أيضاً : الشديد العدو . واستشهد البعض بالنبوي في وصف فرس (وجدته بَحْراً) / تع

فإذا صحّ النقل فإنّه (ص) يعني الشديد الوثوب في المنطلق ، وإذن فليس فيه مجاز . أما واسع الجري فتمثيل .

البَحْر : داءُ السِّل : لأنّه يكثر من شرب الماء كما يشرب البحر ماء المطر والنهر . مبالغة .

البُحيّرَة : مجتمع الماء . تصغير مطابق .

البَحر : الواسع العلم .

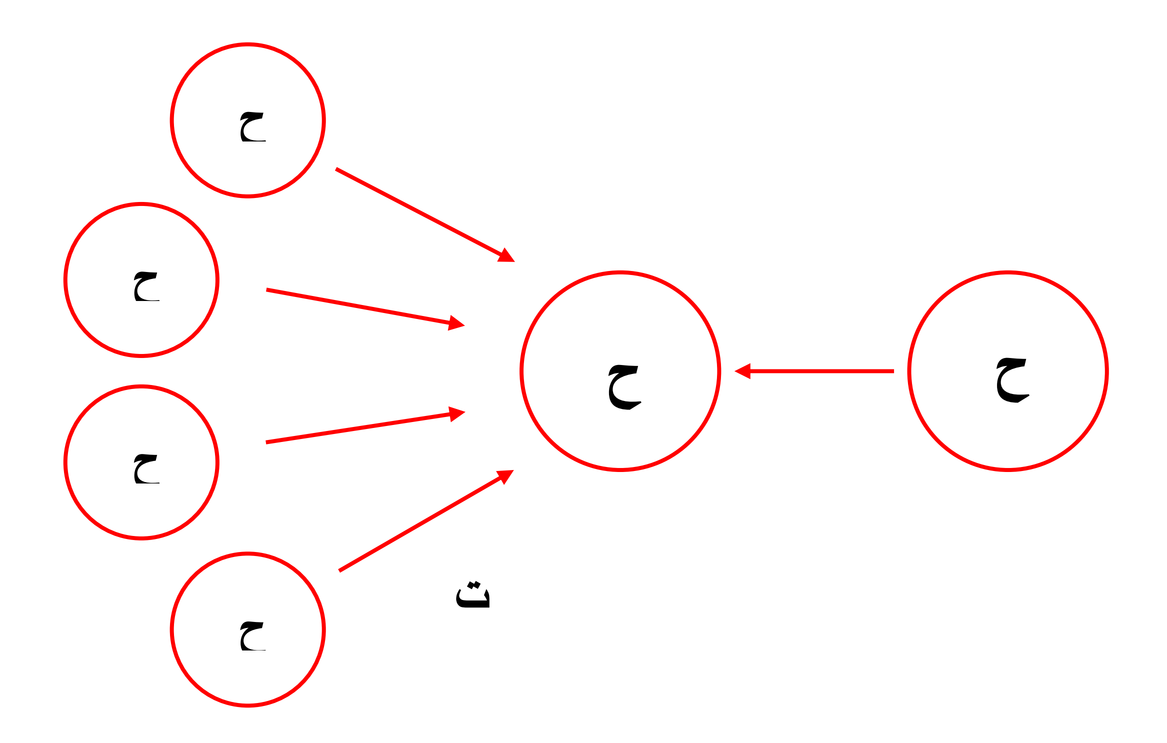
أقول : الأصل هو : الذي يجيب على المسائل بسرعةٍ ويفاجئ السامع بعظمة الإجابة وسعتها فقالوا (واسع العلم) . و من المأثور (وهذا القرآن بحرٌ لا يُدرَك قَراره) أي يفاجئ السائل بإجابات تتّسع ما أراد منها من الاتساع ، وليس المقصود وصف الاتساع نفسه من حيث المقدار . وبين الأمرين فرق عظيم .

والخلاصة أن البحر لم يسمَّ كذلك لسعته بل للحركة التي تكوّن بها فمن أطلقه على شيء ما إنّما أراد السِعة لا الحركة إلاّ من كان له علمٌ بالأصل . وعلى ذلك جرى الكثير من الإطلاقات للألفاظ .

ملاحظة : ستأتي تسلسلات أخرى للراء مع بقية الأصوات .

التاء

** اجتذاب الحركة لأمثالها لتشكيل حركاتٍ مترتبةٍ معها **



شكل (٣٧) صورة حركة التاء

كان من الممكن الاستغناء عن الدائرة الأولى ولكننا أبقيناها كي لا يحدث التباس . فالتاء هو حركةٌ جوهريةٌ في داخل الحرف جاذبةٌ لبقية الحركات ، فهو يقوم بالتجميع والترتيب الملائم بينها . أما هو مع غلافه فلا يتحرّك من موضعه ، بعكس الدّال والراء حيث يقطعان مسافةً مكانيةً ، أما التاء فزماني مكاني في ذاته . إذن الحركة الفعلية للتاء هي حركة السهام .

أمثلة :

١ . الأقطاب الجاذبة للأيونات في الكهربائية المستقرة (الاستاتيكية) . فحركة الأيونات

فيها تشبه حركة التاء .

٢ . النوى الأصغر عند أول تكوّن قطرات المطر تشبه حركة التاء . إذ تتكتل حولها

جزيئات أكبر .

٣ . الصورة التي يعرضها الإنجيل عن تتابع الخلق للحاق بيسوع الناصري عند خروجه من الناصرة .. يقومون هم وإياه بحركةٍ تشبه حركة التاء .

ملاحظة :

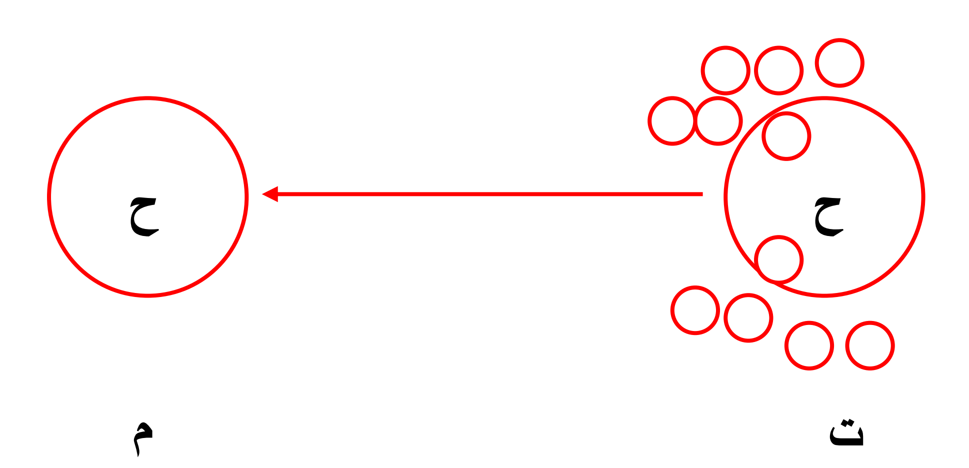
لا تتوهم أن الحركات المنجذبة هي الأصوات الأخرى ، وإنّما هي الحركات الممكنة في الطبيعة . هذا في الإطلاق على الأشياء . أما في آلة النطق فالذي يحدث هو اجتلاب جزيئات الهواء وظهور صوت التاء على شكل دفقةٍ . فالإطلاق يوقع هذه الحركة على الأشياء المشابهة تمثيلاً من خلاله مفرداً أو متعاقباً مع الأصوات الأخرى .

من تسلسلات حرف التاء

ألفاظ عربية :

ت ـ م :التاء اجتذاب وترتيب للحركات ، الميم اكتمال الحركة .

يمكن رسم هذه الحركة الكلية حيث يقوم الميم بإكمال علاقات التداخل بين الحركات المنجذبة .



شكل (٣٨) ضمّ الحركات المجتمعة حول التاء بالميم

(صورة مفردة : تمَّ)

المعجم :

تمَّ : اشتدّ وصلب ، تمَّ : كَمُلَ ، وتم القمر : امتلأ فَبَهر .

(ما اجمل قوله امتلأ .. !) إذ اشترك هذا اللفظ (امتلأ) بالتاء والميم مع اللفظ (تمَّ) .

التمّام : أطول ليلةٍ في السنة (كأنها ما زالت تزداد من أطرافها حتى تمّت)

تتامّ القوم : جاءوا كلّهم .

تمّمَّ على الجند والطلاب : أحصاهم .

م ـ ت : هذا مقلوب التسلسل الأوّل . فالحركة الحقيقية هي التكاثر ولكن هذا الأصل لم يستعمل وإنّما أخذوا منه الانتساب وحسب . كمن يقول : من أين جاءت الدائرة الكبرى فيقال : جاءت من تلك الدوائر .

المعجم :

متَّ إليه بقرابةٍ متّاً : توسل فهو ماتْ .

المتات : ما يتوسل به كالحرمةِ والقرابة .

متّ الحبل : نزعه على غير بكرة (أي جعل نفسه ذا صلةٍ بالحبل بدل البكرة)

م ـ ت ـ ر : الميم اكتمال والتاء اجتذاب حركات والراء تكرار وإعادة .

مجموع التسلسل يعني إعادة توزيع (قوى ـ أشياء ـ مسافات .... الخ) .

المعجم :

تماترت النار : تساقطت وترامت ، مَتَرَ الشيءَ : قَطَعَهُ ، إمتّرَ الحبلُ إمتاراً : امتدَّ .

يمكن القول أن (المِترْ) أو (المَترْ) أو (المَترةُ) الواحد والواحدة تعني في الأصل (قطعة) ، لكني لم أجد ذلك في المعاجم . وعن وحدة القياس قالوا (المِتر فرنسية الأصل ـ مط / ٢ / ٨٥٩) . ولا أدري لماذا لم يُقس على مثله : (قَدَرَ ، قَدَرْ ، قِدْر ، وصَفَرَ : صِفْر و رَقَمَ : رَقْم)–فهو إذن عربي .

ت ـ ر ـ م : التاء اجتذاب ، والراء تكرار ، والميم تكامل الحركة .

إلى هذا الحد تكاثرت الحركات حول المركز وجاء الميم ليكمل تداخلها .

من الواضح أنّها ستحاول ترتيب نفسها مقهورةً مجبرةً رغم كثرتها .

المعاجم : لا يوجد .

تكملات المعاجم : لا يوجد .

في قرى العراق : تَرَمَ : أجبَرَ (عم)

ت . ب . ر : التاء انجذاب واجتماع الحركات ، الباء انبثاق حركة جديدة لم تكن والراء كرار .

لقد أعيد الانبثاق أكثر من مرةٍ وإذن فالحركات المجتمعة حول التاء فقدت .

المعجم :

تَبَرَ الشيء : أهلكه ، وتَبَرَ : كسَرَ

التِبر : فتات الذهب .

الاستعمال واضحٌ على الحركة إذ الفتات كان مجتمعاً في المصاغ وتفرّق بعد صياغته مرة أخرى وأطلق على الذهب الصرف لخلوصه منها .

ب . ت . ر : الباء انبثاق الحركة ، التاء اجتذاب حركات ، والراء تكرار .

يظهر أن الحركة لن تتمّ لأنّه كلّما حدث اجتماعٌ للحركات أعيدت إلى الانبثاق والجمع مرة أخرى فالعملية متقطعة .

المعجم :

بَتَرَ العمل : قطعه قبل أن يُتِمه .

الأبتر : المقطوع الذنب (كذا في مط) والأبتر من الناس : من لا عقب له .

وفي العروض : الأبتر : الضرب إذا اجتمع فيه الحذف والقطع .

الأبتر من الحجج : القاطع الفاصل . كأنه يلغي استمرار الجدل .

ر . ت . ب : الراء تكرار للحركة والتاء اجتذاب حركات والباء انبثاق .

يحدث في الحركة العامة توزيع للحركات والقوى ورصّها قبل الانبثاق مما يؤدي إلى نوع من الثبات والاستقرار بل والتنامي .

المعجم :

الرتبة من الأرض : المرتفع ، والرتبة المكانة الرفيعة .

الرتبة : الصخور المتقاربة وبعضها أرفع من بعض .

رَتَبَه : اثبته واقرّه .

رتَّب فلان : ثبَتَ في المقام .

الراتب : رزق راتب : ثابت ودائم .

أقول : من الممكن أن يكون الراتب جمعٌ مكرّرٌ للأجر اليومي فيعطى كلّ أسبوع أو شهر ليطابق الحركة من أصلها ، إذ لا ديمومة للراتب (بخاصة في هذه الأيام) ! .

ت . ر . ب : التاء اجتذاب والراء تكرار ، إلى هنا حدث تكاثف شديد للحركات . والباء انبثاق حركة جديدة .

الحركة العامة هي وسطٌ صالحٌ للتكوين المتناسق والمتلائم .

المعجم :

التُّراب : ما نَعُمَ من أديم الأرض .

لاحظ التحديد (ما نَعُمَ) .. جزيئاتٌ كثيرةٌ متجانسةٌ بسبب تعاقب التاء والراء .

التّرب : المماثل في السِن ، ومنه الأتراب .

أقول : في قوله تعالى : (كواعب أترابا) ، ليس التماثل في السن لأنّه سيصبح مجرّد (تمثيل) . ولكنّه تماثلٌ في (التكوين) . فالأتراب أزواج أهل الجنة مماثلات لهم في الأمزجة والرغبات والمراتب المعرفية وذلك غاية ما يبتغى المرءِ من الزوجة . وقد أنكرنا في مواضع أخرى من كتابٍ سابقٍ وجود المجاز بأنواعه في القرآن بناءاً على معاني الحروف .

وباقي الاستعمالات تمثيلية :

اترَبَ : افتقر ، وأَترَبَ : كثُر ماله . إذا أترب من حيث هو فرد فقد افتقر ، وإذا أترب من حيث ما يملك فقد كثرت أمواله . فالأصل واحد والاستعمال هو الذي يحدّد موضوع انطباق الحركة . إذن لا توجد مفردة ذات دلالتين متضادتين كما زعموا .

ت . ح . ت : التاء اجتذاب ، الحاء تعاظم الحركة (بما في ذلك المجتذبات) ، التاء الثانية اجتذاب آخر

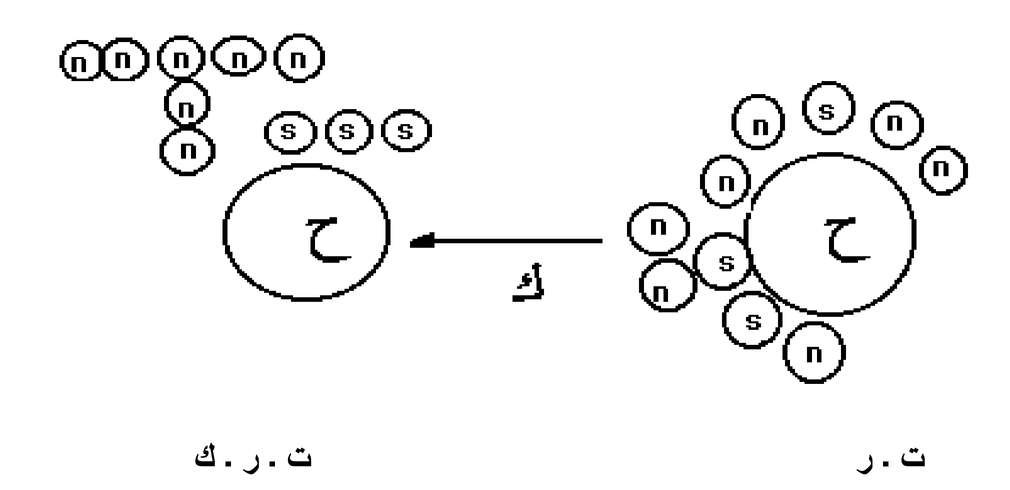
الحركة الأصلية الآن مدثرة بحركات متكاثفة حولها أو عليها وتلك صورةٌ مجسّمةٌ لمعنى (تحت) .

<u>المعجم</u> :

تحت : كلمة واحدة معروفة . والتُحوت : جَمْعٌ : الدون من الناس (مق /١ / ٣٤٢) .

ت . ر . ك : التاء : اجتذاب والراء تكرار . الحركات الآن مجتمعة . والكاف : انفراد الحركة بما يشبهها (انظر الكّاف) .

والآن تتخلّى الحركة الأصلية عن الحركة المجتذبة ، إذ الأصلية منفردة أصلاً ، في حين تتجمّع الحركات المجتذبة مصنَّفةً حسب التشابه . لنرمز لأنواع الحركات بـ (n و s) ولتلاحظ الحركة العامة في الصورة :



شكل (٣٩) الحركات المجتمعة بالتاء والراء تتشكّل جانباً بحرف الكّاف
(صورة نهائية للتسلسل ت . ر . ك)

<u>المعجم</u> :

ترك الشيء : التخلية عنه .

<u>اتصالات حرف التاء</u>

يتّصل حرف التاء بالمفردات لتشكيل تنويعٍ في الاشتقاقات لقدرته على اجتذاب الحركات حوله ، ولذلك أصبح يدخل على المفردات في أولها وآخرها .

ولتعدّد إمكاناته في الاجتذاب احتيج إلى (قصف) المفردة به من الداخل لإحداث حركة الافتعال . ولكن بما أنّه صوتٌ مستقلٌ وليس من أجزاء الألف ولا من مظاهره ، فقد احتاج إلى الألف

أو أحد مظاهره ليساعده في قصف المفردة ، إذ قلنا أن المفردة لا يمكن أن يحلّ فيها إلاّ الألف :

١ . فعَلَ : إ . ف . تَ . (علَ ، علوا ، علن ، علا ، علتا) . ماضي

٢ . فعَلَ : ي . ت . ف . ا . (عل ، علان ، علون ، علن) . حاضر

٣ . فعَلَ : ي . ف . ت . (عل ، علان ، علون ، علن) . حاضر

٤ . فعل : إ . ف . ت . (علوا ، علا ، علن) . أمر

٥ . فعل : ت . ف . ا . (عل ، علوا ، علا ، علن) . أمر

ففي جميع تلك الصيغ يدخل الألف أو أحد مظاهره مع التاء .

إن دخول التاء في تلك الصيغ هو لإبراز حركة الافتعال المشتركة بين حركاتٍ كثيرةٍ ، فهذا الافتعال عبارةٌ عن تكاثفٍ وتجمّعٍ للحركات قبل أو خلال تشكّل حركة الافتعال المقصودة .

كذلك تدخل التاء على (أنْ) لتشكيل الضمائر . وهي الضمائر الخاصة باجتماع الطرفين فقط : المتكلم والمخاطب لما ينطوي عليه التاء من تجمع :

١ . أنْ . ت : للمخاطب المذكر . فالألف للدلالة على الفاعلية ، إذ المذكر هو الفاعل وخفف بالفتحة (أنتَ) التي هي أقرب المظاهر للألف بصورةٍ مباشرةٍ وهي زمكانية .

٢ . أنْ . ت . ي : للمخاطب المؤنث . الياء هنا تعبير عن الاستمرارية (انظر حركة الياء) .
وهو يشير إلى قدرة الأنثى على (التوالد) والاستمرار .
وخففت إلى الكسرة (مظهر الياء والتي هي بدورها مظهرٌ ثانٍ للألف) .

٣ . أنْ . تُ . م : الميم اكتمال الحركة ، وهو يشير إلى الجماعة (انظر حركة الميم) .
والضمّة على التاء هي إشارةٌ إلى مظهر الواو (ظرف مكان التجمع) .

٤ . أنْ . تُ . ما : (ما) . اسم موصول عند أهل اللغة . لكنّ هنا يعتبر عندهم الألف هو ألف الاثنين وقد دخل على الضمير أنتم .

لكننا نقول أن الصيغة هي بين الجمع (أنتم) والمفرد (أنتا : أن . ت . ا) ، وأقلّ الجمع ثلاثة فليس بينهما سوى المثنى . وقد ترى بعد ذلك أن (ما) على المعنى الحركي للأصوات هو في حقيقته (زوج) لا مفرد .

٥ . أنْ . تُ . نَّ : التاء إشارة إلى المجموعة والضمة مظهُر من الواو مكانيٌّ الصورة وقد استعيض عن الياء بالنون . وذلك لأنّ النون إنشاء مستمر لذلك يشير إلى جماعة النسوة (انظر النون) . وتسمى عند أهل اللغة نون النسوة . لكنّ لا أحد يدري للآن لماذا تسلك النون سلوكاً مختلفاً مرّة للنسوة ومرّة للتوكيد ؟ . إن معاني الحروف تجمع كلّ ذلك بتفسيرٍ موحّدٍ ولن يجتمع إلاّ بمعاني الحروف .

كذلك تدخل التاء للإشارة إلى (التجمعات) المجتذبة بالحركة الأولى وهي جموع المؤنث :

١ . فاعِلة : فاعلات

٢ . مِفْعَلة : مفعلات

٣ . فِعالة : فِعالات

٤ . أفعُولة :أفعولات

٥ . فَعْلة : فَعْلات

٦ . فَعِلة : فَعَلات

وإلى آخر ما هو معروفٌ من صيغٍ للمفردة المؤنثة .

وأشير هنا إلى أن هذه الإناث لا تجمع مطلقاً إلاّ بإضافة الألف والتاء . وقولهم إن مثل (أعجوبة) : تجمع على أعاجيب هو من (الأعاجيب) في فهم اللغة .

وسأوضح هذه المسألة في كتابٍ آخر (مدخل إلى نظام المجموعات) الذي هو أحد تطبيقات (النظام القرآني) .

إن المفردة المؤنثة تأخذ الهاء (وستلاحظ لماذا يحدث ذلك في باب الهاء) . وحينما تضاف أو يستمر الكلام تتحول الهاء إلى تاء . مثال ذلك قولنا : (ذهبنا إلى المزرعة) و(ذهبنا إلى المزرعةِ القريبة) ، فحدث خلافٌ حول الأصل هل الأصل هو هاء أم تاء ؟ .

إن الأصل يحتّمه اقتطاع جزءٍ من كلّ واعتباره جزءاً مستقلاً عُبّرَ عنه بمفردٍ مؤنثٍ وذلك بإضافة الهاء . فالأصل (مزْرَع) وهو قطّاع واسع و(مَدْرَس) وهو كلُّ مكانٍ يدرس فيه و(حَبْ) وهو كلّ الحبّ .. فتمّت تسمية تلك الأجزاء الصغرى بأسماءٍ مؤنثةٍ (حبّة) و(مدرسة) و(مزرعة) .

فالتوقّف عند اللفظ يستلزم أن يلفظ بالهاء لعدم وجود حركة في آخره . والاستمرار يستلزم استمرار الحركة لغرض وضع أبنية أخرى في العبارة .

فالتاء يعبّر عن اجتذاب بين القطع المنفصلة واجتماعها ، ومثلما تدخل التاء على الفعل الذي تقوم به الأنثى (فَعَلَ ـ ت) فهي تدخل على الاسم المفرد لتحقيق الترابط بين الطرفين .

فتقول (حملت النملة حبّةً) و(حملت النملة حبّةَ قمح) ، فهناك تجانسٌ بين موضعها في الفعل وموضعها في الاسم .

إذن فما قاله أهل البصرة عن أن الأصل فيها هو (تاء) وهمٌ ، إذ لا يمكن أن تنقلب مرتين ولا مسوغ للتحوّل إلى الهاء عند الوقف مع وجود ألفاظٍ تنتهي بالتاء فالأصل هو الهاء .

ستلاحظ أن الهاء استعمل لضمائر الغائبين وله علاقة باستعمالها للمؤنثة المفردة .

استعملت التاء أيضاً كما رأيت في المخطط (شكل ـ ٢٧) في الأفعال :

١ . خمسة في ماضي المخاطبين .

٢ . خمسة في حاضرهم .

٣ . اثنان في ماضي الغائبين .

٤ . اثنان في حاضرهم .

٥ . واحد في صيغة المتكلم .

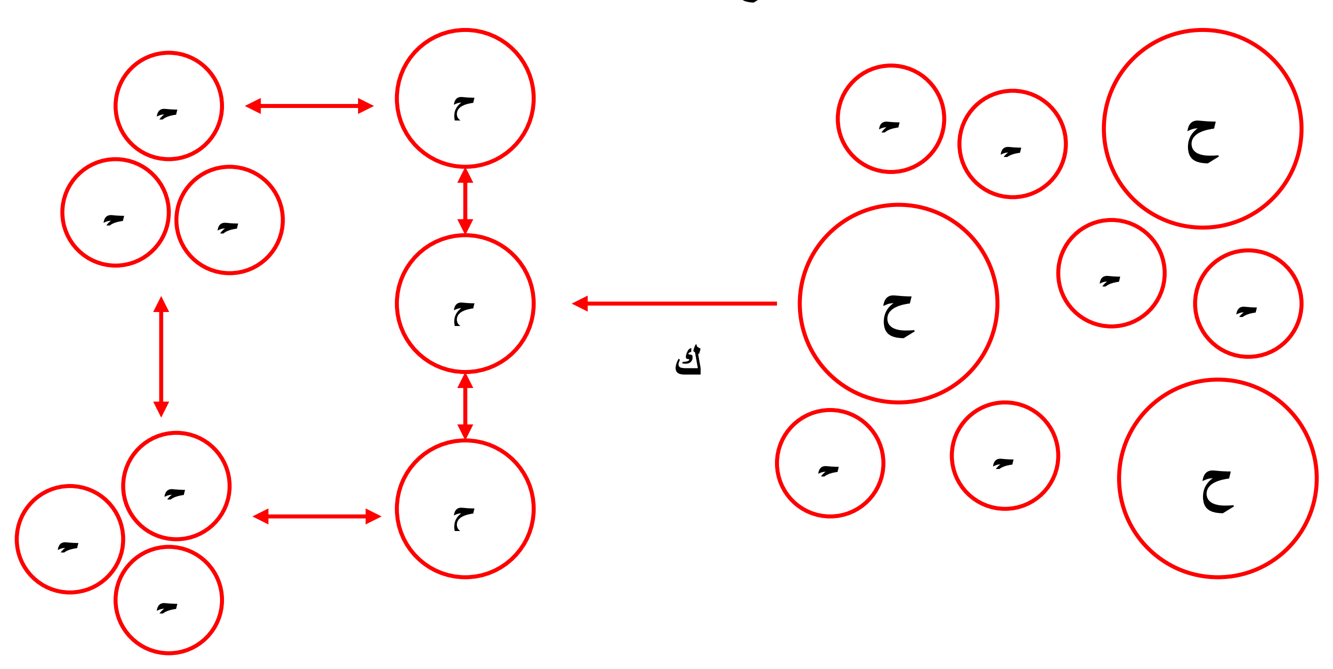
٦ . واحد في جموع أسماء الإناث .

وكذلك تلاحظ أيضاً مسألةً هامةً ، فالموارد الخمسة الأولى مطابقة تماماً للنقاط الخمسة المارّ ذكرها قبيل ذلك بشأن الضمائر . فالنهايات هي نفس النهايات في الضمائر المنفصلة والأفعال على حدٍّ سواء : (أن ـ تمَّ ـ فَعلَ ـ تمَّ ، أن ـ تما ـ فعل ـ تما ... الخ) ، أما السادسة فهي نفسها جموع الإناث .

وستأتي تسلسلات أخرى للتاء في مواضعها .

الكّاف

** تكتّلُ الحركة مع من يُشِبُهها **



شكل (٤٠) صورة حركة الكّاف
(وضعت فيه ثلاثة نماذج لإيضاح تكتّل المتشابهات)
(السهام التي بينها تدلّ على وجود ترابطٍ من نوعٍ ما)

أمثلــة :

١ . إذا رأيت شخصاً تحبّه ويحبّك في مكانٍ مكتظٍّ وتشابكت أكفّكما وخرجتما إلى معزلٍ تتحادثان فتلك الحركة (خروجكما) هي بحركة الكّاف .

٢ . المـواد المتكتلـة والمترسـبة والمنعزلـة علـى جهـةٍ فـي جميـع التحـولات والتفاعلات للمواد الكيميائية هي بحركة حرف الكّاف .

٣ . جميع أنواع التصنيف التي نقوم بها هي محاولات لمحاكاة حركة الكّاف .

من تسلسلات حرف الكّاف

ألفاظ عربية :

ك ـ م : الكّاف تكتل الحركات ، الميم اكتمال .

الحركة العامة هنا هي نفس الصورة أعلاه مع إضافة جميع النماذج الأخرى التي تتواجد في حيز التكتل .

إذن يصلح اللفظ للتعبير عن الأنواع المتعددة والأفراد الكثيرين فيها كما في قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من القرون) ، أو السؤال عن تلك الأنواع وأفرادها وذلك بتسكين الآخر .

المعجم :

كَمَّ الناس كَمّاً : اجتمعوا (مط / ٢ / ٨٠٥)

ما أدقّ قوله (الناس) ولم يقل (القوم) ، لأنّ الناس أقوامٌ وقبائلٌ وأفرادٌ ، فاللفظ يشمل جميع الأنواع التي يقتضيها الميم .

ومعلوم أن الاجتماع العام للناس يقصد به وجود نماذج من كلّ نوع ، وهذا واضح بصفةٍ خاصةٍ عند العرب في اجتماعاتهم .

إذن (الكَم) ـ بالفتح ـ مجمع هذه الأنواع . ثمّ أخذوا منه ما احتاجوا إليه فقالوا كَمَّ الدِنَّ : سدَّ رأسه – إذ الرأس هو المجمع . ثمّ أطلق على الوعاء نفسه ، حتى أطلق على كمّ الثوب لأنه بمثابة الوعاء لليد والذراع .

وقال (الكُمّةُ كلّ ضرف غطيتَ به شيئاً وألبسته إياه فصار له كالغلاف) .

إنّ هذين الحرفين (ك ـ م) الذين يعنيان : تكتّل الحركة المتشابهة واكتمالها متجسّدان في صورتهما اللفظية (كم) بصورة كاملة في الثمرة ، حيث تجتمع (الأجزاء) المتماثلة فقط وتكتمل بالنضوج لتكوين الثمرة والتي نسيجها مختلفٌ تماماً عن أنسجة الكائن الأم ـ الثمرة (لا البذرة التي داخل الثمرة في بعض الثمار) وأحياناً تكون الثمرة هي البذرة وهي مختلفة في النسيج عن الأم ـ وعند تكرّر ميم أخرى يكون الأمر أكثر اكتمالاً .

والآن تظهر لك دقّة الاستعمال القرآني حيث زاوج بين ذكر الثمرة وذكر الأكمام : (وما تخرج من ثمراتٍ من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلاّ بعلمه) ٤٧ / ٤١ .

وعندنا إن الأكمام هنا ليست الأوعية والأغلفة مثل غلاف طلع النخيل ، وإنّما هي حركةٌ عامةٌ جوهرية داخل النبات لتكوين نسيج الثمرة . وهو مطابق بصورةٍ كاملةٍ للإطلاق العام في النص على غرار : (وما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها) ـ أي كلّ ورقه يعلمها . لأنّ كلّ ورقه تسقط في النهاية . كذلك في النص السابق الناتج هو : كلّ الثمرات التي تخرج من أكمامها يعلمها ، لوجود أداة الحصر

مع ما النافية .

فالنظر السطحي للآية يزعم أن المقصود بها بعض الثمار لأنّ أكثر الثمار ليس لها أكمام . معلوم أنّهم يُعذرون لجهلهم الشديد باللغة عموماً وبمعاني الحروف خصوصاً ووقوعهم تحت رحمة المعاني الاصطلاحية .

والحرف (من) في العبارة (من أكمامها) ليس لتحديد الضرفية لأنّ الضرفية محددةٌ أصلاً بالنبات ، وإنّما هي لتحديد المصدر الحركي مثل : (وخلقنا من الماء كلّ شيء حي) . أي أن الماء تشكّل في تراكيب الأحياء ومثل : (يخرج الحي من الميت) .

ك . م . د : الكّاف تكتل الحركات المتشابهة ، الميم اكتمالها أنواعاً وعدداً (إذ يبني الميم الآن على ما فعله الكّاف) ، الدال اندفاع إلى هدفٍ محددٍ (راجع الدال) .

الناتج من الحركة هو أن المجتمعين المتشابهين تفرقوا قِدداً بالدال . وإذا كان هذا مجلس يضمّهم فقد خلا من الناس .

المعجم :

كمَدَ الشيء كَمداً : تغيّر لونهُ ، كَمَدَ الثوب : اخلَقَ فتَغيَّرَ لونهُ .

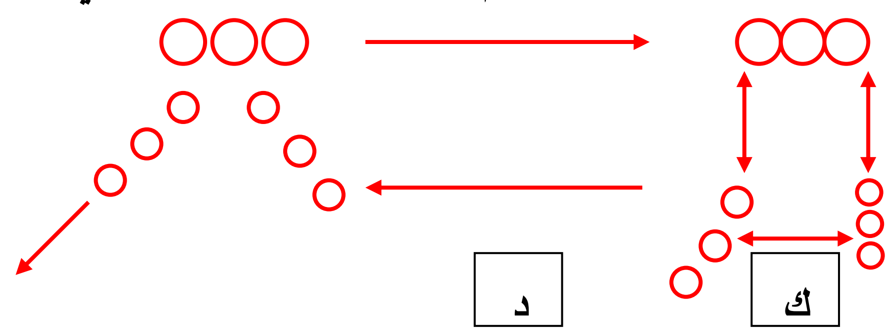
كَمَدَ لُونه : تغيَّرَ وذهب صفاؤه .

أكمَدَ الغسّالُ الثوب : لم يُنَقِه .

(كلّ هذا تمثيل على الحركة)

ك . د : الكّاف تكتل المتآلفات من الحركات ، الدّال اندفاعها إلى هدف محدد .

إذن هناك اندفاع حركي بشكلٍ جادٍ في أكثر من اتجاه ، إذ أن الدال يبني حركته على حركة الكّاف والكاف حدّد المتماثلات ، ولكل تماثل وجهته قبل الكّاف فإذا افترضنا السهام تشير إلى الجهات أمكن ملاحظة ما يحدث بعد الدال : أنّه فصمٌ وتكسيرٌ للأواصر الرابطة التي صنعها الكّاف .



شكل (٤١) صورة لأول حركتين في (كدد)

إن الدال لا يغيّر الجهة إذا سبقه حرف بل سيندفع بالجهة المحددة سلفاً . وهناك حروف يمكنها تغيير الجهة وتحديدها تأتي في موضعها إنشاء الله .

والنتيجة أن العمل كما تلاحظ هو عملٌ مجهدٌ .

المعجم :

كَدَّ فلان كَداً : اشتَدَّ في العمل . كدَّ فلاناً : ألح عليه فيما يكلفه من العمل إلحاحاً يرهقه .

رأيت القوم أكداداً وأكاديد : فرقاً وإرسالاً .

الكدود : الرجل لا ينال خيره إلاّ بعسرٍ . المكدود : المغلوب على أمره

ك . د . ر : نفس الحركة السابقة مع إعادة تكرار الحركة . إذن يتكون خليط من تجمعات كثيرة مختلفة.

المعجم :

كدَرَ اللون : نحا نحو السواد .

أقول : هنا مسألة علمية هامة : فالأسود يتكوّن فيزيائياً من جمع الألوان المتعددة .

كَدَرَ الماء : نقيض صفا .

انكَدَرَ عليه القوم : انصبوا على اختلافهم . وفي التنزيل : (إذا النجوم انكدرت) قال : تناثرت

أقول : هنا خطأ مخالفٌ للاصطلاح والأصل سويةً : لأنّ كلّ نجم ينكدر ، وإنّما المقصود حدوث حركة داخلية تمنع من انبثاق النور من النجم (فلكياً هو التقزّم : وهو عملية زيادة كتلة النجم مع صغر حجمه وإلى حدود إن تصل جاذبيته إلى درجة أن لا يفلت منها شيء بما في ذلك الضوء وعندها يدعى بالثقب الأسود) .

ك . ر . د : الكّاف تكتل المتآلف من الحركات ، الراء تكرار وإعادة .

فالحركة الآن تشبه تجمع عدة كراديس مختلفة بنظام معين ، ويعاد تنظيم الوضع والنظام مجدداً .فإذا دخل الدّال فالحركة العامة تشبه محاولة هجوم متكرّرة بأنظمة تختلف بين لحظةٍ وأخرى . فالدّال يدفع الحركة ولكن التوجّهات الأولى تختلف بسبب الراء .أنّها محاولة مجهدةٌ جداً

لمقاومة حركةٍ مقابلةٍ . لكنّ المعجم لم يشِرْ إلى طبيعة الحركة فقد اكتفى بالقول : كَرَدَهُ : كفّهُ ، وكرَدَه كرداً : طردَهُ .

أقول : لم يطرده ولن يقدر وإنّما يبطئ من حركة تقدّمه فقط .

كرَدَ الصدأ والتكلس : حكّه حكاً شديداً بمختلف الاتجاهات لتخفيفه . (عم)

كَرَدَ الأرض : حاول تسوية ما ارتفع منها (ليست في معجم) .

د . ر . ك :

الدال : اندفاع إلى هدفٍ مقصودٍ ، الراء : تكرار منظم ، الكّاف : تكتل للمتآلفات .

هذه الحركة عقلانية جداً ومنظّمة وتوصل حتماً إلى نتائج .

<u>المعجم</u> :

أدرك المعنى بعقله : فهمه ، أدرك الشيء ببصره : رآه . أدرك الثمر : نَضُجَ ، أدرك الصبي : بلغ الحلم ، أدرك فلان : بلغ علمهُ أقصى الشيء . دارَكَه : اتبعَ بعضه بعضاً . تدارك الشيء بالشيء : اتبع الشيء بالشيء ، الدَرَك : التَبِعة . قالوا : الدرك : الأسفل من كلّ شيء له عمق .

أقول : الأصل : الموضع من المنزلة ، فأينما يكون موضعه من المنزلة فذلك هو (دَرَكَهُ) . وفي التنزيل : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) ، أي ذلك ما يدركون من المنزلة ، و(لا تخاف دركاً ولا تخشى) ، أي لا تخاف أن يدركوك (عملاً مدركاً منهم) . ولو كان (الدرك) أسفل كلّ شيء لاكتفى بالقول (في الدرك من النار) من غير (الأسفل) .

(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)

لا يمكن للعقول أن تميّز بين صفاته أي لا يمكن أن يكون موضوعاً (للإدراك) . والأبصار هنا ليست آلة النظر .

رجال الدَرك : اصطلاح : الشرطة لإدراكهم الفارَّ والمتَّهم .

ك . ت : الكّاف : تكتّل الحركة مع أمثالها ، التاء : اجتذاب الحركة لغيرها من الحركات .

فالحركة العامة هنا تشبه تشكيل لجان مختلفة المهام (وهو ما يقوم به الكّاف) وتقوم باجتذاب مؤيدين وأنصار (في الانتخابات مثلاً) وهو ما يقوم به حرف التاء .

وجميع استعمالاته المعجمية تمثيل ما عدا الفعل (كتَّ يكتّ كتّاً) أي تتبّعَ الأفراد فأحصاهم وعدّهم .

ولا يستطيع المعجم التمييز هنا ، إذ هو ليس مجرّد إحصاء وإنّما هو استقصاءٌ شديدٌ في الإحصاء والمتابعة .

لذلك أكثر ما استعمل في النفي . قال : وأكثر ما يستعمل في النفي يقال : أتانا بجيشٍ ما يُكتُّ أي ما لا يعلم عددهم .

كتَّ الأرض : أحصى ما عليها من نباتٍ وشجرٍ .

أقول : كأنّه استقصى كلّ بقعةٍ وكلّ نبتةٍ على الأرض (مبالغة) .

إنّ تقلّبات (كتَّ) مع الحاء والراء كلّها تمثيلية ومبتعدةٌ عن الحركة الأصلية فمثلاً (كتح) : حدث تعاظمٌ بالحاء للتكتّل والتجاذب ولكنه أطلق على ما يبقي أثراً من رمي قطعٍ متعددةٍ كالحصى والرمل.

كتح فلاناً : رمى جسمَه بما أثر فيه . (أقول ليس كلّ رميٍّ وإنّما هو الرمي الخاص بالحصى) ، (كتح وجهه بالحصى) .

كتح الأرض : أكل ما عليها من نباتٍ وشجرٍ .

ك . ت . ر : (كترَ) وقد استعمل في المعجم بمعنى : السنام المرتفع ، بناء كالقبّة ، الهودَج . لأنّ الراء أعاد الحركة (كتّ) فبانت مضطربةً جداً : فأطلق على كلّ ما يتماثل في الحركة سنام وهودج ، ومشية مترنحة .

قال : (الكَتْرُ) : مشيه فيها تخلّجٌ . كمشية السكران . وانقطاعٌ بين الحركة والحركة التي تليها .

استعمال الكّاف للتشبيه

نظراً لقدرة الكّاف على فرز المتآلفات مع بعضها على شكل مجموعات فقد أستُخدِم كأداةٍ تفيد التشبيه .

ويمكننا التعويض عن كاف التشبيه بحركة الكّاف المعرّفة بالجملة السابقة من غير إضافات مؤثرةٍ سوى الظرف الزماني (عند) والمكاني (يوضعُ مع) على النحو التالي :

لنفرض جملةً استعمل فيها كاف التشبيه مثل : (إنّ السفرجل كالتفاح)

ولنعوض عن الكّاف بالتعريف :

[إنّ السفرجل (عند) تكتله مع من يشبهه (يوضع مع) التفاح]

(ك)

إذن فالكاف لا يعوض عن العبارة وحدها ، بل وعن الظرفين المكتنفين للعبارة أيضاً ، فهو حركةٌ تامةٌ تستبطن ظرفي الزمان والمكان .

وسلوك الكّاف لا يتغيّر فهو يعمل نفس العمل أينما جاء . ولكن الحروف جميعاً تبني حركتها . كما علمت من قبل . على الحركة السابقة .

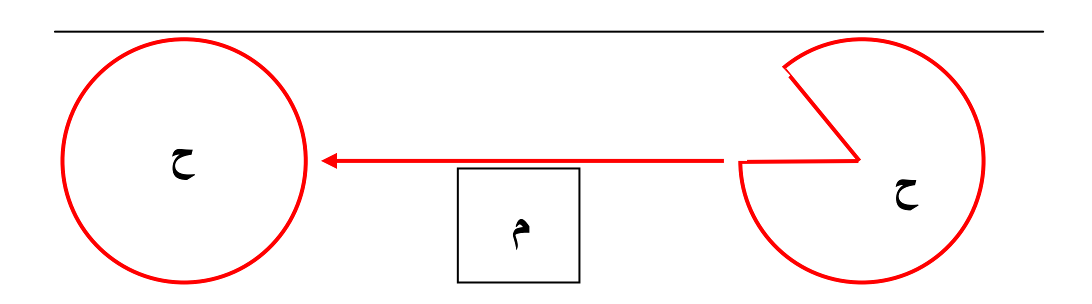
ولا أعلم شيئاً عن أدوات التشبيه في اللغات . ولكن يبدو أنّه لا يمكن الاستغناء عن الكّاف إلاّ بمفردةٍ مستقلةٍ كاملةٍ تؤدي الحركة جزئياً .

وما أعلمه عن لغتين تستخدمان الكّاف في التشبيه وهما الإنكليزية في (لايك : like) ، والروسية في (كاك) . لا يكفي للتعميم .

ستأتي تسلسلات أخرى للكاف في موضعها .

الميم

** تكامل الحركة بإتمام ما ينقُصها **



شكل (٤٢) صورة حركة الميم

الميم حركة جوهرية رسمنا لها دائرةً ناقصـةً واحدةً فقط وتكتمل بالثانيـة . فهذا الانتقال يمثل الحركة الميم .

وأنبّه القارئ الكريم إلى أننا حينما رسمنا عدداً أكثر من الدوائر مع الكّاف والتاء فلأن تلك الحروف لا تعمل إلاّ (باشتراكٍ) مع الحركات ، بمعنى أن عملها في الأصل هو في المجموعات ، فهي (تضفي) صفة التجمع أينما وقعت . فإذا جاء الميم أولاً على سبيل المثال فإنّك تـدرك حركـةً واحدةً ولكن إذا جاء التاء أو الكّاف بعده علمت أن الحركة مشتركةٌ وأنـها مجموعةٌ وكذلك الأمر مع باقي الحروف .

أمثلـة :

١ . إذا قطعت أكثرية الجزءِ الخضري من شجرةٍ ما وعادت تنمو لـها براعم وأغصان ورجعت هيئتها إلى ما كانت عليه ، فتلك الحركة التي حدثت فيها هي حركة الميم .

٢ . ميل العناصر الكيميائية إلى الاتحاد مع بعضها البعض هو بحركة الميم .

٣ . كلّ ما نفعله من عمليات (التجميع) مثل تجميع النظم بنظام موحد ، تجميـع القوى المختلفة ، تجميع المعلومات عن قضية ما ، تجميع المصادر لبحثٍ معينٍ ... هي محاولات لمحاكاة حركة حرف الميم .

٤ . حركات التطوّر الثابتة في الطبيعة كقوانين دائمة هي بحركة الميم .

الخصائص المختلفة لحركة الميم

حركة حرف الميم حركةٌ معقدةٌ جداً بخلاف سلوكها الظاهري كصوتٍ لـه حركـةٌ مبسطةٌ وواضحةٌ . والميم يسلك سلوكين أحدهما ظاهري وهو عمله كصوتٍ ذي حركةٍ بسيطةٍ ، والآخر باطني . وشرح ذلك معقدٌ جداً ، ولكن لو سألت مثلاً : إن الحروف التي مرّ ذكرها كانت عبارةً عن حركةٍ وقد تمَّ رسمها بصوره بسيطة ، وهي حركة عامة تصلح نموذجاً لعددٍ لا يحصى من الحركات في الطبيعة . ولكن هذه الحركة نفسها بأيّ شيء تتمّ وبأيّة علّةٍ ؟ . فيقال في الجواب أنّها تتمّ بحركة الميم .

الميم مسيطرةٌ على حركات الحروف وموجّهة لها ، وحركاتها تتم داخلياً بحركة الميم . ولكن مظهر هذا السلوك المعقد مظهرٌ واضحٌ ، إذ أن الميم عبارة عن ألفٍ مقصورٍ عن بلوغ الظهور التام ، فهو أكثر بساطة من الحروف ويخلو من أي تعقيد تميّزت به مظاهر الألف الأربعة الظاهرية بما في ذلك ألف الألف وأعني بها الصوت (آ) .

أنّه عبارة عن (مَثَلٌ) بسيط جداً للألف الحقيقي . فمن جهة هو (مِثْلُ) الحروف الاخرى ومن جهة أخرى هو (مَثَلٌ) حرفي للألف الذي لا يمكن تصويره أو إدراك معناه ، لذلك فالميم بمثابة (روحٍ) للحروف لا تظهر حركاتها إلاّ به .

لقد اجتمعت في الميم خصائص غريبة : فمثلاً أن هذا الحرف وحرف النون يمكن مدّهما صوتياً لآخر نقطةٍ من هواء الصدر بخلاف بقية الأصوات . كذلك فهو ممكن النطق في حالةٍ أخرى وهي حالة السلب التام لمراكز الحركة ، وهي حالة غير (الوضع الابتدائي) . فهو كصوتٍ يمكن أن يتشكّل بصورة (نبضةٍ) ويأخذ (زمناً) محدداً كزمن الأصوات الأخرى بحيث أنّه لو كان رجلاً لقلت : هذا بشر مثلنا لا فرق .

ولكنه في السلوك الآخر يمكن أن يمتدّ مع امتداد الألف بحيث يبدو من ذلك أمر غريب وهو أن الألف وإن كان هو الذي ألّف الميم ، فإنّه يعلن بهذا العمل أنّه ما كان ليُعرف وما كان ليُسمّى وما كان له أن يكوّن الحروف لو لم يستبطن الميم . الإطباق التام للفم وإسكات آلة النطق ينتج (ميماً واضحاً).

الألف استبطن الميم أولاً . ليخرج الميم بسيطاً واضحاً ، لكنّ الميم يستبطن الألف الذي لا يدري أحدٌ ما هو . وكأن الحركة العامة والمطلقة للميم على جميع الحركات تنبئ من طرفٍ آخر أنّه إذا كان الأمر كذلك فمن الحمق محاولة معرفة الألف .

مظهر الألف نفسه لا يخرج حتى تفتح فمك ، بينما الميم يمكن نطقه ولو لم تقم بإطلاق صوت نبضي . فإذا أغلقت فمك نطقت الميم ممتداً أيسر من نطق مظهر الألف . وبين

الألف (المظهر) والميم فرق كبير ، فحيث يظهر الألف يختفي الحقيقي وحيث يظهر الميم يمكن تذكّر الحقيقي كونه لا يدرك . وإذا قمت بتحليل الأسماء الخاصة بالحروف العربية باعتبارها كما رأينا نظاماً متصلاً بحركاتها وباستعمالات اللغة وجدت الميم في داخل الألف .

أ . ل . ف

إلف لام فـا

أ . ل . ف ل . ا . م ف . ا تحليل لمرتبةٍ واحدةٍ .

==

٣	٢	٢	١		
أ	ل	ف	م	=	٢ ألف + أ + م

نلاحظ في التحليل لمرتبة واحدة فقط أننا إذا سمّينا حروف الألف بأسمائها (إلف . لام . فا) ولاحظنا مجموع هذه الحروف وجدناها ثمانية .

إذا جمعنا المكرّرات نتج (ثلاثة ألف ، اثنان لام ، اثنان فاء ، واحد ميم) .

معنى ذلك أن الألف الحقيقي (جوهرٌ فرد) لا يكون زوجياً مطلقاً ولا يمكن بالتحليل الوصول إليه إذ يبقى دوما ألفاً منفرداً فهو يحمل صفة اللانهائية .

وبالمقابل نجد (ميماً) لا ندري ما هو وأين نضعه ؟ هل هو مثل الألف ؟ .. لا يمكن .. لأننا الآن نحلّل الألف لا الميم . فالميم مقيّدٌ بالألف ولكنه هو الآخر يحمل صفة التفرّد لا الانفراد مثل الألف .

الميم زوجيٌّ لكنه بزوجيةٍ مختلفةٍ تماماً . فهو زوجيٌّ مع نفسه ولا يسمى إلاّ بإسمه وقد يجعله الألف من جملة أسماءه ولكنه يبقى لا وجود له إلاّ بالألف (م . ي . م) .

ومعنى ذلك . كما سترى من الحركات الأخرى . أن الميم يتوقّف تفرّده على الألف بينما لا يصح العكس فالألف منفردٌ بذاته .

وإذا قمت بتحليلٍ لمرتبةٍ أخرى نتج من ذلك (سبعة ألف ، خمسة لام ، خمسة فا ، أربعة ميم ، واحد ياء) ومهما استمر التحليل إلى مراتب أخرى يبقى الألف فرداً .

إذا لاحظت اسم الميم فإنّه تسمّى بنفسه .. ولكنه لم يستطع تسمية نفسه إلاّ بالألف حيث أخذ المظهر الزماني للألف وهو الياء (م . ي . م) متوسطاً به للوصول إلى تسمية نفسه .

وهذا يعني أن امتداده هو حيث ما امتد الألف ، ولكنه امتداد مقيّد بطبيعته (المحدودة) كونه

صوت . ويمكن القول أنّه الصوت الحقيقي للألف ، لا صوت الألف الحقيقي .

الفرق بين الميم والحاء

ستتعقّد الحركات في الحروف الباقية نوعاً ما وتكثر التعاقبات وتختلط التسلسلات ، لذا أؤكد مرّة أخرى على ضرورة التركيز والفصل بين الحركات . حركة الحرف شيءٌ جوهريٌّ ولكن التطبيقات مختلفةٌ لذلك يتوجب النظر في الأمر والتساؤل : ما قيمة الحركة التي تريد وصفها بالضبط ؟ .
وسأذكر إن شاء الله الفوارق وأنبّه إلى المواضع التي يحدث فيها الالتباس كلّما سنحت الفرصة . وأذكر الآن الفرق بين الحاء والميم إذ ربّما يتوهّم المرءِ أن التعاظم في الحركة والتكامل هما شيءٌ واحدٌ . فإذا كانت الحركة (نصف دائرة) فإنّ الميم يكمّل النصف الآخر ولكنه لن يزيد في حجمها . أما الحاء فلا يستطيع إكمال النصف الآخر وإنّما يعظِّم النصف الأوّل إلى أقصى حدٍّ ممكنٍ .
فإذا كان لديك بستان فيه عشرة أشجارٍ ويسع لثلاثين شجرة فإذا أتممت زراعة المساحة الفارغة بالأشجار فهذا عمل (الميم) . وإذا رعيت العشرة فقط وجعلتها باسقةً مثمرةً فهذا عمل الحاء ، وبالطبع فالجمع بين أمرين أحمد (ح + م) .
لكنّ زيادة العدد نفسه ستكون من عمل (الحاء) عندما يكون العدد هو الأساس في الحركة . فإذا كان لديك تجمّع نقابيٍّ أو سياسيٍّ فزيادة العدد هنا من عمل (الحاء) وسيكون عمل الميم هو اكتمال أسس ومبادئ وأنظمة هذا التّجمع وهكذا فيجب الانتباه إلى الحركة عند المطابقة .

علاقة الزمان والمكان بالميم

الميم حركة تستبطن الزمان أولاً لوجود (الياء) في اسمه وثانياً كلّ تكاملٍ في الحركة يستلزم عملياً مرور زمان فهذا الزمان داخلي .
أما الظاهر فالميم متجسّدٌ في مكانٍ ما ويشير ظاهرياً إلى الموضع الذي تكتمل فيه الحركة ولهذا السبب دخل على أول التسلسلات ليعطي معنى المكانية . مثل عَمِلَ (معمل) ، صَنَعَ (مصنع) ، كَتَبَ (مكتب) ، رَقَدَ (مرقد) .. الخ . والفعل الماضي معلوم الزمان (قد مضت الحركة فيه) فأدخل الميم على آخره ليشير إلى (اشتراك مجموعة) في إتمام العمل في موضعه ، وذلك بالاتصال مع التاء التي تشير إلى اجتذاب الحركات المختلفة عند مخاطبة المتكلم لهذه المجموعات مثل : عَمَلَ (عملتم) ، صَنَعَ (صنعتم) ، كتب (كتبتم) .. الخ .

إذا وجد ألف في آخر التسلسل تحوّل في الخطاب الآنف الذكر إلى (ياء) وهي مظهر الألف الموجود في باطن الميم مثل :

نها : (نهيتم) ، طوى (طويتم) ... الخ . وهذا الانقلاب هو رجوع إلى الاسم فيمكن تجزئته إلى مبتدأ وخبر : (نهيُ . تمَّ) ، (طويٌّ . تمَّ) ، لأنّ كلّ لاحقةٍ من هذا النوع هي (تمَّ) وهي أبسط حركات الميم التطبيقية . ويقال في الاسم (طيَ) لا (طوي) ، لأنّ الياء مظهر زمان الألف فهو يتضمّن الواو في جميع الأحوال ، بيد أن وجود المكان يبطئ من تحرك الزمان أي أن : (طوْي) ليست مفردة خاطئة ولكن الطي يحدث فيها بطيئاً جداً : فإذا قلت : (طويت البساط طوياً) فهمنا إنّك فعلت ذلك بعنايةٍ وتمهّلٍ وإذا قلت : (.. طياً) : فقد فعلت ذلك كيفما اتفق وبسرعةٍ .

وسنوضّح العلاقة بين الميم والنون من جهةٍ وبين مظاهر الألف من جهة أخرى في حرف النون بشيء من التفصيل .

من تسلسلات حرف الميم

ألفاظ عربية :

م . ك . د : الميم اكتمال الحركة ، الكّاف تكتّل للمتآلفات ، الدّال اندفاعٌ مقصودٌ لأبعد مدى .

الحركة العامة المتألفة من هؤلاء الثلاثة تفيد في وصف أي شيءٍ ذي منفعةٍ بشكلٍ مستمر لا ينقطع ، فالميم جعل الحركة مكتملة والكاف جعلها مثمرة ذات فائدة والدّال دفعها إلى الهدف .

المعجم :

شاة مكود وماكدة : غزيرة اللبن .

بئر ماكدة : غزيرة الماء ، ماء ماكد : دائم لا ينقطع .

م . ك . ر : الميم اكتمال الحركة ، الكّاف تكتل للمتآلفات ، الراء إعادة وتكرار منظّم

سأصوّر هذه الحركة بمثال :

لديك موضع في مكتبة فيه كتب تبعثرت وتناثرت ونهب بعضها وضاع الآخر . فإذا دخل الميم الآن إلى هذا الموضع فإنّه يكمل جميع ما ينقصه من بناء أو أثاث أو كتب ناقصة يقوم بجلبها إلى الموضع .. إلى أن تنتهي مهمته (إتمام) . وأمّا الكّاف الذي يدخل بعد إنهاء الميم لعمله

فإنّه سيجد الأشياء تامةً ولكنها غير منظّمة لذا فهو يؤلف بينها ويضع الكتب في مواضعها وينظّم كلّ شيء فيها (متآلفات) .

المكتبة الآن جاهزة للانتفاع منها ولا تحتاج إلاّ إلى حركة ملائمة لما فعل السيدان (ميم وكاف) . لكنّ شاءت الأقدار أن يدخل السيد (راء) وهو مصرّ على القيام بعمله بالإعادة والتكرار . القانون الثابت أنّه يعيد آخر حركة وجدها فلماذا يعيد السيد راء تنظيم المكتبة وهي منظمة بالكاف ؟ أنّه بالتأكيد يهدف إلى جعل الأمور ملتبسة على القرّاء .

لقد أصبح مجموع الحركة يفيد (المكر) .

المعجم :

مكره مكرا : خدعه فهو ماكر ، تماكروا : احتال بعضهم على بعض . المَكْرة : التمرة الفاسدة (لاحظ مكمن الخديعة إذ يحسبها المرء تمرة تؤكل فإذا هي فاسدة) . فكذلك حين يدخل القارئ إلى تلك المكتبة بعد مجيء الراء فإنّه سيجد خرائط في الجغرافية في داخل جمهورية أفلاطون مطبوعة من الأصل بأحسن ما تكون الطباعة !! .

إذن المَكرةُ : مثل (الغدرة) تصدق على أي شيءٍ ظاهره صلاح وباطنه فاسد : خطة ، كتاب ، قرار ، تمرة ، رمانة ... الخ . والتزام المعجم بكونها تمرة إنّما هو تقيّد بما ورد عنده في الاستعمال لا غير .

م . ك . ن : في المثال السابق لو دخل أحد الحروف التي يكون عملها مكملاً لحرف الكّاف مثل (نون) الذي يفيد إنشاء حركة جديدة متطورة عن الحركة السابقة لأصبحت في المكتبة (إمكانات) أكبر إذ سيقوم بفتح أبوابها للعمل وإدخال السادة الباحثين عن المعارف .

إذن ستكون المكتبة (مكينة) في أداء غرضها (أُنظر النون) .

ر . : . م : لقد كان في (مكر) حركة منظمة ومدروسة للاحتيال والخديعة . والآن إذا قلب التسلسل كلّه بالمعكوس فالناتج ليس سوى خراب للخطة كلّها ، إذ كيف يعمل الكّاف في تجميع المتآلفات المتشابهة بعد الراء ؟ .

إذا دخل السيد راء أولاً إلى المكتبة الآنفة الذكر فسوف يعمل عدداً لا حصر له من النسخ والأشياء وإذن فسيقوم السيد (كاف) بوضع المتشابهات بعضها فوق بعض فتصبح كالتلال ويدخل السيد (ميم) بعد ذلك ليكمل الشوط فماذا يعمل ؟ . سيقول الكّاف : أحسنت هذه مزبلة لا مكتبة

ومن ناحيتي سأجعلها مزبلة كأتمّ ما تكون المزابل لعل أحداً يحرقها بعدي !! .
(ليَميَّز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً في نار جهنم) ٣٧ / ٨

لكنّ إذا طار الحرف راء إلى السحاب فهناك يكرّر عمله ويجلب للمنطقة جميع السحب المجاورة ويأتي الكّاف فيؤلف بينهما (بالشحنة أو غير ذلك) وتتكون تلال عظيمة من السحب ويأتي الميم ليتمّ عمله فيجعل التأليف الذي فعله الكّاف مستمراً لأدقّ الجزيئات ومتكاملاً . إذن سينزل (الوَدْق) من خلاله :

(ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثمّ يؤلف بينه ثمّ يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله) ٤٣ / ٢٤

لنحاول ملاحقة حرف الراء أينما ذهب ... لقد ذهب الآن إلى منطقةٍ وعرةٍ فيها نياسم ودروب واختار أحدها وراح (يكرّر) السير جيئةً وذهاباً واستدعى حرف الكّاف ليؤلف بين متشابهات الطريق ، وقام الكّاف بعمله مضيقاً المسافة بين مقتربات مرور الراء إلى أدنى حدٍ ممكنٍ ، ومستبعداً أي طريق لم يمرّ به الراء . وجاء الميم فأتمّ العمل بإزالة المساحات الباقية وأظهر الطريق كما لو كان هو الممر الوحيد الأكثر سهولة . الطريق الآن صنفان بفضل الكّاف وصاحبيه : (طريقٌ ومرتَكَم) حيث المرتكم هو الجادّة حسب تعبير المعجم .

وغايتنا من هذا الإسهاب بمتابعة التسلسل إلى مناطق مختلفة هي إظهار أن الحركة (التسلسل الواحد) ثابتة وانك تقوم بملاحظة انطباقها على الحركة الخارجية .

إن الحركة في داخل التسلسل واحدة لا تتغيّر وإذن فليس هناك أي تسلسل اعتباطي .

ك . ر . م : الكّاف تكتل المتشابهات ، والراء تكرار والميم اكتمال .

هل رأيت أجمل من هذه الحركة المتناسقة ؟ ..وإنّا لنخشى عليك الالتباس إذا زعمت أن الراء جاء بعد الكّاف أيضاً في التسلسل (مكر) . وقد قلنا هناك أنّه عمل حيلةً ومخادعةً إذ نظّم الكّاف   (المكتبة) فلا عمل له سوى المخادعة . وهذا صحيح لأنّ الميم أتمَّ النواقص كلّها قبل الكّاف . أما الآن فالكاف هو الذي ابتدأ الحركة وهو منفتح على حركات الطبيعة كلّها وهي بلا حدود ، فإذا كرّر الراء عليه تكتيل المتشابهات فإنّما يريد معرفة الموجودات كلّها . ويأتي الميم ليكمل العمل ، وهل هناك من   (كريم) تصدق عليه هذه الصفة بمثل هذا الإطلاق سوى الإله جلّ وعلا ؟ .

نعم يطلق اللفظ (تمثيلاً) على ما هو محدود في ذاته .

<u>المعجم</u> :

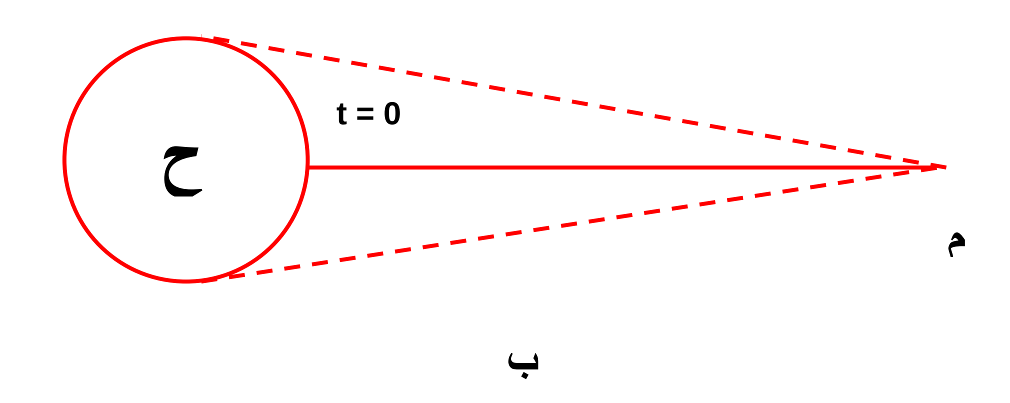
كَرُمَ السحاب : جاد بالغيث ، كَرُمتِ الأرض : زكا نباتُها ، كَرُمَ فلان : أعطى وجاد ، تكارم عن الشيء : تنزّه عنه ، الكرامة : الأمر الخارق للعادة على غير جهة التحدي .

الكَرَمُ : الصفح والتجاوز ، الكريم : من صفات الله تعالى وأسماءه وهو الكثير الخير الجواد الذي لا ينفذ عطاؤه والصفوح . والكريم : صفة كلّ ما يُحمد في بابه : وجهُ كريم وكتابٌ كريم .

ملاحظة : مرت تسلسلات للميم وستأتي غيرها .

الباء

** انبثاق الحركة من مكمنها بقوةٍ بعيداً عن المركز **



الشكل (٤٣) يمثل حركة الباء

الخطان المنقّطان هما للدلالة على أن الحركة عبارة عن نشوءٍ سريعٍ بما يكفي لإنعدام الزمن فقط ، وما بين المركز والحركة ممتلئ بعنصر المكان وحده .

والمقصود بالمركز نقطة القطب الكامنة في دائرة الحركة الممكنة . فإذا لم تكن الحركة ممكنة عملياً فليس ثمة انبثاق ولا مركز . يبقى الباء متمركزاً في الحركة ويمثل قطباً فيها .

أمثلـة :

١ . إذا أشعلت فتيل السراج فالضوء الصادر منه يصدر بحركة الباء . وإذا قلت أن للضوء سرعةً معلومةٌ ، فليس المقصود بالتعريف ما توهّمته بل المقصود الزمن بين الاتقاد وصدور الضوء ، إذ ليس بينهما زمن ، أو بين الشعاع والشعاع لأنّ الشعاع متصل فلا زمن .

٢ . جميع الحركات في الحروف تكوّنت بحركة الباء . وأمّا مادة التكوين فهي الميم الجوهري الأوّل المرافق لخروج مظهر الألف من الحلق عند السلب التام لمراكز الحركة ولنقل أن اسمه (الميم الممتد) . وعلماء اللغة يسمونه (الصوت المغلق) . ونحن فرّقنا بينه وبين صورته الجامدة كصوتٍ له صورةٌ ، أي بين كونه ممتداً مع الألف وكونه صوت نبضيّ مثل باقي الأصوات . فهو كصوتٍ يتكون بالباء ولكنه بصورته الجوهرية الأولى قبل الباء .

٣ . يمكن القول أن الوجود كلّه قد تكون بحركة الباء ، وبالتسلسل (ب ـ م ـ ب) ، ولكن صور

الموجودات استقرّت فيما بعد بالتسلسل (م ـ ب ـ م) فهذا الانبثاق بين تكاملين هو مصدر الحركة المستمرة للآن في الموجودات .

إذن الترتيب يكون على النحو التالي :

ح١ ح١ ص١ ص١ ص ح

ص ح

ب ← م ← ب ← ← ← م ← ب ،

م .... الخ .

الحركة الجوهريـة الأولـى للباء كوّنـت الحركـة الجوهريـة المتكاملـة للميم ، وهذه الأخيرة كونت الباء كحركة عامة وصوت ، والأخير كوّن الحركات المستمرّة في الطبيعة ومنها حركة وصوت الميم .

ومن أين تكوّنت الحركة الأولى للباء ؟

لقد تكونت بـالألف(بالضرورة القصوى) . فالألف منفصل تماماً عن الحركات ، ولم تتكون هي من الألف مطلقاً بل به فقط .

أما كيف حدث ذلك فمن يدري ما هو الألف الأوّل حتى يعلم من أين جاء بالباء ، والسائل والمسؤول تكوّنا بالباء الأخير و(الأين) ـ الشيء أو المكان الذي يسأل السائل عنه كمصدر للباء لم يتكون إلاّ بعد الباء ؟ .

إذن فالسؤال مخالف للفكرة والفكرة نفسها لا تسمح بمثل هذا التساؤل .

وكيف كوّن الميم الجوهري صوت الباء الأوّل ؟

جوابه مسألة علمية واضحة . فإذا رجعت للميم رأيت أنّه عبارة عن حركة جوهريـة للتكامل ... فتكونـت بـذلك حركـةٌ عنيفـةٌ فـي الوجود بقوّة النـون التـي هـي قوة الإنشـاء والتكوين (انظر النـون) والتي أحدثت رنيناً واضطراباً كوّن صوتاً أولياً هو الباء .

واستمر النشوء فأنتج صوت الميم الأوّل وهو حركة تكاملية هي من جملـة مـا تمخّض عنهـا نشوء آلة النطق عند الإنسان ، وكونت تلك الآلـة صوت البـاء المعروف وباقي الأصوات . ولم يبق من أثر الاضطراب شيء للباء سوى صوته الحالي ، لكنّ رنين النون ونغمة الميم تركت أثرا باقياً في آلة الصوت يخرج به النون والميم ولو مع إخماد كلّ حركة في مراكز الأصوات .

ولماذا لم تبق للباء بقية ؟

والجواب : كيف تبقى وهو في الحقيقة البقيّة التي تُرى كلّ حين ؟

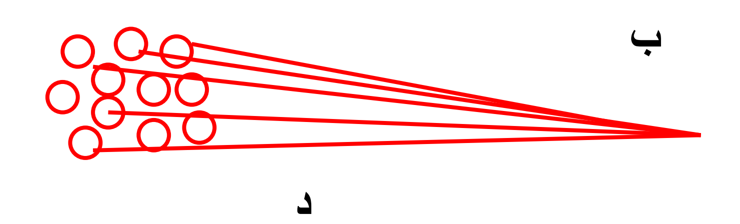
إن زمن انبثاق الحركة بالباء هو صفر ولكن الحركة نفسها باقية فكيف يمكن تمديد زمن الانبثاق؟

ألا ترى إنّك لا تستطيع تمديد زمن انفجار الكتلة التي يكون التفجّر من داخلها كالكتلة الذرية وغيرها ؟ لكنّ آثار الانفجار باقية إلى زمن أطول .

من تسلسلات حرف الباء

ب . ر . د : الباء انبثاق الحركة ، الراء تكرار ، الدال اندفاع إلى هدف مقصود .

الحركة العامة هي تجمّعٌ متماثلٌ لنفس الحركة عند الهدف . فإذا كرّرنا الانبثاق من نفس المركز إلى الهدف نتجت الصورة المبينة أدناه :

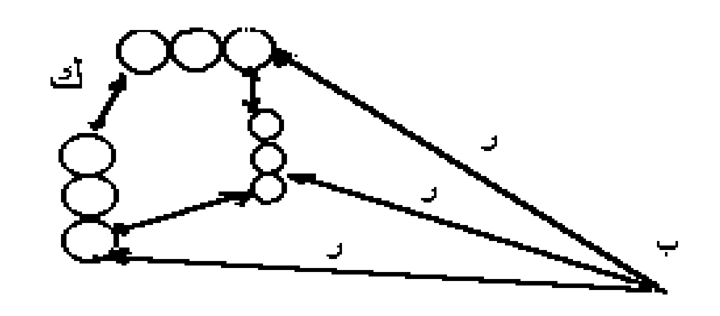


وهي صورة كتلةٍ متلاصقةٍ جامدةٍ تصلح لوصف الشيء المتكاثف كالثلج ، وتصلح لوصف الجمود والفتور في الحركة . واستعملت كذلك لوصف الإرسالات المتكرّرة (بريد) ، وكذلك لوصف المجتمِع من الأجزاء الصغيرة المتساقطة من موضعٍ واحدٍ (البرادة) . وللأداة التي تفعل ذلك (مبرد) . واستعملت أيضاً لما لا يكون في تحصيله جُهد وحركة (عيش بارد ، ربح بارد) .... الخ . والذي يوافق الحركة شكلاً ومضموناً هو ما في التنزيل (جبال من بَرَد) .

(الصورة أعلاه مختصرة من ثلاث نقلات) .

ب . ر . ك : الباء انبثاق الحركة والراء تكرار والكاف تكتل للمتآلفات .

الحركة العامة نامية كثيرة الخير كما مبين في الرسم المختصر من ثلاث نقلات :



برك السحاب : اشتد مطره حتى قشّرَ وجه الأرض ، البَرَكة : الزيادة من كلّ خير ، برَّكَ عليه : دعا بالبركة .

واستعمل للثبات وانعدام الحركة : برك البعير : أناخ .

وإنّما جاء ذلك من (كثرة ما حُمِّل من الأحمال) كما في السحاب ثمّ استعمل للبعير إذا وقع على بَرْكِه .

المعنى الحركي يفيد التفرّعات الكثيرة المترابطة التي تنبثق من أصل واحد ولم يستعمل بهذه الدّقة إلاّ في التنزيل بشأن (شجرة مباركة) ، (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) . وذلك بعد العجب من أن تلد العجوز زوجة إبراهيم (ع) ولداً فقيل لها : (أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) ، إشارةً إلى تكاثر الذرية واستمرارها .

الحركة المرسومة في الصورة هي واحدة بدون تكرار .

ر ـ ب : الراء تكرار للحركة وهو الآن منفتح على حركات الطبيعة كلّها . فلنر لماذا يقوم باستعراضها جميعاً ؟ :

الباء انبثاق الحركة ، إذن فهو يأخذ من جميع الحركات الممكنة التي كرّرها الراء . تظهر الحركة العامة الاهتمام والمتابعة للجزئيات والتفاصيل بحيث لا تفلت حركة حتى تنبثق منها أخرى .

ربّ الأسرة يحاول مثل ذلك بحدود حركاته الخاصة المحيطة به بيد أن الربّ الحقيقي هو الذي يحيط بالحركات كلّها . لذلك ارتبطت معرفة التفاصيل والجزئيات والسيطرة عليها بالربوبية بصفة خاصة :

(وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء) ١٠/٦١

(وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربّي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) ٣ / ٣٤

(قال فمن ربّكما يا موسى . قال ربّنا الذي أعطى كلّ شيءٍ خَلقَهُ ثمّ هَدى) ٥٠ / ٢٠

لاحظ دقة متابعة التفاصيل ولاحظ كذلك (أعطى كلّ شيء خَلْقَه) ، بدل خَلَقَ كلّ شيء ، وهي العملية المرتبطة بصفة الألوهية . لأنّ إعطاء الخلق والهدى هي سلسلة من الحركات المتلاحقة بعضها من بعض ، أما الخلق فهو عملية منفصلة .

ب . ر . ح : الباء انبثاق الحركة والراء تكرار وإعادة والحاء تعاظم .

تفيد الحركة العامة الوصول إلى نوع من الاستقرار والسكون لأنّ الحركة المجتمعة متعاظمةٌ ومتكاثرةٌ . لكنّ المعجم ذكر العكس حيث قال : بَرَحَ فلان بروحاً وبَرَحاً : زال .

ويبدو أن العرب استعملوه هكذا لبيان شدّة الحركة أو هناك وهم في الأمر .

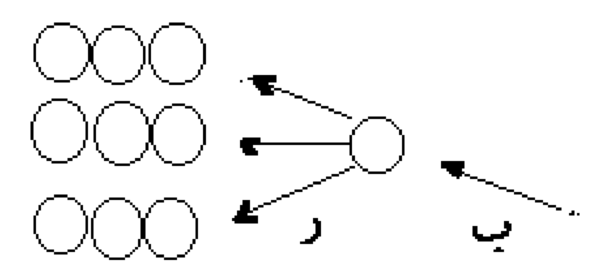
أقول : قولهم (لا أبرح حتى أفعل كذا : لا أزول من مكاني حتى أفعل) لعلّه بالمقلوب وقد توهّموا فيه أي المعنى : لا أستقر في مكاني حتى أفعل كذا ، لأنّ العبارة الأولى (التفسيرية) خاطئة ، إذ أن المرء إذا أصرّ على فعل شيء توجّب عليه الحركة لا الثبات في مكانه . ويدل على ذلك : المعجم : البَرَح : الشدّة ، ويقال : أبرَحتَ لؤماً أو كرماً للتعجب من إفراطه في اللؤم أو الكرم . بَرَحَ الخفاء : انكشف ووضُحَ الأمر .

أقول : إن الحركة النهائية متعاظمةٌ وكبيرةٌ . وكذلك قوله تعالى :

(لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين)

فلو كان المعنى : (لا أزول من مكاني حتى أبلغ مجمع البحرين) لحصل تناقض في داخل العبارة ، إذ أن بلوغ المجمع يحتّم عليه مغادرة المكان . لكنّ لو قلت : (لا أستقر ولا أثبت حتى أبلغ المجمع) صحّت العبارة . والسبب هو القياس على (ما زال) حيث قالوا : (ما بَرَحَ : أي ما زال) وهو وهم لأن معنى ذلك أن : بَرَحَ = زال . وهذا القياس خاطئ إذ أن أحدهما عكس الآخر في الاتجاه .

ب . ر . م : الباء انبثاق الحركة ، الراء تكرار يبتنى على الانبثاق .



إذا جاء الميم الآن إلى المجاميع الحركية المكرّرة فإنّه يجعلها متكاملةً ، وهذا يعني أنّه يربطها ربطاً وثيقاً كما لو كانت تلك الأجزاء هي مكونات حركة أكبر يجب أن تتكامل .

الحركة العامة تعني إحكام وضبط الأجزاء مع بعضها البعض .

المعجم :

بَرَم الشيء : أحكمه ، بَرَمَ الحُكم (في القضاء) : أيّده . الإبرام : الإحكام ، برم الحبل : فتله من طاقين . (أقول : هذا التحديد بطاقين اعتباطي) .

في التنزيل : (أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون) .

البريم : الحبل الذي جعل بين حبلين مفتولين ثمّ فُتلَ الثلاثة حبلاً واحداً . والبريم : القطيع من معز وضأن . المبرم : المغزل (ج) مبارم (مط / ٥٢)

أقول : المبرم غير المغزل وهو أكبر حجماً يبرم حوله خيطان من مغزلين . لا زالا مستعملين سويةً في بعض نواحي العراق .

بَرَمَ بمنطِقهِ : عَيَّ ، يقال : برم بالحجّة والجواب (لم يقدر على إحكامهما) .

ثمّ أخذوا منه استعمالاً آخراً بمعنى : سَئِمَ وضَجَر .

ب ـ ت ـ ك : الباء انبثاق الحركة ، التاء اجتذاب حركات والكاف تكتل المتآلفات .

أنت تشعر أن العملية هنا تدميرية ، إذ تحاول الحركة تغيير مجرى الأمر من أصله ، لأنّ الحركة إذا انبثقت يجب أن تتطوّر بحرفٍ ما ، أما مجيء التاء وهو مجموعة حركات غير متجانسة تجتمع حول الباء ثمّ تتألف وتتّحد ، فهذا يعني أن الحركة المنبثقة أصبحت هي الأصل . والأصل نفسه قد اضمحل .

اللفظ (بت) وحده : قطع الصلة بالأصل ، واللفظ (بتَكَ) : إلغاء وجوده وتأسيس فرع غيره . وكمثال : إذا وضعت برعم شجرة على أخرى .. وتركت البرعم ينمو وتكثر أغصانه ثمّ تتألف وتصبح شجرة منظورة فقد ضاع الأصل .

قالوا في بتك : قطع (وهذا غير دقيق) . وقالوا بتك الشعر : اقتلعه من أصله فهو باتك .

أقول : هذا تمثيل غير مطابق تماماً ، ومن المحتمل أن المعجم هو المتوهِّم .

في قوله تعالى : (ولآمرَنَّهم فليبتكُنَّ آذان الأنعام)

قالوا : هو أن يشقّ إذن الشاة ونحوها . هكذا قيل .

أقول : الكلام على لسان الشيطان ، والعادة مستعملة للآن في القرى ولكنها ليست من الخطورة على الأنعام بحيث أن الشيطان كان يخطّط للأمر من الزمن السابق ، فهذه الأنعام تعيش حياةً عاديةً في القطيع . والمسألة أشبه (بالفَصْد) الذي يفعله الإنسان حيث يجري الدم لتنشيط الدورة الدموية ، وهي من أساليبهم الطبية . وعندنا إن مفردة (آذان) هي بالهمز (أذان) ، والمقصود بها حسب معاني الحروف (القوه المسخَرة للطاعة) في الأنعام . وعلى ذلك يتوعد الشيطان أنّه سيأمر أتباعه بتغيير وتبديل جذري للقوة المسخرة للأنعام . ومعلوم أنّ هذه الأيام تزخر بأمثال هذا التبديل فالأبقار أصبحت من آكلات اللحوم والعظام ، والأغنام من آكلات بقايا عظام الأبقار وهناك خطط أخرى كثيرة للتلاعب بالخريطة الجينية والمراكز الوراثية .. وذلك من أجل إنتاج سريعٍ ووفيرٍ للمنتجات الغذائية من دون مبالاةٍ لما ينتج من ذلك مستقبلاً من آثارٍ مدمرةٍ .

وهذا هو المعنى الحركي للتسلسل (ب . ت . ك) حيث يعني حدوث تغيير جذري للقانون الطبيعي .

(بُتُك) : لفظه تطلق على الشيء أو الكائن إذا لم يبق منه شيء ينتفع به . أو لم تبق له وسيلة يقوم بها أمره . استخدام عامي (صفة) [ليست في معجم] .

ك . ب . ت : الكّاف تكتل المتشابهات ، الباء انبثاق الحركة . الحركة المنبثقة الآن قوية جداً لأنّها تصدر عن حركات مترابطة وقوتها قوة هذا المجموع . فإذا اجتذبت حركات بالتاء فكأنما هو تجييش جيوش للمواجهة وتكوين قوة عارمة مسلّطة في اتجّاهٍ واحدٍ .

المعجم :

كبت فلانا كبتاً : غاظه وأذلّه وأخزاه .

اكتبتَ : امتلأ غيظاً وغمّاً . وفي التنزيل :

(ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين) .

ك . ت . ب : الكّاف تكتل المتشابهات ، التاء اجتذاب حركات ، فالاجتذاب بعد التكتل .

إذن كلّ حركة منتظمة لها حركات مجتذبة . ثمّ تنبثق حركة واحدة من الجميع بالباء ، ما هذا ؟ إنّه مثل اجتماع لرؤساء لجنةٍ ما ثمّ استدعاء جميع المؤيدين والأنصار ، وفي الختام يبعثون شخصاً منهم يفاوض من بيده الأمر أو يقنّعه بفكرةٍ ما . وكذلك كلّ كتاب فإنّما هو فكرةٌ صادرةٌ عن جمعٍ بين حقائق أو قضايا متعدّدة ويحاول تأكيد هذه القضايا بالمؤيدات والرموز الكتابية ، والمجموع يهدف إلى إبراز مسألة محدّدة.

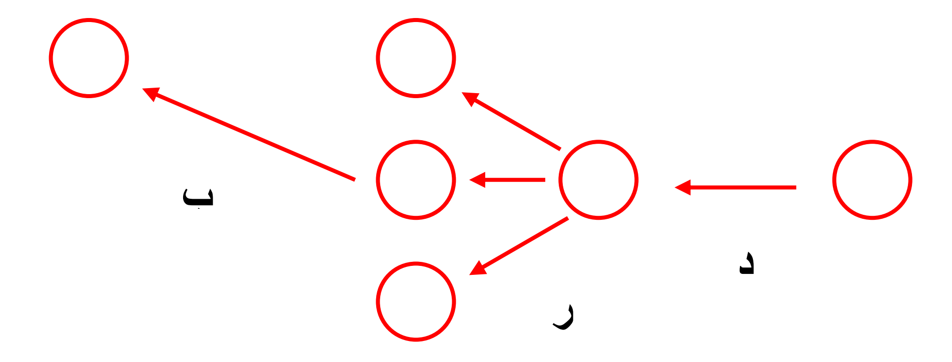
في الكّاف تنظيم للأفكار وفي التاء توسع واستخدام أدوات وفي الباء إظهار فكرة . والمعنى الحركي أن هناك قوى تحمل الحركة المنظمة بالكاف تتمثل بالتاء (كتب عليكم القتال) (ليس يعني فرض ، أو أوجب أو قضى أو غير ذلك) ، بل (كتب) هو (كتب) ولا يمكن استبدال المفردة بغيرها .

وعلى المعنى الحركي : أنتم التاء تحملون الآن الفكرة المتآلفة في حركاتها والتي تريد الانبثاق والحركة إلى بُعدٍ آخرٍ ولن يتم ذلك إلاّ باختراق طريقٍ في كتلة الحركة المواجهة لكم وهو القتال .

تتّسم مفردة (كتب) بحريةٍ في اتخاذ القرار منوطةٍ بالمُخاطب ليست موجودةً في (قضى) أو (أوجب) أو (فرض) كما لو كان القتال شيئاً يخصّ المخاطب نفسه قد غفل عن تذكّر منافعه ، لأنّ كراهية القتال لا تعني أنّه غير نافع ، لذلك عقّب : (كتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم ..) ٢١٦ / ٢ .

د ـ ر ـ ب : الدال اندفاع والراء تكرار والباء انبثاق الحركة .

يظهر من الجمع بين هذه الحركات بهذا التسلسل أن الأصل هو انبثاق فجوةٍ أو مضيقٍ ما للوصول إلى الهدف بعد تجمّع للحركات قبيل ذلك .



صورة للتسلسل : (د ـ ر ـ ب)

فإذا كان القائم بالحركة (شخصٌ واحد) مثلاً فهو يجمع قواه كلّها ليقوم بأمرها . وإذا كان

التسلسل اسماً فهو إذن مضيق منفتح خلال منطقة خالية من الطرق وقبله الطرق واسعة كما في الرسم.

المعجم :

الدّرب : المضيق في الجبال ، والدّرب : المضيق الضيّق . دَرَب به وعليه : اعتاده ومرن عليه فهو دارب . وباقي الاستعمالات على هذا الأصل أو تمثيلاً عليه .

(دَرّبَ الدّابّة) : أمر يقال لمن يرافقها إذا توقفت ولم تجد طريقاً (عامية ليست في معجم) .

(دَرّبَ الماء) : يقال لمن يفتح الطريق أمام الماء عند سقي الزرع (عم / كذلك ليست في معجم) .

وقد مرّت تسلسلات للباء وسيأتي المزيد منها .

عمل الباء كواسطة بين الحركات التامة

(توحيد المعاني المتعددة للباء)

زعموا أن للباء سبعة معاني حينما تأتي منفردة ، ونحن نلاحظ الآن هذه المعاني المزعومة لنرجعها إلى الأصل الموحَّد لحركة الباء .

لقد علمت مما سبق أن الباء حركةُ انبثاقٍ من المركز بعيداً عنه لتكوين حركة واضحة من نقطةٍ أولى ، هذا إذا لم يسبقه حرف معين . وإذا سبقه شيءٌ صار الانبثاق من مركز الحركة السابقة ، وهو بمثابة نقطة فيها . وعلمت أيضاً أن الزمن في الباء معدومٌ . فالحركة نقلةٌ واحدةٌ سريعةٌ كما لو كانت من العدم إلى الوجود مباشرة . لأنّ الباء هو جالب الحركة فلا حديث عن الزمن قبل وجودها والزمن جزء من الحركة .

الباء بمثابة ذراع لتكوين الحركة فهو يصلح كواسطة بين حركتين لا تنشأ حركة ثالثة إلاّ عند الجمع بينهما . إذن سنسمي الباء المستعمل في هذه الأنواع السبعة (باء الواسطة) :

الأولى : باء الاستعانة : **مثل (كتب الرجل بالقلم) . فالرجل يكتب والقلم أداة الكتابة فلا يستطيع الكتابة بغير أداة لذا امتدّ ذراع آخر للحركة بينه وبين القلم أو بين فعلِهِ وبين الأداة فصار : (يكتب . بـ . القلم) .**

الثانية : باء السببية : **مثل (أخذهم الله بذنوبهم) . يظهر أنّهم وجدوا الذنوب سبباً للأخذ لا واسطة الأخذ . لأنّ الله لا تضرّه الذنوب وإنّما يعاقب على النوايا فلمّا ساءت النوايا حاسب على الأعمال وأثبت الذنوب . ألا تراه إذا حسُنت النوايا غفر الذنوب فقال :**

(يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله آمنوا الله يغفر الذنوب جميعاً) .

فلماذا لم يسألوا عن سبب أخذ جماعةٍ بذنوبهم وغفران جميع الذنوب لجماعةٍ آخرين ؟

إذن فالتسمية لهذه الباء بالسببية ليس اعتباطاً وحسب وإنّما مخالف لطبيعتها في العمل اللغوي ومخالف لنظام القرآن ، فالأخذ تمَّ بها فهي واسطة وليست سبباً للأخذ . فالباء هنا تعمل كعملها السابق في النوع الأوّل تماماً . أي أنّها تعمل كواسطة لا سبباً .

الثالثة : **الباء** الضرفية : **وهي عندهم مثل قوله تعالى :**

(لقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّة) .

لا وجود لمثل هذه الباء في منهجنا إذ يستحيل على الباء إفادة ظرف المكان لأنّها هي التي تكوّن المكان بعد انعدامه فالمكان مستقل عنها . وإنّنا لنندهش من هذا التفسير للآية لأنّ الله لم يقل : (في بدر) ولو عنى ذلك لقال : (في بدر) ، وقد أشرنا إلى إحلال الحروف بعضها محل بعض وأثبتنا بطلانه في كتاب آخر .

والباء هنا واسطة كغيرها فإنّ الله نصَرَهم ونَصَرنا ببدر وبدر هو واسطة النصر لا ظرفه وهو مثل (أيَّدك بنصره) . واسطة التأييد هو النصر . والاستفهام الملائم للآية هو : بأيّ شيء نصر الله المخاطبين ؟ الجواب : ببدر ، وليس السؤال هو : أين نصرَهم ؟ .

والفارق بينهما : أنّه لو قال (في بدر) لكان هذا النصر قد مضى وانتهى أثره أو تضائل ، ولكن لمّا قال (ببدر) جعل أثره مستمراً وهو ما يؤيده الواقع التاريخي للمعركة ، وإن كان المقصود (ببدر) المعركة لا شيئاً آخراً تكون المعركة في بدر جزءٍ من حركته .

وأيَّة شواهد أخرى على الباء الظرفية هي مجرّد أخطاء وأوهام . فلو قال القائل (لي صديق بفرنسا أراسله) . فإنّك تفهم المقصود ولكن العبارة على معاني الحروف خاطئة إذ المعنى : إن له صديق لا يعلم أحد أين هو ويستخدم فرنسا لمراسلته !! ، وتصبح فرنسا ساعي بريد أو قصاصة ورق .

الرابعة : باء الإلصاق : **والمثال عندهم : أمسكت بالقلم (مط / باب الباء) .**

ونحن لا ندري كيف تثبَّت هذه العبارة في المعاجم المعتمدة ! فأين وجدوا من القدامى من يقول : أمسكت بالقلم ؟ . إنّما الصحيح أمسكت القلم (بيدي أو أصابعي) أو من غير إشارة إلى

الواسطة . ولا تصحّ العبارة الأولى إلاّ بمجيء مفعول مثل : أمسكت النملة بالقلم ، فيدخل الباء على القلم على اعتباره أداة الإمساك .

وفي التنزيل سبعة وعشرون مورداً للفعل (أمسك) ومشتقاته وليس فيها دخولٌ للباء على نفس مفعول (أمسك) إلاّ ما يمكن أن يتوهمه المرء في مورد واحد هو قوله تعالى : (والذين يُمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) . والوهم هنا وقع بسبب عدم التفريق بين كون أمسك فعلاً لازماً وبين كونه متعدياً . فالكتاب هنا ليس مفعولاً لـ (أمسك) ، وإنّما هو واسطة للإمساك . والإمساك فعل مستقل بذاته معلوم استعمل في موارد أخرى لازماً . ومن تلك الموارد : (إذن لأمسكتم خشية الإنفاق) . أمسكتم ماذا ؟ . لا سؤال من هذا النوع لأنّ الفعل هنا لازم . ومنها : (فامنن أو أمسك بغير حساب) .

فالإمساك هو التوقف عن الحركة المشار إليها في العبارة . وإذا لم يشر إليها كما في الفعل اللازم فهو إمساك عن جميع الحركات الممكنة والتوقف عن اتخاذ قرار بها . المتمسِّك خشية الإنفاق مثلاً توقف عن الإنفاق لأنه يخشاه ، وهذا ذمٌّ . والممسك عن الاشياء كلّها بواسطة الكتاب إنّما هو شخص ملتزم ومتّصف بالانضباط التام وسائر وفق تعاليم الكتاب .

إذن فالباء هنا باء واسطة لا إلصاق على حد تعبيرهم . أما عبارة : (أمسك فلان بالقلم) فخاطئة.

أما قولهم في مثال آخر للإلصاق (أخذت برأيك) فهو يعتمد على معنى (أخذ) . إذ أن معنى الفعل هو الاستيلاء على الشيء والسيطرة عليه واحتواء حركته ، واستعمل بهذا المعنى كثيراً في التنزيل وهو معناه الوحيد .

فإذا كان المفعول معلوماً أي : (أخذت الأمر الذي تعلمه برأيك) أصبحت الباء هنا واسطة فقد استولى على الأمر بواسطةٍ هي (رأي صاحبه) ، وليس المعنى أن (الرأي) مفعولاً للفعل (أخذ) فإذا كانت الحركة كلّها حول الرأي فأين هو إذن موضوع هذا الرأي ؟ . وهذا التخريج هو لتصحيح العبارة وإلاّ فإنّها خاطئة . ومثل ذلك (أخذت بقولك) . أي جعلت قولك واسطة لأخذي بعض الاشياء (والسيطرة عليها واتخاذها) .

ونضيف هنا قوله تعالى على لسان هارون مخاطباً موسى (ع) : (يابن أمِّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) .

فاللحية والرأس ليسا مفعولين لـ (أخذَ) ولو كانا كذلك لكان المعنى مضحكاً إذ يعني تجريده من لحيته ورأسه . إنّما هو : (لا تستولي علي هكذا وتحدّد حركتي بواسطة لحيتي ورأسي) .

ومعلوم أن المحاورة جرت عند رجوع موسى (ع) غضبان أسفاً فألقى باللائمة على أخيه ،

إذ وجدهم عاكفين على عجل السامري .

الخامسة : باء القسم : **مثل أُقسم بالله .**

الفعل (قسَمَ) : فعل متعدي والفعل (أُقسم) فعل لازم .

وجاء لازماً في قوله تعالى : (إذ اقسموا ليصرمنّها مصبحين) وغيره من الموارد . والذي يقسم بشيء فإنّه يجعله أداةً لفعله والذي هو القسم . والمسألة ترتبط بمعنى (أُقسم) إذ يجب أن يتوضّح المعنى اللغوي والمراد من لفظ (أُقسم) . ما هو الشيء الذي يفعله المرء حينما يقول : (أُقسم بكذا) ؟ ، ولماذا يتحرّج بعض الناس من أن يُقسموا كذباً ؟ .

على معاني الحروف يكون معنى (أُقسم) هو العبارة التالية :

(أتخلى عن جميع الكائنات الموجودة وانفرد بذاتي مستقلاّ وأتوصلُ إلى إبقاء ذاتي مقابل قوة الفناء بكذا) .

و(كذا) في العبارة هو المقسَمُ به . وهذه العبارة مخيفةٌ لأنّ المُقسِم يَبرء دفعةً واحدةً من جميع القوى المنظورة وغير المنظورة ويعتمد في الاطمئنان على شيءٍ واحدٍ هو المقسَمُ به . ولذلك يطمئن السامع ويصدّقه أو هكذا يفترض .

إذن الباء هنا تعمل كواسطة أي (أتخلى .. إلى قوله الفناء بواسطة كذا) . ويُستعاض عن العبارة الطويلة بلفظي (أُقسم بكذا) .

والآن قد عرفت لماذا لا يجوز (في الشرع) أن يقسم المرء بأيّ شيء غير الله ، ذلك لأنّ جميع القوى الموجودة لا تتمكن من الوقوف بوجه قوّة الفناء إذا لم يكن الله أحدها ، فإذا جعله أحدها اتّهمه بالضعف فيشرك ، وإذا أُقسم بغيره اعتمد على غيره فيكفر ، لذلك لا يجوز أن يقسَم إلاّ بالله وحده .

والآن قد تسال : وهل يقسم الله بشيء من المخلوقات ؟ .

علماء المسلمين (هداهم الله) قالوا يجوز أن يقسم الله بأيّ شيء من مخلوقاته !! . وهذا غريب فكيف يعتمد الله في إبقاء ذاته على ما خلق ؟! .

فالقسَم جملة مركّبة لا تتجزأ تتألف من تخلٍّ من جهةٍ واعتمادٍ من جهةٍ أخرى .

وأغرب شيء في الموضوع هو أن الله لم يقسم بشيء قط . لأنه في جميع الموارد التي ذكر فيها لفظ (أُقسم) بصيغة المتكلم جاء بالنفي : (لا أُقسم) !.

ولكن علماء المسلمين قالوا في جميع تلك الموارد المقصود هو (أُقسم) ! ونحن نقول أن من يقول : أن الله أَقسم بشيء فقد كفر علم أو لم يعلم .

فلماذا يقول الله : (لا أُقسم) وهم يعاندون ويقولون : إن معناه أُقسم ؟ ، أو يتأولونه لغوياً

بطريقةٍ سخيفةٍ فيقولون : معناه (لأُقسم) !
لاحظ موارد نفي القسم :

(لا أُقسم بهذا البلد) ١ / ٩٠

(فلا أُقسم بمواقع النجوم) ٧٥ / ٥٦

(لا أُقسم بالنفس اللوامة) ٢ / ٧٥

(لا أُقسم بيوم القيامة) ١ / ٧٥

(فلا أُقسم بما تبصرون وما لا تبصرون) ٣٨ / ٦٩

(فلا أُقسم بالشفق) ١٦ / ٨٤

(فلا أُقسم بالخنس الجوار الكنس) ١٥ / ٨١

ومن أغرب ما ذكره بعضهم في معنى (لا أُقسم) هو أن (لا) تفيد توكيد القسم . فهل سمعت في حياتك غير هذه المرّة أن النفي يفيد توكيد نقيضه ؟ .

أما الأدوات الاخرى التي سُميت بأدوات القسم فيبدو الآن أن من الخطأ تسميتها بهذا الاسم ، لأنّ القسم هو ما استعملت فيه مادة القسم اللغوية وهي لفظة (القسم) . وسيأتي في حرف (الواو) بيان معنى (الحلف) والفرق بينه وبين (القسم) .

السادسة : باء التعدية : **وهي مثل : ذهبت به .**

إن هذه الباء باء واسطة لا شكّ في ذلك لأنّها لم تتصل في هذا النوع إلاّ بالفعل (ذهب) ولم يؤتى بشاهدٍ آخر أو مثالٍ مختلفٍ . فالمتكلم هنا لم يوقع الفعل على الضمير . وإنّما هو الذي قام بفعل الذهاب ولكنه يشير إلى أن ذهابه لم يكن إلاّ بواسطة الآخر . والمعنى أن الآخر لو كان غائباً لما حصل الذهاب فهو واسطة ذهابه . إن المقصود بالتعدية هنا أن الفعل يتعدّى إلى مفعوله بواسطة الباء .

ومع أن التعدية مطابقة لمعنى الباء كواسطة ولكنا نرمي إلى أن الفعل اللازم لا يتعدى وإنّما يكتمل بواسطة . لأنّ (ذهب) فعل لازم ولا يكون متعدياً ، وليس من طبيعته أن يكون متعدياً وهو منوط بالفاعل نفسه .

فقوله تعالى : (فلمّا ذهبوا به) ليس المعنى أخذوه إنّما ذهبوا كعادتهم في الذهاب ، ولكنهم في هذه المرّة اجمعوا أمراً لا يكتمل ذهابهم إلاّ به وهو إلقاء يوسف (ع) في الجبّ بعد مشاورات جرت بينهم . (فلمّا ذهبوا به وأجمعوا أمرهم على أن يلقوه في غيابة الجب) .

وقوله : (اذهبوا بقميصي هذا) ، لا يمكنهم الحركة الآن وهم عند يوسف إلاّ بإذن منه بعد إقرارهم

بأفضليته ووجوب طاعته .

فالذهاب بواسطة القميص أصبح ممكناً لارتباطه بالبشارة وارتداد أبيهم بصيراً .

(اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يرتد بصيرا) .

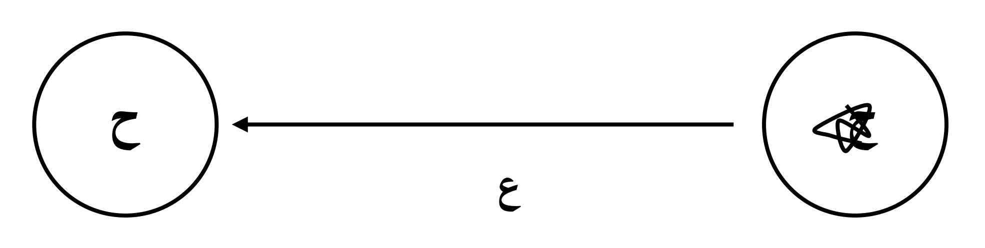
وقد ذكرنا في موضع آخر الأهمية الرمزية للقميص حيث شكّل ثلاثة دعامات في القصة في أولها : (وجاءوا على قميصه بدم كذب) وفي وسطها (أن كان قميصه قدّ من قبل . دبر) وفي نهايتها (اذهبوا بقميصي هذا) .

فليس الغريب أن يكونوا في خدمة القميص ويكون ذهابهم بواسطته بل الغريب أن تكون العلاقة معكوسة ويكون القميص تحت سلطتهم .

ستأتي تسلسلات أخرى للباء .

العَين

** اتضاح معالم الحركة المبهمة **



صورة حركة العين

العين حركة جوهرية داخلية نهايتها اتضاح الحركة المبهمة التي رسمناها بصوره دائرة فيها خطوط عشوائية وخالية من رمز (حاء) الذي يعني الحركة أو يرى متداخلاً مع الخطوط بحيث لا يعلم إن كانت الحركة واحدة أو أكثر . وفي الصورة الثانية اكتملت الحركة الجوهرية للعين وبرزت الحركة بصورتها الأخيرة الواضحة المعالم .

لا يكمِّل العين أيّة نواقصٍ في الحركة كما يفعل الميم ولا يستجلب حركات أخرى كالتاء ولا يكتّل المتشابهات كالكاف ولا يكرّر مثل الراء ولا يدفع الحركة إلى مسافة واتجاه معيّنين كما يفعل الدال، بل تنتظم الحركة فيه من داخلها بدون زيادات لتظهر واضحة المعالم .

ومَثَل الصورة الأولى : إذا دخلها أي حرف فلن يستطيع إحداث أي تغيير فيها فعلاجها الوحيد بحرف العين وظهور معالمها لا يتم إلاّ بحرف العين .

فالعين حركة تنطوي على الزمان والمكان ويتقدّم فيها الزمان على المكان ظهوراً لأنّ المكان ضرف الحركة فهو ذاتي فيها ، أما الزمان فهو طارئ يحصل الشعور به خلال نفس الحركة فالمكان سابق فيها بالوجود متخلف في الظهور .

حركة العين حركةٌ بديعةٌ للغاية وهي قويةٌ جداً ، ويمكن القول أنّها حركةٌ عارمةٌ أحياناً ولكنها غالبا ما تفعل فعلها بسكينةٍ إلاّ إذا جوبهت بقوّةٍ تحاول صدّها واقتيادها : أمّا القوّة الصادّة فتحطّمها وتبعثرها ، وأمّا القوّة التي تحاول اقتيادها فتتابعها ظاهراً فقط ثمّ توقعها بما يجعلها عقيمةً ثمّ تقمعها قمعاً شديداً .

والعين حركةٌ ذاتيةٌ (ذات طبيعة متناقضة) بين شدّةِ وضوحِ ما تفعله في الخارج وشدّةِ إبهامِ ما يحدث في داخلها .

والعين حركةٌ نشيطةٌ جداً لا تستقرّ في موضعٍ معيّنٍ ويمكن القول أنّها دائمة (التلفّت) لأنك

إذا فصلتها عن لواحق اسمها أنتجت الـ (أين) ، فهي دائمة البحث عن الاشياء المبهمة لتقوم بتوضيحها وكشف غوامضها [ع . أين ؟؟] .

ولذلك فهي تقوم بأعمال الخير إذا اتّصلت بالحركات المماثلة كاللام وتجعل الاشياء قاسيةً عنيفةً إذا اتّصلت بالقوى الحركية التي ترفض التغيير كالصّاد والدّال وتجعل الأشياء أكثر إبهاماً وغموضا إذا اتّصلت بحركات الإعادة كالراء وتجعلها منقسمة على نفسها إذا اتصلت بأحرف التشعب والبقاء كالثاء وأمثاله وهكذا .

ويمكن القول باختصار أكثر أن العين قوة تطوريّه متنامية ومرنه وفعاله بما يكفي للاعتقاد أنّها تحقق ما تريد فعله ولو بعد حين لاتصالها بالنون وهو القوه الجبارة التي تتحكم بالإنشاء والتغيير من خلال سيطرة الأخير على الزمان.

الأمثلة :

قلنا أن الحركة الداخلية غامضة في حرف العين ولذلك يصعب الإتيان بشواهد حسية مماثلة للحركة من الاشياء والطبيعة خاصةً وان حركة العين تلعب لعبتها بالزمان وتتحرّك فيه كما يحلو لها مع أمثالها من الحروف .

لكنّ يمكن أن نقول إنّك إذا رأيت سراباً وحسبته ماءً وجئته مهرولاً واكتشفت أنّه لم يكن شيئاً فهذا الإحساس قد تمَّ بحرف العين .

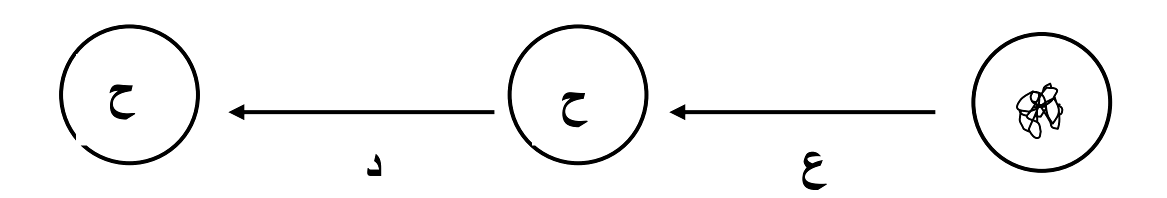
كذلك إذا اخرج الآثاريون مدينةً مطمورةً تحت الأرض وأبرزوا معالمها (أبنيتها وشوارعها وبيوتها ..) فعملهم هذا مشابهٌ لعمل العين .

بعضٌ من تعاقبات حرف العين

ألفاظ عربية :

سنذكر جميع التسلسلات لحرف العين مع الحروف السبعة المار ذكرها سابقا . وعدد تسلسلاتها (٣٢) تعاقباً وعدد التسلسلات الكلي هو (٣٢ × ٦) = ١٩٢، ولكننا سنذكر فقط ما هو مستعمل منها في اللغة العربية كشواهد على حركة العين وباقي الحروف السبعة .

ع . د : العين اتضاح الحركة ، الدال اندفاع مقصود .



الحركة بسيطةٌ فقد اندفعت بعد اتّضاحها ولم يأت حرفٌ ثالثٌ ليبيّن حقيقة الأمر فأفادت مجرّد التجاوز عن الحدّ المقرر بقصد ومعرفة ، إذ أنّ العين قد أوضح الحركة وهذا الوضوح هو حدّ العين .

يفيد التسلسل معنى التجاوز أو يفيد الاستثناء إذا أُدخل الألف في آخره تقول (عدا ذلك) ، لأنّ الأصل معناه التجاوز . يقال (عدا عليهم) أي تجاوز حدّهم وحده ، ومنه (العدو) و(العدوان) كلّها على هذا الأصل .

ع ـ د ـ د : اندفاع آخر بالدال الثانية . الحركة إذن تعيد الحركة الأخيرة نفسها باندفاعٍ جديدٍ فإذا حاولت رسمها أنتج معنى ملاحقة المقاطع والأجزاء بعضها أثر بعض وهو المعني بلفظ (العدد) و(التعدد) والأعداد وما اشتق منه .

ع ـ دَّ : بالدال المشددة . هذا وأمثاله عند أهل اللغة عبارة عن دالين أدغمتا ووضعت الشَدَّة على المدغم . وهذا الأمر على طريقتنا خاطئ ، لأنه إذا كان كذلك فلا فرق بين (عدد) و (عدَّ) .

فعلى طريقتنا لا يمكن إدغام حرفٍ مستقلٍ أصيلٍ مع آخرٍ مثله حتى لو كان هو نفس الحرف . وهو مثل أن يقوم المرء بلصق صورةٍ على صورةٍ فلا نفع بالزائدة منها أو الخافية . وآلة الصوت لم تصمّم لمثل هذا الأمر وهو محال في ذاته .

يمكن فقط تكرار صوتين أو أكثر . فإذا أخذت المقطع الأوّل من الفعل (عَدَدَ) ، وهو هكذا : (عَدَ) . وقارنته باللفظ (عَدَّ) المشدّد وجدت أن الفرق بينهما لا يكمن في دمج حرفين في المشدّد وانفراد واحد في الأوّل . وإنّما الفرق يكمن في حركات الحرفين ومادة بنائِها فقط .

فالأوّل حركته هكذا : ع (ءَ) ـ د (ءَ) .

حيث الفتحة التي بين قوسين مرتبطة بالصوت ارتباط النهاية بالأصل كما لو كانت جزءاً منه .

والثاني حركته هكذا : ع ـ (ءَ) ـ د ـ (ْ) ـ (ءَ) .

ويمكن كتابته هكذا : عَ ـ دْ ـ ءَ .

فحرف الدال سُكِّن ثمّ ابتدأت حركةٌ جديدةٌ بفتحةٍ مهموزةٍ . والسبب في ذلك أن التسلسل نفسه حركةٌ متكاملةٌ بحرفين لا ثلاثة ، فهو لا يحتاج إلى ثالث . والتسكين يستعمل دوماً لقطع الحركة أو استئنافها (نفسها) من جديد إذا تحرّك ما بعدها . فصيغ الأمر تتوقّف عند السكون وحسب لأنّ المطلوب تنفيذُ ما سبقه من الحركة .

فأنت تقول لزيد : (عِدْ هذه الأقلام) ، ولكن الماضي وبناءه الدائم بالفتحة يستلزم أن تظهر الفتحة مثلما تظهر في الأفعال الاخرى : ضربَ ، كتَبَ ، ... ، ولما كان التسلسل (عد) يتألف من حرفين فقط فقد أطلق لنا إشارة مفادها انتهاء الصور على الثانية منها ثمّ تبدأ الفتحة المهموزة الواضحة إفادة الماضي فتقول (عَدَّ زيدٌ الأقلام) .

لاحظ التسلسل للفعل : ضَرَبَ . لو أخذت المقطع الأوّل فهو الحركة تامة مستقلة : (ضَرَ) ، وبالضم والفتح تكون اسماً فلا تحتاج إلى التشديد (ضُر) و (ضَر) .

وفي الماضي والمضارع تقول : ضَرَّ ، يَضُرّ ، ولا يمكنك أن تلفظها بنفس صورتها في (ضَرَبَ) ، لأنّ السامع سينتظر منك حرفاً ثالثاً ، لأنّ الفتحة في (ضَرَبَ) متصلةٌ اتصال الجزء بالأصل ، ولا تقول (هذا الرجل ضَرَني) بالتخفيف لأنّ المتلقي سيحسبك تركت حرفاً أو سيحسبُ أن (الضَرَنيُّ) هو نوع من الرجال لا يعرفه .

أما السكون فيعمل كفاصل للحركة .. أنّه يشبه ضابط مرور القطارات ولذلك فهو يقفز عند الحرف الثاني لجميع التسلسلات المؤلفة من صوتين مشيراً إلى أن التسلسل قد انتهى وان الحركة اللاحقة هي (حركة لاحقةٌ) ليست من الأصل . فافهم هذه اللاحقة بحسب ما اتفقنا !.

وهذا الأمر هو نفسه في جميع الأصول الثنائية مثل :

(درَّ ـ ردَّ ـ همَّ ـ فَرَّ ـ دكَّ ـ شدَّ ـ صَلَّ ـ بلَّ ـ مطَّ ـ كفَّ ـ كلّ ـ جلَّ ـ سمَّ ـ رمَّ ـ اجَّ ـ رجَّ ـ كدَّ ـ برَّ ....الخ) .

إذن لا يجوز في هذا المنهج الاعتقاد بإمكانية إدغام حرفين صحيحين في واحدٍ ، ويمكنكم بعد ذلك اختيار اسم آخر (للشدَّة) التي ربما أخذت من الفعل (شدَّ) كمثال لها أو من التشديد ، وهو اسمٌ يزيل الالتباس الراسخ في كون الأصل هو حرفين متكرّرين مثل (الكفّة) حيث تصلح كمثال من (كفَّ) ومعنىً للدلالة على أن الحركة اكتفت بحرفين لا ثالث بعدهما .

إذن لفظ (عدَّ) المشدّد هو نفس (عَدَ) المخفف سوى أن صيغته بالماضي والحاضر استلزمت السكون والبدء لذلك تختفي الشدَّة في صيغة الأمر .

ع ـ ب ـ د : العين اتضاح معالم الحركة والباء انبثاق والدال اندفاع مقصود .

الحركة العامة تفيد في وصف المعرفة المتتابعة والتي لها غاية محددة ، أو الحركة الواضحة المتتابعة ذات الهدف . وتلاحظ في الحركة (توجّهاً) قوياً نحو الهدف منذ البداية والى النهاية ، فالحركة سائرة في طريقها لا تلوي على شيء . وتجتمع في ذلك المعاني والمشتقات المتنوعة .

يقال : (ما عَبَدك عني ؟) أي ما حبسك عن زيارتي ؟ . ويمكن تصحيح العبارة المعجمية : عبَدَ الله : انقاد وخضع . فهذه نتيجة لـ (عبد) وليست هي الفعل (عَبَد) نفسه . إنّ الفعل عبد يعني (عَرفَ الله معرفةً تابع من خلالها التوجّه إليه والاندفاع نحوه) .

العَبَدة :القوَّة ، والعَبَدةُ : البقاء والديمومة .

ب ـ ع ـ د : الباء انبثاق الحركة بعيداً عن المركز والعين اتّضاح معالمها والدال اندفاع مقصود .

أصل الحركة هنا يفيد (عمقها) في المجهولات لأنّ الاتضاح جاء بعد الانبثاق . إذن الحركة المكونة بالانبثاق كانت مبهمةً والاتضاح جاء بعيداً عن المركز ، ومن ثمّ لم يُعط الدال فرصةً لملاحظتها . فالأصل في (البعد) هو العمق السحيق في المجهولات بسبب الاندفاع الذي حصل بعد الاتضاح . ولكنه استخدم للمسافة الأفقية لقرب المعنى من التجاوز . انظر التسلسل (عَد) المارّ سابقاً .

وفي القرآن لم يستعمل إلاّ للزمن : (عتل بَعدَ ذلك زنيم) ، أو للبعد المشار إليه في الحركة وهو بُعْدٌ معنويٌّ لا جغرافيٌّ (إلاّ بُعداً لمدين كما بَعدت ثمود) . (ذلك هو الضلال البعيد) ، (في شقاق بعيد) ، (وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) .

ب ـ د ـ ع : الباء انبثاق الحركة من مركزها بعيداً عنه ، الدال اندفاع مقصود والعين اتضاح معالمها .

واضح جداً أن الحركة عبارةٌ عن إنشاءٍ وتكوينٍ جديدٍ ناصع الشكل وُجِدَ بعد إنْ لم يكن .

ع ـ ب ـ ر : العين اتضاح معالم الحركة ، الباء انبثاق الحركة ، والراء تكرار منظم .

إذا كان هناك شيءٌ محدّدُ المعالم وواضحٌ ويرجع المرءُ إليه في كلّ مرة فسيتّخذه مركزاً لحركته سواء في الطبيعة أو في الفكر أو في المادة . فهو مطابق للتسلسل (عَبرَ) .

وقد استعمل لاجتياز الحواجز : عبَرَ النهر : قطعه ، عبَرَ (الحياة أو الموت) : مات ، عبرَ

الطريق : قطعه من جانبٍ إلى جانبٍ ولم يستعمل في القرآن إلاّ على الأصل : (إن كنتم للرؤيا تعبرون) . أي تفسير الرؤيا الذي يجعل جميع تفاصيلها راجعاً إلى شيءٍ واحدٍ (مركزٍ معينٍ للرؤيا) . (إن في ذلك لعبرةً) : حركة واضحة المعالم تصلح للانطلاق كلّ مرة باتّجاه معيّنٍ وتكون مرجعاً مستمراً للحركة.

ثمّ أنّهم أخذوا من ذلك استعمالاً آخر بعد ما اشتقت منه الألفاظ : (اعتبر) و(استعبر) و(الاعتبار) ، أخذوا منه (عبر فلان) إذا جرت دمعتُه . وهو كما ترى يشير إلى شدّة الاعتبار وتأثّره (بالعبرة) .

(العَبْرَةُ) : فتحةٌ من مصدّ الماء ينبثق منها ويجري من أعلى إلى أسفل (عم)

(العِبرة) : سفينةٌ صغيرةٌ يُجتاز بها النهر . (عم) .

ع ـ ر ـ ب : العين اتضاح الحركة بعد إبهام ، الراء تكرار منظّم ، الباء انبثاق حركةٍ جديدةٍ .

الحركة العامة هنا هي حركةٌ تطوريةٌ متدفقةٌ تنبثق عنها حركةٌ واحدةٌ باتجاه الهدف ، وتتضمّن الحركة وجود شيءٍ ذاتيٍ يحدث فيه تحوّلٌ واتضاحٌ يلائم الهدف والغاية .

وصفت بهذا الوصف في القرآن (فتيات الجنة) بعد عملية إنشاءٍ جديدةٍ لهن :

(إنّا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عُرباً أترابا) .

وكانت نتيجةَ الإنشاء الجديد ثلاثُ صفاتٍ : الأولى : (أبكاراً) وتعني أنّهنّ في خَلقهنّ في الحدِّ الحرج للشباب وفق معاني الحروف ، والثانية : (عرباً) وهو تغيّر آخر حصل في النفس لا في الخَلقة وحدها التي تشير إليها لفظة (أبكاراً) والمعنى على معاني الحروف أنّهنّ أصبحن في درجةٍ من الاتضاح في النفسية والتحدّد بالاتجاه بحيث أنّهنّ يعبّرن عن جميع المتطلبات التي يرغب فيها الرجل بانسجامٍ وتلاحمٍ مزاجيّ وفكريّ تامّ . والثالثة : (أتراباً) وقد مرّ في تحليل لفظة (ترب) سابقاً . ومجموع الصفات أعلاه تؤشّر إلى هذا المقصود وهو : إنّ جميع الخصائص المتغيرة في الجسد والنفس متلائمةٌ مع بعضها البعض ومتلاحمةٌ كما لو كانت شيئاً واحداً فلم تحدث تلك التغيرات بصورةٍ متفاوتةٍ ، فهي في التشابه مثل جزيئات الماء أو جزيئات التربة المباركة .

وفي القرآن الكريم أيضاً جاء مركّب (بلسانٍ عربيٍ) ، وتحليل مركّب (اللسان العربي) حسب المعنى المتّصل بلفظة (عرب) كما قدّمناه بدءاً يؤدي إلى أنّ (اللسان العربي) هو اللسان الذي يمتلك خصائصاً داخليةً في الصوت بما هو نظامٌ ، فالتراكيب (الوحدات البنائية) تجعله قادراً على توحيد (الفكر) باتّجاهٍ محدّدٍ من خلال وضوح اللغة نفسها وقدرتها الفائقة على التطوّر وملائمة الحركة تلو الحركة .

وقد مرّ عليك أن لفظ (اللسان) يختلف عن لفظ (اللغة) ، فاللسان العربي يمتلك هذه القدرة ، أمّا اللغة العربية فهي جزء من اللسان طاله التخريب والاعتباطية شأنه شأن اللغات الاخرى . والقرآن قد تحدّث لنا بجزءِ من اللسان بأنظمةٍ تطابق أصول وجذور الحركة في اللسان ، مخالفاً لأنظمة اللغة ، فهو نظامٌ لغويٌّ مستقلٌّ بنفسه لا علاقة له بنظام اللغة المستعملة . وقد أوضحنا هذا الأمر بصورةٍ جليةٍ في أماكن متفرقة من كتاب (النظام القرآني . مقدمة في المنهج اللفظي) .

لذلك يصح وصف القرآن بأنّه عربي ، لأنّ المفردة هنا تستعمل نفس القاعدة أعني (أصلها الحركي) ، لكنّ هذا الوصف لا يصحّ مطلقاً كصفةٍ للفظ (الكتاب) ، بل يصلح كصفةٍ للقرآن .. أولاً لأنّ الكتاب أعمّ من القرآن وهو بأكثر من لسان ، وثانياً لأنه كتابٌ الهيٌّ بلسانٍ عربيٍّ مبين ، أي أن تسمية الكتاب مختلفةٌ عن تسمية القرآن لأنّها تشير إلى الكاتب وتسمية (القرآن) تشير إلى القارئ . وبعبارة أخرى : أن الله كتب علينا ولنا أشياء فهو تعالى (كاتب) ، لكنه جلَّ وعلا لا يوصف بأنه (قارئ) لأنّ القارئ متابعٌ والكاتب متبوعٌ .

لذلك إذا جاء بمفردة (كتاب) جاء مقابلها بمفردة (لسان) وإذا سمّاه (قرآناً) استغنى عن مفردة (لسان) انظر الموارد التالية :

. (أنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) ١٢/٢

. (وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد) ١٣ / ٢٠

. (كتابٌ فصّلت آياته قراناً عربياً) ٣ / ٤٣

. (أنا جعلناه قراناً عربياً) ٣ / ٤٣

. (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً) ٧ / ٤٢

. (قرآناً عربياً غير ذي عوج) ٢٨ / ٣٩

وحينما ذكره باسم الكتاب ولم يأتِ بمفردةِ (قرآن) جاء بمفردة (لسان) :

. (وهذا كتابٌ مصدقٌ لساناً عربياً) ١٢ / ٤٦

وكذلك في الموارد التي لم يذكر فيها لا الكتاب ولا القران :

(نزل به الروح الأمين . لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) ١٩٣ . ٢٦/١٩٥

والسبب في ذلك أن الآية السابقة على الآيات أعلاه أشارت إليه بما يفهم أنّه باسم (كتاب) حيث قال تعالى :

(وانه لتنزيل ربّ العالمين) ١٩٢ / ٢٦

لأنّ لفظة (التنزيل) بهذه الصيغة اقترنت بالكتاب في شبكة الاقترانات في النظام القرآني

وكما يلي :

. (تنزيل الكتاب لا ريب فيه) ٢ / ٣٢

. (تنزيل الكتاب من الله) ١ / ٣٩

. (تنزيل الكتاب من الله) ٢ / ٤٠

. (في كتاب مكنون . إلى . تنزيل من ربّ العالمين) ٨٠ / ٥٦

. (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) ٢ / ٤٥

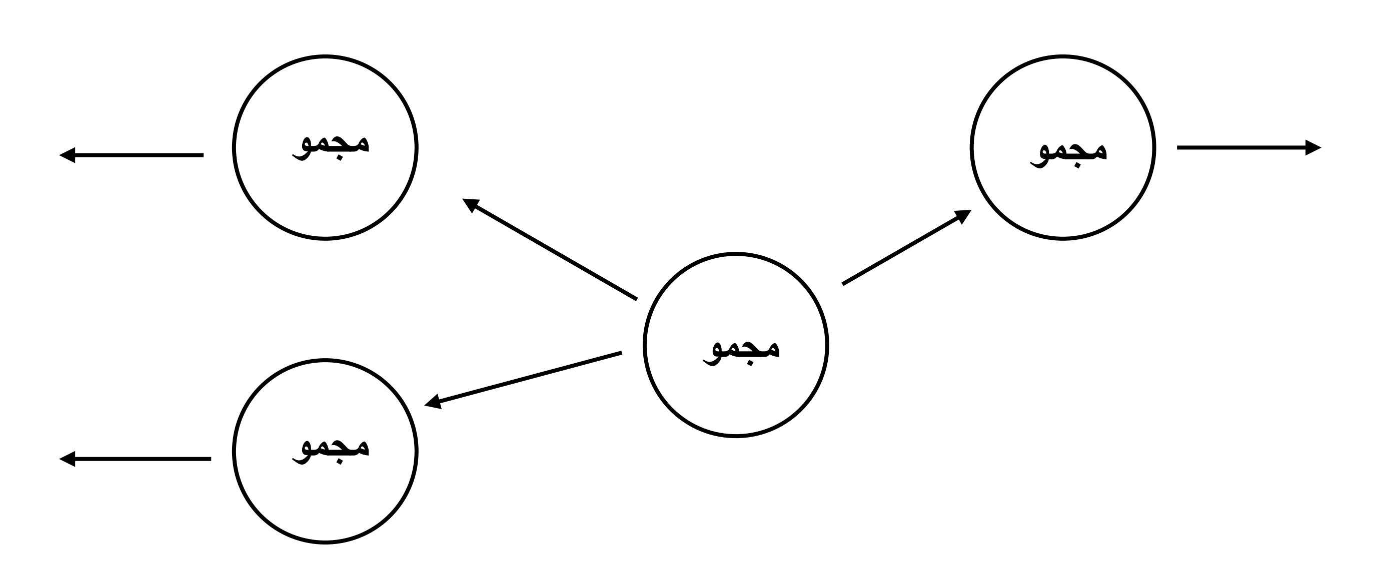
. (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) ٢ / ٤٦

أما في (يس والقرآن الحكيم) إلى قوله (تنزيل العزيز الرحيم) فإنّه يعود وفق منهجنا على الآيتين : (على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم) ، أي أنّه يعود إلى (الصراط) لا إلى (القرآن الحكيم) في أول السورة .

وهل يُسمّى (العرب) باسم اللسان فيقال (عرب اللسان) أم سمي اللسان باسمهم فيقال (لسانٌ عربي) ؟

أعتقد أن جذور اللسان ونظامه أسبق من تكّون المجموعات اللغوية ، وله أصولٌ قديمةٌ جداً . وهذا قانون عامٌّ لا يخصّ العرب وحدهم . فاللسان أولاً ثمّ المجموعة اللغوية ثمّ النظام اللغوي .

اللسان قد يضمّ (بالإمكان النظري) أكثر من مجموعةٍ لغويةٍ وربما يؤيد ذلك الواقعُ فيما إذا دُرِسَت الأمور بعناية لغايةٍ أسمى هي التوحيد اللغوي .



إنّنا نفرّق بين اللغة واللسان ونشدّد على هذا التفريق لحسم جدلٍ عقيم آخرٍ حول المسألة الأصل : هل كانت لغة واحدة أم نشأت اللغات متجاورة ؟ .

نحن نعتقد بأنّ صيغة التساؤل نفسها خاطئة ، والصحيح هو السؤال عما إذا كان هناك لسانٌ

واحدٌ أو ألسنٌ متعدّدة نشأت سوية ؟ .

وإذا كانت الصياغة على هذا النحو فمن غير المنطقي القول أن هناك ألسناً متعدّدةً إلاّ إذا اعتقدنا أن تأهيل الأرض بمناطقٍ متباعدةٍ حدث قبل تكوّن أيّ لسانٍ ، وهو اعتقادٌ غير منطقي .

في الرسم أعلاه يمكن لإحدى المجموعات أن يحدث في لغتها تأثيرٌ تراجعيٌّ على اللسان يؤدي إلى تغيّره ، وهذا ما يحدث عياناً في الحقبة المسجّلة تاريخياً لدينا ، وقد أوضحت شيئاً منه في الفصل الأوّل .

إذن فمن المنطقي القول أنّه كان في الأصل لسانٌ واحدٌ انبثقت عنه ألسنٌ متعددةٌ أملتها التغيرات الغير مسؤولة في النظام الصوتي بالعوامل المذكورة في الفصل الأوّل .

شخصياً أعتقد أن (اللسان العربي) هو لسانٌ قد حافظ للآن على النظام الصوتي المتكامل لآلة النطق وأبقى الأصول الحركية للأصوات على حال أفضل (بما لا يقاس) من بقية الألسن . وبالطبع فإنّ هذا لا يعني أنّ النظام اللغوي العربي يفي بمتطلبات هذا اللسان ، ولكنه كان رغم مساوئه الكثيرة (وعاءاً) أبقى لنا شيئاً كثيراً من الخصائص المميزة لهذا اللسان . أما القرآن الكريم فهو النسق الوحيد الملائم والمطابق لخصائص اللسان العربي . إذن فاللسان العربي الموجود لدينا الآن ليس في الأدب العربي أو انساق اللغة ، ولكنّه موجود فقط بصورته الصحيحة في القرآن الكريم من حيث هو نظام مطابق للنظام الصوتي وللنظام اللاحق به (أي تركيب الوحدات البنائية) التي تتألف من النظام الصوتي عناصراً وتراكيباً .

ولذلك قلنا أن وضع قواعد نحوية وبلاغية وغيرها على الشواهد اللغوية العامة فائدته الوحيدة هي جعل الاستعمال المخالف لنظام اللسان من جملة هذا النظام . وهو إذ يحاول (أي الاستعمال المخالف) الحفاظ على (اللغة) فإنّه يفعل ذلك عن طريق تدمير اللسان ، وفصم العلاقة بين نظامه والنظام العشوائي للاستعمال اللغوي . فهو يخلّص الجماعة اللغوية من (رقابة اللسان) على عكس ما كان يأمله من هذا العمل أصلاً .

ب ـ ر ـ ع : الباء انبثاق حركةٍ جديدةٍ ، الراء تكرار منظم ، والعين اتّضاح الحركة المبهمة .

الحركة العامة هنا تنتج أشياءَ كثيرة لم تكن ظاهرة أصلاً وهي جميعاً واضحة ومتميّزة . ولا يمكن وصف الحركة إلاّ بأنّها (بارعة) فعلاً ! . ولا يوصف الفاعل إلاّ بكونه شخصاً بارعاً حقاً ! . وأظن أن الأمر واضحٌ .

إذا عدت إلى صور الحركات لما مرّ عليك من حروف وجدت تنافراً واضحاً بين العين والحاء في الحركة منشأه المنطق العام للحركات .

فالحاء هو (تعاظم الحركة إلى حدِّها الأقصى) ، ومن الواضح أن الحركة إذا كانت متناسقةً ومترابطةً داخلياً بحيث أنّها تتعاظم بحركة الحاء فلا يبقى موضوعٌ لعمل العين ، لأنّ عمله مرتبط بما هو مبهمٌ من الحركات .

ومعنى ذلك أنّه لا تحدث حركةٌ كليةٌ بالحاء (مثل نضج ثمرة نضوجاً كاملاً) إلاّ وكان العين يعمل داخلياً في الجزيئات المكوّنة للثمرة . فالحاء متضمّنٌ للعين أصلاً ، لذلك لا يأتي حرف العين بعد الحاء مطلقاً حتى لو جعلت بينهما صوتاً آخراً أو اثنين .

وإذا عكسنا الأمر : اتضاح الحركة بالعين ، ثمّ تعاظمها بالحاء .. فيبدو لأول وهلةٍ أن الحركة منطقيةٌ وممكنةٌ . ولكن عند التأمّل الدقيق يصبح الأمر من نوع الإمكان اللامعقول الذي يستلزم هدراً في الطاقة وضياعاً للموضوع الأصلي . لأنك إذا أوضحت حركةً خافيةً مبهمةً وجلّيت أمرها فظهرت ظهوراً كافياً ، فقد أوجدت فيها (الحاء) ضمنياً مثل الحالة الأولى تماماً .

لقد مرّ عليك مثلٌ لعمل العين هو إخراج مدينةٍ آثاريةٍ مطمورةٍ في الأرض وإبراز معالمها . فلو جئت الآن بالحاء ليعمل فإنّه يشبه ما يأمر به شخصٌ ما من وجوب تكبير هذه المدينة ورفع سقوفها وجعلها مدينةً حديثةً في علو بناءها . ولأجل هذا فإنّ الحاء سيوجب هدم ما عمله حرف العين وسيسأل العاملون والفنيون عن جدوى ما فعلوه طوال أعوام عندما رفعوا الأتربة بتأنٍّ واعتناءٍ شديدٍ لإبقاء المعالم الآثارية كما هي .

وما يقوم به الحاء حينئذٍ هو أمر لا منطقي ويشبه مثلاً أن يطلب المرء من الشعراء والأدباء أن يقوموا بتحسين وضع الملحمة البابلية (كلكامش) بجعلها ثلاثين لوحاً بدلا من اثني عشر لوحا أو يطلب من أهل الاقتصاد أن يجعلوا الكبريت المستخرج مساوياً في قيمته للذهب . لذلك لا يأتي الحاء بعد العين ولا العين بعد الحاء في أي تسلسل .

ولك أن تلاحظ أننا اخترنا التعاريف الحركية بعنايةٍ شديدةٍ فلاحظ انطواء تعريف العين على الحاء في (اتضاح) ولاحظ انطواء تعريف الحاء على العين في (تعاظم) . لذلك نترك التسلسلات المكوّنة من (الحاء والعين) ليس لأنّها (ممكنة) ولم تستعمل بل لأنّها غير ممكنة في ذاتها .

ت ـ ع : التاء اجتلاب حركات والعين اتضاح الحركة .

هذا العمل وأن كان متعباً للغاية لكنه ممكنٌ في ذاته ولكن فيه ضياع بالطاقة ، لأنّ العين دخل على مجموعة حركات لم تنتظم بعد بأحد الأحرف الخاصة بذلك ، ويتوجّب عليه إزالة الإبهام والغموض فيها جميعاً ، فالحركة فيها عسرٌ .

ع ـ ت : اتضاح الحركة ثمّ اجتلابها للحركات بقوّةٍ .

ولكن يبدو أن الأمر التبس في المعجم بين الفاعل لهذه الحركة والمنفعل بها ، أو استعمل لوصف الكلام المتدفّق على صورة دفعات : قال : العتُّ ردٌّ على المرء قوله مرةً بعد مرةٍ . ويقال تعتّت فلان في الكلام تردّد فيه ، وهذا صحيح مطابق لجزء من حركة (عت) . وأطرف ما استعمل مطابقاً للحركة قول أهل القرى في هذا الزمان : (عتَّ الحبلَ : إذا سحبه سحباً شديداً ، وعتَّ فلانا : إذا جرّه من رداء ه جراً شديداً دفعةً واحدةً) . وهي استعمالات ليست في معجم .

إنّ سبب إسراع الحركة هو (وضوح) حركة العين ، فالاجتذاب نحوها سريعٌ جداً ، وهو مثل أن تغمر قطب شديد الجذب في برادة الحديد .

كذلك استعمل العامة ما يطابق الحركة : يقال : عتَّ الفسيل وعتَّ (جذع) الشجرة إذا دفعه أو جرَّه مرة بعد مرة بقوة لاقتلاعه أو فصله عن الأم ، وعتَّهُ العِجْلُ إذا أخذ الحَبلَ يجرّه بقوةٍ وصاحبه قابض على الحبل . وجميع ذلك صحيح وليس في معجم .

ع ـ ت ـ ر : إذا تكرّرت الحركة الآنفة بالراء فهذا يعني استمرار تدفق القوّة والحركة وربما تأخذ أكثر من جهة ولكنها من أصلٍ واحدٍ ولغايةٍ واحدةٍ .

وقد استعمل تصويرياً لتسمية نصل المسحاة وغيرها كالفأس والذي هو عماد قوتها . واستعمل للعادة المستحكمة بالمرء الراجعة إلى أصله كما في المثل القائل : (عادت لِعترها لميسُ) . والعترةُ : أهل الرجل وذريته ومرجع أمره .

<u>المعجم</u> :

العِترُ : بقل عشبي يتداوى به له عِطر . والمعتَّر : الغليظ السمين .

والعِترْ ةُ : ما تفرّعت منه الشُعَب ، وهو طبق الأصل .

والعِترةُ : السلالة والذرية وهو طبق الأصل .

عَترَ الرمح : اهتزَّ واضطرب متراجعاً في اهتزازه .

الحركة في الرمح مطابقة للأصل تماماً إذ هو (عت) متكرر بالراء .

ع ـ ت ـ ك : الحركة الشديدة في (عت) دخل عليها الكّاف وهذا أفاد تكتل المتشابهات في الحركة .

إذا حدثت الحركة في مزيجٍ معينٍ مثلاً حصل تكوّنٌ مستمرٌ وسريعٌ لمادةٍ جديدةٍ ذات طبيعةٍ أخرى في المزيج بحيث أنّها تحيله إلى وضعٍ آخرٍ .

ويبدو من استعراض عشرين استعمالاً مختلفاً لهذا التسلسل أن الاستعمالات المطابقة للأصل قليلة ، والأكثر هو التمثيل . إذ فُهم منه أيُّ عارض يحصل للحركة يحوّلها باتجاه آخر : عتكت المرأة على زوجها : عَصَت .

عتك بفلان : لزمه (كأنه أصبح عارضاً في حركته) .

عتك بفلان : حمل عليه حملة بطش ! (من الواضح أنّه بخلاف طبيعته أو بخلاف ما يكون عادةً في أمثال ذلك) .

عتك في الحرب : كرَّ . أقول هو ليس هكذا بل كرَّ على حالٍ بخلاف طبيعته في الحرب .

وكل ذلك صحيح ما عدا : عتكَ اللبن : اشتدت حموضته .

العتك : الخالص من الألوان والأشياء .

العاتك : الكريم (تمثيل على الخالص) .

قد تلاحظ إذا رجعت للحركة استقلالها بنفسها واعتمادها على ذاتها بعد حصول التماثل في خصائصها .

وأطلق مجازاً على (اللجوج) لهذا السبب . وأطلق على المرأة التي تكثر من الطيب (عاتكة) للسبب نفسه مجازاً . الجمع عواتك .

العتيك من الأيام : الشديد الحر . (تغيّر شديد وانفراد) وهو تمثيل ، إذ لو كان السائد في الجزيرة البرد لأطلق على نقيضه . (لم يستعمل في القرآن) .

ع ـ ت ـ ب : انبثقت الآن من (عتَّ) حركةٌ جديدةٌ بالباء بعيداً عن المركز . و(عت) في الأصل حركةٌ متكاثفةٌ حول العين . إذن فالحركة تنبثق والمركز ممتلئٌ بالحركات . إن انطلاق الحركة من هذا المجموع بالباء إنّما هو إشارةٌ إلى المركز أيضاً ، والانبثاق شديدٌ كما ترى .

فكذلك جرت بعض الاستعمالات : عتبَ البرق : إذا تتابع لمعانه .

عتب من قول إلى قول : تنقل من قول إلى قول . (الظاهر بغير ضابط) .

هنا استعمال تمثيلي للحركة كأنما أرادوا الذمّ لأنه بهذا التنقل يشير إلى نفسه . لكنّ إذا جرى كلامه على هيئةٍ واحدةٍ صار المقصود هو تذكير المتلّقي بمراجعة الأمر الذي كرهه منه ،

وهو معنى العتاب والتعاتب والمعاتبة وما اشتق منه . وهو مطابق للأصل لأنّ الكلام الواحد انبثاق للباء مرة واحدة .

العتَبَة : الخشبة السفلى للباب وكذلك العَتَبَة : العليا منها .

أقول : إنّه يشير إلى المركز حيث الدخول إليه من هذه النقطة ولوجاً .

ع ـ ت ـ م : دخل الآن (الميم) على (عت) . والميم يفيد اكتمال الحركة وإتمام ما ينقصها . والميم لا يأخذ شيئاً من الحركة وإنّما يضيف ويكمل فهو مستغنٍ بذاته ومعطٍ ، والحركات المجتلبة بالتاء لا حدود لها لأنّها جميعاً تشتهي الاجتماع عند العين (تذكّر مثال القطب الجاذب لبرادة الحديدة) . إذن يبقى الميم هناك إلى أجل غير مسمّى . والنتيجة أن هذا التسلسل إذا كان قد بدأ سريعاً بـ (عت) فقد تباطأ إلى أدنى حدٍّ بالميم .

المعجم :

عتم عن الشيء : كفَّ عنه بعد المضيّ فيه .

عتمَ عتماً : أبطأ وتأخر .

أقول إذا توخينا الدّقة فإنّ اللفظ لا يطلق على كلّ من تأخر ، بل تحديداً على من مضى عجلاً بسرعةٍ فائقةٍ لأجل بلوغ المراد ثمّ انتظروه بلا جدوى . عندئذ فقط يقال : عتمَ الرجل .

عتمَ الرجل قِرى ضيفه : هو الآخر ليس كلّ تأخير ، بل ذلك الذي يحصل من رجل عادته الإسراع في تقديم القِرى أو هكذا بدا منه أولاً .

حمل عليه فما عتَّم : لم ينكل ولم يُبطئ . (مطابق تماماً للحركة) .

العاتِم : البطيء .

العَتمَة : إهمال الليل (تمثيل على الحركة) .

ع ـ ت ـ ا : الألف تكوين الحركة والسيطرة عليها من بعد (انظر الألف) .

الآن يدخل الألف على الحركة المتكاثفة بالتاء حول الحركة المركزية الواضحة في العين . إن القوّة المكينة جاهزةٌ الآن كلّها لكي يستعملها الألف كيفما شاء . والناتج قوة مدمرة .

المعجم :

عتا عتواً : استكبر وجاوز الحد . تعتّى : عصى ولم يُطِعْ .

العاتي : الجبّار .

واستعمل في القران مطابقاً للحركة ذاتها :

(وأمّا عاد فأُهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية)

إذا تخيلت الحركة وتذكرت أن الألف هو مُنشأ ومكوّن الحركات ، علمت أيّة قوة ستتكاثف بالتاء . إن الألف هنا يعطي للتاء مراده في اجتلاب الحركات ولديه خزين لا ينفذ منها ، إذن فالريح الناتجة هنا تتشكّل بصورة أعاصيرٍ متلاحقةٍ وبكافة الاتجاهات وهي الحركة الكاملة في (عاتية) .

(وكأين من قرية عتت عن أمر ربها فحاسبناها حساباً شديداً وعذّبناها عذاباً نكرا)

القرية تستجلب قواها الذاتية كلّها (عن أمر ربها) أي بمعزل عن الألف الأوّل ، مستعملة الألف المتكوّن فمن الطبيعي أنّها لا تحصل على قوّةٍ قادرةٍ على مجابهة ربّها .

انظر الآن بنفسك إلى جمالية وضع الحساب قبل العذاب وانظر إلى صفته (حساباً شديداً) وانظر إلى عدد ما استعمله من حروف الألف بعد (عتت) وانظر أشياء أخرى .

ع ـ ب ـ ك : العين اتضاح الحركة ، والباء انبثاق ، والكاف تكتل للمتآلفات .

يبدو لي في هذا التسلسل أن حركته العامة تشير إلى شيءٍ من أصلٍ معلومٍ وظاهرٍ نتج عن وضوحه وظهوره تجمعٌ لقواه الداخلية فأصبح شيئاً متآصراً ومتجانساً بعضه مع بعض .

وقد أُختلف فيه فقيل : العبكة : القطعة أو الكسرة .

وأورد الخليل في العين عن عرام أنّه قال : العبكَةُ ما ثردته من خبز وعبكت بعضه فوق بعض . وبهذه العبارة يظهر شيء من الحركة .

ويقال : ما ذقت عبكةً ولا لبكةً .

وأعتقدُ بناءاً على معاني الحروف وعلى هذا المثل أن لفظ (العبكة) ـ إذا جرى اللفظ على الطعام ـ يراد به الطعام المعتنى بأنواعه وطبخه اعتناءاً شديداً . وأمّا لفظ (اللبكة) فعلى عكس ذلك يراد به الطعام المعدّ كيفما اتّفق .

وبهذا يمكن معرفة ما قاله عرام : اللبك سِمن تصبَّه على الدقيق .

ك ـ ع ـ ب : الكّاف تكتل للمتشابهات ، والعين اتضاح الحركة ، والباء انبثاق .

الحركة العامة كما ترى متناسقةٌ وجميلةٌ ويقوّي بعضها بعضاً . فأيّ شيءٍ فيه خصائصٌ متماثلةٌ واتّضحت حركته وأدى غرضاً ما فهو كَعْب .

قالوا : تكعبت الجارية فهي كعاب وكاعب ، وتكعب ثدياها .. كلّ ذلك قد قيل ولم يفسروه (العين /١ / ٢٠٧) .

ولو رجعت إلى التسلسل (عرب) لوجدت إننا ذكرنا هناك معنى الألفاظ الثلاثة (أبكاراً ، عرباً ، أتراباً) . حيث كان اللفظ (أبكاراً) يخصّ أعمارهن ، واللفظ (عُرباً) يخصّ نفوسهن ، واللفظ (أتراباً) هو تجانس ما بين هذا وهذا .

ولكن في قوله تعالى (كواعب أترابا) . استعاض عن الصفتين (أبكاراً وعرباً) بكواعب لأنّ التسلسل يتضمّن الحد الحرج في الشباب ويتضمن الوضوح في النفس في آنٍ واحدٍ لوجود كاف أبكار وعين (عُرباً) في لفظ (كواعب) بتسلسلٍ يضمن تقوية الحركة في كلّ منهما .

قال الخليل : وأهل العراق يسمون البيت المربّع كعبةً .

أقول : لتماثل أركانه واتّضاح معالمه وانبثاق الحركة منه وفيه .

والكَعبُ : عظمٌ فوق الرسغ عند القدم .

هنا الاسم مأخوذ طبقاً للحركة ، لأنّ هذا العظم متماثلٌ من كلّ جهتين متقابلتين ممّا يؤدي إلى الحركات المتناسقة التي تقوم بها القدم .

ع ـ ك ـ ب : العين اتضاح الحركة ، والكاف تكتل المتشابهات ، والباء انبثاق .

إلى هنا فالحركة واقعةٌ في مشكلةٍ ، لأنّ مجيء الكّاف بعد العين هو عملٌ تخريبيٌّ ، إذ كيف يجمع المرء المتماثلات مع بعضها البعض من حركةٍ لم تتضح معالمها إلاّ بعد التناسق والتناغم بين أجزاء ها ؟

فهو كمن يقوم بمحاولة إعادة تشكيل كتاب من أروع ما كتب في موضوعه ، وذلك حينما نعتبر حركة العين حركةً واحدةً لا مجموعة حركات . فالتشكيل الجديد إضاعةٌ للوضوح وخفاءٌ للمعالم التي أظهرها العين . ثمّ يأتي الباء ليجمع من هذا الشيء المشوّه حركةً منبثقةً يشار إليها بالبنان !

<u>المعجم</u> :

العَكْبُ : غِلظ في لَحيْ الإنسان (لاحظ تشوّه الخلقة) .

أَمَةٌ عكباء : علجة جافيه الخلق من أم عُكبْ . (عين / ١ / ٢٠٦) .

قال الخليل : (وفي لغة الخفجيين : عكبت حولهم الطير فهي عكوب أي عكوف)

أقول : فيه نظر لأن الاستشهاد بقول شاعرهم (مزاحم) :

تظلُّ نسورٌ من شمامٍ عليهم   عكوباً من العقبان عقبان يذبلِ

قد يعني عقباناً مشوّهةَ الخلقة لكثرة ما مزّقت من أجساد ، فظلت عكوباً من مجموعات عقبان يذبل إذا استقرت هناك لا ترجع .

ويضطرب المعنى إذا كان المقصود (عكوفاً) إذ تتحول (من) إلى بعضية بدلاً من كونها لبيان الجنس . وعدا ذلك فإننا لا نثق بالأبيات المنفردة ثقتنا بالاستعمال العام لأسباب يعلم السادة القرّاء بعضها .

ب ـ ك ـ ع : التسلسل الآنف انعكس كلياً ، الحركة تنبثق ثمّ تتألف ثمّ تتضح معالمها . وعندي إن هذه الحركة تشبه تكوّن شمسٍ جديدةٍ . وهذا التسلسل لم يُستعمل ولكن الخليل قال : البكْعُ شدةُّ الضرب المتتابع . وهو كما ترى استعمال (تصويري) للحركة .

ع ـ ك ـ م : لاحظت في (ع ـ ك) أن الكّاف إذا دخل على العين قام بعملٍ تخريبيٍّ مخالفٍ لعمل العين . والآن جاء الميم ليصلح ما أفسده الكّاف ويحاول جمع شتات ما مزقه الكّاف .

المعجم :

العُكْمُ : التردد . عَكَمَ عَكْماً فهو عَكوم .

أقول كيف لا يتردّد وأمام الميم هذا الركام الذي خلّفه الكّاف ؟

عكمتَ المتاع : إذا بَسطت ثوباً وجمعت المتاع فيه وشددته !

لاحظ هذا المسكين وهو يجمع شتات المتاع بثوبه ! بعد تفرّقه إلى متماثلات بالكاف . الإطلاق هنا تصويري لا حقيقي .

ك ـ م ـ ع : هذا تسلسل جميل . فالكاف هيّأ المتآلفات أولاً والميم لاحظ نواقصها فأتمّها والعين أوضحها. صحيح أنّه جميل ولكن في الحركة الداخلية فقط ، فليتك ترى شيئاً يحدث فيه مثل ذلك . أمّا إذا رسمناها كما فعلنا فلا عمل للميم في الحقيقة سوى المراقبة والصون ، ولا عمل للعين سوى النظر إلى الحركة . أعني إذا كان ذلك في (سائل) مثلاً فهي حركة جوهرية رائعة تربط بين أجزاءه وتظهره على حقيقته . وإذا كانت في مكتبةٍ مثلاً فالميم لا يتمّ شيئاً بعد التكتل الذي فعله الكّاف ، والعين لا يظهر شيئاً سوى ما كان . إذن فالحركة الخارجية هي اعتزاز بالشيء وحفاظ عليه ، وهذا الاستعمال سيكون تمثيلياً لا حقيقياً .

لم يستعمل إلاّ تمثيلاً : كمَعَ الشيء : ضمَّهُ إليه لصونه . وقد عمّت الاستعمال ، لأن المعجم حدّده بالأنثى فقال : كامعتها ضممتها إلي لأصونها ، والمكامع : المضاجع .

ك ـ ع ـ م : هذه حركةٌ جميلةٌ ومتكاملةٌ . مثالها إنّك تقوم بعملٍ موحّدٍ تجمع به أشياءَ متآلفةً وتظهرها بحلّةٍ أخرى جامعةٍ لها وتُتمُّ جميع نواقصها . صحيحٌ أن هناك ضياعٌ قليلٌ في الطاقة ولكن الحركة لا تتعثر بل تسير قدماً وتفعل فعلها في نهاية الأمر بقوةٍ .

كعَم الرجل المرأة : قبّلها فاعتكمَ فاها (هكذا في العين) . ويظهر أنّه أُخذ من الكعام : شيء يجعل في فم البعير . وأحسب أن الكعام هو الآخر تمثيلٌ أخذوه على ما في الحركة من (اعتراضٍ مستمرٍ) ، لأن الاتضاح بعد التآلف عبارة عن اعتراض للحركة الأولى ويتحقّق الاعتراض بالميم .

كَعَمهُ الله : قيّدَ حركته وأخرسه . استعمالٌ ضيّقٌ جداً تستعمله عجائز العراق لم أعد اسمعه (ليس في معجم) . وأضيف شيئاً هاماً آخراً : إن هذا الدعاء لا يقال للعدو بل للأصدقاء ! ويقال لهم ذلك وجهاً لوجه . لاحظ الاعتراض في الاستعمال .

م ـ ع ـ : : الميم اكتمال والعين اتضاح والكاف تماثل .

خارجيا سبَّبَ الكّاف بعد العين تمزق الحركة في اتجاهاتها . الاستعمال تصويري : المَعَكْ : دلك الشيء في التراب . تمعك : تقلب في التراب ومنه حديث عمّار في التيمم مخاطباً عمر : (... فتمعكت في التراب ...) .

وأمّا داخلياً فالحركة تؤدي إلى تماثلاتٍ واضحةٍ . مثالها انفصال المركبات في خليطٍ عند التحليل .

العلاقة بين الفكرة والحركة

لم يكن إيضاح هذا الأمر ممكناً في الفصل الأوّل والآن وقد مرَّ ما يكفي من التعاقبات فقد توضّح الأمر تلقائياً . إذ شعرت بما يكفي أن انطباق الفكرة المراد التعبير عنها بلفظ على حركة اللفظ العامة هي شيءٌ نسبيٌّ تتحكّم به عوامل عدّة . ونحن نوضح أحد هذه العوامل ألا وهو طبيعة الفكرة . فالفكرة هي أيضاً حركةٌ . فإذا كانت الحركة ذاتيةً وجوهريةً وعامةً مثل : (عرف) ، (فهم) ، (درس) ، (نما) ، ... أي حركةٌ طبيعيةٌ تطابقت الحركتان في أكثر الأحيان (أي حركة كلّ من اللفظ والفكرة) .

وإذا كانت الحركة تصويريةً أو كانت هي حركةً ميكانيكيةً ، فانهم يأخذون من التسلسل ظاهر الحركة فقط أي العلاقات بين الأصوات ولا تهمّهم النتيجة الكلية للحركة .

وفي أحيانٍ كثيرةٍ تتطابق التسمية والإطلاق على الحركة الخارجية أيضاً إذا كان اللفظ يعمل بطرقٍ مختلفةٍ عندهم فيحافظ على الحركة التصويرية والجوهرية سويةً .

نحن هنا بأزاء ضرورةٍ ملحّةٍ هي إعادة النظر في المجاز . فهذا الذي نذكره الآن هو شيء يخصّ الأصول وهو سابق على التوزيع النهائي لمعنى اللفظ على الأفكار المتعددة . وبالطبع سابق على الكناية والاستعارة والمجاز بأنواعه .

والمقصود أن الكثير مما نسمّيه استعمالاً صحيحاً وحقيقياً هو في الواقع مجازٌ من أول ما استعملوه . وربما حدث العكس أيضاً ، ولكنه أمرٌ يحتاج إلى توضيحٍ . وقد أوضحناه في كتاب النظام القرآني ، إذ كم ذكرنا من استعارات وكنايات ومجازات هي في الواقع استعمالاتٌ حقيقيةٌ . والمشكلة أكبر من ذلك من جهة أخرى :

فالاستعمالات العامة التي تحدّدت بطريقةٍ ما بشيءٍ معينٍ مثل : (ذاق) للطعام ، (لبس) للثياب ، (شرب) للماء وأمثالها ، ظن أهل اللغة أن هذا الاستعمال هو الأصل ولذلك فالتراكيب مثل (ذاقت وبال أمرها) و(لباس الذل والخوف) و(أُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) ، أصبحت عندهم مجازات وقد أبطلنا هذا التصوّر في موضعه .

هذا الأمر يُعدّ اضطراباً شديداً في تفسير معاني المفردات والتراكيب وإرباكاً عظيماً في اللغة . وأجزم بكلِّ قوّةٍ وثقةٍ أن عدم وجوده أصلاً كان أنفع من وجوده ، فإني لا اشعر بأيّة منافع لتلك الكتلة الهائلة من بحوث اللغة . إن كلّ ما نحتاجه اليوم هو (معجمٌ) واحدٌ يذكر لنا استعمالاتهم القديمة للمفردات ، ويمكننا أن نضع هذا المعجم أيضاً بأنفسنا اعتماداً على كلامهم وخطبهم والثابت من شِعرهم ، إذ تساورني الشكوك في الموضوع من أصله . مثلاً إن اعتمادهم الكامل في ملاحقة المفردات على الأعراب وأهل البادية هو أمرٌ أحتاجُ إلى من يفسّره لي تفسيراً معقولاً .

لأنني عشت تقريباً الأطوار الثلاثة : البادية والقرى والمدن بما في ذلك (العواصم الكبرى) . واعتقد واثقاً أن عدد المفردات المستعملة هو أقلّ ما يمكن عند البدو . أولاً : لأن هؤلاء القوم لا يتناقشون في فلسفة ارسطو ، ولا في قدم العالم وحدوثه ، ولا يعلمون شيئاً عن الكشف والتجلّي لإخوان الصفا ، ولا يعلمون شيئاً عن الحديث والقرآن وخطب عليّ بن أبي طالب (ع) ، ولا يدرون بأيّ شيء اختلف المعتزلة عن الأشعرية ، ولا تهمّهم هندسة أقليدس أو كيمياء جابر بن حيان ، ولا يعلمون شيئاً عن معاناة حيّ بن يقظان ،وليست لديهم أدواتٌ ومستلزماتٌ معاشيةٌ كثيرةٌ كأهل المدن ، ولا زرع وتجارات وتربية حيوانات كأهل القرى فضلاً عن دراساتٍ في النفس والأخلاق أو الصناعات وما شابه .

حتى النباتات البرية ما أقلّها في الصحاري وما أكثر أنواعها في الأرياف ، حتى الحيوانات ما

أكثرها في القرى وما أقلّها في الصحاري ، حتى الحشرات ما أكثرها في الأرياف والمدن وما أقلّها في الصحاري . وفوق ذلك هم (أشدَّ كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله) . فمن أين يأتي لهؤلاء ذلك العلم الجمّ بمعاني ألوف المفردات ؟ .

نعم .. لقد اجتمعت معاني ما لا يقل عن ٨٠% من المفردات حول ذلك الكائن الصحراوي الذي يسمّى (البعير). وأدعوك أن تفتح عشوائياً (القاموس المحيط) من أيّ موضعٍ وتُحصي بنفسك عدد مكرّرات لفظ (بعير) في التعاقبات الصوتية عند شرح معانيها .

وهذا اختبارٌ أقوم به بدلاً عنك :

ظهرت الصفحة (٤١٥) من ج٣ / فصل الشين :

شِمال : شملت الناقة .. الخ

شَمردل : الفتي السريع من الإبل ... !

شمردلة : الناقة الحسنة الجميلة ..!

اشمعَّل : القوم تفرقوا والإبل مضت . .!

شالَ : شالت الناقة رفعت ذنبها ... وانتهت الصفحة كلّها بحمد الله حول الناقة وزوجها .

فأسألك بالله أيّ كائن هو هذا البعير لتدور اللغة كلّها حوله ؟ .

هل اشتمل هذا الكائن على جميع الحركات الممكنة في الطبيعة بحيث لا يحتاج المرء إلى النظر إلى (السماء كيف رفعت) والى (الجبال كيف نصبت) والى التمر كيف أينع والى الماء كيف نبع والى آلاف الآيات في الأرض وفي أنفسهم ؟!! .

نحن إذن بحاجة إلى إعادة النظر باللغة كلّها معانيَّ ومفرداتٍ مجردةٍ وتراكيبٍ وأسسٍ بلاغيةٍ وبيانٍ من أجل أن تتوّضح القيم الفكرية التي تحملها اللغة . وإننا إن شاء الله سنضع بحوثاً مختصرةً ومركزةً تفتح الباب إلى ذلك المدخل .

تعاقبات أخرى لحرف العين

ع ـ م ـ د : العين اتضاح الحركة ، والميم اكتمال ، والدّال اندفاع .

إذا كانت الحركة هي عبارةٌ عن بذرةٍ في الأرض ، فظهورها وتحدّد معالمها هو العين ، واستغلاضها واستواءها على سوقها هو الميم وقيامها معتمدةً على نفسها هو الدّال .

تظهر القصدية في الحركة أيضاً . وهنا يمكن تفسير بعض الاستعمالات بأكثر من طريقةٍ :

عَمدَ الإنسان : جهدَهُ المرض . وعمد المرض فلاناً : أضناه وفدحه (كلاهما في المعجم) .

فالأول فعل لازم : فهو أشبه بالكناية عن الحركة . والثاني متعدٍ : المرضُ اعتمد عليه فأضناه أو قصده ففدحه . وعلى مثل ذلك جرى هذا النوع .

أما النوع الآخر فقد طابق الحركة في الصورة أو الغاية أو فيهما سواء . ومنه عمدَ الشيء : أقامه . اعمدَ البناءَ : جعل له عماداً . وعمدَ الشيء : قصده .

فالحركة متدفقةٌ وصولاً للهدف كأن كلّ حرف جاء فيها قد قصد الآخر بعينه . فأكثر شيء يوافق العين بعده هو الميم وأكثر شيء يوافق الميم بعده هو الدال وهذا قانون عام .

فإذا فصلت الحركة هكذا : (عم - مد) تأكدت من ذلك ، لأننا قلنا أن العين باحثٌ عن المبهمات في الحركات كلّها فيجد راحته في التعميم (عم) . والميم قوّة التنامي والتكامل فيجد راحته في الدّال لأنه يحقّق له الامتداد . وبهذا ربط الميم بين العين والدال بأقوى الروابط الممكنة في جميع الاحتمالات المتصوَّرة للتسلسل .

فهذا التسلسل عبارةٌ عن قوّةٍ مكينةٍ جداً تمسك البناء الكوني . ففي قوله تعالى :

(خلق السموات بغير عمدٍ ترونها) ١٠ / ٣١

قال أحد العارفين : (ثمة عمدٌ ولكن لا ترونه) .

وهذا صحيح لأنّها لو كانت بغير عمد لقال : (بغير عمد) دون قوله (ترونها) فهذا يدلّ على وجود العَمد .

وبناءاً على معنى التسلسل نفهم أن قوة (العمد) الماسكة للسموات هي قوةٌ ذاتيةٌ تنشأ وتتعاظم وتمتد مع امتداد الوجود الكوني فهي فيه مثل قوّة الساق والجذع والجذور والأغصان في الشجرة . واستعمل كذلك مطابقاً للحركة لما يجري في داخل النفس من خطط وأهداف :

(من قتلَ مؤمناً متعمّداً فجزاءه جهنم) ، (ولكن ما تعمّدت قلوبكم) .

د - م - ع : إذا عكست التسلسل الآنف الذكر (عمد) فإنّ الحركة تتراجع ، فإذا تكوّن نتيجة البرد وتكاثف البخار عمودٌ من ثلجٍ مثلاً فالتراجع في الحركة هو بالتسلسل (د - م - ع) يذوب فيرجع كما بدأ . والحركة العامة تعني عودة الشيء إلى حالته البسيطة الأولى ، لأن الاتضاح بالعين تمَّ بعد تمامية الاندفاع المطلوب (راجع د - م) .

دَمعَ المطر : في المعجم (سال) وهذا التعبير دقيق جداً لأنه يعني رجوعه إلى حيث ما كان أولاً (ماء يجري) فهذه الصفة تطلق عليه وهو على الأرض لا صفة له وهو يتساقط . فهو دقيق من هذه الجهة فقط .

دمع الثرى : ظهر كأنه يسيل ندى أو كاد (مط)

ثمّ اجروا من ذلك استعمالات أخرى كالعادة :

(دمعت عينُه) : سال منها الدمع . إذا كان الفعل لازماً فالتعبير خاطئ ، لأن المعنى : سالت عينه ولو قلت (دمعت من عينه دمعةٌ) فقولك يصحّ على الحركة ، ولذلك يصحّ (أدمعت عينه) . متعدّي . أي أخرجت سائلاً هو الدمع .

ع . م : العين اتضاح الحركة . وقد ذكرنا أن الميم يعمل داخل حركات الحروف ، فالعين يستبطن الميم لأن اتضاح الحركة لا يتمّ داخلياً إلاّ به . ومجيء الميم ظاهراً بعده معناه أنّه يتمّم الأمر بحركات خارجية فقط . وهذا رمزٌ واضحٌ في التسلسل يشير إلى أنّه في هذا الوضع متجاذبٌ مع جميع الحركات وهو ما تنطوي عليه فكرة (العميم) وما اشتق منها من ألفاظ . ويصحّ كأداةٍ للتساؤل عن جميع الأشياء كما في قوله تعالى (عمَّ يتساءلون عن النبأ العظيم) . وهو عندنا لفظ مستقلٌ مثل (هل) و(كيف) و(متى) وليس منحوتاً من (عن ماذا) ، لأن الأخير سؤال عن (الذات) وهو سؤال خاطئ في ذاته ، لأن (ذا) اسم إشارة يشير إلى شيء فإذا دخلت عليه (ما) أفاد السؤال عن ماهية الشيء أو اسمه . فالسائل يلاحظ الشيء المسؤول عنه لكنه لا يعلم ما هو فيقول (ماذا ؟) أو (ما هذا ؟) . وإذا سألت عن العلّة والمسبب لشيءٍ ما قلت (عن أي شيء) . فإنّك ترى الشيء الناتج ولا ترى المسبب . وإذا جمعت وأبدلت فقلت (عن ماذا) فكأنما أشرت إلى ما تسأل عنه وهو تناقض .

لكنّ يصح التركيب إذا انعكس فتقول (أسألك عن ماذا الرأي أخذت ؟) . ولا يجوز القول (أسألك عن هذا الرأي عمّاذا أخذته ؟) .

وكذلك فليس (عمَّ) منحوتاً للعبارة (عن مَنْ ؟) ولا هي (عن ما) فلكلّ واحدة من هذه عملها .

والسؤال (عمَّ) يفيد العموم أي أنّه سؤال عن الذوات والأشياء والكيفيات والعلل . فهو سؤال عامٌّ تندرج تحته جميع صيغ الاستفهام مرةً واحدةً . فالسؤال (عمَّ يتساءلون ؟) يمكن أن يكون جوابه أنّهم يتساءلون عن الآلهة (أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) ، ويتساءلون أيضاً (هل لنا من الأمر من شيء) ويتساءلون عن البعث أو النشور (أإذا كنا ترابا ... الخ) ويتساءلون عن أشياء كثيرة جداً تستعمل معها جميع صيغ الاستفهام . ولكنه أجاب على السؤال جامعاً بين ذلك كلّه ، لان منشأ الشك والتساؤل عندهم واحد هو كراهيتهم لأمرٍ خاصٍ أنبأهم به النبي (ص) ، فذلك النبأ العظيم هو العلّة في ظهور جميع تساؤلاتهم (النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) فهم يتساءلون في حقيقة الأمر عن هذا النبأ .

م ـ ع : والآن إذا عكست الترتيب فقد انعكست الحركة من التعميم إلى التخصيص وتراجعت لتشير إلى (عين الشيء) أو ذاته ، وكأنما هي شعاع متصل بين شيئين يمكن أن تقول إنّك إذا جمعت أحدهما مع الأحمر فهما شيءٌ واحدٌ . فهذا الرمز الحركي أخذوه للإشارة إلى ما تنطوي عليه فكرة المعيّة .

وهذا التسلسل كما هو الحال في الجميع هو بمعنى واحد لا يتجزأ قط .

وأمّا زعمهم أنّها تأتي بثلاثِ معانٍ أو خمسةٍ أو أكثر فهو مجرّد هذيان وهراء خالفوا فيه الأمرين سويةً المنطق والشواهد . فقد أثبت صاحب المغني ثلاثة معان وثلاثة أحوال (المغني / ٣٣٣) :

الاسمية والظرفية والحال فقال في المعاني :

الأوّل : موضع الاجتماع : وزعم أن الشاهد (والله معكم) .

فانظر بنفسك إلى قيمته أهو موضع للاجتماع ، تعالى ربّنا عن ذلك أم هو إشارةٌ للوصول والاتصال والإمداد بالقوة والعناية ؟

الثاني : زمانية المعنى : وزعم أن الشاهد : (جئتك مع العصر) .

وهذا التعبير ركيك جداً لم ينطق بمثله فصيح إنّما يذكر معه اسماً : (جئتك مع حلول العصر أو وقت العصر) أو يبنى على الظرفية : (جئتك عصراً وعصرَ ذلك اليوم وعَصرَ البارحة ... الخ) .

وهل يصحّ شاهدٌ كهذه الجملة الوحيدة لوضع قاعدةٍ ومعنىً مستقلٍّ لهذا اللفظ . على أن الزمان شيء ذاتيٌّ في حركة اللفظ .

الثالث : مرادفة لـ (عند) : وزعم أن الشاهد قول سيبويه (ذهبتُ مِن معه) في حكاية الجار بكسر ميم (مِن) .

وهل ترانا نسلِّم بالأمر لأن إعرابياً ادّعاه في حكايةٍ من حكايات ألف ليلة وليلة لسيبويه ؟ !! ومالهم لم يسمعوا بمثله ؟ وما لنا لم نسمع نحن ؟ ، وما لهم لم يقرءوا ونقرأ معهم مثل هذا الاستعمال عن أمةٍ كبيرةٍ وصلنا من كلامها وشعرها وخطبها الكثير ؟

والشاهد الآخر :

زعمه أن البعض قرأ : (هذا ذكر مِنْ معي) ٢١/٢٤ ـ بخفض ميم (من) كذلك .

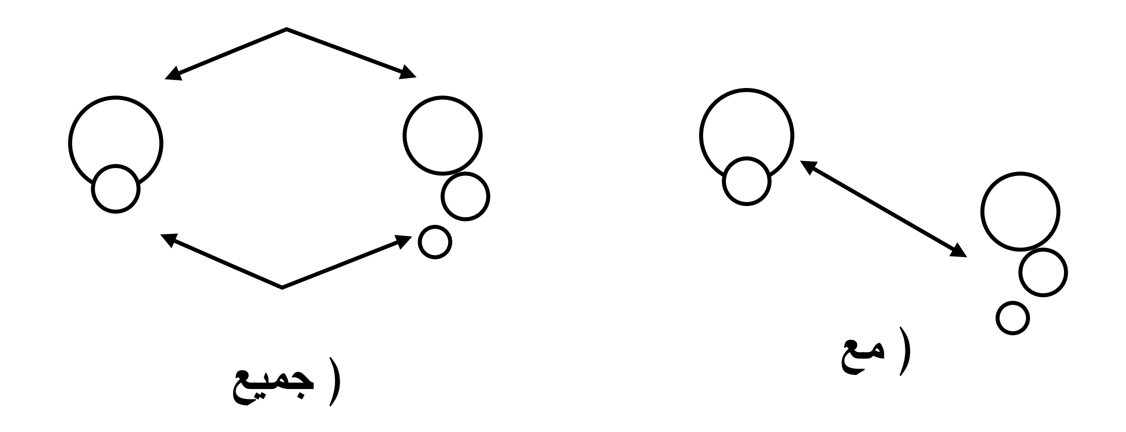
فأوّلاً : لم يقل لنا من هم هؤلاء البعض ، وثانياً : لم يفسّر لنا معنى قوله (هذا ذكرٌ مِن عندي) إذا وضعنا المرادف . لأن الكلام هو مقول للنبي (ص) : (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) ، والنتيجة تطابق ما يذكره الخصوم من الكفار لأنهم قالوا هذا من عندك لا من الله فكيف تكون (معي) بمعنى عندي ويعترف لهم بما اتهموه به ؟ . وثالثاً : لم يبيّن لنا ما نفعله بجزء الآية الآخر (وذكر من

قبلي) هل نقرأ (مِن) بالكسر مع تنوين (ذكر) ؟ .

وبالطبع فهذا كلّه لا علاقة له بالقراءة المفترضة لأنّها إذا صحّت فلن يكون المعنى مرادفاً لـ (عندي) ، بل سيكون (ممن معي) ويكون الذكر بمعنى آخر هو غير ما يذكره .

ثمّ إنّهم اختلفوا في العلاقة بين (معاً) و (جميعاً) فقال ابن مالك : إنهما بمعنىً واحدٍ وقال ثعلب مخالفاً : (معاً) تعني بوقتٍ واحدٍ و(جميعاً) لا تشترط ذلك ، وعدل بينهما آخرون كما ذكره ابن هشام . وليس الاختلاف في الزمان إنّما الفرق بين اللفظين في الموضوع .

ونحّل هذه المسألة بالرسم التوضيحي الذي يبين الحركة العامة في لفظي (مع) و (جميع) .



فليس الفرق بينهما في الزمان لأنهما كلفظين ينطويان على الزمان والمكانية بصورةٍ متساويةٍ ، إنّما الفرق في الموضوع . فلفظ (مع) يشير إلى (المجموعات) اثنين أو أكثر . فإذا قلت (جاءوا معاً) أشرت إلى استقلال المجموعات وإن ظرف الزمان والمكان قد جعل المجموعات مترافقةً . وإذا قلت جاءوا (جميعاً) أهملت المجموعات وكوّنت مجموعةً واحدةً ، وانضمّت الأعداد إلى بعضها البعض ، هذا بغض النظر عن الخطأ في عبارة (جاءوا معاً)

- (ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم ارتبتم)
- (لئن خرجتم لنخرجن معكم)
- (إن مع العسر يسرا)
- (وجاءت كلّ نفس معها سائقٌ وشهيد)
- (ولا تجعلني مع القوم الظالمين)

إنّ اللفظ (مع) يعبّر عن علاقةٍ ترابطيةٍ بين الأفراد والمجموعات . والسبب الذي أدّى إلى ظهور هذا الخلاف هو قول البعض (معاً) بالتنوين ، فلم يتفكّروا في أمر هذا التنوين ، بل بنى البعض عليه فكرة كون هذا اللفظ اسماً واستدلّ عليه بالتنوين . بينما (جميع) اسمٌ مشتق من فعل

هو (جمعَ) ، علماً إن هذا التنوين في (معاً) هو خطأٌ شنيعٌ لم ينتبهوا له فهذا اللفظ لا ينوّن ، وقول القائل (جاءوا معاً) خاطئٌ وغير فصيح مطلقاً .

ذلك لأن المعيّة تثبت طرفاً وتوصل طرفاً آخر به فإذا قلت (جاءوا) فقد جاءوا فما معنى معاً ؟ . إذا كنت تريد أن تقول بعضهم مع بعض دون تحديدٍ للمجموعات فقل : (جاءوا بعضهم مع بعض) وليس (معاً) لأنه لا يوجد في اللغة (معاً) ، ولأن الحركة في هذا اللفظ (مع) هي حركة رابطةٌ بين طرفين فإذا لم تكن لديك أطراف فلا يأتي هناك .

لقد استعمل لفظ (مع) في القرآن (١٦١) مائة وإحدى وستين مرّة فما جاءت فيه (معاً) ولا مرّة واحدة . ولم أعثر عليها منوّنةً في كلام أي فصيح غير ابن مالك وابن هشام وعلماء اللغة أمّا قبلهم فلا وجود لها . فقل للباحثين عن إعجاز القرآن وهم يفسّرونه بلغة خاطئة ولا يفسرون لغتهم به (لقد ذهبتم بها عريضةً) ! .

ففي جميع الموارد القرآنية العديدة ذكر الطرفان اللذان اشتركا بالمعية فلم تأت (مع) منصوبةً هكذا بدون تحديد للأطراف لأن ذلك بخلاف عملها .

وإذا قلت عبارةً مثل (جاء زيدٌ ومالكٌ معاً) فما معنى (معاً) هنا ؟ من هو منهما الآتي ومن منهما الذي جاء مع صاحبه ؟ لأن (مع) تحتاج طرفاً ثابتاً وطرفاً بمعيةٍ . وإذا كنت تقصد انهما جاءا سويةً فقل : جاءا سويةً ، جاءا جميعاً ، فما فائدة (جميعاً) إذا كانت تعمل مثل (مع) ؟ ومثل (سوية) ؟ . وما فائدة وضع مفردات مختلفة إذا كان يجوز أن تحلّ الواحدة بدل الأخرى لأداء نفس الفكرة ؟ على أن في قولهم (جاءا سوية) نظرٌ أيضاً وله معنى آخر .

لقد أبطلنا المرادفات في كتاب سابق وفي معاني الحروف سوف نقضي عليها قضاءً تاماً ولا نبقي لها باقية .

ع ـ م ـ ا : قلنا إن مجيء الميم بعد اتضاح الحركة معناه الإتمام مع باقي الحركات فينفتح على جميع الحركات الممكنة مما تنطوي عليه فكرة التعميم (راجع عم) . ولما كان الألف يكوّن حركات جديدة فمجيء الألف بعد الميم هو عملٌ جنونيٌّ فعلاً فإلى أين تريد الحركة أن تذهب ؟ أنّها تريد أن تذهب إلى خارج الوجود الحاوي على الحركات ، وتلك في الواقع صفةٌ من لا يرى شيئاً من الموجودات وهذا هو العمى .

ورد في نص خاص جداً هذا المعنى بهذا اللفظ عينه ، حيث سّئل أحد العارفين عن مناطق الوجود فلمّا انتهى من ذكر الأكوان وما بعدها من (حُجُب) عديدةٍ توقّف فقال السائل : فما بعد ذلك ؟ فقال (بعد ذلك عمى) أو (العمى) .

ويبدو أن الصوفية أخذوه منه فسمّوا المنطقة التي تأتي بعد الوجود (منطقة العماء) . هكذا بالهمز .

وورد في نص آخر عن أحد العارفين إن العمى منطقة فيها ظلمة تشكل مصدراً للظلمات تفصل بين الوجود الكوني وبين وجود آخر عبّر عنه بالشمس المضيئة ثمّ عقّب قائلاً : (فمن أراد أن ينظر إلى تلك الشمس أصيب بالعمى) . لكنّ بعض المتأخرين سمّاها (العتمة) وهو يفيد تباطؤ الحركة إلى أمد غير محدد (راجع عتم) .

الحركة في التسلسل (عما) تريد الوصول إلى أبعد نقطة من غير قطع للمسافة واستشعار بالحركات التي تفصل بين موضعها وبين الهدف ، فهي لا تصل إلى الهدف . والأعمى هو الذي لا يمكنه استشعار الحركات المحيطة به ويريد الوصول إلى الهدف . (والأعمى) . فاقد النظر . هو أحد استعمالات هذه الحركة .

أمّا (البصر) فلا يصاب بالعمى ، لأن البصر ليس آلة النظر بل هو القدرة على تمييز الأشياء (البصيرة) وهي لا تنفد لأن هناك أكثر من حاسة توصل لها المعلومات : السمع واللمس والشم والذاكرة والصور القبليّة والغرائز والنظر . فإذا أصيبت هذه المراكز بما يجعل الحركة متعذرة فذلك هو (العمى) .

إذن فقوله تعالى : (ليس على الأعمى حرج) (ولا على المريض حرج) ينطوي تعبير الأعمى فيه على جميع الإصابات الموقفة للحركة أو المبطئة لها بطئاً تتعذر معه الحركة ، وهي إصابات دائمية . أمّا المرض فهو جميع العلل العارضة التي تفعل فعلها في تقييد الحركة ، أمّا العرج فهو المشقّة الشديدة في الحركة .

وقوله تعالى : (فإنّها لا تعمى الأبصار) تأكيد على أن البصر غير النظر .

وقوله تعالى : (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) . إذا عمت القلوب لم تعد هناك فائدةٌ من المعلومات الآتية من الحواس ، أما الأبصار فلا تعمى .

إذن العمى بهذه الحركة نوعان : خارجي يقيد قدرة البدن على الحركة ، وداخلي يقيد قدرة النفس على الحركة . وورد الأوّل مرةً واحدةً في القرآن (ليس على الأعمى حرج) وورد الثاني (٣٢) مرة .

ويظهر من استعراض الموارد أنّه لا يمكن إرجاع الحركة إلى الوراء فعندما دخلت منطقة العمى لم يكن ممكناً تراجعها لرؤية الموجودات .

إذن فالأعمى (بالحركة الداخلية) لا يبصر ، بينما الأعمى بالحركة الخارجية يُبصر ، لاحظ المقابلة : (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) ٢٤ / ١١ . أي أن الأعمى لا

يبصر . بينما الله تعالى قال : (لا تعمى الأبصار) ، فالأبصار نفسها لا تعمى ، إنّما تعمى القلوب التي في الصدور . فإذا عمت القلوب لم يعد يبصر شيئاً . وفي الآية (وما يستوي الأعمى والبصير) مقابلةً أخرى .

ولاحظ الآن العموم والتخصيص في آنٍ واحدٍ :

(أفأنت تهدي العميَ ولو كانوا لا يبصرون)

لأن العمى كمجموعٍ يحتمل العمى الخارجي وفيه من هو (يبصر) على نحو ما ، فلمّا قال : (ولو كانوا لا يبصرون) خصّص فيهم مجموعة من لا يبصر بالعمى الداخلي لأن فيهم عميان في النظر .

وبمثل هذا النظام اللغوي يصحّ تفسير اللغة ولا يصح العكس مطلقاً ، لأن مثل هذا النظام اللغوي دقيقٌ مثل دقّة التكوينات الطبيعية فلا يجوز أن تملي عليها قوانينَ وقواعدَ ، لأنّها هي مصدر القوانين والقواعد . سنلاحظ إذا اكتملت تسلسلات أخرى للحروف أنواع الإطلاق وصور وعلاقة حركة التسلسل بالحركة التي يراد التعبير عنها بلفظٍ ما لكي تؤَسِّس قاعدةً نقديةً للاستعمال اللغوي في مرحلته الأولى التي هي مرحلة اختيار الوحدات اللغوية (المفردات) من خلال الفصل بين الاستعمال الحقيقي وغيره .

ع . ر : العين اتضاح الحركة ، والراء تكرار .

هذا انكشافٌ كبيرٌ للحركة هو بمثابة تعرية لها ، وتحتاج إلى أحرف أخرى ليكون (معرفةً) أو (عرضاً) للأشياء أو غيرها .

لكنّ اللفظ (عر) وحده عبارة عن انكشاف وتعرّي .

المَعرّة : في المعجم الأذى والمكروه والأثم والديّة والغرم ومعاني أخرى . لكنه في الحقيقة الانكشاف الذي يستلزم أنواعاً كثيرةً من الأذى .

معرَّة الجيش : موطئ لهم على قوم يعثون فيه فساداً . لأن الموقع أصبح مكشوفاً لهم .

عرت الإبل : جَربت .

عرّا فلانا : لقّبه بما يُشينه . والمقصود على الحركة : إظهار وكشف صفاته المستورة .

المعّتر : افتعال من (عر) : لا يمكنه ستر الوضوح في حالته على زنة (همَّ . مهتم) ، (وأطعموا القانع والمعتر) الأوّل لا يمكن معرفته بسهولةٍ والثاني محتاج مكشوف . وتوجد استعمالات أخرى على هذه الحركة .

ع . ر . د : اندفعت الآن حركة (عر) بالدّال بعد تكرر اتضاحها .

إذا كانت هناك حركةٌ طبيعيةٌ مثل نمو الشجرة فإنّ اللفظ (عرد) لا يعني سوى بلوغ الشجرة عمراً كبيراً .
وإذا كانت الحركة في السوائل مثلاً فيستلزم ذلك فقدان السائل وبقاء الوعاء فارغاً إلاّ من البقايا .
عَرِدَ الحَجر : رماه بعيداً ، عَردَ عَرْداً : هرب ، عَردت النجوم : مالت للمغيب ، أعرَدَ الشجر : غَلُظ وكبُر . وفيه استعمالات آخرها كثيرة .

ع . ر . م : جاء الميم الآن ليتمّ عملية الانكشاف ويركّز عليها ويكمل نقائصها .
عَرمَ فلان عرْماً : اشتدَّ وخبُثَ وصار شريراً ، اعترمت الفتنة : اشتدت . لاحظ شدّة انكشاف الخبايا بالفتنة بسبب دخول الميم على (عر) .
العَرِمةُ : سدٌ يُعترض به الوادي .
أقول : هذا قلبٌ للاستعمال لان المقصود بهذا السد تجنّب (السيل العرم) ، فالسدّ نفسه ليس عرماً .
العَرِم : السيل الذي لا يطاق (مط) .
العَريم : الداهية ، العرمرم : الجيش الذي لا يطاق .
أقول : هذا تطبيق على الحركة وإلاّ فهو عامٌّ على الأصل .
امرأة عَرِمة : سيئة الأخلاق (عم) .

ع . ر . ك : دخل الكاف الآن على حركة الانكشاف ، وعمله تكتل المتشابهات والمتآلفات في الحركة .
اتخذت حركة (العري) في العين والراء موقعاً دفاعياً ، لأن تنظيم أجزائها معناه أنّها تريد البقاء والاستمرار والمجابهة .
عركت الماشية الأرض : جردتّها من المرعى .
لاحظ أن حركة التعري الآن تكافح بالكاف فتحيل الأرض إلى يباب .
عَركَ فلان عَركاً : كان شديد البطش .
(عَركَ الأديم) : مازجه . وجدته في حديث عن بدء الخلق (ليس في معجم) .
الاستعمال هنا أصلي إذ المقصود أن اتضاح الحركة وتكرار الوضوح مرة بعد مرة اتّخذ صورة التخصّص التدريجي للأنسجة . فالحركة مطابقةٌ للأدوار المختصرة التي تحدث للجنين والتماثل هو من عمل الكاف .
العريكة : الطبيعة والنفس . وفيه استعمالات آخرها ، واعتقد أن الأمر واضح فتأمّل فيه .

ع . ك . ر : رأيت في (ع . ك) أن الكاف يخرِّب الاتضاح في العين ويعيد الأمر إلى بدايته (راجع ع . ك) ، والراء يكرّر الحركة الأخيرة فإذا تكرّر هذا العمل فقد اختلطت الأمور مرة أخرى وأصبحت الحركة (خارجة داخلة) ويحدث ضياعٌ وهدرٌ في الطاقة .

المعجم :

اعتكر فلان : أقبل وأدبر (هكذا بدون تحديد) ، اعتكر القوم وتعاكروا : اختلفوا ، عَكُر الماء : كَدُر .

عكرَ به بعيره : عطف به إلى أهله راجعاً .

هذا استعمالٌ هامٌّ جداً لم يحدّده المعجم بصورة واضحة ، لذا سأقوم بتوضيحه الآن :

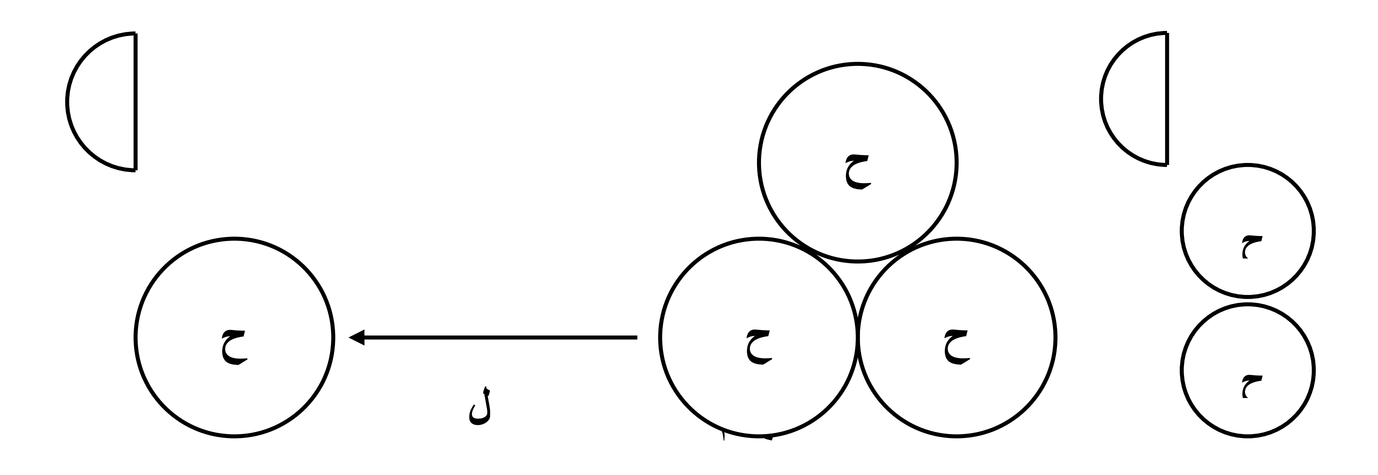
إن رجوع البعير في هذا اللفظ يحدث برغم صاحبه وليس بناءاً على رغبته . وفي المعجم الوسيط أوضحه بصورةٍ افضل إذ أضاف : (عطف به راجعاً وغلبه) .

اعتكرت الريح : جاءت بالغبار .

ر . ك . ع : مقلوب تام للتسلسل الآنف . تكرار وتآلف للمكررات واتضاح للتآلف .

فبعد تكرار جميع الحركات بالراء تمَّ انتخاب المتماثلات بالكاف ومن ثمّ تمَّ إيضاحها بالعين ، فالحركة تتّسم بالبخوع والخضوع للقانون أو القوة الخارجية . ويعتبر التسلسل بمثابة (هديةً) جميلةً تقدّم بتواضعٍ شديدٍ . والراكع (فاعل الحركة) إنّما يقوم بتقديم نفسه بصورة واضحة وجليّة وبصفاء تامٍّ للآخر . وهل تطابق الحركة الخارجية في الركوع حركة التسلسل ؟ أي ركوع الصلاة مثلاً ؟ .. يبدو ذلك إذ تتماثل الأطراف مع بعضها وتسكن عن الحركة ، في حين يتمّ انحناء مركز (العلم والمعرفة والتعالي) ، وهو (عين) الإنسان أو ذات الإنسان مشيراً بهذه الحركة إلى أنّه معروض الآن ليتحقق الطرف الآخر من دواخله وأسراره أعني (الرأس) .

** تلاحم ما يمكن أن يكوّن حركةً واحدةً **



(صورة حركة اللام)

شرح تعريف اللام

توجد هنا مشكلةٌ يسيرةٌ في التعريف حيث لم نذكر أن التلاحم دخل على الحركة أسوة ببقية الحروف التي تُدخِل صيغة (التفاعل) على الحركة المرسومة في الدائرة الأولى .

والسبب في ذلك هو أن اللام لا يقوم بعمل كهذا لأنه يدخل على الحركة المجزّئة أصلاً في داخلها أو على مجموعة الحركات ليدمجها ويكوّن منها حركةً واحدةً .

وعلى ذلك فيمكن رسم الصورة الحركية لعمله بعدّة أساليبٍ اخترنا منها الصورة أعلاه .

والغاية من ذلك هي الإشارة إلى جميع الاحتمالات لفاعليته في آنٍ واحدٍ لكي لا يلتبس الأمر على القارئ.

الدائرة الغير مكتملةٍ تمثّل شيئاً لا يمكن أن يدخل مع هذه المجموعات في عالم الإمكان العلمي الطبيعي ، فاللام يتركها ولذلك أظهرتها وكأنها بقيت على حالها في الصورة الثانية ، أي أن هذا الشيء قد بقي كما هو .

وطبعاً من الممكن أن تكون الصورة الأولى حركةً واحدة أصلاً ولكنها في داخلها ممزّقةٌ وغير متّحدةٍ ، ومن الممكن أن تكون أكثر من هذا العدد أو أقل ، المهم في الأمر أن تعلم أن اللام إذا دخل فسيشكّل حركةً واحدةً لا مجرّد حركةٍ موحَّدةٍ ، وهو عمل سيتوضّح بالأمثلة .

من أجل ذلك كلّه دخلت صيغة التفاعل على ما سمّيته (ما يمكن أن يكون حركةً واحدةً) ، وهو بالطبع لا يعني في النهاية إلاّ حركات غير متّحدة في حركةٍ واحدةٍ أصلاً .

والنتيجة أنّه لا اختلاف حقيقياً في هذا التعريف عن بقية الحروف من حيث ما وقع عليه التفاعل (الذي هو في اللام عبارة عن تلاحم) .

<u>أمثلة على عمل اللام :</u>

١ . كلّما ازداد عدد الحروف التي سوف ندرس حركتها كلّما اقتضت الحاجة أن نميّز بينها تمييزاً أكثر شدّةً وأن نتخيّل عملها تخيلاً أكثر لطفاً .

لقد مرّ حرف الكاف قبلاً . وعلمنا أنّه إذا دخل مكتبةً مثلاً فإنّه سيقوم بتصنيف وتأليف المجموعات المتشابهة . وبالطبع فإنّ الصوت حركة جوهرية وليس مثل (أمين المكتبة) حيث

يكتفي بتصنيف المتآلفات من العناوين الرئيسية .

كلا .. ! إن الكّاف سيقوم بما هو أعظم من ذلك وهو لا يتورع عن تمزيق الكتب كلّها ليعيد أيّ سطرٍ في الطب مثلاً وردَ في كتابٍ عن الفيزياء فيعيده إلى مجموعة كتب الطب ، وقد يقلع فصلاً عن علم الأحياء في كتابٍ فلسفيٍ ليجعله في مجموعة كتب علم الأحياء وهكذا .

هذا بالطبع إذا طلبت منه أن يدخل إلى النصوص إليه إذا اقتصرت على العناوين فسوف يفعل مثل ما يفعل أمين المكتبة .

وليس للعبارة الأخيرة من أهميةٍ إلاّ في نوع الاستعمال ، أما الصوت نفسه فهو حركة جوهرية . وإذا افترضنا الآن دخول اللام إلى المكتبة بدلاً من الكّاف فماذا يعمل ؟

.. إنّه يوحّد الأشياء في حركة واحدة .

بمعنى أنّه يستعرض كتب الفلسفة وجميع ما في المكتبة لتشكيل فلسفةٍ واحدةٍ في بداية الأمر ، وبالطبع فإنّه سيلغي جميع المتنافيات ويجعل الناتج منها يساوي صفراً وربما لا يظهر في النهاية من جميع كتب الفلسفة إلاّ حكمةً واحدةً بسطرٍ واحدٍ يعتبرها اللام هي الحركة الوحيدة الصحيحة الوجود من كلّ هذا الكم الفلسفي الهائل ، وهذا مثلما يفعل الحاسب عند الجمع الجبري للأرقام .

وكذلك يفعل في جميع أقسام المكتبة ، وفي الختام يجمع لك كلّ ما فيها .. ربّما في كراسةٍ واحدةٍ أو ورقةٍ واحدةٍ لتضعها في جيبك ! .

هذا هو الفرق بين الكاف الذي يؤلف بين الحركات وبين اللام الذي يدمجها في واحدة .

٢ . إذا كان اللام رجلاً فإنّك لا تستطيع العيش معه إلاّ إذا تحوّلت إلى شيءٍ جوهريٍّ مثله ، لأنه وفي لحظةٍ واحدةٍ يتحوّل من رجلٍ لطيفٍ غاية اللطف إلى رجلٍ يفعل ما هو مهولٌ غاية الهول . ذلك لأنّه ملمٌّ إلماماً تاماً بجميع خصائص العناصر ومكوناتها الدقيقة ولا يهمّه مطلقاً أن يحوّل الجبال إلى غبار أو يفجّر البحار من أجل تكوين حركةٍ واحدةٍ من مجموعة حركات .

٣ . اللام كشّاف حقائق أيضاً فمن خلال التنافي بين الأشياء يعلم المرء أن تلك المتناقضات ليست شيئاً ذا بال ولا تمتلك أيّة قيمة فعليةٍ .

ومن خلال اتّحادها واندماجها يعلم المرء ما هي قيمة كلّ عنصرٍ أصليٍّ فيها . وإذا دخل اللام منطقةً ـ ولتكن منطقةً فكريةً ـ فكما أسلفت فإنّه لا يخرج إلاّ ويُفني كلّ ما فيها ، ويختصره إلى أدنى حركةٍ ممكنةٍ في الوجود الفكري . وليس ذلك إلاّ بسبب طبيعته المادية ، فأيّ شيء ليس له وجود حقيقي فإن اللام يقوم بإلغائه من الفكر .

أما في عالم المادة فهو مادّي الطبيعة وهو يعمل على دمج الحركات ببعضها وإعادة تشكيل ما تفرّق وانقسم بالقوى الأخرى المختلفة .

٤ . إذا افترضنا أنّه دخل حيزاً فيه العناصر التالية : الكبريت ، الهيدروجين ، والأوكسجين ، فإنّه لا يقوم بتشكيل كبريتيد الهيدروجين ولا الماء من الأخيرين ، بل سيجتهد لتوحيد الثلاثة في حركةٍ واحدةٍ هي حامض الكبريتيك مثلاً .

ولولا طبيعته المادية وكونه منفرداً لألغى الوجود واكتفى بوضع إشارةٍ دالّةٍ عليه في سجلّه الخاص !! .

ومع ذلك فإني أقول إن اللام يبقى مجهولاً إلى أبد الدهر لأنه في جوهره شيئاً مضاداً لنفسه فقط فهو متّصلٌ بجميع الحروف بحذرٍ شديدٍ وحسب رغبته في الاتصال .

يسبّب اللام في هذه المسألة مشكلةً عويصةً ، لأنه يعمل في الظاهر خلاف ما في الباطن . ففي الوقت الذي يلغي فيه المتناقضات الخارجية فإنّه يبقي التناقض الجوهري قائماً ، بل يمكن القول أنّه هو القوّة الرابطة التي تشكّل عِلّة الموجودات ، والتي يربط داخلياً بين فناء ها ووجودها .

وهذه ليست فلسفةٌ عميقةٌ كما تظنّ . أنّها أمرٌ واضحٌ فهو في المثل المادي شيء ظاهر للعيان لأنه هناك في العناصر الثلاثة جميعاً يربط بحركة واحدة بين (السالب والموجب) أو (كلّ جسيّم ومضاده) أو (كلّ وجود وعدمه) داخل ذرات الكبريت والهيدروجين والأوكسجين والجميع بلا فرق .

وظاهرياً فهو يقوم بخلاف ذلك ، إذ يفجّر المادة أو يسحقها أو يحيلها إلى حركات أخرى إذا كانت متضادةً في مفهومه هو ، كما يمكن أن يوحّد بينها في أحيانٍ أخرى حسب ما نفهم نحن في ما نسمّيه بـ (الاتحاد)

٥. إن اتّحاد حِزبين في حزبٍ واحدٍ هو مثال لمحاكاة حرف اللام .

لكنّ اللام يعدّ هذه المحاكاة مسخرةٌ يقوم بها الناس في محاولةٍ يائسةٍ للتشبّه به في أعماله الجليلة ! لأن الحركة التي تنتج عنه هي حركة واحدة في جوهرها فعلاً وليست هي مجرد وحدةٍ شكليةٍ .

وبسبب هذه الخاصّية الحركية في اللام فقد استعمل في العربية لأداء هذه المهمة فدخل على الأسماء والأفعال والحروف والصفات لإبراز الحركة الواحدة التي هي غاية الانتهاء للحركة العامة التي يتألف منها التسلسل أو التعاقبات المختلفة ، ولمّا كان لكلّ تعاقبٍ حركة معينة عامة فقد ارتبك النحاة وعلماء اللغة في أمر اللام فظنّوه يأتي بمعاني متعددة وتصاريف شتى حتى بلغت عندهم ما يقرب من خمسين نوعاً .

ولما كان يتوجّب إرجاع كلّ هذه الأنواع إلى الحركة الجوهرية لهذا الصوت فإني مضطرّ للقيام بذلك وسأقوم بهذا قبل سرد التعاقبات المختلفة له وإنْ كان ذلك شيئاً مزعجاً حقاً ، ولكن كما قيل لا

بد مما ليس منه بدّ ، إذ يخيّل لي أني إنْ لم أفعل ذلك بقي النحاة يعلّمون التلاميذ والطلاب تلك الأنواع من اللام ويزيدون عليها ما يكتشفه جهابذة النحو في كلّ عصر !.

إن دخول الميم في اسم اللام أمرٌ هامّ إذ يتمّ به عمله عند التسمية الكاملة وأي صوت آخر يدخل سيشوّه الحركة ولا يكون اسماً حقيقياً للحرف ، والأولى عند ذلك نطقه مع أحد مظاهر الألف .

إذا خرمنا الميم من الاسم (لام) فإنّه يصبح (لا) من دون ميم ، وهذا يعني إن مآل الحركة لم يتم الوصول الواقعة من الوحدة الجوهرية الكاملة ، فاسمه نفسه أصبح أداة للنفي عند نقصان الميم . فهذا هو تفسير أداة النفي (لا) أو النهي على المعنى الحركي . لكنّ علاقات التسمية ستأتي في فصلٍ خاصٍ من أمتع وأروع الفصول كما وعدتُ سابقاً بإذن الله تعالى .

كذلك سيأتي اللفظ (لا) كتسلسلٍ خاصٍ في موضعه ، لكننا نعلم من الآن أن هذا المعنى صحيح لأنك قد رأيت إن دخول المظاهر الأربعة للألف على الأصوات لا يغيّر حركتها الجوهرية وإنّما يظهرها للنطق أولاً ويضفي عليها خصائصه من مكانٍ وزمانٍ أو ابتداءٍ في الحركة وحسب النوع المتصل منها ، أعني أن (لا) هو لام لم تتمّ حركته ولكنها ابتدأت بالألف ، لذلك أفاد النفي أو النهي .

إن دخول اللام في التسلسلات قليلٌ قياساً ببقية الحروف . أعني دخوله كأصلٍ في الوحدات البنائية . ولكنه عوّض ذلك باستعمالاته المتعددة في الحروف والمقاطع ، فعدا الأنواع الخمسين المذكورة لـ (اللام) المفرد فقد اقترن بحروفٍ معينةٍ ليشكّل أدوات خاصة في اللغة العربية لا يمكن تقدير أهميتها ، ويمكن تشبيهها بالعضلات المختلفة في جسم الإنسان .

ولذلك فمن غير المتصوَّر نشوء (نظام لغوي) بغير اللام .

فمن تلك الأدوات : لا ، لم ، لو ، لولا ، لوما ، لات ، لم ، لمّا ، لِما ، لن ، ليت ، لكنّ ، كلما ، كلّ ، كلا ، كلتا ، على ، بل ، بلى ، ألا ، إلاّ ، خلا ، علَّ ، لعلَّ .

كما شكّل (اللام) مع الألف أداة بالغة الأهمية في قيام النظام اللغوي للغة العربية ، أعني (ألـ) التعريف الكثيرة الاستعمال .

ولما كانت هذه الأدوات ليست داخلة عند النحاة في بابٍ واحدٍ أعني باب (اللام) ، وقد كثر الكلام والاختلاف فيها وفي أنواعها ، فإني سأترك أكثر ما تشاجروا فيه من أمرها وأسلّم لهم جدلاً بتلك الأنواع ، وسأبين للقارئ أن مردّها جميعاً إلى المعنى الحركي الذي يتألف منه التسلسل ، وأن مجيء بعضها بمعنى البعض الآخر هو من أبشع الجرائم بحقّ النظام اللغوي .

فالواجب على القارئ الكريم أن يصبّر نفسه معنا ويستأنس بهذه المعاني اللطيفة والحركات الشريفة لهذه الأدوات والتسلسلات ، فإنّه بهذا لن يغلبه أحد في هذا العلم بعد ذلك إلاّ من استثنى

بقوله تعالى (وفوق كلّ ذي علم عليم) .

الملاحظة الأخيرة هنا هي أننا سوف لا نناقش معهم إلاّ الشواهد القرآنية لأن المقاطع الأخرى والأبيات الشعرية هي من تأليفهم ورواياتهم . فمع التسليم بصحة الرواية فإنّها ليست بحجةٍ لأن المعاني الحركية لا وجود لها في نظامها الأصلي إلاّ في كلام الله ، فلا يمكن الاحتجاج بهذه المقاطع لوضع قواعد النحو . والمسألة فيها (دور) أوضحناه في كتاب النظام القرآني .

حول الأداة (لا)

لام : ربما تحتاج العلاقة بين حرفي (اللاّم) و(الميم) إلى مزيدٍ من الإيضاح ، ذلك لأنّك ربما تسأل : إذا كان اللاّم هو دمج الحركات في حركةٍ واحدةٍ فكيف تصحّ تسميته بإسم (لام) إذا كان المقطع (لا) يفيد النفي أينما وجد ، إذ المعنى الكامل لاسمه أصبح هو (انتفاء تكامل الحركة) ؟ .

أقول : لكنّ قراءتك للتسلسل خاطئة . لأنّ اللاّم هو ذراع الميم وآلته التي يتوصل بها إلى مراده وقوّته التي تلمّ شتات الحركات وتدمجها في واحدةٍ .

اجعل حرف (اللاّم) فعلاً وذلك بفتح آخره ليكون (لامَ) ، سترى أن النتيجة واحدة لأن (اللوم) هو بسبب عدم اكتمال الحركة بالميم .

لاح : وإذا قلت (لاحَ) وهو فعل ماضي فسيبقى جزء الفعل (لا) بنفس المعنى ، أي أنّه انتفاء للحاء وانت تعلم أن الحاء تعاظم الحركة (راجع الحاء) فلا تعاظم ، إذ الشيء إذن غيرُ ظاهرٍ ظهوراً كافياً فهو (يلوح) فقط . والمعنى نفسه على النظام التسلسلي إذ هو تعاظمٌ حَدثَ لما كان مجزءاً أصلاً واتّحد باللام فقد (لاح) .

لات : وإذا قلت (لاتَ) فالنفي دخل على التاء وأنت تعلم أن (التاء) هو : استجلاب الحركات المختلفة وبدخول اللفظ (لا) عليه فلا استجلاب لهذه الحركات . ففي القيامة زمان أو (حين) ليس فيه قدرة على ذلك ، كما في قوله تعالى : (ولات حين مناص) .

وقد اختلفوا في(لات) على أربعة أقوال أعجبها وأغربها :

(أنّها في الأصل " ليسَ " فتحوّلت إلى " لاسَ " ثمّ قلب السين إلى تاء !!)

ومن هذه الأقوال قولهم : أنّها مؤلفةٌ من (لا) النافية و(تاء التأنيث) وهو أقرب الوجوه إلى ما ذكرناه . لكنك تعلم أنّه ليس في شرحنا أنواع من (لا) ولا أنواع من التاء .

ومنها قولهم : أنّها (لا) والتاء مرتبطة بـ (حين) أي (لا تحينُ مناص) وهو عمل يشبه عمل الذين يرقّعون الثياب .

والقول الرابع : هو أنّها كلمة واحدة فعل ماض . ولكن لا يمكن تفسير نصب (حين) على هذا الوجه .

وأمّا على المعنى الحركي للألفاظ فإنّ (لات) هي كلمةٌ واحدةٌ بتسلسلٍ يستلزم بنائها على الفتح لهذا المعنى بالذات ، أي أنّها اسم جامد . وأمّا المعنى لها فلن يكون إلاّ في جملةٍ كاملةٍ قد تطول فلا يدرك إلاّ جزءُ المعنى للفظ المعني . إذ كما قلنا من قبل فإن التسلسل لا معنى له إلاّ نفسه فإذا كان لا بدّ من إعطاء معنىً فلا أقلّ من جملةٍ كاملةٍ . وعلى ذلك فمعنى (لات) هو (هذا وقت غياب) أو (هذا زمان انتفاء) . وعلى الدقة النسبية : (طلب اجتماع القوى المشاركة في غير وقتها المخصص) . وسبب انتفاء الزمان بالذات هو لانقطاع عمل (اللاّم) الذي هو زماني الطريقة بالمقطع (آت) .

وأمّا الإعراب فما بعدها يكون مضافاً ويصحّ فيه أيّة لفظ يعبّر عن قطعةٍ من الزمان مثل (حين ، أوان ، وقت) .

علماً أنّه قد قرئ البيت (طلبوا صلحنا ولات أوان) ، فاختلفوا فيه وقدّروا وليس فيه تقدير . فإنّ قدرّوا (ولات أوان صلح) فلا يوجب رفع (أوان) ، بل يوجب الخفض .

كما قرئ قوله تعالى : (ولاتَ حينِ مناص) بخفض (حين) وهو صحيح على المعنى الحركي ، ولكن الأولى فتح النون بسبب التقاء النون من (حين) والميم من (مناص) لأنّهما الوحيدان حرفا صَمْت ، وهو شيء لوحظ في الدراسات اللغوية في الغرب أيضاً ، ويأتيك مزيد إيضاحٍ في حرف النون وعلاقته بحرف الميم .

وقد اختلفوا في عملها بين قائل أنّها تعمل عمل (ليس) وقائل أنّها تعمل عمل (إن) وقائل أنّها لا تعمل شيئاً . وسبب ذلك فتح (حين) في الآية وخفض (أوان) وما شابه في الشواهد الأخرى ، فمن الطبيعي أن يختلفوا ما دامت لديهم الجرأة على تقدير جملٍ كاملةٍ لا وجود لها في الشواهد .

ونرجع الآن لنذكر ما قالوه في الأداة (لا) .

لا : قالوا أنّها تأتي على ثلاثة أوجهٍ :

الوجه الأوّل : أن تكون نافيةً وفيه خمسة أوجه :

الأوّل : أن تكون عاملةً عمل (إن) وتخالفها في سبعة أوجه !! .

الثاني : أنّها تعمل عمل (ليس) وتخالفها في ثلاثة أوجه .
الثالث : أن تكون عاطفةً ولها شروط وتختلف عن العطف بأوجهٍ عدّةٍ .
الرابع : أن تكون جواباً مثل اللفظ (نعم) لكنها تناقضها في المعنى .
الخامس : أنّها تأتي لغير ذلك واختلفوا فيما يكون هو هذا الـ (غير ذلك) ، أهوَ من الأوجه السابقة أو هو من هذا (الغير) ؟!! . وتخبّطوا هنا بما لا مزيد عليه .
الوجه الثاني : أن تكون موضوعةً لطلب الترك : نحو (لا تفعل) . واختلفوا في الشواهد هل هي فيها نافية أم ناهية .
الوجه الثالث : لا المزيدة التي تفيد التوكيد !! .
فتصوّر ! أن (لا) تفيد التوكيد وزعموا أن الشاهد قوله تعالى (لئلاّ يعلم أهل الكتاب) ، قالوا : أي ليعلموا . رغم أنّ هذا ليس من عمل (لا)، وإنّما هو من عمل (نفي النفي) في المحصّلة بين العلم والقدرة وهو ما يظهر من كامل الآية : (لئلا يعلم أهل الكتاب ألاّ يقدرون على شيء من فضل الله وإن الفضل بيد الله) .
أي كيما لا يعلموا أنّهم لا يقدرون ، بل ليعلموا أنّهم يقدرون ، فالنفي حصل من (أن لا) الثانية ! . وذلك حين يعلمون أن الفضل بيد الله . فإذا شاءوا ما شاء تعالى قدروا ، وإذا شاءوا خلاف ما شاء لم يقدروا . فأحدث هذا التباساً عليهم لأن النحاة لم يعلموا عن أي شيء تتحدّث الآية وما هو الفضل المشار إليه . وهم يعاملون التراكيب كما لو كانت أشكالاً جامدةً .
وأما الوجهان الرابع والخامس فلم يذكرهما صاحب المغني ولم أعثر عليهما في موضع آخر ولا يمكن أن أذكر جميع تلك التفاصيل وسأذكر الشواهد والقول فيها مباشرةً :
الشاهد الأوّل : قوله تعالى : (واتقوا فتنةً لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصةً)
زعموا أنّ (لا) هنا ناهية ، إذ عدل عن (النهي عن التعرض) للفتنة إلى النهي عن الإصابة ! فأقرأ واعجب ..
فكأن الجملة (لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصةً) ليست صفة للفتنة وكأنه تعالى أصبح في صفّ الذين ظلموا إذ الفتنة لا تصيبهم بل تصيب من اتقى وكأن مصدرها من (من اتقى) ! .
فإنّ فاعل (تصيبنَّ) هو الذين ظلموا فكأن الله صار في صف الذين ظلموا تعالى الله عن ذلك .
أقول : إن الجملة كلّها هي صفة للفتنة ، فهذه الفتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا فقط فيقول المؤمن : (إذن لا تصيبني) ، لأنّها تصيبه أيضاً فعلى المؤمن خصوصاً يقع أمر اتقاء الفتنة .
والمشكلة في هذا التفسير هو (التوكيد) إذ عدّوه شاذاً .
أقول : ذكرنا في كتاب " النظام القرآني " إن القرآن نظامٌ مستقلٌ وإن ما يعدّونه شاذاً هو

لمجرّد عدم سماعهم بذلك الاستعمال ، وهو خلاف غايتهم من وضع النحو .

إن الأداة (لا) تدخل على أيّ تركيب أو مفردة بأية صيغةٍ ما دامت هي أداة حرّة المعنى لإفادة النفي وعدم اكتمال الحركة ، ومثلما تكون ناهيةً جازمةً تدخل الفعل المؤكد لتفيد جملةً وصفيةً . فما هي المشكلة ؟ ولماذا يعدّ ابن هشام هذا الرأي فاسداً حيث ذكره الزمخشري ؟ .

قال ابن هشام : وهو فاسد لأن المعنى حينئذ (إن تتّقوها لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة) . وهو يتسائل : لماذا يتّقوها إذن ؟ .

فانظر بنفسك إلى قيمة أقواله .. فقد نسي أو تناسى أنّهم إن اتّقوها فلا تأتي ولا تكون فتنة وبالتالي فلا إصابة أم أنّه يرى أن الله لا يفي بما وعد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وهذا وجهٌ آخرٌ هو من الوجوه المعقّدة جداً لا يمكن كشفه إلاّ في النظام القرآني خلاصته : إن الأصل في هذه المفردة هو (لتُصيبنَّ) ، وهي فتنةٌ مخصوصةٌ واحدةٌ معهودةٌ بين السامع والمتكلّم وهي الفتنة الأخيرة في الأمّة . نعم هذه الفتنة وحدها تصيب الذين ظلموا خاصةً وفيها مرويات كثيرةٌ جداً يمكن إدخالها في البحث . وعلى هذا الوجه فلا نقاش ولا موضوع ولا نفي ولا نهي .

وتَغيُّر حرفٌ في القراءة هو أمرٌ كثر في القرآن وكان من شواهدهم .

الشاهد الثاني : قوله تعالى : (لا جرمَ إن لهم النار)

قال قوم : المعنى (لا بدّ من كذا) أو (لا محالة في كذا) وحُذفت (من) أو (في) .

وقال آخر : (لا) هي ردٌّ على ما قبلها أي (لا ليس الأمر كذلك) وابتدأ القول (جرَمَ إن لهم النار) وجرمَ فعل معناه وجَبَ !! .

أقول : أي نحوٍ هذا وأيَّة خيالات فسيحةٍ يجول فيها النحويون ؟ . إذ كيف تأتي (إنَّ) بعد فعل ؟؟ أم أنّها تأتي بعد ما يكون بمعنى (وجب) وحسب ؟

وهذا الآخر هو قطرب ولم يناقشه أحد ، بل قال آخرون : (لا) زائدة والباقي كما قال قطرب !!

أقول : إن (جرَمَ) اسمٌ له معنى ويُبنى على الفتح بعد (لا) كما تُبنى أيّة نكرة بعدها مثل :

(لا تثريبَ عليكم اليوم)

(ذلك الكتاب لا ريبَ فيه)

(أن لك في الحياة أن تقول لا مساسَ)

(لا قوةَ الا بالله)

(لا إلهَ الا الله)

(لا مقامَ لكم فارجعوا) ... الخ

فكل اسم نكرة بعد (لا) يُبنى . وسبب البناء هو أن (لا) تنفي الكليات ، والنكرة جزئية وسوف أوضّحه في الفرق بين نفي (لا) ونفي (ما) . وجرَمَ مثل (عتب) أو (لوم) أو (شكّ) ومثل قولك : لا عتبَ إن لك جزاءاً عندي .

الشاهد الثالث : (لا) العاملة عمل (ليس) على زعمهم ، ولم يأتوا لها بشاهدٍ من الكتاب ، وإنّما استشهدوا بالشاعر إذ قال : (فأنا ابن قيس لا بَراحُ) . بالضم .

أقول : إن (براح) هنا أصبحت معرّفة لأنّها تعلّقت بالصدر : لا براح من نيرانها ، لأنّه قال :

من صدَّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيس لا براحُ

فأحسن الشاعر إذ ضمَّ (براح) . أمّا قول ابن هشام : لم يقدِّروها مهملةً والرفع بالابتداء لأنّها حينئذ واجبة التكرار وفيه نظر لجواز تركه في الشعر ..

أقول : لم يفسّر سبب الترك لكلّ حالةٍ بمفردها فلم يعدْ لكلامه أيّة قيمة ولا يعدَّ قوله شيئاً من النحو ، إذ لا نعلم من هذا الذي أجاز للشاعر ما لم يجزه لغيره ؟ . إنّما هي قواعد افتعلوها لعجزهم عن فهم اللغة ومراميها .

الشاهد الرابع : أما المعرّفة بعد (لا) فتُبنى على الضم دوماً .

(لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار)

وهنا فقط يتوجب التكرار ، كما يتوجّب إذا لم يأت استثناءٌ بعد النكرة أو إتمامٌ للمعنى .

فلو قال : (لا أرضاً قطع) ولم يقل و(لا ظهراً أبقى) لظهر نقص العبارة .

ولو قال : (أن المنبت لا أرضاً قطع إلاّ ما قطعه قبل وقوع الدابة) لما اختلّ التركيب .

فالتكرار وضعوه في غير موضعه ، وظنوا أنّه واجب مع الأفعال الماضية دوماً :

(فلا صدّقَ ولا صلّى)

(لا يموت فيها ولا يحيا)

فلمّا جاء المورد في قوله تعالى : (وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة) . اجتهدوا في تخريجه من غير طائل .

قال ابن هشام في محاولة منه للخلاص : أما قوله تعالى (فلا اقتحم العقبة) فإنّ (لا) فيه مكرّرة في المعنى (فلا فكّ رقبةً ولا أطعم مسكيناً) .

أقول : إذا كان الأمر يتمّ بمثل هذا التخريج فما الحاجة إلى القواعد ؟ . لأن إطعام المسكين جاء بعد السؤال : وما أدراك ما العقبة فكّ رقبة أو إطعام .. .

لكني أسأل أهل اللغة : لو قال تعالى : (فإنّ له جهنم لا يموت فيها أبداً) بدلاً من قوله : (لا يموت فيها ولا يحيى) ولو قال أيضاً : (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة قبلهم من أحدٍ من الخلق قط)

.

هل يرى أهل اللغة أنّه يوجب التكرار ؟ .

كلا.. بالطبع . لماذا ؟ .. لأن العبارة تمّت بالمعنى بمفردتي (أبداً) و (قط) في جملة تامة

.

وهذا مثل قوله تعالى : (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) فهل يتوجب التكرار ليقال : (ولا يسمعون) مثلاً ؟؟

والفعل (يبصرون) للجماعة مثل (يموت) للمفرد فيجوز أن تقول : (فلان معذب في النار فهو لا يموت) من غير أن تقول ولا يحيى .

وكل ذلك بحسب ما يتطلبه التركيب من صياغة .

الشاهد الخامس : أما وجهها وهي (بغير ذلك) ، أي زائدة تفيد التوكيد أو تقوية الكلام فهنا مصيبة من مصائب اللغة .

ففي قوله تعالى : (لا أُقسم بيوم القيامة) ، قالوا : هي نافية .. ولكن كيف ؟

كما في الفقرة السابقة قال جماعة : (لا) هي ردٌّ على إنكارهم و(أقسم) جملة جديدة !.

وكل هذا وهم يزعمون أنّهم يعلمون عدد الآيات ، فقد أصبحت (لا) وحدها آية سابقة على آية (أُقسم) ، هذا مع العلم أن القائلين هم أنفسهم أصحاب قاعدةٍ أخرى مفادها إن (لا) لا تزاد في أول الكلام !

وقال آخرون : أنّها نافية على نحو الإخبار لا الإنشاء أي لا يقسم بالشيء إلاّ إعظاماً له !! سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون ! وهل بلغت عظمة الشيء أن يكون أعظم من فاعل القسم ؟

وكيف يخرِّج الزمخشري وغيره هذه المصيبة ؟ ، لأن الأمر عنده : إن الله يريد أن يقسم ولكنه لا يقسم إعظاماً للشيء ، فإذا كان الإعظام عنده وبالنسبة إليه فهو كفر ، وإذا كان يريد إيضاح الإعظام لنا فهو عجز ، إذ لم يجد أسلوبا آخرَ غير هذا .

نعم .. ذكرنا أنّه نفيٌّ حقيقيٌّ فهو تعالى لا يقسم بشيء مطلقاً لأن معنى (أُقسم) هو : أبرأ من حولي وقوتي وأكل نفسي إلى قوّةِ وحولِ المقسم به . والقسم يختلف عن الحلف وكلاهما يختلف عن (الأَيمان) التي ستأتيك في موضعها .

ويجوز لله تعالى أن يحلف كما في (والشمس وضحاها) ولكن لا يجوز عليه أن يُقسم . وسيأتيك المعنى الحركي في التسلسل ق ـ س ـ م .

الشاهد السادس : أما جزم المضارع بـ (لا) فلم يفسّره أحد .

أقول : هو واضح فقد علمت أن سبب السكون في فعل الأمر حيث يتوجب انقطاع أو غياب مادة البناء الرابطة للإشارة يعود إلى ضرورة القيام بالعمل ، نحو : (إفعلْ) فإذا نهيت فقلت : (لا تفعل) أخذَ المضارع سكون الأمر لنفس السبب .

والأمر نفسه في مجزوم (لم) و (لن) وكلّ ما لم يتم عمله بعد أو كلّ ما اشتُرِط لعمله شرط . فسكون الحركة يعدّل النظام التسلسلي وتتناوب مظاهر الألف للتحوّل من بعضها إلى بعض بما يلائم الوضع وهو لا يتمّ إلاّ بنظام محكم .

قد يتوجّب تغيير المصطلحات النحوية وضغط الأنواع وإرجاع بعضها إلى بعض وهي مهمات تقع على عاتق علماء اللغة وفق هذا التفسير الموحّد للنحو الذي يُرجع الظواهر اللغوية كلّها إلى المعنى الحركي ومادة البناء الأولى للتسلسلات المختلفة .

الشاهد السابع : قاعدتهم في عمل (لا) أنّها إذا جاء بعدها جملة اسمية صدرها معرفة أو نكرة ولم تعمل فيها أو فعلاً ماضياً لفظاً وتقديراً وجب تكرارها .

أقول : أما قولهم (ولم تعمل فيها) فإنهم لم يثبتوا لها عملاً حتى يقال : (إذا لم تعمل) واختلفوا فيه اختلافاً كانت فيه المعرفة والنكرة جزءاً من المناقشة فكيف ظهرت القاعدة ؟ .

على أن آية (فلا اقتحم العقبة) خلافه والشواهد الأخرى كلّها من إنشاءهم .

أما الزائد لتقوية الكلام فهو محض خيالات :

زعموا أن قوله تعالى (ما منعك ألاّ تسجد) هو زيادة في (لا) لقوله تعالى في الموضع الآخر (ما منعك أن تسجد) .

أقول : هذا من اللغو لا من النحو . فإنّ النظام الصارم في القرآن يأبى ذلك ، وتلك مسألة دقيقة ، يتوجّب لشرحها فصلٌ خاصٌ .

لكني سألخص لكم الأمر :

توجد في كشوفات النظام القرآني قاعدةٌ عامةٌ هي أنّه لا مكرّرات فعلية في القرآن . وما يظهر من مكرّرات في القصص القرآني مثلاً إنّما هو جوانب ومراحل وحوادث جديدة تسرد بطريقة تدور حول محورٍ معينٍ كالسجود لآدم مثلاً فيظهر للناس أن القصة مكرّرة .

في قصة السجود ثلاث مراحل مختصرة والآيتان كلّ منهما في مرحلة منها . ويتوجب معرفة العلاقة بين الفعل (منع) وبين عمل (لا) .

فلو قلت لك : (ما منعك أن تزورني) فإني أشتهي منك أن تعتذر لأني أسأل عما منعك عن الزيارة ، فلم أقم بنفي الزيارة وإنّما أسال عن المانع ، لأنك إذا كنت ترغب في زيارتي بأدنى حدٍّ ممكنٍ فذلك كاف لأجعلك تزورني كلّما سألتك عن المانع .

وحينما أقول : (ما منعك أن لا تزورني) فإني أجعل الزيارة منتفية في داخلك ولا أسألك عن مانع خارجي بل أسألك الآن بالضبط عن سبب عدم رغبتك في زيارتي . لأن (لا) تنفي الكليات فهي تنفي السجود في الواقع وفي النوايا .

ألا ترى التلطّف في قوله تعالى : (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) ، وهذا في مرحلةٍ سُميت في مبحثنا مرحلة الطين ، أو مرحلة سورة صاد .

وانظر إلى الأسلوب كيف تغيّر وانظر إلى المراحل كيف ذكرت واكتملت وانظر إلى تسميته . فقد سمي الآن (آدم) بخلاف تلك المراحل وهي المرحلة النهائية والتي سميت مرحلة الآدمية أو مرحلة الأعراف أو البقرة :

(ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس لم يكن من الساجدين)

في البقرة التعقيب على هذه المرحلة : (إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)

(قال ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)

والعلاقات اللفظية هنا كثيرة جداً ومتشابكة لا يسعها هذا الموضع والخلاصة أنّه في المرحلة النهائية يسأل عن سبب عدم السجود لا عن مانع السجود ليقرّ الإقرار الأخير بكونه مستكبراً لا غير .

ومعلوم أن كلّ ذلك لا يتمّ بدقةٍ ما لم تعلم أن (المانع) يكون أحيانا هو (الدافع) بالمعنى الداخلي المتعلق بالنوايا ، ولا يتمّ أبداً إذا تخيلت أن الفعل (منع) لا يعمل إلاّ في خارج النفس .

الشاهد الثامن : مناقشة النحويين في الشاهد : (أبى جودُه لا البخلَ واستعجلت به)

وإن كان هذا الشاهد خارج ما قرّرنا مناقشته ، إلاّ أنّه لا يخلو من طرافةٍ . ذلك أنّهم قالوا أنّه إن خُفض فهو اسم مضاف أريد به اللفظ .

ثمّ شرحوه بطريقةٍ أكثر مدعاةٍ للابتسام ممّا في المجلات الفكاهية ، إذ قالوا : (لا) تفيد في البخل والكرم ، فإذا وقعت بعد قول القائل أعطني وقيل لا أفادت البخل وإذا قيل هل تمنعني ؟ وأجيب لا أفادت الكرم !!! . وسموها هنا (كلمة) ليقال أن البخل مضاف إليها !!

وعلى النصب وهي الرواية الأخرى للبيت فليست زائدة أيضاً لأنّها ستكون (اسماً) . تصور ؟! وهذا الاسم مفعول والبخل بدل عنها !! / (مغني اللبيب / ١ / ٢٤٨)

أقول : لو كانت هناك أمةً حريصةً على لغتها حقاً لما وَصَلنا هذا الكلام . فما أسرع ما قالوا أنّها زائدة في آيات القرآن وما أشدّ تمسكهم بجعلها عاملة في بيت يروونه حسب الطلب .

فاسألهم لمن تكون مفعولاً ؟ فإنّ الإباء في فعله يأخذ استثناءاً أو يكون لازماً : (أبيت اللعن) : (ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره) ، واسألهم ما معنى هذا الاسم ؟ واسألهم كيف يكون المعرّف بدلاً

عن حرف ؟ .

أقول : إن الأمر أوضح من كلّ هذا التعسّف . فإنّـه لما قال (أبـى جودُهُ) انتظر السامع أن يوضّح مدى هذا الإباء فكان عليه أن يقول : (إلاّ أن يفعل كذا ويفعل كذا ...) فلمّا وجد الشاعر أن الإحصاء غير ممكن اكتفى بإلغاء البخل بـ (لا) الكافّة النافية نفياً كلياً .

ولا ينصب لفظ (البخل) ، إذ لماذا ينصب وهو معرّف ؟ ولماذا يخفض ولم يضف إلى شيء ؟ إنّما هو تركيب جديد وجملة مجاور جملة لا غير .

والأصل فيه (البخلُ) بالضم ولكن الشاعر استثقل الضم ومجيء الواو ففتح لام البخل وهذا محتمل . لكنّ لو قال (أبى جودُه لا البخل شيمته ...) لكان (البخل) بالضم لا إشكال فيه .

ثمّ انظر لو كانت (لا) رمزا لـ (لا) البخل . أي لمقول البخل : لا وليست نفيا لكان إباءه (لا البخل) ذمّاً لا مدحاً ، لأنك تقول : أمرت فلاناً بكذا فأبى ذلك ، و (ذلك) هو مفعول أبى فإذا كانت (لا البخل) مفعول أبى فالشاعر يذم وعجز البيت خلافه .

اللاّم المفردة

التفسير الموحّد لـ (اللاّم) المفردة

علمت من كلّ ما سبق أن كلّ تعاقب معين (تسلسل) هو حركة خاصة بذلك التسلسل . ولما كان اللام حركة دمجٍ وتوحيدٍ للأجزاء لإنتاج حركةٍ واحدةٍ ، فإنّ دخوله على التسلسلات المختلفة صار يعني الإشارة إلى هذه الوحدة المطلوبة . ويشير أيضاً إلى الغاية من الحركة ومنتهاها .

فالتغيرات الحاصلة ليست لكون اللاّم يتغيّر معناه ، وإنّما لتغيّر الحركة العامة في كلّ تسلسلٍ عن غيره .

إن علماء اللغة ظنّوا أن هناك أكثر من عشرين نوعاً للاّم المفردة . ونحن سنستعرضها باختصار لنعيدها إلى تفسيرٍ واحدٍ كي نرى أنّ جميع هذه الأنواع ليست في الواقع إلاّ (لاماً) واحداً له نفس الحركة .

وقبل ذلك أودّ من القرّاء الكرام ملاحظة أن حركة اللاّم مأذونٌ لها بالدخول على جميع التسلسلات تقريباً فهو يدخل :

١ . على الأسماء : (الحمد لله) ، (ويل للمطففين) ، (أم للأنثى ما تمنى) ، (لأجل مسمى).. الخ

٢ . على الأفعال : (ليضلّوا عن سبيلك) ... الخ

٣ . على أفعال الكينونة : (ولتكن منكم أمّةً) ، (ليكون لهم عدواً)

٤ . على (إنْ) : (لإنْ أتيتهم بكلّ آية)

٥ . على الحروف : (لفي كتاب) ، (لمن اشتراه) ، (لمن ضرّه) ، (لعلى خلق) .. الخ

٦ . على (قد) و (سوف) : (ولقد علمنا) ، (ولسوف تعلمون) .. الخ

٧ . على الأسماء الموصولة : (لما آتيتكم من كتاب) ، (يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) ...الخ

٨ . على أسماء الإشارة : (ولذلك خلقهم)

٩ . على الضمائر : (لأنتم أشدّ رهبة) ، (ولهم ما يشتهون) ، (ولهنّ مثل الذي عليهنّ) ، (أم لكم أيمان) .. الخ

١٠ . على الصفات : (وإنها لكبيرة) .. الخ

١١ . على اسم الفاعل : (لغافلين)

١٢ . على (كي) : (لكيلا تأسوا على ما فاتكم)

١٣ . على (علّ) : (.. لعلّي ابلغ الأسباب)

١٤ . على (لو) : (ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين)

ومع أنّهم أسهبوا في شرح المفردة وجعلوا لها من نحو خمسة وعشرين نوعاً إلاّ أنّهم تركوا الكثير ممّا ذكرته في تلك المجاميع ، والتي فسّرت لك فيها ضمناً تراكيب (لكي ولعل ولو) والتي هي في الأصل مؤلفة من اللاّم وما بعدها . واللاّم فيها جميعاً هي بنفس الحركة وتعني نفس المعنى .

والآن نستعرض بسرعةٍ ما ذكرناه من الأنواع السابقة ، ولكن علينا أن نضع اصطلاحاً ملائماً وفق النظرة القصدية لتعريف اللاّم ليكون مرجعاً لجميع الأنواع .

فلنقل أن اللاّم هي : حركة تفيد (مآل وغاية) التسلسل أينما وقعت ، فهذا يلائم عملية التوحيد التي يفعلها اللام في حركته .

النوع الأوّل : **لام الاستحقاق**

قالوا هي الواقعة بين ذاتٍ ومعنى نحو (الحمد لله) وجعلوا منها (لهم في الدنيا خزي) في حين أن اللاّم هنا لم يسبقها ذات ودخلت على ضمير .

يظهر المآل والغاية في الحمد وفي الخزي واضحاً ، وجعلوا منها (للكافرين النار) والمآل واضح أيضاً .

النوع الثاني : **لام الاختصاص**

ومثاله عند ابن هشام : (الجنة للمؤمنين) !

فاسأله ما الفرق بين هذه اللاّم وبين اللاّم في (النار للكافرين) ؟ أم أعجبه صنع (لامات) عديدة لمجرّد أنّه يسمي الثواب اختصاصاً والعقاب استحقاقاً ؟.

فليكن العكس وليكن كلّ منهما استحقاقاً واختصاصاً سواء بسواء فما علاقته بمعنى اللاّم ؟ . اللاّم هنا تفيد المآل ولا علاقة لها بمعنى المفردات والتراكيب ، فهي لا تتحول من (لام) إلى (لام) أخرى عند تغيّر المعاني الكلية !! . هل تسمي هذا الهراء نحواً أو قواعدَ حقيقيةً ؟ .

النوع الثالث : **لام الملك**

مثاله : (له ما في السموات وما في الأرض) ! و (هذا المال لزيد) .

قال : إذا قيل (هذا المال لزيد والمسجد) لزم القول بأنها للاختصاص مع كون (زيد) قابلاً للملك لئلا يلزم استعمال المشترك في معنييه دفعة !؟ .

أكرِمْ به من تفريقٍ مذهلٍ في جملةٍ من ابتداعهم واختراعهم لا لشيءٍ إلاّ ليتجادلوا ويؤلّفوا مواضيع .. وألاّ فمن ذا الذي يجمع بين المسجد والمال لزيد في عبارةٍ واحدةٍ ولامٍ واحدةٍ ؟ نعم يجوز مع اعتبارها عبارتين . تلاحظ أن المآل والغاية   لما في السموات والأرض هو الله تعالى .

النوع الرابع : **التمليك**

نحو (وهبت لزيد ديناراً) . عند النحوي اختلفت هذه اللاّم عن المُلك لأنّها تعلقت بالفعل (وهب) بينما اللاّم هي نفس اللاّم . كأن مآل الدينار وغايته أن يذهب إلى جيب زيد ، كما كان المآل في المثال السابق .

النوع الخامس : **لام التعليل**

(ويومَ عقرت للعذارى مطيتي)

وما يدريهم أن هذا تعليلٌ لا تمليكٌ ولا ملكٌ ولا استحقاقٌ ولا اختصاصٌ ؟؟

أقول : إنّه كلّ ذلك : لأن العذارى لم يلاحظنَّ امرئ القيس وهو يعقر ناقته وحسب :

فظلَّ العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهُداب الدمقس المفتَّلِ

أتظنّه عقر مطيته لهذه الغايات وحسب ؟ .. أنّه يريد أن يترجّل ليقفز بعد ذلك إلى خِدر (عنيزة) وله غايات أخرى لكنّ غاياته كلّها متّجهة صوب (العذارى) .

أقول : يمكن أن تقول أن العلة في هبة الدينار هو زيد وعقر الناقة هو لاختصاص العذارى بلحمها وشحمها ... أي عكس ما قالوا !! فما المانع ؟

النوع السادس : **لام شبه التمليك**

مثاله عندهم :

(جعل لكم من أنفسكم أزواجاً)

اعتقدوا أن الكلَّ لا يمكن أن يملك الكلّ بل واحدة أو أربع أو ما ملكت أيمانكم فرزقهم الله بـ (لامٍ) جديدةٍ اسمها (شبه التمليك) .

النوع السابع : **لام توكيد النفي**

مثاله :

(لم يكن الله ليغفر لهم)

ولكن ما علاقة اللام بنفي المغفرة حتى تسمّى لام النفي أو الجحود ؟؟

المغفرة نُفيت بتركيبٍ آخرٍ هو (لم مع فعل الكينونة) وهذا النفي مآله وغايته المغفرة ، لأن الأصل كذلك ، أي أن الله كان يريد أن يغفر لهم . فالنفي إذا وقع على نفس الأداة الأولى كان أقوى وأبين في إظهار التحوّل في الإرادة المرتبطة باختيار الإنسان لأن هؤلاء في الأصل هم (مسلمون) . ألا تراه يقول أن ذلك عليه يسير لأنه كفرٌ غير معلن أصلاً :

(أن الذين كفروا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً إلاّ طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) النساء / ١٦٨

هذا اللام مرتبط بالنفي مع الكينونة (لم أكن لأفعل ، ما كنت لأفعل) وذلك لأن الكينونة تنقل الذهن إلى الماضي والكلام متوجّه إلى المستقبل ، فاللام يجيء هنا ويرتبط بالفعل ليوضّح أن الغاية من الحركة ومآلها كان ولم يزل بهذا الطريق وسوف يستمر كذلك ، لأن اللام حركة تلاحظ الهدف والغاية فهي رمز فعلي لاختصار ودمج الأزمان الثلاثة .

النوع الثامن : **اللام الموافقة لـ (إلى)**

مثاله : ثلاث آيات :

(بأن ربّك أوحى لها) ، (كلّ يجري لأجلٍ مسمّى) ، (لو ردّوا لعادوا إلى ما نهوا عنه)

وهذه قد نوقشت بإسهابٍ في كتاب "النظام القرآني" ، وذكرنا هناك قاعدةً لاستعمال (إلى) و(اللام) والفرق بينهما في النظام فراجعه هناك .

النوع التاسع : **اللام الموافقة لـ (على) في المعنى**

هناك ثلاث آيات جيء بها كشواهد على المعنى هي : (ويخرّون للأذقان) ، (دعانا لجنبه) ، (تلّه للجبين) .

نوقشت كذلك في كتاب "النظام القرآني" وأوضحنا الفرق بين (على) و(اللام) وخطأ النحويين في هذا الكتاب .

النوع العاشر : **اللام الموافقة لـ (في) في المعنى**

الشواهد ثلاث آيات : (يا ليتني قدمت لحياتي) قال : المعنى في حياتي أو لأجل حياتي ، و(لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو) و(نضع الموازين القسط ليوم القيامة) . قالوا : كلّها بمعنى (في) .

ونوقشت أيضاً في الكتاب المذكور أعلاه وبينّا فيه أن اللام في جميع هذه الموارد هي لمآل الحركة وغايتها فراجعه هناك .

النوع الحادي عشر : **اللام التي هي بمعنى (بعد)**

الشاهد :

(أقم الصلاة لدلوك الشمس)

أثبتنا في كتابنا "النظام القرآني " أن الدلوك غايةٌ مرتبطةٌ بالمصلّي كوقتٍ للصلاة وليس المعنى بعد الدلوك كما زعموا ، وأنه تعالى لقادرٌ على أن يقول : (بعد) و (في) و (على) و(إلى) من غير حاجةٍ لتقديرٍ من قبل أحدٍ من الناس ، وأوضحنا أن هذه القواعد كانت موضوعةً أصلاً لتخريب النظام القرآني وإخفاء معالمه .

الثاني عشر : **اللام التي بمعنى (مع)**

الشاهد : بيتٌ شعريٌّ وحيدٌ قاله (بعضهم) على حدّ تعبير ابن هشام :

فلمّا تفرقنا كأني ومالكاً   لطول اجتماع لم نَبتْ ليلة معاً

أقول المعنى : (بسبب طول الاجتماع) فيما مضى من زمان قبل التفرّق مما أوجب المودّة بينهما حتى إذا تفرّقا كأن لم يبيتا ليلة سوية ، وهو معنى اكثرَ منه الشعراء بمختلف الصور فعلى

هذا تكون عندهم (للتعليل) وليس بمعنى (مع) .

نعم .. التبس عليهم الأمر إذ ظنّوا أن طول الاجتماع يناقض المعنى .

النوع الثالث عشر : **اللام الموافقة لـ (من) في المعنى**

الشاهد : (سمعت له صراخاً)

أقول هذا وهمٌ شديدٌ . لأن الصارخ هنا غير منظور ولا مُلاحَظ فمآل الصراخ كان يعود له بخلاف ما لو قلت : (سمعت منه صراخاً) فالصارخ مُلاحَظٌ عند السامع .

النوع الرابع عشر : **اللام التي بمعنى (عن)**

الشاهد : اللام التي في لفظ (للذين) في الآية :

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه)

أوضحناه بجلاء في كتاب "النظام القرآني" وخلاصة الموضوع : إن هذا جهلٌ مطبقٌ بنظام المجموعات القرآنية . والمجموعات هنا في الآية ثلاثة لا اثنين كما توهّموا : الذين كفروا والذين آمنوا والسابقون ويشتمل على تحريضٍ من الكفار لضعاف الإيمان للانسلاخ عن متابعة السابقين.

والوهم الأشد هو الخطأ الشائع في أن مجموعة الذين كفروا منفصلةٌ جغرافياً عن مجموعة الذين آمنوا ، بينما الواقع أن هذه المجموعات الثلاث مشتركةٌ في مجموعةٍ واحدةٍ هي مجموعة (الذين أعلنوا إسلامهم) ، وهي المجموعة الكبرى التي منها سابقون ومنها مؤمنون أقوياء وآخرون ضعفاء ومنها منافقون والذين هم هنا باسم (الذين كفروا) .

فالذين كفروا لا يقولون عن الذين آمنوا كما زعموا .. كيف وهم مخاطبون بضرورة عدم الخيانة والارتداد ؟

مآل القول وغايته كما هو واضح للذين آمنوا .

النوع الخامس عشر : **لام التبليغ**

الشاهد : (فسّرتُ له وأذنت له)

لا فرق بين هذه وبين قولك : (وهبت له ديناراً) من حيث أن اللام يعمل نفس العمل ، أما الأفعال فمختلفةٌ بطبيعة الحال .

مآل حركة التفسير ومآل الإذن وغايته هو لصالح المستفيد .

النوع السادس عشر : **لام العاقبة**

الشاهد :

(ليكون لهم عدواً وحزناً)

سميت أيضاً بالمآل وهي مطابقةٌ للمعنى الحركي للام دوماً . وسميت بلام الصيرورة .

أقول : هذه التسميات هي وصف لحركة اللام فهو كذلك أينما جاء .

النوع السابع عشر : **لام التعجب**

الشاهد : يا للعشب ، يا لك من ليل كأن نجومه ... الخ

أقررت : هذا اللام بعد ياء النداء . فالتعجب ليس من صنع اللام إنّما هو من ياء النداء .

واللام هنا للإثارة والتنبيه عن مآل وهدف الحركة المتعجَّب منها .

النوع الثامن عشر : **لام القسم والتعجب**

الشاهد : لله يبقى على الأيام ذو حيدٍ

أقول لا يمكن اجتماع القسم والتعجب . كيف والتعجب غايته إثارة السامع إلى شيءٍ مُلاحَظٍ بينما القسم تأكيد للسامع على شيء يشكّ فيه ؟

لكنّ ابن هشام اكتفى بإيراد اسم اللام ونوعها فقال : (القسم والتعجب معاً) وتختص باسم الله تعالى كقوله (البيت) ولم يزد على ذلك شيئاً !! .

النوع التاسع عشر : **لام التعديـة**

الشاهد : منسوب لابن مالك ومثّل له ابن مالك بقولك : (قلت له افعل كذا) .

أقول : (قلت لـه) أو (فسّرت لـه) أو (شرحت لـه) أو (وهبت لـه) ... اللام في جميع ذلك توصل الحركة إلى المستفيد . فهو مآل ومقصود الحركة فلماذا يحاولون زيادة أو ابتكار أنواع لـ (اللام) !؟ وما الفرق حتى يزعم ابن مالك أن التعدية هي في (قلت له) ، والتبليغ في (فسرت له) ، والتمليك في (وهبت له) ؟ فتلك هي معاني الأفعال لا معاني اللام .

لقد قصّر هؤلاء اللغويون تقصيراً عظيماً .. لأن اللام إذا كانت تتعدّد كلّما تغيّرت حركة الفعل فكم تركوا من أنواعها ؟ .. الألوف بالطبع .. بعدد الأفعال والصفات والأسماء والظروف ! .

النوع العشرون : **لام التقويـة**

الشاهد : قوله تعالى :

(نزّاعة للشوى)

وتسمى أيضاً اللام الزائدة وقد عدّوا أمثال ذلك شيئاً لا يستحق الدراسة الجدّية .

أقول : لو قال (نزاعةَ الشوى) صار وصفاً للشوى أي أنّها نزاعة فيه . لكنّ الوصف (نزاعة) مختصٌّ بها وغاية هذا الوصف وهدفه هو الشوى . فهي كائن حي ولها هدف تعلمه .وقد أثبتنا حيوية النار في كتاب "النظام القرآني" .

وزعموا أنّها ـ أي لام التقوية ـ مزيدةٌ لتقوية عاملٍ ضعفَ لتأخّره أو كان فرعاً في العمل .

ومثل الأوّل : (إن كنتم للرؤيا تعبرون) . ولكن ما هو العامل الذي ضعفَ لتأخره أَهو (تعبرون) ؟ وكيف تقوّي اللام الداخلة على مفعول (تعبرون) المتقدّم نفس الفعل ؟ . هو يظنّ أن القرآن لو قال : (إن كنتم تعبرون الرؤيا) بغير (لام) فإنّه يصحّ . بينما هو لا يصحّ مطلقاً ، وكان يمكنهم التحقّق من ذلك ببساطةٍ إذا قالوا هل يجوز القول : (إن كنتم الرؤيا تعبرون) بغير لام ؟ كلا .. لا يجوز . فلماذا يجوز القول بغير (لام) في فعل آخر مثل (قتل) : (ففريقاً كذّبتم وفريقا تقتلون) ؟ لأن الأصل في حركة الفعل (تعبرون) أن لا يعمل في الرؤيا بغير لام سواء تقدّمت الرؤيا عليه أم تأخّرت.

ذلك لأن التعبير لا يقع على الرؤيا وإنّما يقع لها فقط . وشرح ذلك أن الرؤيا هي صورٌ معينةٌ يلاحظها المرء في الأحلام . وحينما تطلق الفعل (عَبرَ) فهو يعني إنّك تصوغ (عبارة) أو تنطلق من جانب إلى جانب لتربط بين الجهتين . وبالطبع لا يمكنك أن تجعل الرؤيا نفسها عبارات بل تجعل عباراتٍ معينةً للرؤيا ، فالرؤيا تبقى قائمة ويأتي غيرك فيفسّرها للرائي بعباراتٍ أخرى . وكلّ واحد يعبّر لها بطريقته

لقد أعلنت مراراً وتكراراً في كتاب "النظام القرآني" أن معاملة أهل اللغة للقرآن هي كمعاملتهم لشواهد اللغة سواء بسواء ، ولا أريد أن أذكر ما يدل عليه هذا الأسلوب من التعامل فهو واضح . كذلك أعلنت أن النظام القرآني هو نظامٌ مستقلٌ بنفسه وليس فيه مناطق ضعف قوّيت بشيءٍ ما . وقد رفضنا في ذلك الكتاب جميع أنواع التوكيد والاستعارة والمجاز والزيادات فلا مندوحة لك من الاطلاع على مقدمته الخاصة بهذا المنهج .

وزعم أن الشاهد الآخر لذلك هو قوله تعالى : (هدىً ورحمةً للذين هم لربهم يرهبون) . حيث ادّعى أن (يرهبون) تأخر عن موضعه فجاءت اللام وهي زائدة لتقوية الضعف الذي كان.

أقول : خفيَ عليه أيضاً أن (الرهبة) هي فعلٌ ذاتيٌّ يكون في داخل الإنسان فهو لا يعمل بطريقةٍ مثل طريقة الأفعال التي تباشر وقوعها في المفعول فلا يجوز أن تقول (فلان يرهَب ربه) ! . هذا يعدّ في الفصاحة نوع من الهذيان إذ ما معنى أن يرهب المرء ربَّه ؟ .

واضح أن (يرهبون) هو فعل لازم لا متعدي ولكنه بالضم (يُرهبون) متعدّي . فهل يجوز القول أن الأصل (يرهبون ربهم) مع أنّه فعل لازم ؟ .

وأمّا النوع الآخر من لام التقوية : أي ما زعموا أنّه فرع في العمل فمثاله عنده : (فعّال لما يريد) !!

أي أن اللام عندهم مزيدةٌ وإنّما جاءت لتقوية تأخّر الإرادة عن الفعل .

فما المقصود بهذا التأخير ؟ أهو تأخر في الظهور الفعلي ؟ .. لكنها دوماً متأخرة ، فأنت تريد الشيء ثمّ تفعل ما يمكنك من تحقيق تلك الإرادة . فإذا تمَّ ما تريد ظهرت بعد الفعل .

أم هو التأخير في نسق الكلام كأن تقول : (إذا أراد شيئاً فعله) ؟ . إذا كان هذا هو التأخير ، فاللام إذن زائدة بالفعل على قوله وكأن الأصل هو (فعّال ما يريد) . بغير لام .

أقول لو أن الله تعالى قال ذلك لما وُجد شيء اسمه النحو ولفنيت الموجودات ! .. لماذا ؟ .. لأن الله تعالى يريد من خلق هذا العالم أشياء محدّدة أعلنها وأعلن أنّها تتحقّق حتماً وحينما تتحقّق يعود الخلق من حيث بدأ .

فإذا كان تعالى يفعل ما يريد وليس يفعل لما يريد فإنّه سيفعل تلك الأشياء فوراً ويعود الخلق إلى ما بدأ. فالحمد لله أن اللام ليست مزيدةً ولا للتقوية وإنّما هي لإبقاء العالم إلى أجلٍ مسمى .

إبطال قولهم في حذف (اللام) من المفاعيل المفتقرة إليها

وزعموا أن في القرآن مفاعيل افتقرت إلى اللام المفردة فحذفت منها وذلك على عادة العرب في الحذف .

أقول : لم يفهموا (عادة العرب) في الحذف فأنّى لهم بمعرفة (عادة القرآن) ؟ . وشواهدهم على ذلك ثلاثة هي :

الشاهد الأوّل : **قوله تعالى :**

(والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)

إذ على زعمهم أن الواجب هو القول :

(والقمر قدّرنا له منازل) فحذف اللام . وعلى رأيهم أن المفعول مفتقرٌ له .

أقول : إن الله تعالى قدّر القمر نفسه منازل ولم يقدّر له منازل . ولو فعل الله ما اقترحوه لاختلّ نظام الكون كما قال تعالى : (ولو اتّبعَ الحقُ أهواءهم لفسدت السموات والأرض)

ذلك أن المنازل لو كانت مقدّرة في الفراغ فليس للقمر أن يحيد عنها أبداً ، ولا تحدث أيّة مرونة في فلكه ولن تحدث الظواهر الأخرى من خسوف وكسوف وآيات سماوية .

وشخصياً اعتقد أنّه لو كانت هناك (لام) محذوفة لهلك أهل الأرض ، وهو أقلّ ما يمكن أن يحدث بسبب الرياح العاتية أو الأعاصير أو الظواهر الشاذة .

لكني أسال سؤالاً أعتقده وجيهاً هو : (من أين علموا أن هناك لاماً محذوفةً ؟ ولماذا لم يسألوا عن سبب حذفها ؟ . فالناس يقولون ما شاءوا ويغلطون في الكلام ، ولكن لماذا يتصوّرون أن الله تعالى يفعل مثل الناس ؟؟) ، أم يريدون أصلاً من كلّ ذلك أن يعلّمونا أن الله يفعل مثلهم وأن كلامه لا يختلف عن كلامهم ؟ .. أجل .. فهذا هو هدفهم وسأثبت ذلك بإذن الله[1] .

الشاهد الثاني : **قوله تعالى :**

(وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) .

كأن الأصل : (وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم) .

لقد اعتقدوا أن (كالوا) و(وزنوا) متعلّق بالحبوب والسكر والسمن وما شابه ، بينما متعلّقُهُ ومفعولُهُ ظاهرٌ معهُ ظهور الشمس في النهار . فالفعل واقعٌ على الناس لا على الأشياء : (الذين

[1] تحدّث المؤلف مفصلاً عن هذا الإثبات في كتابه الآخر (الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية) في معرض نقده لبلاغة الجرجاني .

إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) . أي كالوا الناس أو وزنوا الناس .

ولكنهم لم يفهموا مرّةً أخرى لأن المكيال عندهم هو للشيء الذي يكيلون به التمر ، والوزن هو ما كان للسكر والسمن وما شابه .

وكأن الله تعالى لم يستعمل المكيال والميزان إلاّ لما في أذهانهم من الأدوات وكأنه جلّ وعلا لم يقل : (والسماء رفعها ووضع الميزان) ، فهل كانت (الأوقية والحقة) شيئاً أُنزل عند خلق السموات؟ . وأيّ خراب في العالم لم يكن سببه الأوّل والأخير هو التطفيف في المكيال والميزان ؟.

أوليسَ قولهم إن في القرآن مفاعيل مفتقرة إلى اللام وقد حذفت هو تطفيفٌ شنيعٌ في الميزان ؟

أوليسَ عبادة بعض الخلق لبعضهم وتقديس رموزٍ وثنيةٍ هو من نوع التطفيف في كيل الناس ووزنهم ؟

أوليست الاستهانة بالرسل والأولياء والقادة الفعليين للخلق هو بخسٌ وتخسيرٌ لكيل الناس ووزنهم

أوليس كلّ خسارات الأوزان والمكاييل هي جزءاً يسيراً وضئيلاً جداً حينما تكون من الأطعمة والأشياء من ذلك الكم الأكبر من تخسير المكيال والميزان المتعلّق بوزن الناس أنفسهم بعضهم لبعض؟ . فأين هي اللام المفقودة ؟

الشاهد الثالث : **قوله تعالى :**

(تبغونها عوجا)

كأنهم يريدون القول أن الأصل هو (تبغون لها عوجا) .

لكن هذا تعسفٌ آخرٌ وتحويلٌ لوجهة الآية .

فالقرآن إنّما يقصد إيقاع الفعل عليها مباشرة فالمفعول غير مفتقر للام لأن عملية التحريف إذا كانت من داخل الأمة كانت أشدّ وأقوى . والتحريف من الخارج (أي في المسار الظاهر) غير ممكن أصلاً

فلو كانت هناك آلةٌ ما متحركةٌ مثل (السيارة) فإنّك إذا قلت لمالكها (تبغي لها عوجا) فإنّك تقصد أنّه لا يسير فيها بالطرق المعلومة الواضحة . ولكن لو قلت (تبغيها عوجاً) فإنّك تقصد أنّه يحاول تخريب نفس السيارة بحيث لا يمكن لها تأدية الغرض منها . والنتيجة : إنه إن سار على الطرق المعلومة أو غيرها فلا فرق . فلماذا يكشف نفسه لك وهو قادر على تعطيلها من الداخل ؟ .

الخطاب في الآية موجهٌ إلى الذين يحرِّفون الدّين من داخله فهم (يبغونها عوجا) ولا يبغون

لها العوج لأن الأخير هو نتيجةٌ واضحةٌ للأول ، فالأهداف الكلية والغايات النهائية واضحةٌ لا يمكن إنكارها

أسئلة وإجابات عن اللام

السؤال الأوّل : **إذا كانت (لا) تفيد النفي في أصل حركة اللام فلماذا كان هذا النفي يستعمل أصواتاً أخرى في بقية اللغات مثل (نو ـ No) في الإنكليزية ؟**

الجواب : **إنّ الجماعات تختار (من خلال طريقةٍ كنتُ قد أوضحتها سابقاً) أساليباً لاستعمال معاني الأصوات تتّفق مع طبائعها ومقاصدها .**

فالنفي في اللغة العربية لم يقتصر على الأداة (لا) ، فقد سبق ولاحظتَ أن (الميم) يقوم بإكمال الحركة وإتمامها . فإذا دخل عليه أحد مظاهر الألف فسيؤدي ذلك إلى اضمحلال الحركة وتفرقها فكانت (ما) أداةً آخرها للنفي تختلف عن (لا) في الاستعمال .

وإذا جاء (النون) وهو شقيق الميم في صورة التسمية إذ سّمى نفسه بنفسه كالميم ، ولاحظت كيف ينشئ ويولد حركةً من أخرى ، فإنّ دخول أحد مظاهر الألف يؤدي إلى نتيجة مشابهةٍ وهي ابتعاد الحركة عن أصلها . فالتعابير (نا ، نو ، ني) أو بالفتح (نَيْ) كلّها تفيد الابتعاد .

وفي اللغة العربية فإنّ : (ناءَ) هي بمعنى ثقُل واحتمل فوق طاقته كما في قوله تعالى : (تنوء بالعصبة أولى القوّة) ، أو هو فعلٌ بمعنى ابتعد بعداً سحيقاً ومنه (النوى) و (النوء) .

فالشخص الإنكليزي إذا قال : (NO) فإنّه لا يقصد بها نفس معنى (لا) العربية ، وإنّما يقول ما هو بمعنى : (هذا بعيد وفوق طاقتي) أو (هذا ناءٍ) .

السؤال الثاني : **ما الفرق الجوهري الحركي بين نفي (ما) ونفي (لا) ؟**

الجواب : **الفرق هو : إن (ما) تنفي الحركة من الداخل و(لا) تنفي الكليات من الحركة الخارجية .**
وبمعنىً آخر : إن (ما) تنفي وجود الحركة نفياً تاماً و(لا) تنفي التحوّل في الحركة .
وبمعنىً ثالث : إن (ما) تنفي صفة الحركة و(لا) تنفي وصولها إلى غايتها وبلوغها نهايتها ، لذلك تدخل (لا) على الأفعال فتنفي حصول النتيجة مثل (ثمّ لا تنصرون) . فإذا نفيت نفس الحركة بـ (ما) دخلت على الصفة مثل (وما كان منتصراً) ، لأن المنتصر صفةٌ ملازمةٌ فتم نفيها بـ (ما) . ولا يمكن أن تجعل إحداهما بدل الأخرى .

السؤال الثالث : **تستخدم (ما) كاسمٍ موصول أيضاً وكأداة للاستفهام ، فكيف ذلك ؟**

الجواب : **إن بعض أدوات النفي تفيد في الاستفهام . وهذا يلاحظ من تركيب الجملة مع إحداث حركة**

استفهامية في آخر الأداة ، مثل (لـمْ) الساكنة تفيد النفي فإذا حُرِّكت (لِمَ) كانت استفهامية وموضع اللفظ هو الذي يحدّد استعماله كاسم موصول أو أداة استفهام أو أداة نفي وبحسب الجملة . فإذا كانت أداة النفي تستعمل موصولة فهي تشير إلى (مجهولٍ) فعليٍّ في ذاته وإن كان معلوماً ظاهرياً ، وكذلك للاستفهام عن تلك الذاتية . مثل : (وما تلك بيمينك يا موسى) .

فالسؤال ليس عن العصا بما هي عصا . ولو كان كذلك لاكتفى بالقول (هي عصاي) ، لكنه أسهب في ذكر خصائصها لأن موسى (ع) يدرك أن (ما) هي استفهام عن حقيقة الشيء لوجود الميم الجوهري .

وكمثالٍ آخرٍ : قوله تعالى : (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) ؟

قيل : (ما) استفهامية هنا وهذا يوضّح العلاقة بين كونها استفهامية وموصولة ، إذ يمكنك جعلها موصولة ويكون الاعتماد على (يبيّن) .

ومعلوم أن السؤال ليس عن الاسم أو الذات في الخارج لأنّه قال لهم (أن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) ، وإنّما هو عن الخصائص الذاتية لها .

مثال آخر : قوله تعالى : (أم ماذا كنتم تعملون) ..إذ ليس هو استفهام مجاور استفهام بـ (أم وماذا) ، بل (ما) هنا اسم موصول وأصبحت (ماذا) هنا لفظاً واحداً بإسم إشارة معناه (شيءٌ ما هو ذا) وهو الطرف الآخر من طرفي (أم) .

بعض تسلسلات حرف اللام

أمثلــة :

ل ـ د : اللام : تلاحم ما يمكن أن يكون حركة واحدة . وهو الآن منفتح على جميع الحركات الممكنة في الطبيعة فهو يشكّل من بعضها حركة واحدة . وأنت تعلم أن اندماج الحركات في الطبيعة ممكنٌ بلا حدود ، ويمكن أن تتشكّل من هذا الاندماج قوىً متعدّدةٌ مدمّرةٌ أو مطوِّرةٌ أو غير ذلك فيما هو بينها .

الدال : اندفاع شديد إلى أقصى مدى .فالحركة المتألفة الآن هي من النوع السلطوي . وهي حركة عمياء تريد تحقيق غاية معينة هي (هدف الدال) ، ولم يطرأ أي تعديل أو تطهير أو تمحيص للحركة بأيّ حرف آخر .

المعجم :

لَدَ المريض : إذا صُبَّ الدواء في شقٍّ فمه بعد إن يأخذ بلسانه إلى الشقّ الآخر (لاحظ القسرية في الحركة في جميع الاستعمالات) .
لَدَه عن الأمر : حبسه عنه . فهو ملدود ، ولدَّ فلاناً : خاصمه فغلَبه .

نؤكد هنا أن الأمر ليس كذلك . فالغلبة هنا غلبة القهر والسلطة لا غلبة الحجّة والبرهان وبالطبع فالمعجم لم يمكنه التمييز قبل اليوم .
لدَّ ـ لدداً : اشتدت خصومته فهو ألد وهي لدّاء والجمع (لُد) .

تصحيح آخر : ليس هو كذلك على ما عمّمه المعجم ، إنّما هو الذي تشتدّ خصومته بعنادٍ مع قسوةٍ وبلا برهان ، وحركة الحروف إنّما تعيّن هذا المعنى بالذات لا معنى الخصومة بمعناها العام . ويؤيده التنزيل (لتبشِّر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّا) . فقد اكتفى بوصفهم بهذا اللفظ لكونه كافٍ في حركته لوصف خِصامهم الذي لا يقوم على برهان . وفيه استعمال حركيّ واحد في المعجم هو (أَلَدَّه في الخصومة) قال : ماطله وسوّف عليه أو (مَطلهَ) .

وقد ظهرت الحركة كما ترى لوجود لفظ (خصومة) مع الفعل الرباعي فاستدعى ذلك البحث عن المعنى الأسبق .

ل ـ د ـ د : اندفاع آخر بالدّال . فإذا كانت الحركة ماديّة فهذا الاندفاع يعني زيادةً في شدّة الحركة . وإن كانت الحركة فكرية أو (ذاتية) فقد أدّى ذلك إلى (جمود) من نوعٍ ما على الأفكار وتمحورٍ حول الأهداف ، فيعطي دلالةً مغايرةً للحركة الخارجية الماديّة الأبعاد عند الاستعمال .

فإذا قلت (لدد الماء) إذا جرى بعنفٍ من الأعلى إلى الأسفل وتبدّد في كلّ اتجاه فهو يصح (ولم يستعمل هكذا في المعجم) . لكنّ قالوا (لددهُ) : حيّره . وهذا مطابق للحركة في نتائجها .
وتلدّد : تبلّد . وهذا مطابق للحركة في النتائج أيضاً .
لدَّ عنه : دفع عنه . هذا دفاع من نوع (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) أي أنّه دفاع أعمى عن الصلات والقرابة .
الألدُ : الخصمُ الجَدِلُ . (نعم هو الكثير الجدال الذي لا يسمع ما يقوله الآخر ولا يعبأ به فهذا معناه الدقيق على الحركة) .
اللّدد : الخصومة الشديدة مع الميل عن الحق (مط)

هذا المعنى مضبوط جداً ، على الحركة الحرفية . وفي أساس الزمخشري : (اللديد) صفحة العنق أو صفحة الوادي . وأنشد فيه شعراً .

أقول : هذا غير بعيدٍ لقسوة الوادي ، وأمّا المعنى الآخر ففيه هجاءٌ للخصوم لأن أعناقهم تميل وتصدّ عنهم فسماها كذلك .

ل ـ د ـ م : إرجع إلى (لد) ، فالحركة هناك قاسيةٌ ومتجهةٌ إلى غايةٍ ، وهي حركةٌ عمياءٌ . فإذا دخل الميم اكتملت نقائص الحركة وأصبحت قاسية في ذاتها وفيها قوّةٌ كامنةٌ عمياءٌ لا يُعلم متى تظهر فتدمّر.

تقول العرب (الّلدم الّلدم) : حرمتنا حرمتكم وبيتنا بيتكم لا فرق بيننا . قال الوسيط : تقول ذلك إذا أرادت توكيد المحالفة بينهم . والمعجم لا يستطيع من الاستعمالات التي بين يديه أن يفسّر سبب استعمالهم هذا اللفظ للمحالفة وتوكيدها . أما الآن فأنت تعلم ما فيه : أي (اللدم) الذي عندنا هو كاللدم الذي عندكم . وهو مجموع الأحقاد والضغائن والعداوات الكامنة فأمسكوا بلدمكم حتى لا يظهر نُمسك نحن بلدمنا ، وحرمتنا حرمتكم وبيتنا بيتكم .. وهو من نوع تحوّل ما هو مخيف ليكون سبباً للأمن .

اللدّم : صوت الحجر أو الشيء إذا وقع على الأرض وما هو بالشديد .

أقول : هذا واضح فهو لثقله يحدث ارتجاجاً . واللفظ يشير إلى الثقل الكامن فيه . فإذا سقط شيءٌ ولم يحدث صوتاً شديداً وكان خفيف الوزن فلا يسمى صوته لدماً وهذا بالطبع يفوت المعجم معرفته.

المِلدام : حجرٌ يُرضخُ به النوى . استعمال مطابق للحركة .

أم ملدم : كنية الحمى . هذا الاستعمال هو بخصوص الحركة الخارجية لأنّها تأتي على حين غرّة إذا اعتقدوا أنّها كامنة في البدن .

اللديم : الثوب الخلق . هذا غير دقيق ، ثوبٌ لديم : مرقّع : هذا استعمال تصويري لوقوع الرقاع عليه ، ثوبٌ ملدّم : خَلِق . هذا غير دقيق . بل المُلدّم هو المرقع واللديم هو السميك الثقيل من كثرة ما علق به من الأتربة زيادة على الرقاع .

ل ـ م : اللام : التحام حركاتٍ كثيرةٍ . الميم : اكتمال عملية الالتحام بدون نقص .

مثال هذه الحركة الزجاجة إذا تكسّرت وأعِدْتها على هيئتها الأولى بلا اختلاف وهو أمر عسير . وأيسر منه من يجمع المال من مصادر متعدّدة فيدخل عنده تحت حساب واحد متكامل . فهذه حركة متكاملة للتسلسل (ل ـ م) . قال تعالى : (وتأكلون التراث أكلاً لمّا) . والتراث غير المال هنا .

تفسير (لمْ)النافية : **إذا سكّن الميم فالحركة توقّفت عند اكتمال التلاحم ولم تخرج لتظهر بموضوع خارجي وهو (اللفظ اللاحق) ، فإذا حدث ذلك فهو أمر غريب فالعلّة قائمة والمعلول مفقود وهذا**

يعبّر عن انتفاء الحركة اللاحقة . وصارت بذلك (لمْ) تعبّر عن نفي الحركة لما بعدها . ولهذا السبب أي لكون اللام والميم حركة غائبة فإنّ الأداة صارت لا تدخل إلاّ على فعل مضارع ، فإذا دخلت على اسم أو صفة تناقضت الحركتان ولم يكن ثمة نفي ، لأن اللفظ (لم) نفسه هو عبارة عن حركة غائية تبحث عن معلول وغاية . فكذلك إذا كان فعلاً بالماضي أو المستقبل ، لأن الماضي قد تحقّق والمستقبل لا يلائمه حرف الميم الذي يفيد التكامل الحضوري والآني ، وإنّما ينفع في نفيه في هذه الحالة صوتٌ يفيد النشوء والتوالد مثل (النون) فتحلّ النون محل الميم وتأتي (لن) المسكَّنةِ النون لتفيد نفي المستقبل . (انظر النون في ج٢) .

وهذه المسألة دقيقةٌ جداً : فبالرغم من دخول الاثنين على المضارع إلاّ أن نفي (لم) هو بدلالة الحاضر ونفي (لن) هو بدلالة المستقبل فقط ، فأنت تقول :

(لم يأتِ صديقي زيدٌ) . الآن . لم يأتِ بعد وليس غداً .

(لن يأتِ صديقي زيدٌ) . من الآن فصاعداً . وغداً .

إذ لا يجوز أن تقول : (لم يأتِ غداً) فتوقُّع المجيء جائز مع (لم) وغير جائز مع (لن) .

تفسير (لِمَ) الاستفهامية : **وعلى ذلك إذا دخلت (لِمَ) المحرّكة على فعل ، فالحركة الآن يمكن أن تفيد الاستفهام عن الفعل وتحديداً عن غايته وهدفه وبالتالي يمكن أن تدخل على كافة الأزمنة :**

(لِمَ فعلت ذلك ؟) (لِمَ تفعل ذلك ؟) (لِمَ تنوي فعل ذلك ؟) ، وقد دخلت " لِمَ "على عبارة (تنوي فعل ذلك) والتي تفيد بمجموعها المستقبل .

أما لماذا كُسِرَت (اللام) في أداة الاستفهام ؟ .. فهذا مرتبط بالمظاهر الأربعة للألف وسوف نعالجه بصورةٍ مستقلة تفسّر جميع تلك الظواهر المتعلقة بالتشكيلات المختلفة عند دخول أحد المظاهر كحركة على الأصوات .

تفسير (ألمْ) الاستفهامية : **والمؤلفة من الهمزة و(لمْ) الساكنة (أَلمْ) فإذا بقيت السكون فإنّ للهمزة قوّة إخراج وتكوين الحركة الأولى وتوجيهها والناتج الكلي هو استفهام عن النفي وليس نفياً . فإذا قلت : (ألمْ تفعل ذلك ؟) ، فالأجدر بهذا الاستفهام ألاّ يستعمل إلاّ في التقريرات أي فيما هو واقع بالفعل ولا يُشكُّ في وقوعه من قبل المسؤول وإقراره بالوقوع . وكذلك هو في التنزيل في كافة الموارد .**

تفسير (لمّا) المشدّدة : **(يرجى هنا الانتباه الشديد للشرح) . إن اللفظ (لمّا) في هذا المنهج يتألف من (لمْ) النافية مع الألف في آخرها (لمْ ـ آ) .**

وقد رأيت أن (لمْ) الساكنة الميم تفيد نفي وقوع الفعل بعدها لأنّها حركة التحام وتكامل توقفت فجأة بالسكون .

والآن إذا حدث بعد السكون تحريك جديد بالألف الكبير (آ) وليس بأحد مظاهره الثلاثة الأخرى فماذا يعني ذلك ؟ .. أنّه يعني أنّ التوقّف كان يسيراً ثمّ ابتدأت حركة جديدة منبثقة عن الالتحام والتكامل نفسه ومتوجهة إلى هدفٍ معينٍ . والمجموع لا يعني إلاّ أن الحركة قد لوحظت فهي ماضية في بعدها الزمني .

فهذا اللفظ أصبح صالحاً للتعبير عن ابتداء حركةٍ لغايةٍ ما مع تمهّل وتوقّفٍ قليلٍ ، ثمّ العودة إلى الحركة باتجاه آخرٍ يحدّده لفظ يعقب هذا اللفظ ويكون ماضياً في الزمان ، فيحكي صورة الانتقال من فعلٍ إلى فعلٍ . فهو أداة انتقال مع الإشارة إلى الزمان .

فإذا دخل الآن على فعل مضارع فماذا يكون مفاده ؟ يكون مفاده ماضياً أيضاً فيتوجب ذكر فعل آخر ليكون شرطاً لوقوع الآخر بحيث تتحقّق ماضوية فعل (لمّا) في الفكرة المعروضة أي يكون سابقاً في الزمن على الفعل الآخر .

مثال الماضي : (فلمّا قضى موسى الأجل) ـ الفعل الآخر : (سار بأهله) .

مثال المضارع : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) .

ففي الماضي لا يحتاج إلى فعلين مترابطين بأسبقية الزمان ، بل يكفي واحد فقط تكون فيه (لمّا) نافعة لإفادة الانتقال من فعل إلى فعل آخر ، والفعل الأوّل هو قصته قبل ذلك . فالترابط موجود مع الجملة السابقة . وأمّا المضارع ففي الآية أن المثل يأتي قبل دخول الجنة فهو ماضي في زمنه بالنسبة للدخول

وعلى ذلك فلا يمكن وصف (لمّا) بمفردة مثل (حيناً) أو (عندما) أو (حينما) ، مثلها مثل أي لفظ آخر لا يدل عليه سوى نفسه .

فالحين مثلاً تعبيرٌ عن زمنٍ محدّدٍ وهو محض قطعةٍ من الزمان جامدةٍ لا غير . و(عندما) هو اقتران الزمان بالمكان في قطعةٍ واحدةٍ مرنةٍ لتكون نقطة أو أطول .

أما (لمّا) فتعبّر عن حالة توقّفٍ يسيرٍ في الحركة السابقة والانتقال إلى الحركة اللاحقة ، فهذا اللفظ لا يعطي أي معنى بصورته المجرّدة سوى وصف الحركة . ويظهر معناه بشكل مختلف مع كلّ تركيب ، بحيث أن التصوّر الزماني يمكن أن يكون أحقاباً ودهوراً في جملة أخرى لحدثٍ آخرٍ .

حل مشكلة (وإنْ كلاً لمّا ليوفينهم رَبكَ أعمالهم) . هود / ١١١

يعتبر إعراب (لمّا) في هذه الآية من المعضلات اللغوية في المبدأ الاعتباطي لتفسير اللغة .

وأمّا قوله تعالى (وإن كلّ لمّا جميعٌ لدينا محضرون) . يس / ٣٢ فاعتبرت أهون من ذلك حيث وضعوا لها وجهين:

الوجه الأوّل : **أنّها المخفّفة واسمها محذوف و(كل) وخبرها خبرٌ لـ (إنْ) وعلى هذا تكون (لمّا) بمعنى خلقٌ أو جمعٌ وهي نكرة .**

الوجه الثاني : **أن تكون (إنْ) بمعنى (ما) النافية و(لمّا) بمعنى (إلاّ) أداة للاستثناء [انظر إعراب القرآن للعكبري / ج٢ / ٧١٦ ـ ٧١٧ والمغني / ج٢ / ٢١٢]**

وقد لاحظنا أن هذه الوجوه فاسدةٌ كلّها لغةً ومعنىً وأكّدنا على عدم ترادف الحروف والألفاظ .

وقد أشكلنا على ذلك بالكثير من الإشكالات أهمها (عدا اعتباطية علم اللغة) الاعتباطية في التفسير وانتقال المعاني الذهنية للجملة إلى الإعراب ، بينما واجب الإعراب تحديد البنية النحوية والتي بها يتحدّد المعنى ، وليس إسقاط المعنى الذهني المسبق لدى المفسر أو اللغوي على الجملة وإعرابها بمقتضاه وهو ما حصل دوماً . [انظر (النظام القرآني) و (الحل القصدي للغة) / للمؤلف] .

وأمّا آية هود حيث (كلاً) بالنصب فهي أشد إشكالاً وأكثر مدعاةً لظهور الوجوه الاعتباطية في التفسير والإعراب .

فقد وُضعت لها سبعة حلولٍ مختلفةٍ . وأقرّ البعض أنّها بعيدةٌ غاية البعد ، وتمّ تغيير القراءة بتشديد (إنَّ) أو الزعم بأن (لمّا) مؤلفة من (لمن ما) ، أو الزعم بان (لماً) منون مصدر لمَّ .. الخ .

وقد ظهر الحل القصدي في آخر فقرة ذكرها العكبري حيث قال : (ولا يمكن أن تكون لمّا حرف جزم ولا (حيناً) لفساد المعنى) .

إذن فهناك معنى ذهنيّ لديهم يجعلهم ينصرفون عن إبقاءها عاملة عملها العادي في هذه الآية كما هي في اللغة والآيات الأخرى .

فما هو المعنى الفاسد ؟

ذكرنا أننا لا نسلّم بأن (لمّا) هي بمعنى (حيناً) وأنها مختلفة ، ولكن هذا الوجه هو الوحيد القريب من الحل القصدي ومعاني الحروف من جميع ما ذكروه .

وفساد المعنى هو ما لاحظوه من (وفاء الأعمال) حينما يكون الأمر متفرّقاً على هذا النحو ،

حيث أن كلاً يوفيهم أعمالهم في (حينٍ) أو (وقتٍ) معيّن بينما هو في تصورهم الذهني للآخرة والحساب لا يحدث إلاّ في وقت واحد لجميع الخلق .

ومعلوم أن التصوّر الذهني هذا خاطئ ، فالحساب ووفاء الأعمال لا يحدث دفعةً واحدةً لجميع الخلق ، وإنّما يحدث لأفواجٍ من الأمم فوج أثر فوج . وهذا خلط شنيع بين الألفاظ القرآنية (كالحساب والجزاء واليوم الآخر ويوم القيامة ويوم الفصل .... الخ) ، وخلط بين أيام الله . وقد كان في الأمر قصدية وضعها قومٌ يدركون ذلك جيداً وخدمتهم اعتباطية التفسير اللغوي والمرادفات فهرع الآخرون خلفهم .

فليس مصادفةً إذن أن تجدني استشهد بالآيات السابقة مباشرة لهذه الآية في سورة هود في موضوع (أيام الله المنتظرة) وتصحيح الفكرة عن النظام الطبيعي في أحد فصول كتاب (النظام القرآني) ، ثمّ تجدني أعثر على أكبر مشكلةٍ لغوية في الآية اللاحقة بموضع الاستشهاد بعد سنةٍ .

ذلك لأن هذه الآية تتحدّث عن مجموعةٍ معينةٍ وهي ذات صلة بموضوع النظام الأحسن وعلاقة هذه المجموعة بهذا النظام . لكنّ من العسير توضيح هذه المسائل إلاّ في كتاب مستقل يظهر إنشاء الله تعالى.

(ويوم نحشر من كلّ أمة فوجاً فهم يوزعون) . فهذا حشر متفرّق لا جماعيّ ويفترض أنّهم (اللغويون والمفسرون) يدركون من هذا النص فقط أن المعنى الذهني الذي سيفسد هو أصلاً معنىً فاسدٌ لا وجود له في القرآن . أما في يوم القيامة فليس هناك حساب بل هناك حشرٌ جماعيٌّ وظهور النتائج فقط ، نتائج الحساب الطويل الأمد الذي سبق القيامة على الأرض فلاحِق بنفسك الألفاظ على طريقة المنهج تجد نظاماً محكماً صارماً لا مجال للتأويل فيه .

ع ـ م ـ ل : العين اتضاح معالم الحركة ، الميم اكتمال نواقصها ، واللام تلاحم الحركة بأجزائها لتكوين حركةٍ واحدةٍ موحدةٍ .

إذا تأملت في الحركة العامة لهذا التسلسل وجدت فيه معنى (العمل) أو فعل العمل ولذلك فإنّ الفعل الذي لا يتّصف بهذه الخواص لا يكون عملا حقيقياً . واستعمل في التنزيل مطابقا لهذه الحركة وبصورةٍ مذهلةٍ للغاية .

ع ـ ل ـ م : العين اتضاح معالم الحركة ، اللام تلاحم أجزاء ها ، والميم اكتمال .

أصبحت هذه الحركة تفيد فعلاً معنى العلم . وإذا انتبهت جيداً ستشعر بالفرق بين هذا التسلسل والذي سبقه . (اللام) في هذا التسلسل جاء ليوحّد الواضحات في العين وإذن فهو يبني

على العين أي جعل الواضحات متلاحمةً في مبدأ واحدٍ . فالقضية لا زالت فكرة ثمّ اكتملت الفكرة نفسها بالميم . بينما كان مجيء الميم في التسلسل السابق بعد (العين) قد أفاد في إكمال عملية التوضيح بصورةٍ عمليةٍ وجاء (اللام) ليوّحد المجموع الكلي . إذ لا يمكن إكمال التوضيح إلاّ بالبحث عن معطياتٍ جديدةٍ وهذا هو العمل . هل الجهد الفكري المحض علم أم عمل ؟ أنّه عمل بالطبع . والعلم هو الذي يحصل بغير جهد مطلقاً أو الذي لا يحصل إلاّ بعد إتمام العمل . وهل هناك ما هو علم وعمل في آن واحد ؟ ظاهرياً (نعم) ولكن كلّ فقرة من ذلك هي إمّا علم أو عمل . فالحركة الواحدة لا تكون علماً وعملاً في آن واحد . وفي التنزيل هناك تأكيدٌ على حصول العلم بطريقين : الأوّل العمل . والثاني هو (الحُبّ) ومن الواضح أن (العمل) بالمعنى الحركي لا يتضمّن المخادعة .

ل ـ م ـ ع : اللام تلاحم ، الميم تكامل ، والعين اتضاح .

تأمّل جيداً في هذه الحركة الرائعة البديعة .. جزئيات تتوحّد وتتكاثف وربما تتبلور بالميم ثمّ تتّضح حركتها ، أليست تلك قطعة من الماس بين جزيئات التراب ؟ . بالطبع فإنّ اللمعان ليس حصراً على مثل هذا المعنى المادي . فالحقيقة المكتشفة في الفكرة والتأمل أو العلم هي الاخرى (تلمع) !.

ل ـ م ـ ح : إذا أبدلت العين بالحاء فقد ذهب الاتّضاح في الحركة وجاء بدلاً عنه تعاظم الحركة ، فاللمعان انطفأ وظهر شيء لكنه ليس متميزاً بما يكفي رغم كبره .

ل ـ ح ـ م : اللام تلاحم الحركات ، الحاء تعاظم ، والميم اكتمال .

هذه الحركة تفيد معنى ترابط الأجزاء مع بعضها البعض فتعظم قوّتها وتكبر بالحاء ثمّ يتمّ اكتمال هذا التعاظم بالميم .

اللحم : في تكوينه على العظام وتشكيل الأنسجة والعضلات مثالٌ ناطقٌ للحركة ومطابقٌ لها تماماً .
(فكسونا العظام لحماً ثمّ أنشأناه خلقاً آخر) .

اللحمةُ : قرابة النسب .

اللَحيم : يقال هذا الكلام لحيم هذا أي يوافقه ويؤيده .

الملحّم : جنس من الثياب يختلف نوع لحمته عن نوع سُداه .

الملحمة : الحرب الشديدة (تمثيل) .

ح ـ ل ـ م : الحاء تعاظم ، اللام تلاحم ، والميم اكتمال .

هذه الحركة واضحةٌ ، فهي تجعل الأشياء الكبيرة جداً مختصرةً في أمرٍ واحدٍ . فالذي يجعل الأمور الكبيرة راجعةً إلى سببٍ واحدٍ فهو (حليم) لأنه لا يؤاخذ ولا يحاسب على كلّ أمر على حدة ، وهو أحد استعمالاته . ولو قال المتنبي (وتصغر في عين الحليم العظائم) بدلاً من قوله في عين العظيم لكان أكثر صواباً . وقوله تعالى : (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) تعجّبٌ من جعلهم النبأ العظيم وأمر السماء يرجع إلى سببٍ هيّنٍ كالشعر والكهانة وأمثاله ، واختيار لفظ (أحلامهم) هنا هو الغاية القصوى من البلاغة والإعجاز . والأحلام في المنام مأخوذ من هذه الحركة : حيث تنعكس الهموم والمطالب في صورٍ تأتي في النوم . فالأحلام كلّها (أضغاث) ، أما الصادقة منها فهي (الرؤيا) ، ولكنه خطأ شائع أن يقال (تفسير الأحلام) ، فالأحلام لا تفسير فيها إلاّ كونها انعكاسات ، والصحيح (تعبير الرؤيا) .

احتلم الصبي : (تمثيل) على الاحتلام خلال النوم ، أو على الحِلم عموماً .

حُلمة الثدي : قال أهل المعاجم (مجاز) .

وهذا خطأ فالاستعمال حقيقي لأن الثدي عبارة عن حرف (ح) الكبير ووسطه (ل) ونهايته (م) فهو في الشكل مطابق للتسلسل (حلم) ، والمجاز هنا في إطلاق الكلّ على الجزء وهو غير مستعمل فالحلمة جزء منه . كما في (حلم العقول) حيث تتركّز في أمرٍ واحدٍ ، فكذلك الثدي يتركز أمره في حلمته .

ح ـ م ـ ل : الحاء تعاظم الحركة ، والميم تكاملها ، واللام تلاحم المجموع المتكامل .

الحركات الممكنة تتعاظم كلّها بالحاء أولاً مثال ذلك قطرات الماء تتجمع فتكبر وتتكامل ثمّ إذا تلاحمت باللام شكلت (حِملاً) في مجرى النهر أو البحيرة ، كذلك الأمر في تكّون الثمار وتكوّن الأجنّة وتحميل الطاقة ... الخ .

حم : بدون (لام) هو اشتداد الحركة وتكوّنها بطريقةٍ متكاثفةٍ لكنها غير متلاحمة مع بعضها البعض فهي مشتّتة بغير اللام كالحرارة والمراحل الأولى لتكوّن الفطريات . [انظر التفسير الجديد (للحمأ المسنون) في سلسلة النظام القرآني] .

<u>المعجم</u> :

حمل الشيء على الشيء : أدخله فيه .

حمل عليه الحقد : أكنّه في نفسه .

حمل القرآن : حفظه . وهذا غير دقيق إنّما المقصود أجهده التفكير بشأنه ، فربَ حافظ غير حامل ، إذ المقصود بالحفظ في المعجم ضبط النص في الذاكرة .

م ـ ل ـ ح : الميم تكامل الحركة ، اللام التحام أجزاء ها ، والحاء تعاظم الأجزاء المتلاحمة .

هذه حركة مادة (أو شيء) يتكاثف بشدة بالميم واللام ثمّ يزداد كماً وحجماً ونوعاً . وهي عملية تكون أيّ ملح من الأملاح أو ظهور شيء في شيء كالبقع السوداء في المولود من الحيوان كالكبش إذا كبر ظهرت البقع بصورةٍ أوضح فهو أملح .

وأملحَ المتكلّم : جاء بما يُعجب . لظهوره بين الكلام أو لانطباقه على الحركة .

والمليح : ظهوره بين الناس بصورةٍ مختلفة عن متوسط الحسن . وفيه استعمالات أخرى .

ل ـ ك ـ م : اللام التحام حركات ، الكّاف تكتّل المتآلفات ، والميم اكتمال التكتل .

هذه الحركة مسرعةٌ جداً في تقوية بعضها بعضاً . فقطرات المطر قد تتلاحم وتشكّل ماءاً واحداً ثمّ تتكتّل المياه من كلّ مكان وتشكّل مجرىً واحداً بالكاف ويكتمل التآلف بصبّ الجميع في مجرى واحدٍ ليكون سيلاً .

لكم السيل الجبل : أثّر فيه .

المعنى الدقيق : وجد لنفسه ممراً في الجبل .

لكم فلان : ضربه بجمع كفّه . استعمال تصويري للحركة الخارجية لتلاحم الأصابع وتآلف بقية العضلات معها وإخراج الحركة كاملة على صورة سيل عنيف ممتد مع الذراع ، فهذا استعمال حركي .

ل ـ م ـ ك : تلاحم فاكتمال فتآلف .

توجد صعوبة للتآلف بعد الاكتمال وتحتاج الحركة لنوع من التكلّف .

لمكَ : لا يوجد له استعمال في المعجم ولكنه استعمل في الافتعال .

تلمّك : حرّك فكيه بالكلام أو الطعام .

م ـ ل ـ ك : الميم اكتمال الحركات الممكنة ، اللام تلاحمها ، والكاف تكتل المتآلفات .

هذه الحركة رائعةٌ للغاية وغير مقدورةٍ لكلّ أحد إلاّ إذا كان مسيطراً على مجموع الحركات سيطرةً تامةً . الملك الفعلي على الحركة هو التصرف وليس الاقتناء ، ومعلوم أن كلّ مقتني لشيء

أو يملك شيئاً يفقده ويكون ذلك الشيء خارج سلطته بما في ذلك الجسد والحياة والهواء ... الخ . فلا يوجد مالكٌ أو ملكٌ مطابق للحركة اللهم إلاّ الملك الحي الذي لا يموت والذي بيده ملكوت كلّ شيء .

ك ـ ل ـ م : هذا الترتيب عكس السابق فهو يكتل المتآلفات ومن ثمّ يلاحم بينها ويتم هذا التلاحم بالميم .

والكلام إنّما يحدث بهذا الترتيب (تكتل الأصوات المتآلفة فتلاحمها لتكوين الألفاظ ومن ثمّ يكتمل التلاحم بتوصيل الألفاظ مع بعضها في جمل) . الكّاف واللام وحدهما مجموعة أشياء متّحدة مع بعضها وأجزاءها ظاهرة ، وإذا شئت أن تجعل الأمر على الأفكار أمكنك ذلك . فأنت تؤلّف بين الأشياء ذات الموضوع المشترك وتلاحم بينها ثمّ تخرج هذا التلاحم تاماً بالميم على صورة الكلام المنطوق أو المكتوب .

لكنّ الحركة مطابقة للكلام بما هو كلام . إذن يمكن القول أن الكلام تمليك للآخر ، فهو تمكين الآخر (المتلقي) من امتلاك شيء أو علم أو معرفة ... الخ . لا يوجد متكلّمٌ حقيقيٌّ على الحركة لفقدان الملك في التسلسل السابق إلاّ أن يكون المتكلّم هو نفسه مالك الملك ، فهو وحده متكلّمٌ حقيقيٌّ .

ل ـ م ـ م : رأيت في مثال المرآة الزجاجية التي تهشّمت أن (ل ـ م) يعني إعادة الأجزاء متلاحمة باللام وإتمام التلاحم بالميم بحيث تكون كما هي على وضعها السابق بالنسبة للناظر . فإذا دخل (ميم) آخر فمعنى ذلك أنّه يريد أن يعمل المزيد من التلاحم ويحقّق الأصل بخطوةٍ أكبر . إذن عليه التقاط القطع الناعمة جداً والتي أهملها التعاقب (ل ـ م) فهو للآن (لم) يكمل العمل بالصورة الصحيحة .

اللمم : إذن هو الأشياء التي لا يمكن ملاحظتها ، وقوله تعالى (الذين يجتنبون كبائر الإثم إلاّ اللمم) إشارة إلى المعاصي التي لا يشعر بها فاعلها إلاّ بجهد في محاسبة نفسه فضلاً عن الآخرين . وهذا شديدٌ جداً لا تخفّفه لفظة (كبائر) وحدها فخفّف بقوله (إن ربك واسع المغفرة) . ومع ذلك فالسِعة تشمل الكبائر واللمم فعاد الشعور مرة أخرى إلى الخوف . ويبدو أن التركيب القرآني يقصد الإبقاء على القلق والتوتر من خلال الخلط الداخلي في الألفاظ بين الخوف والرجاء . وكلّ متلقي إنّما يفهم ما يلائم حالته ، ولكن على العموم الجميع قلق ومتوتر بين صيغة الغائب (الذين) حيث البعد والغربة وبين صيغة الخطاب (ربّك) حيث القرب والمحبّة ! .

ل ـ ب : اللام التحام حركات والباء انبثاق حركة .

المجموع واضح حيث أن المادة المتجمّعة في بعض الثمار تكون جاهزة لانبثاق نبات جديد منها وهو (لُب) الثمرة . واستعمل لإفادة معنى الكمون والاستقرار مثل (لبَّ بالمكان) إذا أقام فيه . ولبّ الشيء : جوهره أو أصله . استعمال حركي . ويبدو أنّه أطلق على موضع الصدر (باعتباره مركزاً للقلب) ثمّ استعملوه لمن شمّر ثيابه أو جعلها حول عنقه .

ل ـ ب ـ د : بعد الالتحام والانبثاق اندفعت الحركة بالدال إلى هدفٍ معيّنٍ .

أفاد هذا المجموع معنى الالتصاق والتداخل واستعمل لمن يكمن في مكان أو يلزم موضعاً . ولكن الحركة الأصلية هي شدّة الجري نحو هدف معين من مجموع الحركات بحيث يحصل تكاثف نحو النقطة الهدف . فكذلك استعمل في قوله تعالى : (كادوا يكونون عليه لُبَدا) تجمّعٌ شديدٌ باتجاه النبي (ص) لغاياتهم المختلفة .واستعمل للمادة المتكاثفة الملتزق بعضها في بعض . تلبّد الصوف وتلبدت الشجرة : كبرت أوراقها .

ل ـ ت : اللام تلاحم الحركات والتاء استجلاب حركات .

يفيد المجموع معنى الخلط (كيفما اتفق) ، وليس الخلط فقط كما هو في المعجم . وفلان يلت في الكلام : الثرثار إذا كان يبدي ويعيد ما يقول .

ت ـ ل : التاء استجلاب حركات ، واللام تلاحمهما في حركة واحدة .

هذا المجموع يفيد في تجمّع الحركات وجعلها حركةً واحدةً . فهذا هو معنى (التل) المرتفع من الأرض وهو مطابق لعملية التكوّن الجيولوجي للتلال والمرتفعات . والأخذ بمجاميع الإنسان (رأسه وأطرافه) وجرّه إلى اتّجاهٍ معيّنٍ هو تلٌ مطابقٌ للحركة . (فلمّا اسلما وتلّه للجبين) .

ت ـ ل ـ د : مجيء الدال يدفع الحركة المتوحدة إلى هدف .

فالتليد هو ما كان له أصلٌ قديٌم متجمِّعٌ ولا زال مستمراً بالدال متصلاً به .اتلّد الرجل : إذا كان له مال تالد ـ أي لم يأت فجأة ـ المقصود له مصدر ثابت .

وخلُقٌ متلد : قديم . إمراة تليد : عريقة ذات سؤدد .

ت ـ ل ـ ع : إذا دخل العين على (ت ـ ل) أظهر وضوحاً لمبهمات الحركة المتكوِّنة وأصبحت ظاهره للعيان .
تلعت المرأة : إذا رفعت رأسها تتعرّض للناظرين ليروا حسنها .
تلعَ الكائن : إذا أخرج رأسه من شيء يواريه .
التلعة : المرتفع من الأرض . فما الفرق بينها وبين التل ؟ . الفرق إن التلعة ظاهرةٌ واضحةُ المعالم فيطلق على المرتفع المنفرد في الأرض المنبسطة . وهو فارقٌ لا يميزه المعجم ، بل يجعل التل والتلعة كلاهما : ما ارتفع من الأرض .

ك ـ ل : الكّاف تكتل المتشابهات واللام توحدّها .

فهذا معنى (كلّ) ، لأنه عبارة عن مجموعة متشابهات كاملة العدد مثل كلّ النساء (النساء متشابهات) ، كلّ الطعام (الطعام متشابه) وهكذا . فمعنى (كلّ) هو المتشابهات بوحدةٍ تضمّ الجميع . وعند إضافة (لامٍ) آخرٍ فإنّه يحدث المزيد من التوحّد : كلل : حيث تندمج المجموعات إلى أصغر وحدةٍ ممكنة وهذا يحدث ثقلاً شديداً . فهذا هو (الكليل) الذي يتحمّل فوق طاقته أحمالاً هي في الأصل لغيره .
الكلالة : هو الرجل الوحيد المنفرد في عائلته فقوله (إن امرأ هلك وليس له ولد وله أخت) . الكلالة هي : من لا ولد له فانحصرت سلالته فيه . فإنّ سألت ما الفرق بين (كَلّ) بالفتح (وكُلّ) بالضم ؟ . الجواب : إنّ الضم جزءٌ من الواو وهو يمثّل عنصر المكان كما ذكرنا فهو يشير إلى الموضوع أو الوجود الخارجي . أما الفتحة فهي جزء من الألف فاللفظ بحركةٍ ملائمةٍ للألف ، فالكَلُّ بالفتح كما في قوله تعالى : (كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير) هو الذي يعتمد في (كُلِّ شيء على مولاه) ولا يفعل شيئاً بمفرده . فاللفظ واحد والضمُّ إشارةً إلى المجموع من حيث هو مجموع ، بينما الفتح إشارةٌ إلى المجموع من حيث هو حركةٌ ويأتي تفسير الحركات مفصلاً في موضعه ، ونحن نجري للآن في تفسير التسلسلات على عموم الحركة أي الفتحة كما في الفعل الماضي وهي زمكانية عامة .

ك ـ ل ـ ح : عرفت معنى (ك ـ ل) فإذا تعاظمت هذه الحركة المرهقة بالحاء اشتدّ الأمر وحدث عجزٌ تامٌّ عن فعل أيّ شيء ، وهو (سلب تام) فالكالح يشعر فقط بالأشياء ولكنه لا يقدر على فعل شيء وهو رازح تحت وطأتها . استعمل مرةً واحدةً في التنزيل : (تلفح وجوههم النار وهم فيها

كالحون) . ولاحظ التناسب بين لفح وكلح واستعمال (وجوه) و(نار) حيث يمكن ملاحظة الصورة .

ح ـ ل ـ ك : مقلوب التسلسل الآنف .

إذا تابعت هذه الحركة من تعاظم في الحاء إلى الالتحام في اللام إلى تكتل المتماثلات في الكّاف علمت أن هذا امتلاء تام للفراغ بواسطة الناتج من هذه الحركة . وبالطبع يغلب على الأشياء أنّها إذا تعاظمت وتداخلت حصول العتمة لانعدام الفراغ فأطلق على ما اشتدّ سواده فيقال حلك حلوكاً فهو حالك . وهذا الاستعمال تطبيق لمظهر الحركة الخارجي فقط دون الحركة الجوهرية .

ك ـ ح ـ ل : تماثل فتعاظم فالتحام .

تتشكّل بهذه الحركة وحداتٌ متآلفةٌ ومنسجمةٌ مع بعضها البعض ولها ظهورٌ قويٌّ بالحاء قبيل التلاحم . تدخل جميع الاستعمالات تحت هذه الحركة .

ل ـ ب ـ ح : مجموع الحركة هو تعاظمٌ كامنٌ في داخلها لدخول الحاء على (لب) .

لبَحَ : (اشتد وجدُه وهام قلبه) . استعمالٌ عاميٌّ في أنحاء العراق ليس في معجم ، ومن معانيه عندهم : أخرج الصوت عالياً مشوهاً .

ب ـ ل ـ ح : المجموع هو تركيزٌ شديدٌ للحركة المنبثقة من خلال اللام والحاء إذا دخلا على الباء .

البلح : التمر الناضج الشديد الحلاوة .

ح ـ ل ـ ب : تعاظم فاندماج فانبثاق .

تدخل جميع الاستعمالات تحت مجموع هذه الحركة .

ح ـ ل : الحاء تعاظم الحركة ، واللام التحام أجزاء ها .

إن تشكّل حركةٌ واحدةٌ من مجموعةٍ متعاظمةٍ من الحركات يعطي معنى (الحَل) بالفتح للقضية المعقّدة حيث يمثل المدخل إليها وهو نوع من التمثيل .

(الحِل) بالكسر دخول لجزء من الياء (عنصر الزمان) على الحاء حيث يفيد الياء استمرار الحركة . وهذا معنى يفيد الإقامة والاستمرار في الموضع . ولكن المعنى الدقيق هو السيطرة على الموضع ومعرفة مداخله ومخارجه وهو في قوله تعالى : (وانت حلٌّ بهذا البلد) .

(الحُل) بالضم : دخول الواو الذي يفيد الإشارة إلى المكان . فالحركة المتعاظمة ظهرت في موضعٍ معيّنٍ أو موضوعٍ معيّنٍ وهي متلاحمة الأجزاء قطعةً واحدةً . هذا المعنى العام يشير إلى موضوع (مدرك) بصورةٍ مركّزةٍ . فجميع الاستعمالات داخلة تحت هذه الثلاثة .

ح ـ ل ـ ل : التحامٌ آخرٌ للحركة النهائية باللام . المدخل إلى القضية أصبح ميسوراً أكثر وواضحاً وضوحاً كافياً . ومنه (التحليل) ـ نقيض التحريم أو (التحليل) في الكيمياء لعناصر المركب أو الخليط أو في الرياضيات . والأخيران هما بمعنى التوصّل إلى معرفة الكلّ من خلال معرفة بعض الأجزاء وليسا هما بالمعنى الذهني الذي يتبادر فيه مفهوم (التجزئة) أو تفريق الأجزاء . وفي المعاجم خلط شنيع بين (حل) و (حلل) .

ل ـ ع ـ ب : اللام التحام الحركات الممكنة ، العين اتّضاح ما التحم منها ، الباء انبثاق حركة من كلّ حركة متّضحة بالعين . هذا في الواقع (لعب) فعلاً ! إذ لا يوجد هدف سوى انبثاقها في كلّ مرّةٍ مستمدّةً وجودها من قضايا حقيقيةٍ . فماذا بعد التلاحم والاتضاح ؟ .

ب ـ ع ـ ل : الباء انبثاق حركة من الممكنات ، العين اتّضاح ، واللام تلاحم أجزاءها .

هذه حركةٌ منفردةٌ وحيدةٌ جاهزةٌ للاستعمال لأيّ شيءٍ . ويبدو أن هذا الانفراد هو سبب تسميتهم لصنمٍ قديمٍ بهذا الاسم (بعل) . لكنّ هذا الفرد كان قد نشأ عن حركاتٍ ممكنةٍ وبالتالي فهو معرّضٌ للفناء ما لم يتخذ له زوجاً . والقرآن استعمله بمعنى (الفرد) الذي يقابله فرد في الزوجية لأن الأشياء كلّها عبارة عن أزواج في المفهوم القرآني .

ع ـ ب ـ ل : اتضاح فانبثاق فالتحام .

تلاحظ أن الحركة بمجموعها راسخةٌ متجذّرةٌ لم تنفصل عن الأصل . وذلك لمجيء العين أولاً ثمّ الباء ثمّ تلاحم الأجزاء ثانياً ، فالحركة تتماسك وتقوى .

استعمل لهذه المعاني : عبل عبلا : غلُظ وضَخُمَ فهو عَبل .

والعَبل : الضخم من كلّ شيء .

ولعنتره العبسي قوله : (وحشيتي سرجٌ على عَبلِ الشّوى) أي ضخم القوائم يريد حصانه . ولكنه استعمل تصويراً على نتائج الحركة فلكون العَبل ضخم بما يكفي قالوا : عَبلَـهُ : حبسهُ . والعبلاء : الصخرة الضخمة . والأعبل : الجبل الأبيض : لكنّ هذا مطابق للحركة لأن الجبل

يتكوّن من الأرض . علمياً بهذه الحركة تماماً . أعني داخلياً .

وللإمام علي (ع) في دعاء الصباح : (... والماسك بأسبابك بحبل الشرف الأطول والناصع الحسب في ذروة الكاهل الأعبل) يريد النبي (ص) . وهذا استعمال في غاية البلاغة لارتباطه بالحسب والكاهل ، فهو أفضل ما وجدته مطابقاً للحركة .

د . ل . ع : الدال اندفاع ، واللام تلاحم ، والعين اتضاح الحركة المتلاحمة .

الطريق إذا توسّع وأمكنك النظر فيه إلى أبعد مدى فهو دليع . في المعجم : الدليع الطريق الواسع الذي لا هبوط ولا صعود فيه . تلاحظ تسوية الطريق باللام وسعته ووضوحه بالعين .

والأدلع : الفرس الذي يدلع لسانه في العدو . وفيه نظر إذ يمكن أن يكون الواسع الجري الذي لا يتوقف

دلعَ لسانه : أخرجه . فيه نظر إذ ليس هو مجرّد إخراج ، بل إخراجٌ مستمرٌّ ، اللسان مخبوء ويجب أن يكون اندلاعه مستمراً ! .

الوسيط : دلع اللسان : خرج واسترخى وسقط على العنفقة من ظمأ أو تعب . هذا مطابق .

وفي دعاء الصباح أيضاً : (اللهم يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلجه وسرح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه) . فهذا الاستعمال تامٌّ مطابقٌ للحركة .

ع . د . ل : العين اتّضاح الحركة ، والدال اندفاع ، واللام تلاحم .

قال المعجم : عدل عدلاً وعدولاً : مال . وعدل عن الطريق : حاد ثمّ قال عدل في الأمر : استقام

ومعلوم إن الميل عكس الاستقامة وهذه هي مشكلة الاعتباطية . فقد فاتهم استعمال الوسائط المختلفة لمثل هذا اللفظ . فالحركةُ واحدةٌ فإذا قلت : عدل في الأمر فالعدالة في الأمر . وإذا قلت عدل عن الأمر : فهذا استعمال مركّب المعنى أي أنّه عدل في أمرٍ آخرٍ غير هذا وجده أكثر عدلاً ، وهو تعبيرٌ خاصٌّ جداً لمن يتّخذ ما هو أفضل وأصحّ ولا يجوز استعماله لمن يفعل العكس فهذا هو (المَيل) . وقد أخذوا واسطةً هي (عن) فبقي على دلالته . وإذا كانت الواسطة هي (الباء) فقد علمت أن الباء ذراع للقوّة وواسطة الفعل .

فإذا قلت : (عدل عمروا بزيد) فهو يعني أنّه استعمل زيداً واسطةً لفعل العدل . فهو ليس غاية للعدل وإنّما هو جزء من كفّة العدل . ذلك أن هذا التسلسل ذاتيّ الحركة فإذا استعمل كفعلٍ احتاج إلى قياسٍ لأن المجموع يعني استخراج ما هو ذو قيمةٍ فعليةٍ فيها لمجيء اللام بعد الدال والدال بعد العين . فقولك : (عدل بفلان) هو أنّه جعل له قدراً مساوياً له . و(العَدل) بهذا

المعنى العام هو استخراج القيم الخاصة بالأشياء . فقولك عدل عن الفكرة : أي استخرج قيمة عنها لا لها ، فهي ليست غايته ويدلّ ذلك على تركه إياها . لذلك تبدو بعض الاستعمالات كما لو كانت متناقضةً .. فهذه بعض الاستعمالات القرآنية :

أ . (وإن تعدل كلّ عدل لا يؤخذ منها) لفوات الأوان . وهذا يدلّ دلالةً قاطعةً على فكرتنا الفلسفية القائلة (بعدم تلازم معرفة الدين بالتديّن ولا معرفة الأخلاق بالتخلّق بها) . لاحظ الفكرة في كتاب الحل القصدي . فهؤلاء يذكرون القيمة الحقيقية للأشياء لكنّ لا يؤخذ منهم ذلك لأن سلوكهم مخالفٌ لمعرفتهم

ب . (يحكم به ذوا عدل منكم) . فالمهم هنا ذكر القيمة المطلوبة للحكم .

ج . (أو عدل ذلك) . قيمةٌ مساويةٌ كفارة من صيام .

د . (والذين كفروا بربهم يعدلون) . أي يجتهدون في تقديره وتقدير ملكه أو علمه أو صفاته بجعله موضوعا للتقييم . وهذه أكبر مشكلةٍ دينيةٍ خافية المعالم ، حيث أوضحنا في رسائل أخرى أن الكفر إنّما هو في هذه القضية . فكلّ من يحاول معرفة الإله كموضوعٍ فهو كافرٌ لأن معرفة الإله الحقيقية هي في عبارة (لا يمكن معرفته) ، ومعرفة هذه الحقيقة هي معرفة الإله . فمعرفته هي بعكس معرفة جميع الموجودات .

وهنا وقعوا في خطأ لغويّ وفكريّ . إذ قالت المعاجم : (يعدلون أي يشركون) وساقوا أحد معاني (عدلَ) على أنّه أشرك بناءاً على هذه الآية . في حين إن الكفر هو أعلى مرتبة للشرك حسب النظام اللفظي للقرآن . وإذن فلا يمكن أن يقول : (الذين كفروا يشركون) لأن لفظ (الذين كفروا) يتضمّن الشرك بأعلى مراتبه . نعم .. إن الأخطاء العقائدية والفكرية بسبب اعتباطية اللغة تحتاج إلى مؤسساتٍ خاصةٍ لتصحيحها .

هـ . (اعدلوا هو أقرب للتقوى) . لا يحتاج إلى تقدير مفعول محذوف لأن العدل عامٌّ في كلّ شيء وغير متعلّق بموضوعٍ محدّدٍ مثل : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) . حيث العدل هنا واسطة لبلوغ الحكم . بينما قوله (اعدلوا) أي في كلّ شيء اجعلوا له قيمة فعلية جاهزة . لذلك ارتبط بالتقوى . ثمّ طلب ما هو أكثر فقال : (واتقوا الله) .

ل . ك . د : اللام تلاحم ، والكاف تكتل المتشابهات ، والدال اندفاع مقصود .

يفيد المجموع تجمّع الأشياء بصورةٍ منظّمةٍ واندفاعها إلى هدفٍ معيّنٍ بقوةٍ .

في المعجم : تلكّد : تلكد الشيء لازم بعضه بعضاً .

الألكد : الملتصق بقومٍ ليس منهم . لكد شعره من الوسخ : تلبد ، لكَد .

واضح أن التلازم والالتصاق بالآخر هو بسبب الدال في هذا الترتيب وإلاّ فإنّ التلاحم الذاتي موجود باللام .

(لكد الحصان) : عدى بسرعة لا يحوّل وجهته . عامّي عراقي ليس في معجم .

د . ل . ك : الدال اندفاع واللام تلاحم والكاف تكتل وتآلف للمتماثلات .

المجموع يفيد الانعزال عن الحركات الممكنة بتآلف معين لبعضها لوجود الدال أولاً ثمّ اللام ثمّ الكّاف .

دلك السنبل : انفرك قشره عن حبه (مط) . مطابق .

دلك الثوب : دعكه بيده ليغسله ، هذا عزل للوسخ عن الثوب أو للثوب عن الوسخ . واختلفوا في قوله تعالى : (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل) . قالوا : زوالها عن كبد السماء . وقالوا : وقت العصر إذا رأيتها دلكت عينيك . وفي (الدلك) قالوا : اسم لوقت غروب الشمس وزوالها ؟! (كذا في الوسيط) . والزوال غير الغروب .

لكنّ يظهر من الحركة أن الدلوك هو زوال الشمس عن السماء المنظورة كلّها وانعزالها . وإنّما سمّاه دلوكا ليصحّ الانعزال عن جزءٍ من الأرض ، لأن الحركة الفعلية للأرض لا الشمس . إذ يصحّ أن تقول : (دلكت الأرض عن الشمس) أو (دلكت الشمس عنك) ولو قال زالت أو غابت لم يصحّ بصورةٍ مطلقةٍ وإنّما سيكون خطأً أو مجازاً بعد معرفة حركة الأرض المحورية . إذن فالدلوك بداية حصول الظلمة إلى الغسق ، وهي صلوات الليل وليس فيها صلاة نهار .

ولكن يجب إدخال صلوات العصر من ناحية أخرى هي أن الدلوك حركة انعزال وإدبار فلا نعلم إن كانت الصلاة في بداية الحركة أو عند اكتمالها . فالإدبار يبدأ من بعد الظهر وقوله تعالى : (أقم الصلاة لدلوك الشمس) يدل اللام الأوّل (كما أشرنا إلى ذلك) إلى التهيؤ للصلاة عند وقوع الحركة . لكنّ الدلوك حركةٌ مستمرةٌ وإذن فتدخل صلاة الظهرين من ناحية وجود اللام في الآية لأن الدلوك يبدأ بوقتٍ معيّنٍ بعد الظهر .

أشرنا سابقاً أن سبب ذلك هو أن المعجم يعتمد في شرح ألفاظٍ كثيرةٍ على معلوماتٍ تفسيريّةٍ للرواة والفقهاء وبالأخص الألفاظ القرآنية .

ل . ح . د : اللام التحام الحركات ، الحاء تعاظم الالتحام ، والدال اندفاع مقصود .

مجموع هذه الترتيب يفيد في معنى جعل الشيء متجهاً وجهةً محدّدةً سلفاً فلا تميل هذه الحركة عن تلك الوجهة . ذلك أن التلاحم ما تمّ حتى تعاظم وهو في موضعه ثمّ انطلق بالدال

فالقضية مبيّتة منذ البداية ولا حرية في الحركة .

في المعجم : لحدَ : مال عن طريق القصد . والأصح أن نقول : لم يعدل عن طريقٍ قصده هوَ . ويؤكده ما قاله في المعجم : لَحدَ السهم عن الهدف : عدل عنه . ويمكننا أن نقول : فيزيائياً لم يعدل السهم عن الهدف ولا يمكنه ذلك إذ لا حرية له ولا خيار بيديه ، بل سار بحسب ما وجّهه الرامي . فالرامي أخطأ والسهم لحَدَ أي لم يعدل عن طريقه المرسوم إلى ما في ذهن الرامي . والعربي إنّما يلقي باللوم على الرامي إذا قال (لحدَ السهم) ، بينما المعجم يجعل اللوم على السهم . ومثل هذا كثيرٌ جداً . إذ يتوجّب كما قلت في الفصل الأوّل . تصحيح معاجم اللغات كلّها على معاني الحروف لا المعجم العربي وحده .

في الرباعي (ألحدَ) تعمل الهمزة على إثارة الحركة فهي مقصودة للفاعل . ومنه قوله تعالى (الذين يلحدون في آياتنا) فالإلحاد يكون في شيء دوماً بخلاف (لحدَ) من اللحود . فهو ذاتيّ . والفعل لازم .

كذلك : (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) هذا الاستعمال للرباعي ومطابق للحركة أي أن الأصل فيه هو (ألحدَ . يُلحد . إلحاداً) فالفاعل يريد الإلحاد . وقوله في المعجم (ألحد السهم) عن الهدف أي عدل عنه من نوع المجاز اللغوي عندهم . وعندنا لا يصح هذا الاستعمال بينما يصح (لحدَ السهم) ، نعم يصح (ألحد السهم) . جعله يُلحد .

ل . ح . ب : اللام تلاحم ، والحاء تعاظم ، والباء انبثاق للحركة المتعاظمة .

نلاحظ في هذا الترتيب ظهور حقيقة مكونات الشيء من خلال الانبثاق من الأجزاء المتّحدة والمتعاظمة باللام والحاء . فالشيء اللاحب هو الظاهر والواضح وضوحاً كافياً على حقيقته . ونكتب هذا قبل النظر في أي استعمال معجمي . كما نفعل دوماً في الكثير من التسلسلات اختباراً لهذا المنهج فلم نغيّر أو نشطب شيئاً على الإطلاق منذ بداية البحث .

والآن نلاحظ المعجم : المِلحُبَ : اللسان الفصيح ، وكل ما يقطع به ويقشر . أقول : الصحيح يقشر فقط . ولحبَ الطريق لحباً: أوضحه وبيّنه . ولحب فلان لحباً : أنحله الكبر والضعف . وهذا الأخير أخذوه من ظهور حقيقته بعد ابتلاءه بالكبر والضعف . اللاحب : الطريق الواضح . ولحب فلان : مرَّ مروراً مستقيماً . وفي هذا نظر فما معنى أن يمرّ مروراً مستقيماً ؟ . يبدو أن هناك شيئاً لا يدركه المعجم كأن يكون المرور بهذا الطريق عسيراً وكاشفاً لأَمر المار ، فأغلب الناس تمر مروراً مستقيماً ولا تتّخذ خطاً متعرجاً ! .

وإلى هنا نختم فصل اللام ونكتفي بهذا القدر من التسلسلات حيث سيأتي أن شاء الله المزيد

منها مع بقية الأصوات . وقبل ذلك نذكر ما وعدناكم به من تفسير مفصّل للحركات (الضمّة والفتحة والكسرة والسكون) وسبب تغيّر المعاني عند تغيّر الحركات وسبب ظهور الأبواب الستة للأفعال .

مظاهر [الألف] وتحديدها للعلامات
الذاتية والداخلية والخارجية

(تفسير العلامات)

هذا التفسير هو من أعظم نتائج المنهج القصدي إذ يمكن لأول مرّة في تاريخ العالم إعطاء التفسير الصحيح للعلامات والتغيرات التي تطرأ على الحركة الجوهرية للتعاقب عند إحداث أي تغيير في علامة أحد الأصوات . وهذه الظواهر تعجز الاعتباطية عن التفكير فيها ناهيك عن محاولة تفسيرها .

ونؤكّد هنا أن هذا الشرح لا يخصّ اللغة العربية وحدها بل هو شرحٌ عامٌ وتفسيرٌ شموليٌّ للعلامات يمكن لجميع الأمم الاستعانة به لتصحيح مفاهيمها اللغوية وإعادة النظر في معاجمها .

وأوجّه ندائي إلى السادة أعضاء المجمع اللغوي العربي لاعتماد مشروعنا اللغوي واعتباره أحد أهم مصادره أو مصدره الوحيد للبتّ في المسائل اللغوية . حيث يجد بغيته وضالته في هذا المنهج على جميع المستويات وأهمها ظهور القيمة الحقيقية والحركية للمفردة العربية وهيمنتها على الجذور الأصلية للغات الأمم ومنها اعتبار الألفاظ المتروكة عند أهل المعاجم ، والمستعملة وفق الحركة ألفاظاً صحيحةً وفصيحةً ، ومنها تصحيح الأخطاء والمشاكل اللغوية المعقّدة الكثيرة ، ومنها توحيد تفسير وشرح المفردات .. وغيرها .. وصولاً إلى ما هو أعظم وأكبر من ذلك كلّه ألا وهو الكشف لأول مرة عن الإعجاز الحقيقي في كتاب الله من خلال الجمع بين المشروعين : مشروع الحل القصدي للغة ومعاني الحروف ومشروع النظام اللفظي للقرآن الكريم وما يترتّب على ذلك من آثارٍ كثيرةٍ لا تحصى .

وقد أخّرنا هذا البحث لحين أن يتمكن القارئ من تصور معاني بعض الحروف وطريقة عملها ، وسنجعله (هذا البحث) على هيئة أسئلةٍ وإجابات بيننا وبين سائلٍ مفترضٍ تسهيلاً للأمر وتوضيحاً له وتوخّياً للتسلسل المنطقي الدقيق في الطرح بالشكل الذي نرجو أن يكون معه فهم السادة القرّاء فهماً صحيحاً .. ومن الله التوفيق .

السائل : **لقد ذكرت التسلسلات مجرَّدةً عن العلامات وإن كنت قد نوّهت عن بعضها خلال الشرح فهذا لا يفي بالمقصود فهناك ألفاظٌ يتغيّر معناها كلياً حينما تتغير الحركات جزءاً أو كلاً ؟ .**

المؤلف : **نعم فعلت ذلك .. كي لا تلتبس العلامات بحركة التسلسلات ، لأنّها تقوم بتوجيه**

حركـة التسلسل وتغيّر ظرفـي الزمـان والمكـان لتلك الحركـة . أمـا حركـة التسلسلات نفسـها فـلا تتغيَّر وبناءاً على ذلك يمكن أن تستعمل لأغراضٍ مختلفـةٍ ثبوتـاً علـى الحركـة الأصلية . فهـي مثل الزعانف في الكائنات المائية ، فإنّ اتجاه الزعانف يتغيّر والكائنات لا تتغيّر بل تتوجّه بها .

السائل : **إن الفعل الواحد نفسه تتغيّر حركته من الماضي إلى المضارع وأنت تعلم أن هناك ستة أبواب : نَصَرَ : ينصُر ، ضَربَ : يضرِبُ وعَلِمَ : يعلَم فهذه ثلاثـة أبواب تغيّرت بصورةٍ اعتباطيـةٍ لا يجمعها قانون ولا تشملها قاعدة ، وثلاثة أبواب لم تتغيّر هي باب : فَتَحَ وحَسِبَ وشَرُفَ . فهل يرجع ذلك إلـى ترابط الحروف مع بعضها البعض ؟ . وإذا كـان كذلك بقـي الأمـر بـلا قاعدة إذ هو يعتمد علـى كيفيـة التسلسل .**

المؤلف : **لو كان الأمر كذلك لكان : هَربَ يَهرُب مساوقاً في تغيّره لـ : ضرب يضرُب فالتعاقب لا شأن مباشر له بالأمر ، وإنّما له شأن آخر غير مباشر . ومردّ التغيّر يعود إلى نـوع العلامـة فالعلامـة هي التي تجعل الحركة تفيد معنىً باتّجاه جديدٍ يختلف عن الاتّجاه السابق وليس الأصل هو أن الصيغة تحدّد العلامة فالوضع في القصدية معكوس .**

السائل : **هذا يعني أن كلّ علامة في الأصل ممكنـةٌ ولكننـا قد لا نستعمل إلاّ بعضـها ؟ فهل هنـاك (فَتُح) و(فتِح) بضم وكسر التاء على التوالي ؟ .**

المؤلّف : **نعم تماماً .. وهذا مثلما توجد تسلسلات نعتقد أن لا معنى لها ووجدنا العوام تقولها وفيها أصوات عربيةٌ محضةٌ كالضاد والظاء .كما سيأتيك شطر آخر منها .فلم توضع في معجم ، ومثلما توجد ألوف التسلسلات تستعمل في أممٍ أخرى ، ومثلما توجد تسلسلات لا تستعمل عند أحد .**

فكذلك العلامـات فهـي ممكنـة بمختلـف صورها فبعضـها يسـتعمل وبعضـها لا يسـتعمل أو هـو مهجورٌ أو هو مستعملٌ عند العوام ولا يستعمل عند الفصحاء . فقانون الفصاحة في هذا المنهج مختلفٌ تماماً .

ومع ذلك فإنّ لهذا التغيّر في العلامات قواعداً خاصةً ، فالتعاقب حركة قد لا تقبل بعض العلامات التـي تبطل هذه الحركـة لـيس لأنّهـا ستجعلها خاليـةً مـن المعنـى ، بـل لأنّهـا غيـر ممكنـة فـي عـالم الموجودات ولا مثيل لها في الواقع الخارجي ، فكذلك ليس لها واقع في الألفاظ .

فلماذا تسألني عن الأبواب ولا تسألني قبل ذلك عن الفعل تتغيّر حركته بين اللازم والمتعدي فتقول لي من أين جاءت ؟ .

السائل : **فإني أسألك عن اللزوم والتعدّي من أين جاءا ؟ .**

المؤلف : **ولكن .. حبّذا لو تسألني عن اللازم يتغيّر استعماله عند تغير حركة أحد حروفه مع ثبات صيغته وزمنه ؟ .**

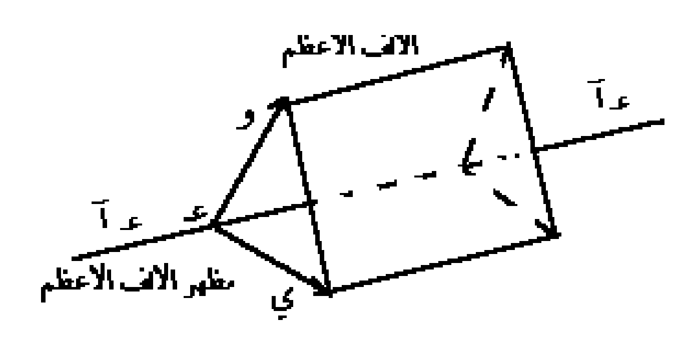
السائل : **حسنا فإني أسألك عن (حسِبَ) بالكسر و(حسُبَ) بالضم لماذا تغيّر استعمالهما وهما فعل واحد بالماضي وكيف أثّرت العلامة على المعنى وما الفرق بينهما وبين (حسَبَ) بالفتح ؟**

المؤلّف : **جواب هذا السؤال يحتاج إلى ثلاثة أشياء : مخطّطٌ يوضّح المسألة وانتباهٌ شديدٌ وأكثر منهما : تحرّرٌ من الموروث .. فهل أنت مستعد ؟**

السائل : **نعم أنا مستعد تمام الاستعداد .**

المؤلف : **لقد ذكرنا سابقاً أن الألف الحقيقي لا يُدرك وأنه يكوّن الحركات في صورة الأصوات وأن له ثلاثة مظاهر متعامدة مع بعضها البعض : المكان ويمثله (الواو) ، و(الزمان) ويمثله الياء ، والمظهر الثالث هو الألف المهموز الأصل وهو صورة للألف تجمع ما بين الزمان والمكان ، ونقطة ظهور الثلاثة هي الهمزة .**

وهذه تشكّل إذا تحرّكت خطوطاً .. فإذا تحرّكت باتّجاه الألف شكّلت سطوحاً ، وإذا أغلقت الفتحة بين السطحين شكلت جسماً :



فالمستقيم (ء و) هو الضمة ، والمستقيم (ء ي) هو الكسرة ، والمستقيم الذي يغلق الفتحة بينهما هو الفتحة وهو (و ي) في الرسم والمستقيم (ء آ) هو الألف الظاهر .

والآن إذا قلت : (حَسِبَ) بالكسر فقد جعلت للحركة علامة الزمان لأن الكسرة هي جزء من الياء الممتدّ بامتداد الألف ، وإذن فلا مكان . المكان مفقود فالحركة التي يفعلها التسلسل ستكون داخلية ولا تخرج إلى الخارج بل هي عند الفاعل . فهذا نوع من اللازم .

المعجم : حسِبَ : حسِبَ الرجل : ابيضت جلدته من داءٍ .

وإذا قلت : (حَسُبَ) بالضم ، فالضمة جزء من الواو الممتدّ إلى ما لا نهاية وهي تعني المكان وقد تمَّ إهمال الزمان . فالحركة داخليةٌ أيضاً ولم تخرج إلى خارج الفاعل ولكن بدلاً من أن تكون في بدنه أو أعضاءه كانت خاصة بوجوده وذاته ، وهذا يظهر في الوجود الذي يمثله المكان .

في المعجم : حَسُبَ : كان له ولآبائه شرفٌ ثابتٌ .

وحينما تقول : (حَسَبَ) بالفتح فإنّ إغلاق الفتحة بين الزمان والمكان يعني استيعابهما سوية بالحركة ، فالحركة إذن خارجة وواقعة على مفعول في الخارج لوجود الزمان والمكان سواءاً :

حسَبَ المال : عدّهُ .

إذن فالقاعدة هي : بالضمّة الحركة داخليةٌ لازمةٌ بالمكان فهي ذاتيةٌ خاصةٌ .

وبالكسرة الحركة داخليةٌ لازمةٌ بالزمان فهي ذاتيةٌ عامةٌ .

وبالفتحة الحركةُ خارجيةٌ تفيد الزمان والمكان وهو المتعدي .

السائل : هل هذا عامٌ في جميع الأفعال ؟ أعطني أمثلةً أخرى !!

المؤلف : نعم .. إنّه عامٌ في جميع الأفعال ، وانظر بنفسك إلى ما بين يديك منها وهذه نماذج :

١ . رَمَزَ : فلاناً . متعدي

رَمُزَ : انقبضَ . أو (كثرت حركته) . لازم .

رَمِزَ : لا يوجد . . وذلك لأنه غير ممكن عندهم . وعندنا يجوز أن تقول (رَمِزت رجلُهُ) . إذا كانت من خشب ونحوه بعد قطعها فهي مرموزة في تلك الصورة الدائمية لوجود الياء .

٢ . حزَمَ فلانا (بالفتح) : شدّه . متعدي .

حَزِمَ : أصابته غصة في حيزومه . لازم .

حزُمَ : كان حازماً .

فلاحظ موضع العضو في المكسور ولاحظ الذاتية في المضموم ولاحظ التعدي في المفتوح .

السائل : فالفعل (ركن) ؟ .

المؤلّف : هو كذلك أيضاً :

ركَنَ إليه : مال . متعدّي بواسطة . وهذا مجرّد سماع .

رَكِنَ إليه : مال إليه .

رَكِن في المنزل : أقام فيه .

السائل : لكنّ يوجد هنا خلطٌ بين التعدّي واللزوم ؟

المؤلّف : ألم أقل لك أن عليك أن تعلم أن المعجم مليءٌ بالأخطاء ؟ .

السائل : وكيف تصحح (ركن) ؟ .

المؤلف : المعجم يقول : ركَنَ ركناً وركوناً . ركَن إليه . مال .

ويقول : ركِن ركناً وركوناً . مال . بالفتح .

ويقول : ركِن في المنزل : أقام ! .

إنّما الأمر بالمقلوب :
فالمفتوح (ركَنَ) : يعمل بلا واسطة وهو متعدي ويجوز أن تقول ركنت عصاي إلى الحائط .
والمكسور لازم يحتاج إلى واسطة (ركِن إليه) إنْ كان ثمة مركون إليه ، أو تقول (في المنزل) إن كان القصد إلى موضع الركون .
السائل : فالمصدر هو نفسه لكليهما ؟ .
المؤلف : وكيف يكون نفسه ؟ إنّما المعجم يخلط مصادر أفعال فيجعلها لأفعال أخرى فقد قال :
حَسُبَ : حَسَباً : لان الحسَبَ مفردة موجودة لديه .
حسَبَ : حساباً وحُسباناً .
وسكت المعجم عن المكسور (حسِبَ) فلم يذكره .
بينما لكلّ مفردةٍ بعلامةٍ معينةٍ مصدرها الخاص .
رَكَنَ : رَكْناً (بالفتح والسكون) .
ركِن : رِكْناً (بالكسر والسكون) .
رَكُنَ : رُكناً (بالضم والسكون) .
فالعلامة نفسها تنتقل إلى الحرف الأوّل عند صنع المصدر فكذلك :
حَسَبَ : حَسْباً . أما حساباً ففعله (حاسبَ) وليس (حسَبَ) ألا ترى في التنزيل قوله تعالى : (حاسبناها حساباً شديداً) .
وحسِبَ : حِسْباً .
وحَسُبَ : حُسباً . أما الحَسب فهو اسم لا مصدر والمعاجم تخلط أيضاً بين الأسماء والمصادر .
السائل : لكنّ هذا عام في جميع المفردات فهل يعني هذا أنّه يتوجّب إعادة النظر بمفردات المعجم من أوّلها إلى آخرها ؟
المؤلّف : ولم لا فهذا حق .
السائل : فلماذا كان التغيّر في العلامة بين صيغ اللازم والمتعدي للصوت الثاني فقط ولم يقع التغيّر على الأوّل والثالث ؟ .
المؤلف : لأن وسط المفردة هو قلب حركتها ولأن الصوت الأوّل يتعرّض لتغيّرات كثيرة خلال الجملة فتدخل عليه حروف المضارعة والاستفهام ، وعلامته تتغيّر باستمرار . ولأن الحرف الثالث هو محل معرفة المفردة كلّها وهو موضع بناءها في الجمل فتقع عليه تغيرات كثيرة كالجزم والبناء بمختلف أنواعه . ووسط الحركة هو أهمُّ جزءٍ فيها ليشير إلى التغيّر الذي هو في نفس الحركة .
السائل : فما معنى (ركون) ولماذا هو بالواو ؟ .

المؤلف : **هو اسم للحركة العامة للتسلسل (ركن) . ويصاغ الاسم بناءاً على الحركة . فإذا كانت في عمومها لها موضوع خارجي بالمكان صيغ بالواو وإذا كان بالزمان صيغ بالياء وإذا كان بمجموعهما صيغ بالفتحة والسكون .**

السائل : **فلماذا كان اسم (ركَنَ) : ركوناً و (كمَدَ) : كَمْداً و (كنَزَ) : كنْزاً كذلك ، بينما الأفعال الماضية بنفس العلامات ؟ .**

المؤلف : **نعم لتلك الحركات أسماء هي (كمُود) و (كُنوز) . فلم يُستعمل (كمود) وهجروه واستعملوا (كنوز) كأسم لما يُكنز لكنّ توهموا بينه وبين جمع (كنْز) .**

السائل : **فما هو جمع (كنز) ؟**

المؤلف : **جمعه (كُنوز) فجعلوا الجمع (كنوز) بدلاً من الاسم .**

السائل : **لكنّ في التنزيل جمع على (كنوز) والتنزيل عندك من مصادر القصدية أو مصدرها الوحيد .**

المؤلف : **نعم .. ولكنه اسم لا جمع وذلك في قوله تعالى :**

(وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة)

فلو كان جمعاً لقال : (مفاتحها) ، وإنّما أفرد الضمير لأن (كنوز) اسمٌ لا جمعٌ لـ (كنز) . وإنّما يعرف ذلك من الجملة .

السائل : **هذا يعني أن أخطاء الجموع والخلط بينها وبين المصادر لا حصر لها في المعاجم ؟ .**

المؤلف : **نعم هذا صحيح . عدا أن لكلِّ جمعٍ معيّنٍ مفرداً معيّناً بينما تعدّدت الجموع لنفس المفرد في المعاجم . فانظر هذه الجموع المماثلة لأفرادها من الثلاثي الصحيح :**

كنَزَ فهو كانز (ج) كانزون .

كُنُزٌ (ج) كُنَّز مثل : خُنُس (ج) خُنَّس ؟

كنْزٌ (ج) كُنوز مثل : فَصل فُصول وحقل حقول .

كِنزٌ (ج) كِنوز مثل سِتر : سِتور وعِجل : عجول . والسَتر بالفتح (ج) سُتور بالضم .

السائل : **لكنّ ورد في التنزيل : (قُدور راسيات) بالضم وهو جمع (قِدر) بالكسر .**

المؤلف : **قُدور بالضم هو جمعٌ لـ (قَدْر) بالفتح والقِدر جمعه قِدور .**

السائل : **فما هو جمع (قَدَرٌ) المفتوح الفاء والعين ؟ .**

المؤلف : **جمعه : أقدار مثل : قَدَم . أقدام وعَلَمٌ . أعلام .**

السائل : **لماذا اختلف هنا جمع المفتوح الفاء والعين فجاء على صيغة أفعال ؟ .**

المؤلف : **لان الفتحتين لا يحلّ محلّهما ويشير إليهما إلاّ الألف الذي يتضمّن الزمان والمكان في آنٍ واحد. أمّا الساكن العين مفتوح الفاء وكذلك ساكن العين مكسور الفاء فجُمِعَ بالواو وبقيت علامة الحرف الأوّل تشير إلى نوع المفرد ـ كِنز ـ كِنوز و كَنز ـ كُنوز ، لأن سكون العين أشار إلى توقف الحركة في الزمان والمكان . فهذا التوقف أعطى معنى الاسمية حيث صار اللفظ اسماً للحركة فإذا جمعت هذا الاسم الجامد جمعته في ضرف المكان ـ لأنّه معاينٌ وله وجودٌ خارجيٌّ .**

السائل : **فإنّ قَدَم ـ أقدام وعَلَم ـ أعلام هي جموع للمتحرّك بحرفين ولها وجود خارجي ؟**

المؤلف : **نعم هذا إطلاق لكننا اتّفقنا أن حركة التسلسل هي الأصل . فالقدم في الأصل ليست (كفّ الرجل) وإنّما هو اسم لما يَتقدَّم به المرء ألا ترى قوله تعالى : (أنْ تزلّ قدمٌ بعد رسوخها) فلا يقصد بلفظ (القدم) العضو المعروف .**

السائل : **إذن فأنت ترى أن هذا الاستعمال حقيقيٌّ لا مجازيٌّ ؟ .**

المؤلف : **وهل أقررتُ يوماً بالمجاز حتى أقرَّ به اليوم ؟ .**

السائل : **فاخبرني عن التغيّر الذي يحصل للحرف الأوّل من لفظ (كَنْزٌ) لماذا استحالت الفتحة إلى ضمة فيه ؟ .**

المؤلف : **لان كَنْزٌ اسم لحركة الفعل (كَنَزَ) ، فلمّا جمعته وكثّرته أصبح له وجود خارجي بينما (كنز) اسم عام . ففي الجمع حصل تغيّر في وجوده من كونه عاماً إلى كونه مخصوص والفتحة تشير إلى ضرفي الزمان والمكان بينما الضمة تشير إلى ضرف المكان وحده .**

السائل : **فما الفرق بين (كَنْز) بالفتح و(كِنْز) بالكسر من حيث المعنى ؟ .**

المؤلف : **الفرق أن (الكِنز) أكثر قيمةً وأبعد في الزمان فالكسرة أشارت إلى الزمان .**
بينما (الكَنز) في كلّ زمان ومكان لوجود الفتحة .

السائل : **فكم من الأسماء يمكن صياغتها للثلاثي الصحيح الحروف ؟ .**

المؤلف : **كثيرٌ جداً اذكر لك منها تسعة صور كنماذج :**

أحادية الشخصية والوجود وهي ثلاثة صور :

الصورة الأوّلى : فِعْل : مثل (جِسر ، قِدْر ، جِذع ، فِكر ، ذِبح ، حِمل ...الخ) .

السائل : **ما معنى أحادية الشخصية والوجود ؟ .**

المؤلف : **معناه إنّك تصوغ من الحركة اسماً لشيءٍ مفردٍ واحدٍ في وجوده ولكنه بعمر طويل وبقاء مديد وأثر بعيد لوجود كسرة الياء الزمني تحت فاءه فكذلك الأمر في جِسر وجذع ... الخ .**

الصورة الثانية : فَعْل : بالفتح مثل (ضَرْب ، حَرْف ، سقْف ، ضَرّ ، نَفْع ، رَجْع ، سَقْم ، حَمْل ، ....الخ) . وهو أحادى الشخصية والوجود ولكنه في كلّ زمان ومكان عام عموماً هو على أصل

الحركة وهو يمثّل الحركة في الفعل نفسه فهو اسمُها . وذلك لوجود الفتحة على أوّله التي تفيد اقتران الزمان والمكان .

الصورة الثالثة : فُعْل : بالضم مثل (ضُرّ ، خُسْر ، حُلْم ، كُرْه ، سُقْم ... الخ) . فهو أحادى الوجود لكنه محدّدٌ بمكانٍ يشير إليه لوجود الضمّة على فاءه ولا يشير إلى الزمان لكونه مدرك في الحركة والواقعة .

فهذه الثلاثة تستوعب احتمالات وجود الاسم من الحركة في علاقته بالزمان والمكان إذا كنت تريد أخذ جزءٍ أو قطعةٍ واحدةٍ من وجود الحركة .

الصورة الرابعة : عامٌّ في وجوده ومعناه للزمان والمكان في آنٍ واحدٍ وهو على صيغة (فَعَلَ) فهو في جوهره اسم للحركة العامة للفعل مثل : (حَسَدٌ) ، (عَدَمٌ) ، (حَسَبٌ) ، (بَرَدٌ) ....الخ . فهذا ليس له وجود فردي مثل (حَسْد) المسكّن العين أو (بَرْد) المسكّن العين . فإذا أردت وصف التكوّن والصيرورة تُنشأ الجملة فتقول : (يتكون البَرَدُ بالطريقة الآتية..الخ) . وإذا أردت الوصف من منظارٍ زمني في يوم أو فصل أو ساعة قلت : (سيكون الليلة بَرْدٌ شديد) فلفظ (البَرْد) قطعةٌ مفردةٌ من الحركة ولفظ (البَرَد) عامٌّ ألا ترى قوله تعالى في وصف تكوّنه في التنزيل : (جبال من بَرَدٍ) بالفتح؟.

السائل : **نعم بدأت أتفهّم ما تقوله فما الأسماء الأخرى ؟ .**

المؤلّف : **الصورة الخامسة : ما هو على زنة (فُعُول) مضموم الفاء والعين جاءت الواو بعد الصوت الثاني ـ ليفيد التركيز على الواو وانفراده بالعلامات على كينونة كاملة وتامة في المكان وحده مع إهمال تام للزمان والسبب في ذلك أن هناك تسلسلات تحمل زمنها معها لأنّها عبارة عن حركة خارجية محضة فلا بدّ من ظهورٍ للمكان بنفس القوة ومثال ذلك (خرَج ـ خُروج ، رَجع ـ رُجوع ، دخَل ـ دُخول ، عَرج ـ عُروج ...الخ) .**

فإنّ كانت في جملةٍ ظهر الزمان فيها ظهوراً كافياً وأن كانت خارج التركيب فلا سؤال عن ذلك لأن غاية الاشتقاق هو الاستعمال فإذا تجرّد عن الاستعمال بقي يشير إلى كيانه وحقيقته من خلال صورته المجردّة التي تتضمّن المكان فهذه التسمية هي لحركة الفعل وهي بطبيعتها واحدة وأن تعدّد الفاعل ، لذلك عوضت في الأحادي التكوين عن صيغة (فُعُل) إذ ليس من حاجةٍ إليها إلاّ في مثل هذه الحركات .

الصورة السادسة : صيغة الأحادي ـ النوع الثالث على زنة (فُعْل) مثل (خُسْر) ويضاف إليها مقطعٌ من الألف والنون فيكون على زنة (فُعْلان) مثل (خُسْران ، غُفْران ، خُذْلان) .

فالمعنى في الأحادي قد عرفته إذ هو محدّدٌ بالمكان ، أمّا زمانه فمفتوح . فإذا احتجت إلى

صيغةٍ تفيد وقوع الخسارة مثلاً ، ولكنك تريد تحديد زمنها من حيث كونه قد وقع بسرعةٍ عظيمةٍ وحدث هذا الوقوع آنياً في كلّ مرّة فإنّ صيغة (فُعْل) تحدد لك المكان وتجعل الاسم متجسّداً في مكانٍ معيّنٍ وله موضوع محدّدٌ ولكن هذه الصيغة لا تشير إلى الزمان إلاّ من حيث هو عامٌّ معلوم في الواقعة ، فإذا أردت وقوع الحركة سريعة جئت بمقطع (آن) ليفيد أن الخسارة تنشأ كلّ مرّةٍ بسرعةٍ كلّما تكررت الحركة فهي حركةٌ متوالدةٌ . أي أن الخسارة تتراكم فإذا قلت (خسر فلانٌ خسراً) فالمعنى خسر خُسْراً واحداً في واقعةٍ ما . وإذا قلت (خسر فلانٌ خسراناً) فالمعنى أنّه خسر مرات ومرات وبسرعةٍ فائقةٍ في كلّ واقعةٍ وخسارته متراكمة . ألا ترى في التنزيل إذا حدّد الواقعة وزمنها جاء (بالخُسر) وإذا تحدّث عن مجموع الأعمال جاء بالخُسران :

فالأول : مثل : (وكان عاقبة أمرها خُسرا)

والثاني : مثل : (خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) .

السائل : وهل (القرآن) كلفظٍ هو من هذا النوع ؟ .

المؤلف : نعم أنّه على هذه الزنة ومعناه الذي يقرأ في كلِّ آنٍ ومكانٍ ، وليس هذا هو وقت ظهور دلالة الاسم إنّما سيأتي زمنٌ لا يكون لجميع أهل الأرض من عملٍ سوى التدبّر فيه وتلاوته وكلّما كشفوا منه شيئاً سيطروا به على جزءٍ من ملكوت السموات والأرض .

الصورة السابعة : صيغة (فعال) وهي ثلاثة أنواع : مفتوح الفاء ومكسور الفاء ومضموم الفاء .

فالأول (فَعَال) : مثل (خَسار ، كَلام ، تَمام . المأخوذ من الثلاثي " تمّمَ " المضعف الميم وليس من " تمَّ " : تمَّ . تماً ، وتمّم : تماماً فهو اسم للحركة) .

فحينما فتح الفاء أشار ذلك إلى احتواء الزمان والمكان ولمّا دخل الألف بعد الحرف الثاني أفاد تنشيط الحركة مجدداً وصاغ اسماً يتّسم بالفاعلية والنشاط وهو يشير إلى نشاط الفعل ووجود الحركة التي سماها مجاورة بحيث تقوم بعملها كلّما دعت الحاجة فهذه صفة الثلاثة المشتركة فلاحظ كيف استعمل (الخسار) مثلاً في التنزيل :

(ولا يزيد الظالمين إلاّ خسارا)

(ولا يزيد الكافرين إلاّ خسارا)

(لم يزده ماله وولده إلاّ خسارا)

فإنّ زيادة الخسارة تحتاج إلى اسم نشيط الحركة عظيم الفاعلية وهذا ما يصنعه الألف إضافة إلى فتحة الفاء .

الصورة الثامنة : والمكسور الفاء على زنة (فِعال) : مثل خِطاب ، دِفاع ، كِتاب ، نِظام ..الخ .

فلاحظ فاعلية دخول الألف وعمل الكسرة ، فالكسرة تحت الفاء جعلت للاسم بعداً زمنياً وأُغفل

المكان لأن الحركة نفسها مكانية تحمل مكانها في ذاتها ، فالخطاب له موضع والكتاب هو موضوع ومكان نفسه وكذلك النظام والدفاع ويزداد علمك بذلك إذا تذكّرت أصل الحركة على الحروف وذلك عدا أن حركة هذه الألفاظ تستوجب ذكر الوقائع خلال الجملة .

الصورة التاسعة : والثالث منها هو المضموم على زنة (فُعال) مثل : رُقاد ، نُعاس ، دُوار .. الخ فالفاعلية في الألف هي كما ترى وإنّما الضمة هي جزء من واو المكان فإنّها تشير إليه وتهمل الزمان وذلك من أجل أن تستعمل لتلك الحركات التي تكون عامّةً وفاعلةً ولكنها تطرأ على الأفراد فرداً فرداً وهذا هو ما يفيد وجود الألف ، ويهمل الزمان لأنّه ظاهرٌ في موضوع الحركة ولا يمكن تحديده إلاّ من خلال التركيب عند انطباقه في الخارج .

السائل : **إذن فما يقوله بعض النحاة من أن صيغة (فُعال) خاصة بالمرض خاطئ إذ كشفوا به جزء من الاستعمال فقط .**

المؤلف : **نعم .. لأن المشترك في تلك الحركات هو الطروء المفاجئ فيها ، فالزمن معلوم بصورةٍ عامةٍ ويتمّ تحديد المكان بضمِ الحرف الأوّل .**

السائل : **لماذا لا يكون تفسيرك معكوساً أي الواو تخصّ الزمان والياء للمكان ؟ .**

المؤلف : **ليس الأمر بيدي لأفعل ذلك .. فإذا جاء الحرفان في معاني الحروف علمت أن لكلٍّ منهما تعريفه وعمله الخاص . كأنك تشكّ في دلالة العلامات لأنك وجدتها بعكس ما تشير إليه . كلا إنّها بهذه الدلالة تشير إلى عملها ونفسها ، وهي تجسّد حركتها بالصورة التي يمكن للمرء أن يستعملها للتخاطب والإشارة إلى المجهولات من خلال ذكرها للمجهول وتركها للمعلوم فتلك فلسفتها لا فلسفتي وهي بالطبع أحسن من فلسفتي الخاصة . ولكني سأبيّن لك الأمر بطريقةٍ أخرى على الحركة الداخلة والخارجة .**

السائل : **وكيف ذلك ؟ .**

المؤلف : **تلاحظ في مضموم الفاء مثل (نُعاس ، سُعال ، دُوار ، ..) أنّ الحركة تبحث عن موضعٍ لها (مكان) فتأتي وتدخل مواضعها المكانية من أجسادِ ورؤوسِ الخلق . وتلاحظ أيضاً أن الحركة في مكسور الفاء تبحث عن زمان للخروج لأنّها كامنة ولها موضعها الذي هي فيه مثل (خِطاب ، كِتاب ، جِهاد ...الخ) . وأمّا مفتوح الفاء فالحركة فيه داخلةٌ خارجةٌ والفاعل يتناوبها أخذاً وعطاءاً أو إدخالاً وإخراجاً مثل (كَلام ، خَسار ، تَمام ...الخ) . فالحركة هنا تبحث عن الظرفين الزمان والمكان في آنٍ واحدٍ .**

السائل : **نعم .. فهكذا يكون الشرح أوضح . فاخبرني عن معتلّ الآخر مثل (زها زهواً ، ومشى مشياً) لماذا كان اسم الأوّل بالواو واسم الثاني بالياء رغم أنّ لفظهما واحدٌ ، وإنّما جعلوا المقصور إشارةً**

للياء والممدود إشارةً للواو وهو رمزٌ كتابيٌّ لا علاقة له بالتفسير ولا بالنطق ؟ .

المؤلف : **الصحيح أن كلّ لفظٍ معتلّ الآخر بالألف يمكن أن تصنع منه اسمين أحدهما بانقلاب الألف إلى (ياء) وهو الاسم العام في كلّ زمان والآخر بانقلاب الألف إلى (واو) وهو اسم خاص للوقائع يفيد تحديد المكان ، ولكن الناس غالباً ما يستعملون أحدهما ويهجرون الآخر وإذا ورد النوعان في المعاجم فلن يمكنهم التفريق بينهما . وعدا ذلك فهناك حركات لا تقبل إحدى الصيغتين . فالمشي مثلاً اسم عام في الزمان وهو اسم الحركة ، فلا يمكن تحديده بالمكان لأن المشي عبارة عن خطوات وهو كثير الوقوع إلى حدٍ لا يمكن الإحاطة به فاستُغنيَّ عن صيغة الواو .**

السائل : **نعم وردت الصيغتان كثيرا في المعجم مثل (دحا دحواً ودحياً) ووضع بعضهم كلاً منها في بابٍ مع أن المعنى هو نفسه . فأدخل لي اللفظين في جملتين لتبيّن لي فيهما الفرق بينهما .**

المؤلف : **نعم تقول : (إن دحيَ الكواكب أمرٌ عجيبٌ) . وتقول : (قد وقع دحوُ أرضنا هذه قبل ظهور الحياة) . فاللفظ الأول منهما (دحي) هو لفظٌ عام لوجود الياء الزماني واللفظ الثاني (دحو) هو لفظٌ خاصٌ لوجود الواو المكاني .**

السائل : **فاخبرني عن معتلِ الوسط بالألف : أَهو على هذه القاعدة من الانقلاب ؟ .**

المؤلف : **نعم .. مثل (بان بوناً وبيناً) . فالبون محدّد الوجود بالواو وتقول (بين هذين الأمرين بونٌ شاسعٌ) . ويقول الشاعر (... وغرابُ البين يناديهم ... ينعق فيهم ..) ، فاستعمل الاسم العام في الزمان لما هو عام في المعنى . ومثال آخر كان قد مرَّ عليك : (قال قولاً وقيلاً) فاستعمل القول في الوقائع المحدّدة في القرآن واستعمل (القيل) لإفادة الاسم العام :**

(ومن أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله) .

(إن ناشئة الليل هي أشدّ وطئاً وأقوم قيلا) .

السائل : **فماذا عن قوله تعالى : (وقيلِه يا ربّ إن هؤلاء قومٌ لا يؤمنون) .**

المؤلف : لو قال : (وقوله يا ربّ) لكان قد أفاد أن القول صدر منه مرّةً واحدةً وحسب ، فأراد جعله (قيلاً) ثابتاً ودائماً له (ص) وشكايةً مستمرّةً .

الفرق بين (بون) و (بين) :

السائل : **لكنك استعملت (بين) مع (بون) في جملةٍ واحدةٍ ؟ .**

المؤلف : **نعم .. لأن اللفظ (بين) يعمل عمل الضرف للإشارة إلى ما هو فاصلٌ لوسطٍ جزئيٍّ أو لمجموعتين أو لشيئين ، فاستُعمِل لذلك المعنى الضرفي ولم يستعمل (بون) ، لأن الغاية هنا**

الإشارة إلى الفجوة والتي هي معلومةٌ ومحدّدةٌ ، فمعنى البين هو الفارق على عمومه في الزمان . إذ المكان محدّدٌ . قال تعالى : (وبينهما حجاب) و(وجعل بين البحرين حاجزاً) . فلو جعلناه (بوناً) . لكان يزول ويختفي لأن البون ظاهرٌ في المكان ولَمَا أفاد بقاء الحجاب والحاجز . ولكنه أفاد بقاءهما واستمرارهما باستعمال (بين) بالياء ، والياء يفيد استمرار الحركة كما هي في الزمان .

تفسير بعض صيغ الصفات

السائل : **فاخبرني عن الصيغ الاخرى فإنّك ذكرت تسعاً من صيغ الأسماء المشتقة من الفعل فقط .**

المؤلف : **ساذكر لك تسع عشرة صيغةً أخرى من صيغ الصفات المشتقّة من حركة الفعل وأفسّرها على الحركة الداخلة والخارجة ومظاهر الألف إن شاء الله تعالى :**

فأنت تعلم أن مظاهر الألف هي توصيلات بين الأصوات لا ترتبط الأصوات من غيرها وهي الهمزة والألف المهموز (آ) والواو والياء والعلامات الخارجة منها التي تمثّل أجزاءاً من حركتها وهي الفتحة والضمه والكسرة . فهذه سبعة مظاهرٍ كليةٍ وجزئيةٍ وكلّها عناصر للألف وهي تساوق الأوضاع السبعة في آلة النطق ، وامّا المظهر الثامن فهو السكون وهو الذي يساوق الوضع الثامن في آلة النطق (السلب التام) . فراجع مبحث آلة النطق في الفصل الأوّل لتجد أن هذه المباحث مترابطةٌ يقوّي بعضها بعضاً ويدلُّ بعضها على بعض بخلاف الاعتباطية .

والآن نذكّر تلك الصيغ والتي هي أربعة أنواعٍ هي : صفات ما يقع منه الفعل وصفات ما يقع عليه الفعل وصفات ما يقع فيه الفعل وصفات ما يقع به الفعل .

فما يصدر منه الفعل : فاعل ، فعال ، فعيل ، فعول ، مُفعِل ، مُنفعِّل ، مُفعِّل ، متفاعل ، مستفعل ، مفتعل ، منفعِل ، فاعول .

وما يقع عليه الفعل : مفعول ، مُفعَّل ، مُفعل ، فعيل .

وما يقع فيه الفعل : مَفعَل ، مُنفَعَل ، فعلوت .

وما يقع به الفعل : مِفْعل

١ . فاعل : دخول الألف بعد الحرف الأوّل وقبل الثاني يعطي دلالةً على أن جوهر الحركة لا يتمّ ما لم يأت الألف فكان ذلك دليلا على الفاعل .

مثل : كاتب ، عامل ، خالق ... لأن الألف هو فاعل الأصوات .

٢ . فَعّال : وهذا الشدّ في النطق ليس بسبب دمج حرفين . بل لا يندمج حرفان مطلقاً في

منهجنا كما أوضحناه في مثال (عدَّ) و (عدد) . وإنّما مرجعه إلى التوقّف والسكون بعد العين . فالحركة الجوهرية ابتدأت بالتكوّن وتوقّفت فجأةً فأعطت بذلك دلالةً آكدُ على إمكانية وقوع الفعل بغير الألف . ومن هنا كان الفعّال أنشط من الفاعل . ولكن القائم بالفعل في صيغة (فعّال) يتأخّر زمنياً في الواقع . كما هو متأخر بالتعاقب . فقوّته كامنة فيه منتظرة عجز القوى الأخرى عن إتمام الفعل وهذا هو معناه الدقيق ، حيث يبدأ عمله بعد توقّف الحركة فوراً ويتمّها بسرعة فائقة : مثل : قسّام ، خلاّق ، حلاّل ، كفّار ، كشّاف ... الخ . ذلك لأن الألف لا يدخل إلاّ بعد عين الفعل والذي يمثل الحركة الجوهرية ، وهو عكس فاعل المرتبط بالفعل بنوعٍ من السببية والعلية .

٣. فّعول : يمثل دخول الواو بعد وسط الحركة اتصافها بالمكانية وارتباط الحركة بالمكان بصورةٍ شاملةٍ فكانت لذلك تشير إلى المتّصف بهذه الحركة في كلّ مكان ولذلك لا تشتق هذه الصيغة إلاّ من الحركات المرتبطة بوقائعٍ منفردةٍ تتكرّر ولكنها غير متصلة زماناً مثل : عَجول ، كتوم ، خروف ، شكور ، حسود ...الخ .

٤ . فَعيل : وتكون صيغةً لمن اتّصف بالحركة بصورةٍ دائمةٍ غير منفصلةٍ في وقائع محدّدةٍ فهي له كالطبع والصفة الدائمة لوجود الياء مثل : سميع ، عليم ، حكيم ، جسيم ، عظيم ، كريم ....الخ .

٥ . مُفعِل : وأصل الصيغة في الفعل (أفعَلَ) مثل : أرشَدَ . مُرشِد . والأصل في الرباعي هو الثلاثي : رَشدَ . ودخول الألف أعطى دلالةً على كون الرَشد يحدث بقوّةٍ وعن سابق تخطيط وهو الفرق بين (رَشدَ) و(أرشدَ) أو (نَذرَ) و (أنذرَ) ... الخ . فأخذ الألف فتحة الصوت الأوّل وقام هو بتوجيه الحركة مسبقاً قبل الحرف الأوّل وكأنما قال له : اسكن فلا زمان ولا مكان وابق عاملاً في ذاتك لذاتك . فأخذ الحرف الأوّل سكوناً . فلمّا صِيغ من ذلك لفظٌ للصفة جيء بالميم بدلا عن الألف للدلالة على إمكانية الموصوف من إتمام الحركة وكونها صفة فيه ثمّ أعطت للعين علامة من (الياء) هي الكسرة للدلالة على أن تلك الصفة دائمة في الزمان . (أنقذ . منقذ ، ارشدَ . مُرشِد ، أنعمَ . منعِم ، أحسن . مُحسِن) . وأمّا الضمّة على الميم فهي الواو الصغرى وهي علامةٌ على أن الحركة لا تكون إلاّ ولها موضوع خارجي لذلك لا يصاغ هذا الاشتقاق ما لم يوجد طرف آخر يقع عليه الفعل .

٦ . مُفعِّل : وهذه الصيغة هي صفه من حركة الفعل (فَعَّل) . فنفسر أولاً الماضي (فعَّل) مثل : حطَّم ، دمَّر . فهو يتألّف كما ذكرنا في المشدّد من توقّفٍ وسكونٍ مفاجئ بعد وسط الحركة وابتداء حركة الحرف الثالث بهمزه منشطة . فالهمزة جلبت معها قوّة جزئية من الألف أتمّت بها عمل

التسلسل بعد توقّفٍ مفاجئ . والفرق بين (حَطمَ ـ حَطْما) و(حطَّم ـ تحطيماً) هو كالفرق بين أسماء هما . فالأول بحركة عامةٍ مستمرةٍ والثاني حدث فيه توقّفٌ ثمّ عودةٌ بقوىً مضاعفةً . فإذا قلت : (حطَمتُ الجرّة) فعملك قد يكون غيرَ مقصود وقد حدث بشكل عادي فهو عملٌ انسيابيٌّ طبيعيٌّ ، وإذا قلت : (حطَّمت الجرّة) فإنّ العمل هذا كان مقصوداً واستعملت معه جميع القوى الممكن استعمالها .

فصيغة الصفة أخذت الميم لإفادة إتمام العمل وكونه صفة للفاعل مع كسر العين بالياء لإظهار ديمومة الصفة مثل : مدمِّر ، مصِّور ، مكسِّر ... الخ .

٧ . متفاعل : هذه صيغة (فاعل) الأولى وأضيف لها ابتداءاً ميم وتاء . فالميم أفاد قدرة الموصوف على اتّصافه بهذه الحركة وإمكانية إتمامها والتاء أفاد استجلاب جميع الحركات الممكنة بين يديه لإنجاز الحركة الهدف (راجع التاء) . وهو مثل : متعاون ، متناسق ، متطاول ..الخ ، ولكن لا قدرة له على إتمامها الا بتلك الحركات .

٨ . مُفتَعِل : وهي صفة لفاعل الفعل (إفتعَلَ) . فتمّ إدخال الهمزة على الفعل أولاً وأخذت الهمزة علامتها وفتحت السكون للفاء كما بيّناه . ثمّ أُدخلت التاء بعد الفاء لاستجلاب الحركات الممكنة كي تنجز الحركة الهدف وتكمّلها . وعموم هذه الحركة يفيد مع كسرة الهمزة وجود قوه ذاتية للفاعل في البدء بالحركة ولكنه يعجز عن إتمامها بعد الخطوة الأولى فيحتاج إلى عونٍ خارجيٍّ لاستمراره بإنجازها وهذا ملاحظ على معاني الألفاظ بهذه الصفة مثل : ارتزق ـ مرتزِق ، اشتعل ـ مشتعِل ، انفتح ـ منفتِح ، اعتمد ـ معتمِد ... الخ .

٩ . مُتفعِّل : تلاحظ أن الترتيب هنا انعكس فدخلت التاء قبل فاء الفعل . وهذا يعني أن الموصوف لا يقدر على البدء بالحركة إلا باستجلاب القوى الممكنة لمعاونته على إنجازها . ويبدو أن ذلك لا يحدث إلاّ في الحركات التي غالباً ما تكون فيها مغايرةٌ لطبيعة الأشياء فيظهر عجزه لمجابهته الناموس مثل (متحكّم ، متسلّط ، متعدّي ، متقلّب ، متطوّر ، متغيّر ، متعجّب ، متمرّض ...الخ) . وأمّا بقية العلامات فنفسرها كما مرّ سابقاً .

السائل : فكيف يزعمون أن اللغة العربية تخلو من المقاطع الخاصة واللواحق التي تغيّر معاني الألفاظ وأنها بسبب ذلك لغةٌ فقيرةٌ ؟ .

المؤلف : ربما ذلك بسبب جهلهم وجهل أهل العربية لأسرارها وربما يكون حسداً من عند أنفسهم ، فالتغيرات الهائلة أو الاحتمالات المتنوعة للعلامات ودخول الأحرف الخاصة بالافتعال والطلب والتراجع والتقليل والتكثير والشدّة ومظاهر الألف وتقلباته يعطي للمفردة العربية أكبر قدرٍ من المرونة

والتعدّد ، والأهمّ من كلّ ذلك أنّه يخلو من كلّ اعتباط ومجازفة ، وإنّما يأتي مطابقاً لتصميم آلة النطق ومعاني الأصوات والحركة الجوهرية لها وللألف ومظاهره وهو أمر لا يمكن لأيّة لغة أخرى أن تمتلك جزءاً منه فضلاً عن مقارنتها باللغةالعربية .

السائل : **فأيّهما أشد وأكثر قوّة في الوصف صيغة (مُفتعِل) أم صيغة (متفعّل) ؟ .**

المؤلف : **إنّما يرجع تحديد ذلك إلى نوع الحركة وغايات المتكلم فما هو أبلغ في حالةٍ معينةٍ يكون غير بليغ في حالةٍ أخرى مثل (معتمِد ومتعمّد) ، ومثل (معتدي ومتعدّي) . فإذا كانت الحركة لغايات سيئةٍ وأهدافٍ لا أخلاقية فإنّ البادئ بها قبل الاستعانة بالقوى الأخرى أبلغ في وصف تلك الصفة فالمعتدي أجرم من المتعدّي لتقدّم التاء على العين في الثاني وتأخره عن العين في الأوّل .**
بينما في الحركة الأخلاقية التي تستلزم المشاركة لا الانفراد يكون الآخر هو الأبلغ في الوصف فالمتقرّب لقومٍ أكثر خُلُقاً وأقل جرأة من (المقترب) . وبصفةٍ عامةٍ فإنّ ذلك يرجع إلى موضوع الكلام . فكلّ لفظ هو الأبلغ في محله المخصص له ، وإنّما البلاغة في الحل القصدي أن تبلغ باللفظ المعنى الذي تريد فليس ثمة من لفظ أحسن من لفظ وهو مجرّدٌ عن الاستعمال ، وواجب البلاغة إظهار الاستعمال الدقيق والمعنى الصحيح للفظ وليس وضع قوالب جاهزة للتراكيب .
فانظر إلى استعمال التنزيل لفظ (المعتدين) لوصف المجرمين . بينما استعمل لفظ (المتعدّي) لوصف المتجاوزين على الحدود من المجموعة المشرَّع لها ، وهي وإن كانت تشارك الأولى في المصير وطريق التهديد إلاّ أن لفظ (المعتدي) هو صفةٌ خارجيةٌ ولفظ (المتعدّي) هو صفةٌ متقطّعةٌ في الزمان تمارسها مجموعةُ الداخلين في الدّين وهم له عدو ، حيث يتوجب عليهم استجلاب التأييد الجمعي من المؤمنين بأيّة صورة . فالمجموعتان في الأصل هما مجموعةٌ واحدةٌ وإنّما اختلف استعمال اللفظ لحركة كلّ منهما لاختلاف أسلوبيهما في تلك الحركة الواحدة وقد ظهر هذا الاختلاف في موضع التاء من اللفظ المستعمل .

١٠ . مُنفَعِل : **إن دخول النون بعد الميم يفيد في إنشاء الحركة الجديدة من حركة الميم والمجموع (م ـ ،) مع حركة الضم يفيد قوّةً ناشئةً تطلبُ حصولَ الفعل .**
فهذه الحركة الكلية صفة تفيد أن الموصوف بها ابتدأ بحركةٍ معينةٍ ولم يزل عليها وهو في طريقه لإتمامها مثل : مُنكَسِر ، مُنجَبِر ، مُنعَطِف ، مُنفَتِح ، ...الخ . فتلك الصفات اشتركت في كونها تمتلك حركة ناشئة بالنون ومستمرة في اكتمالها بالميم . أمّا بقية العلامات فكما مرّ سابقاً .

١١ . فاعول : **وهي صيغةٌ عجيبةٌ تجمع ما بين صيغة (فاعل) وصيغة (فعول) لتؤكّد مسألتين هما : تجسيد الحركة في الفاعل زماناً ومكاناً وتطابق الفاعل مع حركته بالواو بحيث**

أصبحت الحركة جزءاً من سلوكه المعتاد مثل : ناموس ، قاموس ، هارون ، خابور ، كافور ، عاموس ...الخ .

١٢ . فَعَلوت : وهي صيغةٌ أعجب من الصيغة السابقة حيث بقي (فعل) كما هو وبقيت حركاته (علاماته) ، وهي تدلّ على القيام بالفعل بصورةٍ عاديةٍ في البدء كما لو كان الفعل قد مضى (فَعَلَ) . لكنه لاحق فعله بالواو ليحقّقه وجوداً متجسداً أو متمثلاً في المكان وأردف ذلك بالتاء لاستجلاب القوى الممكنة للإحاطة به وحمايته والطواف حوله فما أجملها من صيغةٍ وما ألطفها من حركة .
وهذه تصحّ أن تكون اسماً أو صفةً لما وقع فيه الفعل لكني قدمتها على الصفة الأخيرة لصفات الفاعل لسببٍ معينٍ . ومثال ذلك : رَحموت ، ملكوت ، جبروت ، ... الخ

١٣ . فاعوت : وهي صيغة أعجب من كلّ ما مرّ فهي تجمع بين (فاعول) و (فعلوت) مع إلغاء لام (فعل) . ومعنى ذلك أن الموصوف بدأ الحركة كفاعل وعند (العين) لم يتمّ عمله ويلاحمه باللام بل توجّه فوراً إلى الواو ليجسِّد حركةً ثمّ طلب الإحاطة بها واستجلاب القوى الممكنة لحمايتها بالتاء رغم نقصها ، فالموصوف بها ما هو إلاّ رجلٌ مغرورٌ ومتكبّرٌ عجول . ولم يرد في اللغة شيء من ذلك إلاّ في القران وهو صيغة : (طاغوت) .

وقد وجدنا تطابقاً بين هذا التحليل وبين نتائج سابقة للنظام القرآني كان من جملتها :

(أن الطاغوت هو أعلى مرتبة من مراتب الكفر ويمثّل القيادة الخاصة لهذه المجموعة) .

السائل : لكنّ هذا التحليل رغم جماله وإعجابي به مخالف للتفعيلة فإنّ وزن (طاغ) هو فاعل وليس (فاع) بزوال اللام .

المؤلف : نعم .. إني أعلم ذلك وأقصده . فإنّ التقابل بين حروف (فعل) و (طغى) يستلزم أن يكون وزن (طاغي) هو (فاعي) ، لأن الألف ومظاهره يقصف مكونات وعناصر اللفظ ويدخل فيها وعندما زال ألف (طغى) فيتوجب إزالة لام (فعل) وذلك لأني أقول أن كلّ حركة عامة تتألف من ثلاثة أصوات فهي عبارة عن (فعل) ما ، والحرف الثالث في الحركة كما رأيت في التسلسلات يعمل عمل لام (فعل) في موضع التلاحم بين الصور الثلاثة للأصوات ، فهو الذي يوحّدها ويجمعها فكلّ صوتٍ يأتي في آخر اللفظ يعمل حركته الخاصة بأسلوب اللام .

وعلى ذلك فإنّ (تفعيلة) القوم كانت صحيحةً في جزءٍ وخاطئةً في جزءٍ آخرٍ لأنّها لم تتناغم مع عدد الأصوات وتغيّراتها دوماً عندما تحدث التقلّبات في أحرف العلّة وعند تحوّل مظاهر الألف بعضها إلى بعض . فإنْ كنتُ أريدُ الإقرار بوزن الألفاظ عن طريق اللفظ (فعل) فإنّي لا استعملها إلاّ بهذه الطريقة بحيث لا يمكن أن يحدث فيها ذلك الخلل الشنيع في إهمال التغيّرات لمظاهر الألف

والذي هو السبب في عدم قدرتهم على ضبط أوزان الألفاظ وتداخلها بحيث أن الشاذَّ منها دوماً أكثر عدداً من المطابق للقواعد الموضوعة بشكلها الاعتباطي .

فانظر بنفسك إلى قيمة هذا الميزان إذا كان التغيّر في كفةٍ منه لا يقابله تغيّر مماثل في الكفة الأخرى ، وانظر إلى قيمة الوزن حينما تقول : (طغى) يساوي (فعل) وطاغي يساوي (فاعل) ؟

فإنّ كلّ إنسان يمكنه أن يعمل ميزاناً مثل هذا الميزان الذي تتطاير من كفّتيه الأشياء ومن تُوضع بخفةٍ عجيبة لا يتقنها إلاّ المطففون .. فلا يدري المشتري وزن بضاعته بالضبط !! .

السائل : **هل هناك اختلافٌ بين هذه الطريقة والطريقة القديمة في جميع الألفاظ أم أنّه اختلاف في بعضها فقط ؟ ثمّ أليس (الطاغي) هو اسم فاعل فيقابله في الوزن (فاعل) ؟ .**

المؤلّف : **بل في بعض الاشتقاقات يظهر الاختلاف وفي البعض الآخر يكون متطابقاً وما نقوم نحن به هو بمثابة تصحيح للأوزان . أمّا وزن (طاغي) فهو (فاعل) طبعاً على المعنى فاللام لا ينقلب ولكن الألف ينقلب فلا بدّ أن يضبط على الميزان .**

السائل : **اذكر لي بعض الأمثلة من النوعين .**

المؤلّف : **ساذكر لك أمثلة من النوعين في الجدول أدناه والذي يبيّن التسلسل الأصلي الثلاثي وما يقابله أي (ف . ع . ل) بأحرفٍ كبيرةٍ وندخل عليها مظاهر الألف أو الميم أو النون أو التاء أو السين لتلاحظ الوزن في الاعتباطية وما يقابله في القصدية لتدرك الخلل في ميزان الاعتباط وستكون اللواحق بأحرف صغيرةٍ في الأعلى :**

اللفظ	**اللفظ المفكّك**	**الوزن**
		الاعتباطي
	الوزن القصدي	
١ . غُرف	**غ . ر . ف** **ف . ع . ل** **فُعل**	**فُعـــــــــــل**
٢ . أعناق	أ آ **. ع . ، . . ق** أ آ	

. ف . ع . . ل أفعال

أفعال

هـ

٣ . صِببيه ص . ب . ي .

هـ

ف . ع . ل . فِعلــــــــــــــــه

فِعيه

م آ

٤ . مساجد . س . . ج . د

م آ

. ف . . ع . ل فعالـــــــــــــــل

مفاعل

أ آ

٥ . أفاضل . ف . . ض . ل

أ آ

. ف . . ع . ل فعالل

أفاعل

ي آ

٦ . صيارف ص . . . ر . ف

ي آ

ف . . . ع . ل فعالـل

فياعل

فهذه ستة ألفاظ فيها اثنان متطابقة مع الوزن ويقرّها المنهج القصدي وأربعة مخالفه للوزن ويظهر مقابلها الوزن القصدي .

السائل : **يبدو أنّهم فعلوا ذلك لأنهم لا يريدون إدخال أحرف غريبة على أصوات الوزن (فعل) فتُكرَّر نفس الأصوات لضبط الأوزان ؟! .**

المؤلف : **هذا غير صحيح ففي مثل (أحدوثة) قالوا وزنها (أفعولة) فتمّ إدخال (ألف) و(واو) و(هاء) ، وفي النماذج أعلاه تمَّ إدخال (هاء) و(ألف) وهم يدخلون الياء والثاء والسين . إنّما الموضوع في اعتباطية الوزن وبخس المكيال لا غير ! .**

السائل : **وربما أخذتَ ذلك من مصدرٍ ما بيدك فيكون خاطئاً في نفسه لأني لم اطَّلع على ذلك بصورةٍ مفصلةٍ .**

المؤلف : **بل تعمّدت أخذ هذه النماذج من مناهجٍ جامعيةٍ لتدريس اللغة العربية تحسّباً من أيّة محاولةٍ للدفاع عن الاعتباطية باتهامنا بمثل ذلك .**

السائل : **وهل لذلك علاقة بتفعيلات العروض وبحور الشعر ؟**

المؤلف : **كلاّ .. فإنّ تفعيلات العروض نظامٌ آخرٌ لا علاقة له بأوزان الألفاظ وهو نظام يعتمد على ترتيب الحرف الساكن والحرف المتحرك واحتمالاتها وقد افترض فيه الواضع فروضاً ثابتةً لكلّ احتمالِ تفعيلةٍ ملائمةٍ وأحصى الصيغ المحتملة وطابقها مع المأثور من الشعر فهي نظام صحيح في بابه . فلنكمّل تحليلنا لباقي الصيغ :**

١٤ . مفعول : دخول الميم هو إشارةٌ إلى تكامل الحركة . لأن المفعول إنّما وقع عليه الفعل والتصوّر الذهني عن الزمان على أنّه زمان مضى فلذلك يدخل الميم أولاً . وقد ذكرنا أن الميم أفاد الإشعار بوجود الحركة في (موضعٍ) ما لهذا السبب . الواو بعد وسط الحركة يدلّ على تجسّد الحركة في المكان . فهذه اللواحق جعلت الحركة ظاهرةً في كونها قد فُعلت وأنها منفعلة إذ الحركة كلّها متّجهة نحو المكان بسكونٍ وضمةٍ وواوٍ ويلحق بعضها بعضاً .

ولو كان الواو يأتي بعد ثلاثة حروف لكان أفاد تموضع الحركة بعد تمامها . وهذا يعني أنّها خارجةٌ عن الموضع بكاملها قبل ذلك فيشير ذلك إلى أعضاء الحركة الفاعلين . وهكذا فإنّ دخول أحد مظاهر الألف في تكوين التسلسل لا يُفهم إلاّ من خلال ملاحظة موضع الدخول وترتيبه في التسلسل . والمسألة تُفهم أكثر من خلال الحركة الفعلية لكلّ تسلسل على حدةٍ . مثل الألفاظ : مضروب ، معلوم ، متروك ...الخ .

١٥ . فعيل : لاحظنا هذه الشخصية في الأسماء مثل : حليم ، حكيم ، .. الخ ، ولكننا نلاحظ أيضاً أن هذه الصيغة مستعملة هي نفسها في وصف من وقع عليه الفعل وليس من وقع منه الفعل فقط . ويعتبر هذا الأمر غريباً ، فإنّ منهجنا لا يؤمن بالاعتباطية ولا يؤمن بوجود الشواذ . ومن أمثلة هذا الاستعمال : قتيل ـ حيث وقع عليه القتل بخلاف الحليم الذي وقع منه الحلم ؟ . فكيف يمكن تفسير هذا السلوك ؟ .

نلاحظ أولاً أن الصيغ مثل كريم ، حليم ، سليم ... الخ كان الفاعل فيها هو نفس الموصوف وهي أفعال لازمةٌ غير متعدّية ، فحينما ظهرت الحركة من الفاعل لم تنقطع عنه وإنّما كانت ملازمةً له . فالحركة ذاتيةٌ داخليةٌ فيها فلا يكون الحليم حليماً في وقت دون وقت آخر . فالياء منح الحركة صفة الديمومة والاستمرار .

وحينما تكون الحركة خارجه من الفاعل ومستمرّة على المفعول فهناك تصوّران : الأوّل أن تنفصل الحركة عن المفعول وتظل ملازمة للفاعل مثل : (سمعَ فلاناً) ، فإنّ السماع وقع على فلان بالصيغة فقط ولكنه بقي ملازماً للفاعل . فالسميع هو الفاعل لا المفعول وذلك حينما يتّصف السامع بالسماع دوماً . والتصوّر الآخر أن يحدث العكس فتنتقل الحركة إلى المفعول ويفرغ الفاعل من الفعل ، فالحركة تظل ملازمةٌ للمفعول مثل : (جَرحَ) فالجارح فرغَ من العمل بينما ظل المجروح يلازمه الفعل ، فإذا كان الجرح بليغاً واستدام مدّة طويلة سميَّ الواقع عليه الفعل بصيغة (فعيل) حيث يفيد الياء استمرار وجود الأثر الذي عليه من الفعل فيقال : (جريح) ، ومن هنا لا يحدث الالتباس .

فكذلك القتل .. فإذ يفرغ القاتل من الفعل وتظل الحركة ملازمة للمفعول فسيقال (مقتول) ، وإذا كانت الغاية هي للتعبير عن وقائع معينة في ضرفها فيقال : (.. فدخلنا المكان فإذا الرجل مقتول) ولا يقال (قتيل) .

ولكن إذا كان المتكلّم يريد الإشارة إلى مرور زمن طويل فيقول : (.. فإذا نحن برجل قتيل) ـ أي مقتولاً قبل دخولنا بمدةٍ طويلة .

فإذا قال العبارة الأولى فإنّه لا يأتي بعد ذلك بصيغة (مقتول) بل يسمّيه قتيلاً لأنّه قد أشار إليه بتلك الصفة في الواقعة فيقول : (فدخلنا المكان فإذا نحن برجل مقتول ، فدعوت أصحابي وحملت القتيل لأدفنه ..) . فغيّر التسمية من (مقتول) إلى (قتيل) لأن الصفة الجديدة ملازمة بالزمن وهي الملائمة لحمله ودفنه . فالقتيل وصف زماني والمقتول وصف مكاني .

وإذن فالذي يحدّد الصيغ المختلفة في هذا وغيره وفي جميع الاشتقاقات هو مظاهر الألف ومواضع دخولها على الألفاظ بقوانين تتحكم بها الحركة العامة للتعاقب وطبيعة هذه الحركة واتجاهها وزمنها وهل هي منقطعة أم متصلة ؟ خارجة أم داخلة ذاتية أم غير ذاتية !

وهذا الأمر لا يرتبط بالقواعد النحوية الحالية ولا يخضع لها ، بل هو من ينبغي أن توضع بناءاً عليه قواعدٌ جديدةٌ . ففي قولك : (سمعت فلاناً) ، صحيحٌ أن (فلاناً) هو مفعولٌ به على قواعد النحو ولكن الحركة هي بعكس قولك (أعطيت فلاناً) . فإنّ (فلاناً) الأوّل كان يتكلّم وأنت تسمع والحركة وقعت عليك منه ، أما أنت فقد وقعت حركة السماع فيك وجاءك الكلام من خارجك .

١٦ . مُفعَّل : أرجو هنا الانتباه مرّةً أخرى فإني سأوضّح الفرق بين حالتين لهذه الصيغة المشدّدة فقد قلنا أن صيغة (مفعَّل) مثل (محطَّم) هي صفةٌ لفاعل التحطيم وفسّرنا التشديد والميم ونوهنا إلى عمل الكسرة باعتبارها جزءاً من الياء الزماني . فلماذا يتحوّل المعنى في (محطَّم) ليشير إلى من وقع عليه الفعل حينما نبدّل الكسرة بالفتحة ؟

الجواب : كنّا قد ذكرنا أن الكسرة هي جزء من الياء فهي تشير إلى الزمان في وسط التسلسل وبذلك يُهمل المكان إهمالاً تاماً .

ما معنى ذلك ؟ .. معناه أنّه ليس للحركة وجودٌ مكانيٌّ تتموضع فيه ، وإذن فهي حركة فاعل لا من وقع عليه الفعل . فهذا الفاعل يحمل في ذاته صفة التحطيم الشديد وهذه الصفة متكاملة ومتموضعة فيه بالميم الذي استقبل الحركة كلّها ابتداءاً ، وأمّا وسط الحركة فليس له موضع فهي لم تخرج بعد من الفاعل .

وحينما تجعل وسط الحركة مفتوحاً والفتحة هي (سدادة الفراغ بين الزمان والمكان) كما مرّ في الرسم وهي الضلع الثالث المقابل لنقطةٍ من نقاط الألف تتمركز فيها الهمزة ، فهذا الضلع يشير إلى الزمان والمكان في كينونةٍ واحدةٍ .

إذن فالحركة موجودةٌ في موضوع ولهذا الموضوع مكانٌ وزمانٌ محدّدان .

وبالطبع فهذا يعني أن هناك (جسماً) معيناً وقع فيه التحطيم ويكون اللفظ هو صفة لهذا الجسم (محطَّم) .

تفسير الأبواب الستة

السائل : لقد أعجبني جداً هذا التحليل وقد بدأت أفهم بصورةٍ أعمق معاني هذا الرسم العجيب فأخبرني عن الأبواب الستة لماذا تغيّرت فيها العلامة من الماضي إلى المضارع في وسط حركة التسلسل مثل :

نصَرَ ـ ينصُرُ ، فتحَ ـ يفتَح ، علِمَ ـ يعلَمُ ، وذلك في تناوبٍ غريبٍ من نوعه ؟

المؤلّف : قبل الإجابة عن التحوّل في علامات المضارع نلاحظ الماضي وصوره المحتملة فلدينا مكان

وزمان أو مكان وحده أو زمان وحده .
فقد اخذ الماضي الصور الثلاث ولم يأخذ الحرف الوسطي سكوناً لأن ذلك يؤدي إلى هدم الحركة وانقسامها بينما هي ماضيةٌ في زمنها ، والتعاقب يريد وصف حصول حركة معينة فلا يمكن أن تتوقف الحركة في وسطها .
والاحتمالات الثلاثة هي :
١ . فَعَلَ : حيث استقبل الزمان والمكان (الوجود) أول الحركة في فتحة الفاء . ثمّ استقبله ثانيةً بفتحة العين . وهذا يعني أن الحركة في الزمان والمكان سويةً ، ومثال ذلك : (فَتَحَ) . فالحركة في هذا التسلسل كانت ممكنة في الوجود الذي يحمل صفتي الزمان والمكان . وهي مثل : ضَربَ ، نصَرَ .. الخ .
٢ . فَعُلَ : فتحة الفاء هي كما رأيت ، أما ضمة العين فهي جزء من الواو ، فهذه الحركة قد تمّت إذن في وجودٍ مكانيٍّ محدّدٍ ، بمعنى أن الحركة محمولة في فاعلها مثل : شَرُفَ ، كرُمَ ... الخ .
ولذلك فكلُّ ترتيب للعلامات من هذا النوع يكون الفعل فيه لازماً غير متعدٍّ ، إذ كيف تخرج الحركة إلى الخارج وموضوعها وحاملها هو الفاعل نفسه ؟ .
والسبب في إهمال الزمان هو لكون الحركة زمانية في ذاتها فليس معنى إهمال الزمان هو وجود حركة في مكان من غير زمان أو العكس عند إهمال الآخر في العلامات . كيف والحرف الأوّل يستقبل الحركة كلّها بالزمان والمكان ؟
لكنك تعلم أن مثل (كرُم وشرُف) متعلّقٌ أصلاً بالزمان لكونه مفتوحٌ فلم يشرُفْ في لحظةٍ ويكون منسياً في لحظةٍ أخرى ولم يكن كريماً في وقت دون آخر .
٣ . فَعِلَ : مثل (عَمِلَ) فهنا حصل العكس حيث تمَّ إهمال المكان لأن من عمل عملاً فقد حدّد موضوعه ومكانه فتمّ ترك المعلوم والإشارة إلى الزمان بالكسرة وهي إشارة تريد إعطاء الدلالة على وجود العمل مدةً طويلةً باقيةً ما بقي موضوعه المكاني المعلوم .
وعلى ذلك فإنّ الصور الثلاثة لعلامة الحرف الثاني يحدّدها التسلسل . فتعاقب الأصوات يحدّد نوع الحركة وأهدافها واتّجاهها وبذلك يأخذ العلامات الملائمة للحركة .
السائل : فاخبرني الآن عن التغيّرات في المضارع فقد شوّقتني لمعرفة سببها .
المؤلف : نلاحظ أولاً كيف حصلت التغيّرات :
فالفتحة تحوّلت إلى كسرةٍ في مثل : ضَربَ . يضرِبُ
والفتحة تحوّلت إلى ضمةٍ في مثل : نصَرَ . ينصُر
والفتحة بقيت فتحةً في مثل : فتحَ . يفتَح

فهذه هي احتمالات الفتحة التي وجدوها في اللغة .
والضمة بقيت ضمةً في مثل : شرُفَ ـ يشرُف
والكسرة تحوّلت إلى فتحةٍ في مثل : علِمَ ـ يعلَم وعملَ ـ يعمَل
والكسرة بقيت كسرةً في مثل : حسِبَ ـ يحسِب
فهذه هي الأبواب الستة .

وأول شيء نلاحظه مؤيّداً للتفسير السابق هو أن الضمة هي الوحيدة التي لم يطرأ عليها تغيير في المضارع ! . لماذا ؟ .. لأننا قلنا أن ظهور الحركة في حاملها وعدم إمكانية خروجها منه قد حتَّم أن لا يحدث أي تغيير عند التحوّل إلى صيغة المضارع . فالعلامات المتغيّرة كما تلاحظ الآن سببها هو تغير زمان وقوع الحدث ، فالمضارع جعل الحدث شاخصاً ولذلك أخذت الفتحة جميع الاحتمالات الممكنة باعتبارها تنطوي على الزمان والمكان جميعاً .

فلتلاحظ التغيرات :

يضِربُ : فحركة الضرب واقعةٌ على مضروبٍ معلومٍ مكاناً ويتوجّب الإشارة إلى الزمان إذن في المضارع.

ينصُر : حركة النصر مفهومةٌ في وقوعها على منصورٍ وهي غير منقطعة أو متقطّعة كالضرب فاستمرارها معلومٌ وإذن يتوجب لفت النظر إلى المكان في المضارع الشاخص عياناً .

يفتَح : حركة الفتح قد تستمر وقد تنقطع ، وموضوع الفتح متغيّر هو الآخر من فتح الأقفال المجسّمة إلى فتح الرحمة أو باب من أبواب العذاب فيتوجب الإشارة إلى الزمان والمكان في آنٍ واحدٍ .

يشرُف : الحركة واضحة الزمان في الماضي والحاضر وهو زمانٌ مستمرٌ داخل الحركة كما ذكرنا فيتوجّب ذكر المكان في الماضي والمضارع على السواء .

يَعمَلُ : حركة العمل واضحة وشاخصة في المضارع من حيث المكان والزمان فلا تخصيص لأحدهما بل الإتيان بهما جميعاً هو المتعيّن .

يَحسِبُ : صحيح أن (حسِب) بنفس علامات (عمِل) في الماضي ولكن في المضارع اختلف الأمر . فإنّ فلاناً يحسِب فلاناً الآخر شجاعاً ـ أو يحسِب الأرض مسطّحةً ، فالموضوع معلومٌ لكنني لا أدري عن الزمان شيئاً ، والمخبر يؤكّد لي أنّه يحسِب ويكسر الحرف الثاني عامداً ليؤكِّد لي من خلال الحركة الداخلية لا من المضارع وحده أن فلاناً لم يزل في الزمان يحسِب الأرض مسطحة .

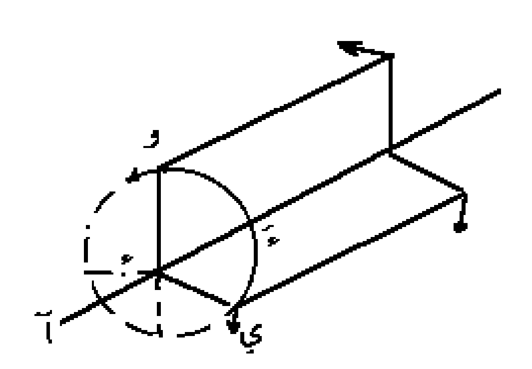
فهذه هي الأبواب الستة وقد حاولت أن اشرح الأمر بصورٍ شتّى وطرائق مختلفة كي أوصل لك ما أتصوّره بطريقةٍ واضحةٍ من حركات قصّديةٍ في العلامات أعجز أحياناً عن التعبير عنها بصورةٍ

مرضيةٍ لنفسي .

وخلاصة القول أن كلّ تسلسل معينٍ هو كيانٌ خاصٌ بذاته وهو حركةٌ مستقلةٌ لها قواعدها الخاصّة بها ، وهذه الحركة هي مثل كائنٍ فردٍ حيٍّ ، بل هي أكثر تميّزاً عن غيرها من الحركات من بقية الكائنات التي تتشابه أحياناً إلى درجةٍ يعسر معها التمييز بين أشكالها في النبات والحيوان والكواكب والنجوم . أما التسلسل فهو (مُعلِّمٌ) بأصواته المرتبة والتي لا تشبه مطلقاً أيّ تسلسلٍ آخرٍ لاختلاف الترتيب .

السائل : **أود الآن أن توضّح أشياء أخرى من الرسم . وأسال أولاً لماذا هذا الشكل المثلّث فإني فهمت أن (امتداد الزمان والمكان منبثقين من الألف) هو موضوع يربط بين الأصوات والوجود فالشكل الدائري أولى من هذا الشكل . حيث يكون المجسّم منه أسطواني الصورة .**

المؤلف : **أنّه شكل دائري بالفعل والمجسم أسطوانيٌّ فإنّ امتداد الزمان والمكان لا يكون في العدم وإنّما هو بالتوسع فيهما وهذا يعني أن التوسع هو حول الألف (المظهر) حيث هو محور الحركة كما يبيّنه الرسم الآتي :**



السائل : **لنفرض أن هذا التكوين يشتمل على الأصوات باعتباره مصدرها فهل هناك إمكانية لإبراز حركة الأصوات داخل هذا التكوين ؟**

المؤلف : **ممكنٌ.. ولكن الرسم سيكون معقّداً للغاية وقد لا يمكن إبراز كلّ صوت إلاّ برسمٍ خاصٍ به ضمن المكوَّن .**

السائل : **يكفيني مثالٌ واحدٌ أو اثنان !! .**

المؤلف : **إن اندفاع أيّة نقطة لتكوين خط هو بالدّال فالدّال موجود في المكوَّن لتشكيل هذه الخطوط . ومن ثمّ يعمل على تحريك السطوح لتشكيل مجسّم . والسطح يتكوّن من عدد كبير من الخطوط فتكرار العمل يتمّ بالراء ثمّ أن تنظيم المتشابهات بالكاف ويقوم اللام بالتلاحم الأمثل بين النقاط والخطوط**

وجعلها قطعة واحدة للسطح ، وهو يقوم بنفس العمل حينما يتوجب تشكيل المجسّم من عددٍ من السطوح أيضاً .

السائل : **وما هو عمل الميم ؟**

المؤلف : **الحقيقة أن الأكثرية يعمل لخدمة الميم ، وهو أيضاً يعمل معهم في إكمال التفاصيل والتأشير على مواضع الخلل التي يتوجّب إملاءها بالتكوينات . والشكل الكلي للمجسّم المتمحور حول مظهر الألف هو في الواقع ميم .**

السائل : **لكنك كتبت على الشكل الكلي في الرسم السابق (الألف الأعظم) وليس الميم ؟.**

المؤلف : **المكوّن المرسوم والمرئي هو (ميم) ، أما الألف الأعظم فامتداد لا متناهي ولا يمكن رسمه فأشرت على الامتداد لا على المكوّن .**

السائل : **ما هي الهمزة الواقفة على محور الألف ؟**

المؤلف : **لا أعلم إلاّ أنّها نقطة من الألف تنطلق إلى أي موضع في المكون لتحفّز الصوت على القيام بعمله إذا حدث أي تلكؤ أو تباطؤ وتعود إلى مواضعها من غير أن يمرّ زمان أو يشعر أحد .**

السائل : **بأيّة قوة تنطلق ؟**

المؤلف : **تنطلق بقوة الباء ! .**

السائل : **لكننا في النطق لا نلاحظ أيّة علاقة بين الباء والهمزة .**

المؤلف : **يمكنك أن تلاحظ الآن فالباء انفجار خارجي عند الشفتين للهواء المحتبس والهمزة أول انفجار داخلي عند الحلق ، وحينما أقول بالباء فأعني بحركة مشابهة تماماً لحركة الباء ولكن بغير تحريك لأي واحدٍ من مراكز الحركة لذلك قلت بلا زمان ولا شعور .**

السائل : **وهل تجد لبقية الحروف عملاً في المكوِّن ؟**

المؤلف : **نعم لكلٍّ منهم عمله الخاص به .**

السائل : **لنرجع للميم فأسال عن الميم يعمل بخدمة مَنْ منهم على وجه الخصوص ؟**

المؤلف : **يبدو أنّه يعمل لخدمة اللام .**

السائل : **أين يمكن أن يكون الوجود الحقيقي أو المشابه لهذا المكوّن ؟**

المؤلف : **في كلّ شيء وفي أصغر شيء وفي أصغر جسيمات الذرة يوجد مثل هذا المكوَّن ، مثلما يوجد في أكبر الأشياء ، لا أعني أنّه موجوداً مجسماً أو عياناً إنّما موجود بحركاته .**

السائل : **فالعين والجيم والضاد مثلاً أين هم في الشكل المذكور ؟**

المؤلف : **حينما تكتمل الحروف الأخرى تجد تفاصيل كثيرة وقد نختمها بتصوّر محدّدٍ لشخصية كلٍّ منهم إذا شاء الله تعالى ذلك .**

انقلاب الحركات في التصريف

السائل : **الطريقة التي سار عليها السلف من علماء اللغة وإلى اليوم هو اعتماد المصدر أصلاً والتغيّرات إنّما تحدث عند تشكيل الأفعال وبقية الاشتقاقات لكنّك تجعل الفعل الماضي هو الأصل .**

المؤلف : **نعم أن الأمر لكذلك . فقد ذكروا في باب تغيير الحركة والانقلاب أن الانقلاب مثلاً هو على ضربين : قلب الواو وقلب الياء . مثل (بيع) حيث يقلب الياء إلى ألف وتسكّن حركتها في الفعل (باعَ) ومثل (قول) حيث تقلب الواو إلى ألف في الفعل (قال) . وهذه قاعدةٌ مضطربةٌ واعتباطيةٌ لأن المضارع لهذين الفعلين هو (يبيع) و(يقول) فيرجع فيه الألف لينقلب مرة أخرى إلى الياء والواو لكلٍ منهما على الترتيب . وفي مثل (خوف : خاف . يخاف) بقي الألف في الماضي والحاضر . وفي مثل (قول) هناك مصدر آخر هو (قيل) أُهمل في التصريف . وفي مثل (ميَّت) و(سيّد) والمصدر (موت) والماضي (مات) والحاضر (يموت) فزعموا أن الأصل سيود ، وميوت . وشذَّ من ذلك (حيا ، يحيا ، حيواة ، وحيوان) فلم يُفسّر .**

وفي مثل (سارَ) الماضي واحد ولكن المعاجم جعلته مرة في (سور) ومرة في (سير) والأكثرية منها جعلته في البابين رغم اتّفاق الأصل والمعنى ومثله كثير .

وفي أسماء الآلات يُكسر أوّلها وفي الاسم الثابت يفتح غالباً وذلك لشذوذ أكثر من سبعة ألفاظ مثل (مُنجل ، مُصعد ، مُكحلة) وهذه كلّها آلات ولكنها جاءت مضمومة الأوّل .

وفي كثيرٍ من التغيرات أجازوا صوراً متعدّدةً مثل (كِلمْة ، وكَلِمة ، كَذِبٌ ، وكَذَبٌ ، ضَحْكٌ ، وضَحِكٌ بكسر وسكون أو فتح وكسر واعتبرت بمعنى واحد) . [النماذج من حل المشكل في النحو / ج٢ / ٣٢٢] .

وأنت تعلم أن تغيراتٍ كثيرةً في حركات اللفظ كانوا ولا زالوا يعلّقون عليها بنفس العبارة وهي قولهم (لفظ كذا بالحركة كذا هو لغة في هذا اللفظ) ، وهم في عين الوقت يقومون بمحاولة وضع الحركات في أنساقٍ وأنماطٍ عامةٍ . فهذا كلّه اعتباط لا يمت إلى علم التصريف بشيء . فإنّ كان للحركة معنىً وللسكون فائدة وللانقلاب خصوصية فليس إذن هناك لفظ يطابق الآخر إذا اختلفت حركة أحد الحروف . لكنك تعلم أنّهم أن بتساوي معاني المفردات نفسها مع بعضها البعض في المرادفات فكيف تنتظر منهم البتّ في الفارق بين ما هو مثل (كذِبٌ) و (كَذَبٌ) ؟ أو (حَبَكٌ) و (حُبُكٌ) ؟ . نعم .. لا حلَّ للتصريف إلاّ بهذا المنهج القصدي الذي يفسّر الصوت والعلامة .

ولكن لو فرضنا أن لا أحدَ يعلم شيئاً عن قصدية الصوت والعلامة أفلا يلاحظ أن الألف ينقلب إلى ياء أو واو في نفس اللفظ فلماذا يورّط المرء نفسه ويجعل الأصل أما الياء أو الواو ولا يجعله الألف ؟ .

فالألف ثابت والتصريف يجعل الواو يحل محله في حالٍ والياء تحل محله في حالٍ آخرٍ ثمّ يعود للظهور في اشتقاقات أخرى أبعد .. فهل الواحد هو الأصل أم الكثرة ؟ وهذا هو أقلّ ما نفترض أنّهم يجب أن يعلموه

ومن جهةٍ أخرى فالميزان يشير إلى الأصل لأنّهم جعلوا الميزان هو لفظ (فعل) ، إذ لا يمكنهم جعل الميزان على المصدر والمصادر شديدة الاختلاف ومتنوعة جداً ، فعلموا أن اللفظ (فعل) هو الثابت وهو الميزان وما يطرأ من تغيّرات يجب أن يطرأ ما يماثلها على الميزان . لكنّ في التطبيق الصرفي كان الميزان هو المصدر ولكلّ مفردةٍ ميزانها الخاص . فماذا تسمي هذا العمل ؟ أليس اعتباطاً محضاً ؟

لكن لماذا أخذنا في القصدية الفعل الماضي ؟ . لأنّنا وجدنا أن الفعل (سار) مضارعه هو الفعل (يسير) فإذا قلت الأصل (سيرٌ) خالفت أصلاً آخر لنفس الفعل هو (سور) وإذا رجعت إلى الماضي وأخذت فعلاً مشابهاً مثل (جال) مضارعه (يجول) وجعلت المصدر منه (جول) ظهر لي أصلٌ آخرٌ أيضاً هو (جولان) وخالفت ما هو مثل (سير) فلا أجد أصلاً اعتمد عليه سوى الماضي الذي تتشابه فيه الصيغتان (سار) و(جال) وغيرها فانطلق من الماضي لتفسير التغيّرات المختلفة .

فلم يكن الرجوع للماضي بما هو ماض ولكن مضيّ الحدث قد شذّب التسلسل من كلّ زياداتٍ ولواحقٍ واكتملت فيه الحركة وكانت ظاهره واضحة فهو أحسن الاحتمالات لاعتماده في كشف الحركة ، وعلاماته أصيلة وحركته عامة جداً بيد أنّه صورة من الصور لا غير .

السائل : يمكن أن تكون غايتهم من ذلك هي جعل الأسماء هي السابقة على كلّ اشتقاق آخر لاعتبارين : الأوّل أنّه في البدء كانت مسميات ولها أسماء والثاني أن الإنسان لم يشتق الأفعال الا بعد أن احتاجها ففي البدء كان يشير إلى الاشياء بأسمائها المجردة .

المؤلف : أما الاعتبار الأوّل فلا علاقة له بطريقة البحث عن الدلالة . لأني إذا افترضت وجود واضعٍ وضع الأسماء عن قصدٍ وعلّمها للإنسان الأوّل فقد أدرك ذلك الإنسان بكل تأكيدٍ معاني الحروف ، وبالتالي فإنّ عدداً قليلا من الأسماء كان كافياً ليقوم من خلاله بالاشتقاق فيما بعد . أما أنا فاجهل تلك الدلالات الآن وقد غابت عني القصدية أفلا يتوجب عليَّ أن أسير سيراً معكوساً لأصل إلى المسميات ؟

لنفرض أن رجلاً استعمل رموزاً خاصةً لرجلٍ آخرٍ ، فجاء بسبعة ألوان ووضعها على حاجيات معيّنة ، فبعضها لزق عليه لوناً واحداً وبعضها لونين وبعضها لزق عليه نفس اللون .. والرجل الآخر يهزّ رأسه مبتسماً عارفاً بما يفعل الأوّل لوجود جفرةٍ ما بينهما .

والآن طلبت منّي أن أكتشف هذه الجفرة فهل تظنّني أجلس قبالة الحاجيات الجامدة وألاحظ الألوان ؟ أم أني سأراقب الرجل صاحب الحاجيات وألاحظ من الألوان التي بين يديه متى يضع الأحمر على حاجةٍ ما وكيف ومن أيّة جهة ؟ .

بالطبع سأراقب حركته خلال فعله واستعماله للألوان .

كذلك أنا لا أعلم لماذا يسمّون (الجبل) جبلاً ؟ وعليّ إذا أردت أن أعلم أن لا أجلس على الجبل وأعود بعد شهر لأبشّر الناس بالعلم الذي كشفته بل علي أن الأحق حرف الجيم أينما ذهب وحيثما استعمل لأرى ماذا يفعل وما هو عمله بالضبط وكذلك الباء واللام فإذا عرفت هؤلاء وكيف يعملون علمت لماذا سمي الجبل جبلاً . وإذا عرفت ذلك فإنّ أحداً لا يصدّقني ما لم أخبره بحركة كلّ حرف في أفعالٍ ظاهرةٍ متنوعةٍ وعندئذ ستظهر حقيقة الأسماء تلقائياً .

أما الأسماء نفسها فما عساني أن أفهم منها ؟ وأنّى لي بمعرفتها وأسماءها تمثل تاريخها الكامل ؟ . وأنا أجهل للآن كيف تكوّن الجبل والبحر والقول والسير وغيرها من الأسماء والمصادر لأنّها أسماء جامدة تمثل حركة تكوّنت عبر ملايين السنين فلا تكشف لي شيئاً من رموزها . فهذا هو الفرق بين اعتماد الأفعال وإعتماد المصادر ، حيث ستمنحني الأفعال طريقةً فذةً لمعرفة الحركة التي تكوّن بها الجبل وانعكاس ذلك لا يؤدي إلى نتيجة .

وأمّا الاعتبار الثاني فلا نتصوّر أن الإنسان قد مرّ عليه زمن طويل وهو يشير إلى الأسماء المجرّدة بغير ما حاجةٍ إلى أفعالٍ وحركاتٍ ، بل تلك الأسماء على الفرض نفسه تحمل حركةً في داخلها مثلما يفعل المصاب بالعيّ إذ يقول محذّرا : (عسكر . شمس . كثيرون) فانهم يفهمون أنّه يقول (جاءكم عسكرٌ كثيرون من جهة الشمس) . فالاعتباطية مختلفة في هذا الأمر ونظرية الوضع لا تجد لها صورةً واضحةً إلا في الفكر الديني حيث (علم الله آدم الأسماء كلّها) ، ولكن هذا شيء مختلف فتلك أسماء مخصوصة لاختبارٍ معينٍ . فقد خوطب آدم (ع) في حينها بصيغٍ أخرى : (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكُلا منها حيث شئتما رغداً ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) وهي جملة طويلة احتوت على أفعال ومصادر وأسماء وحروف وأفعال كينونة وصفات وحال وصيغة أمر مرتين ونهي وضمائر واسم إشارة وعطف وضرف . وهذه هي الصيغ الغالبة في اللغة التي تمثل أكثرية ما يستعمله الإنسان .

وسيأتي حرف (اللام) في تسلسلات أخرى مع بقية الأصوات .

الياء : ديمومة الحركة على ما هي عليه في الزمان

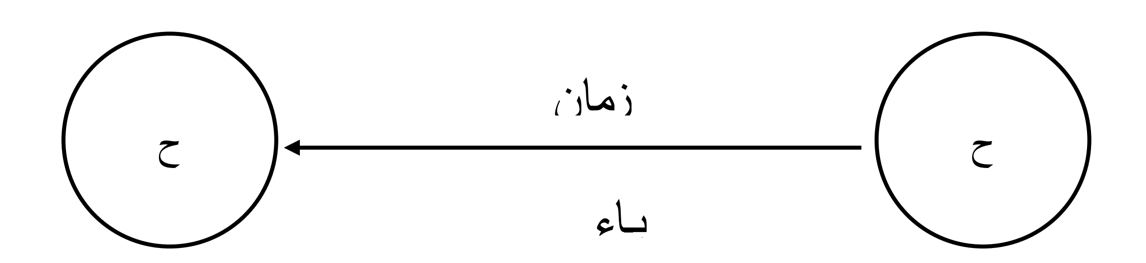
أمثلـة :

١ . اعتقادك بأن صديقك الذي فارقته تجده بنفس السلوك والأخلاق والصورة ، وانه لا يمكن أن يكون بوجهٍ آخرٍ هو اعتقاد بسبب وجود الياء .

٢ .استعمالك لمواد معينةٍ لحفظ أخرى وطرائقٍ معينةٍ للإبقاء على الأشياء كما هي ولا تتأثر بالمؤثرات الخارجية هو محاكاة لما يفعله الياء .

٣ . قانون حفظ المادة والطاقة وقانون استمرار الأجرام على ما هي عليه من الحركة والسكون ما لم يؤثر عليها مؤثر خارجي هو بسبب وجود قوّة الياء .

تطبيقات :



الشكل يمثل حركة الياء

شرح التعريف والامثلة :

الياء قوة جوهريةٌ خفيّةٌ تُبقي الحركة على حالها الأوّل بلا تغييرٍ نوعيٍّ أو كميٍّ أو مكانيٍّ فيها

. وقد يقال أين الحركة التي يفعلها الياء فهو لم يعمل شيئاً فالحركة باقيةٌ على حالها لم تتغير ؟ .

والجواب : إن عدم التغيير هذا خلال الزمان هو حركة الياء ، وإذا صحَّ الاعتراض فيتوجّب توجيه هذا الاعتراض نفسه إلى علماء الفيزياء إذ يطلقون اسم قوّة (الاستمرارية) على مظاهر الأجسام الخاضعة لقانون الاستمرارية لحظة الخضوع . فالياء يمثّل قوة الاستمرارية وقانونها .

وهل يمنع الياء من أحداث التغيير في الحركة التي هي موضوعه ؟ . كلا .. لا يمنع ذلك وإنّما يمنع الحركة نفسها من حدوث التغيير الذاتي فيها بقواها الداخلية .

وقد تسال : هل الياء فناء ؟ والجواب : كلا .. إنّما هو قوّة تجميد الحركة للتذكير بالفناء والتوقّف . فهو قوّةٌ فاعلةٌ وإيجابيةٌ .

وقد تسال : فكيف يكون تعبيراً عن الزمان وهو يوقف الحركة في الزمان ؟

والجواب : أوَ ليس سرّ العالم هو في تناقضه الداخلي العام ؟ أوَ ليس الوجود هو عبارة عن قطبين (وجود وفناء) ؟ أَوَ ليس لكلّ شيء زوجه اللاغي له والمضادّ لوجوده ؟ أوَ ليست الأشياء تظهر بأضدادها ؟ . فلولا الياء لما استمرّ شيءٌ في وجوده ، ولسقطت الأبنية كلّها .

٤ . لو كانت الاشياء تتغيّر من دون عِلّةٍ لما وجد قانون العلّية . فمرجع هذا القانون العلمي والفلسفي هو لقوّة الياء السارية في الموجودات .

استعمالات الياء المفردة

١ . للمضارعة : **لمّا كانت الياء تعبّر عن الاستمرارية والديمومة (أي بقاء الشيء على حالته) فقد وُضعت لاستقبال حركة الأفعال لتشير إلى زمنها الحاضر مثل (يقوم ، يمشي ، يكتب ...الخ) . فدخولها على الحركة يعني استمرارها ، والفعل حركة عامة كما علمت .**

فلماذا إذن خُصِّصَت للغائب دون المخاطب ففي المخاطب تحل التاء محلها مثل (تقوم ، تمشي ، تكتب) أي أنت تفعل ذلك ؟

الجواب : إن الغائب لا يلاحظ منه الفعل بخلاف المخاطب فإنّه موجود والمتكلّم يخاطبه فهو يلاحظ استمرار الفعل في الزمن فالزمان ملاحظٌ أمامه . وأمّا مجيء التاء فقد رأيناه في التاء .

فلماذا إذن استُعمِلَت التاء للغائبة (هي تقوم ، هي تكتب) ؟

نعم .. إنّ في اللغة العربية فلسفةٌ خاصةٌ للمذكّر والمؤنث قد لاحظتَ قسماً منها . فكلُّ

نشوء وتوالد جعلوه للمؤنث ، وكلُّ انفراد وديمومة وعزلة جعلوه للمذكّر . والمسألة تطابق طبيعة كلٍّ منهما من حيث معاني الأصوات . ففي التاء كثرةٌ ومكانيةٌ تخلو من الإشارة إلى الزمان . والمذكّر انفرد لهذا السبب لأن الحرف الأوّل يستقبل الحركة فهو سابقٌ عليها والسبق للمذكر . لكنك ستلاحظ العكس مع الحرف الأخير .

٢ . ياء المتكلم : **مثل (أعطاني ، هذا كتابي ، ..) . وسمُيت في النحو ضمير المتكلم .**

لكنّ الواقع أنّها ليست ضميراً عن المتكلم وإنّما هي لإثبات الملكية واستمرارها . وبما أن المتكلّم هو الذي يتكلّم فالزمان المفتوح يكون له وحده . فلا يمكن أن يمنح المخاطب تمليكاً دائمياً بصيغةٍ يُستعمَل فيها الياء ، فإذا استُعمِل الياء في آخر المفردة فإنّه ينسب الشيء إلى الشيء بنسبةٍ زمانيةٍ . ولذلك نجد وجهين أو أكثر لمفردة (كتابي) مثل :

(هذا الرجل كتابي) . أي من أهل الكتاب .

(هذا الكتاب كتابي) . التعبير يحتَمِل أن الكتاب ملكه أو منسوبٌ لأهل الكتاب أيضاً .

فاعتبروا كلَّ ياء من هذه مستقلّةً عن الأخرى في عملها ، بينما هي تقوم بنفس العمل وهو الإشارة إلى أن الترابط الزمني والديمومة والتفريق يتمّ من خلال الجملة .

والمهم أن هناك (رجل) ارتبط (بالكتاب) ارتباطاً زمنياً مستمراً وآخرٌ ارتبط بـ (مِصرَ) ارتباطاً زمنياً دائمياً فكلٌّ منهما يكون (كتابي) و(مصري) .

والتفرقة بالتشديد لياء النسب ليست موضوعة ، وإنّما هي بسبب وجود لفظٍ واحدٍ يأخذ حركةً إعرابيةً بينما بقي مثل (غلامي) مؤلّفاً من (غلام) و(ياء) فتقول : (فجاءني غلامي فأخبرني ...) ، (فجاءني مِصريٌّ فاخبرني ..) فأنت تعرب (مصري) بخلاف (غلامي) فيظهر التشديد .

لكنّ الألفاظ المجردة عن الأنساق والخالية من أيّة حركة هي واحدة في نطق الياء : (غلامي ، مصري ، أخي ، كتابي ، ... الخ) .

إذن فتفريقهم هذا لا يحمل أيّة قيمةٍ علميةٍ لأنه مأخوذ من الأنساق .

فنحن نفهم ما نتكلّم به خلال الأنساق ولا نحتاج إلى تفريقهم . ونفهم كذلك حينما لا يلتزم المتكلّم بتنوين (مصري) . فالنسق له ضرورات ومن الخطأ ترك (مصري) هكذا غير مسبوق (برجل) أو (إنسان) أو (ألـ التعريف) إذا كان معرّفاً بينما لا يمكن ذلك في جملة (غلامي) .

ولذلك فالإنسان والرجل مرتبط بـ (مصر) زمنياً ، ولمّا كان لا يجوز مثله في جملة (غلامي) فهو مرتبط بالمتكلِّم وحده في هذه الجملة . إذن فالياء في الجملتين تعمل عملاً واحداً فتفيد ربط الرجل بمصر والغلام بالمتكلّم زمانياً فهي بمعنىً واحدٍ .

٣ . ياء النسب : **وهي الياء المذكورة آنفاً في مثل (مصري ، بحري ، نباتي ، ..) فهي تربط الشيء**

المذكور باللفظ الذي دخلت عليه (سمك بحري ، دهن نباتي ، رجل مصري ، ..) فهذا الانتماء هو بسبب الارتباط الدائمي زماناً بين الشيء والشيء الآخر . فالسمك انتمى إلى البحر لارتباطه الدائم به .

٤ . ياء الأمر للمؤنث : **مثل (اقنتي ، اذهبي ، ..)**

والآن يحصل العكس مما حصل في المضارع حيث دخلت الياء أول الحركة للمذكر فجاءت في صيغة الأمر في نهاية الحركة للمؤنث . فأنت تأمر المذكر قائلاً : (إذهب ، إقنت ، ..) مسكّناً الحرف الأخير ، لأن هذا هو عمل المذكّر وواجبه فهو الذي يحرّك السواكن .

أمّا المؤنث فتأمره قائلاً : (اقنتي ، اذهبي ، ..) . ولا يظهر السكون فيندمج بكسرة الياء تخفيفاً للأمر على المؤنث . فالحركة كما لو كانت تحدث تلقائيا وتطلب من المؤنث احتضانها (في نهاية الحركة) والسهر عليها لإبقائها زمناً أطول وهو عملٌ يخصّ الأنثى . فأنت تأمر كلاًّ منهما حسب طبيعته وقدرته وبذلك يحكي السكون والياء جملتين لم تُذكرا .. فللذكر تقول (لا يحرّكها غيرك وليس لها سواك) . وللأنثى تقول (متحرِّكة وكائنةٌ بذاتها فاحتضنيها واسهري عليها لتستمرّ فترة أطول) .

وبعبارة أخرى إنّك تجعل حركة التسلسل بالنسبة للمذكر (فِعلاً) وبالنسبة للأنثى تجعلها (حضانةً) خلال هذا التحوّل من السكون إلى الياء .

٥ . ياء التثنية : **مثل (رجلين)**

الأصل (رجلان) على الرفع وحلت الياء محل الألف في حالة وقوع الفعل عليهما (النصب والجر) . وقد رأينا أن المقطع (آن) في مثل (خسران) أفاد نشوء الخسارة كلّ مرةٍ ، فالخُسر هو لمرّةٍ واحدةٍ وهو اسمٌ لتلك المرّة ، والخسران يحدث إذا تكرّر الخُسر بحيث ينشأ خسرٌ على خسرٍ فيتألف منهما (خسران) .

وقد لاحظنا ارتباطه بالمرّتين أيضاً في قوله تعالى : (خَسِر الدنيا والآخرة إن ذلك هو الخسران المبين) .

وهذا هو المرجع في الصيغة المنتهية بـ (آن) . فالحركة تنشأ مجدداً بالألف ثمّ تتولّد وتنشأ بسببها حركة أخرى .

ولفظ (رجلان) لا يختلف عن ذلك من حيث أنّ وجود أحدهما هو سبب وجود الآخر لأن المتكلم يجمعهما بظرفٍ واحدٍ ، فهو يشير إلى أن تواجد أحدهما أو كلٍّ منهما هو لتواجد الآخر . ولذلك لا يصح أن تقول : (ثمّ جاء رجلان) حينما يكون مجيء كلّ منهما منفصلاً عن الآخر في ظروف المجيء .

ويسلك المقطع (آن) سلوك الاسم أيضاً في قولك (الآن نبدأ العمل) . إذ بالرغم من مفردة (نبدأ) ، فإنّ السامع يدرك جيداً أن هناك تهيئةً ومقدماتٍ للعمل بسبب وجود لفظ (آن) تحديداً لا لسببٍ آخرٍ . فلو قلت : (لنبدأ العمل) لم ينتبه السامع لضرورة المقدمات ويشعر أن العمل قد يكون مفاجئاً . ومعنى (آن) في هذه الجملة هو نفسه أينما وجد (أي هذا ظرف نشوء وابتداء العمل من مقدماته) .

إن الاسم (الآن) يجمع كظرف بين السبب والنتيجة أو العلّة والمعلول أو اللازم والملزوم أو كلّ طرف وظروف ظهور الطرف الآخر . إذن فالتثنية هي من صميم حركة المقطع (آن) . وحينما يكون هذا المزدوج هو فاعل الحركة والقائم بها فإنّ (الألف) مع النون هو الملائم لحالته الفاعلة لأن الألف يتّسم بالفاعلية وهو مصدر الحركات .

ولكن حينما يقع الفعل على هذا المزدوج فإنّ التغيّر يتوجه إلى المقطع (آن) باعتباره مصدر الترابط بين فردي المزدوج ، وذلك حينما يكون هناك استقلالٌ فعليٌّ لهما عن بعضهما في الأصل . وهنا فلسفةٌ لغويةٌ عميقةُ الغور جداً . فالفاعلية مُلكهما ولكن عند وقوع الفعل عليهما فإنّ رد الفعل منهما قد يكون مختلفاً ، فالمتكلّم لا يمكنه أن ينوب عنهما فيعيد لكلٍّ منهما حرّيته وذلك بتحويل الألف إلى ياء بحيث ينفصل الترابط الكلي بينهما بالزمان والمكان ، ويتحول إلى ترابط زماني فقط بالياء ، ويأخذ كلٌّ منهما وجوده المكاني بحيث يقرّر كلٌّ منهما ما شاء إزاء الفعل الواقع عليهما .

بينما لا يحدث هذا في المزدوج المنتهي بمقطع (آن) في مثل (خسران) ، بل يُنصَب المزدوج كلّه أو يُجرُّ كلّه إذا وقع عليه الفعل ، لأنه ليس لكلِّ طرف من الطرفين شخصيةٌ محددةٌ ذات إرادةٍ ، بل شخصيةٌ محدّدةٌ في ظهورها فقط ، وذلك حينما يريد المتكلّم اعتبارهما شيئاً واحداً فيقول : (كان ذلك خسراناً عظيماً) .

ولكن إذا كان لكلّ (خسرٍ) قضيةٌ ووراءها تبعةٌ ، فعند ذلك يُفصل بينهما كما يفعل مع (رجلين) فيقول الشريك لشريكه : (أصابنا في هذه الصفقة خسران ، فأحد الخسرين أتحمَّله أنا والآخر تتحمَّله أنت) .

والغاية من كلّ ذلك كما تعلم هو أن يكون هناك تفسيرٌ موحدٌ للتسلسل أينما وجد كما تقتضيه معاني الأصوات .

٦ . ياء الجمع : مثل (المؤمنين) وذلك في النصب والجر أيضاً . وعلى الرفع (المؤمنون) . فالواو والنون أفادا إنشاء حركةٍ أيضاً ولكن هذه المرّة فإنّ الحركة مرتبطةٌ بالمكان فقط . فالواو والنون ظرف مكانيٌّ للحركة يمكنه أن يجمع أفراداً في الفعل (آمنوا) . وفي الاسم (مؤمنون) فإنّه يلحق به النون بقصديةٍ ذات دلالةٍ هامةٍ جداً . ذلك لأن الاسم هو تجسّد للحركة في الموجودات التي انطوت

عليها . فالمجموعة التي تجسّدت فيها حركةٌ من هذا النوع تجمع بين أفرادها بالواو ، ولكن لغرض جعلها مستقلةً ومتميزةً وثابتةً في وجودها فلا بدّ من إبراز نشوء الحركة منها بعد الاجتماع في الموضع ، فيضاف النون لهذه الغاية (والذي عمله إبراز تلك الحركة الناشئة) .

وعند وقوع الفعل على المجموعة فالأمر كما في (رجلين) حيث يتمّ فصل هذا الترابط المكاني والتعويض عنه بالترابط الشكلي من خلال الزمان أي الياء .

فإذا قلت لماذا يلحق المجرورُ بأحرف الجر والإضافة .. لماذا يلحق هذا المجرورُ المنصوبَ ؟

.

فالجواب : إنّك إذا قلت : (سلَّمتُ على العاملين) فقد أوقعت عليهم فعلاً ، ويبقى لكلِّ واحدٍ حرّيته في الإجابة على السلام . وإذا قلت : (هذا بيت العاملين) فقد أوقعت عليهم تمليكاً من نوعٍ ما ، وكلٌّ منهم حرٌّ في قبول هذا التمليك . والحرية واضحةٌ جداً في الصيغ المختلفة للفاعل والمفعول به وعلاقاتها بمعاني الحروف وتبدّلاتها من خلال التقلّب في مظاهر الألف . وفي الموضوع الفلسفي المستقل قد يمكننا أن نبرهن لك على أن الحرّية هي سرّ الوجود والعالم والغاية من الخلق والهدف من الرسالات فلا عجب إذا كانت مرتبطةً بالتكوينات وبآلة النطق ونظام اللغة . لكنّ الاعتباط الفلسفي كان قد ساعد الاعتباط اللغوي من أجل جعل الحرية موضوعاً يحتاج إلى برهانٍ ، وهذا هو ديدن الاعتباط على جميع مستويات الفكر ، فهو لا يفتأ يجعل الأشياء التي هي من صميم الوجود وجزءٌ من تكوينه أشياءاً مشكوكاً فيها ، في وقتٍ يقوم فيه بتأسيس مبادئ مختلفة على أوهامٍ يختلقها ويعتبرها حقائقاً مفروغاً من صحّتها ، مثلما فرغ هؤلاء من اعتبار اللغة جزافيةً في وحداتها اللفظية وما سبقها من وحداتٍ صوتيةٍ ، بل واعتبارها جزافيةً في إطلاق الألفاظ على مسمياتها ، وكذلك اعتبارها جزافيةً في الكثير من أنساقها أيضاً . وهو أمر نؤكّد في الحل الفلسفي (راجع كتاب الحل الفلسفي بين محاولات الإنسان ومكائد الشيطان للمؤلف) أنّه الوحيد الذي لم يحدث بصورةٍ اعتباطيةٍ ، بل هو صورة من صور الاستبداد الفكري والطغيان النظري الذي يوزّع مهامه بطريقةٍ متساويةٍ بين الفلسفة والدين واللغة والسياسة . وقد كاد أن يبتلع العلم التجريبي أيضاً لولا حبّ المال والسيطرة الذي هو غاية من غايات الاستبدادية التي وجدت في العلم التجريبي تحقيقاً للأرباح وتحقيقاً للسيطرة على الظواهر الطبيعية أو معالجتها ، فسلك العلم التجريبي طريق القصدية رغم انف التيار الاعتباطي والذي بقي يحاول تفسير بعض الظواهر التي توقف عندها العلم التجريبي بطريق الاعتباط حيثما وجد لذلك سبيلاً .

٧ . ياء المخاطبة في المضارع : **مثل (تقنتين ، تذهبين ، ..) .**

في الغائب كانت الصيغ هي (يقنت للمذكر ، وتقنت للمؤنث) .

وفي المخاطب : (تقنت للمذكر وتقنتين للمؤنث) .

فأنت تلاحظ التبادل : المذكر هو الذي انفرد بياء المضارعة قبل بدء الحركة وقد فسّرنا صيغة السكون والياء في الأمر في مثل (اقنت ، اقنتي) .

وفي المضارع وهو زمنُ حضورٍ بين المتكلِّم والمخاطَب تلطّف المتكلّم بالأنثى فأضاف إلى الياء نوناً لإفادة أنّها (أي الأنثى) تحرّك الحركة وهي مستمرةٌ في ذلك بالياء ، بل وقادرةٌ على إنشاء حركة أخرى منها بالنون .

في حين اكتفى بضمّ (تقنُت) مع المذكر . فهذه الواو أعطت البعد المكاني لتحقّق الحدث ، أي إنك تفعل ذلك حقاً وها هو شاخصٌ أمامي عملُك .

لكنه يخشى من المرأة الاستمرار فيقول : (ها أنت تفعلين ذلك وعملك مستمرٌ وتنشأ منه حركةٌ أخرى ، ها هو يتوالد ويتكاثر) . لذلك يزول هذا النون في (تفعلين) عند النفي . لماذا ؟ .. لأنه إذا جيءَ به فقد أصبح الخبركاذباً فالفعل لم يتمّ فمن أين له علمٌ بنشوء حركةٍ منه ؟ . في هذه الحالة يقول : (أنت لم تقنتي) . وهكذا يرجع الفعل إلى وضعه السابق عند النفي لانتفاء حركة النشوء والتكاثر المعبر عنها بالنون فيتعلّق النفي بالحركة واستمرارها فقط .

ولكن حينما تكون هناك كثرةٌ من النساء ، فالياء تختفي من المضارع . وتظهر نون فقط وذلك لأن كثرة النساء وتعاونهن في الحركة وجعلها مستمرةً لا يحتاج إلى بيان ، والنشوء آكد . ولذلك يمكن الاكتفاء بما يدلّ على النشوء المؤكد الغير مسبوق بزمان : (أنتُنَّ تَقْنُتُنَّ) .

فمثل هذا النون لا يزول في النفي ، لأنه المعبِّر الوحيد عن حركة القنوت التي تقوم بها مجموعةٌ من الإناث ، وإنّما يتوجه النفي إلى ناتج الحركة وهدفها . فأنت تقول لمن يحاول حلّ مسألة : (أنت لم تحل المسألة) بينما الواقع أنّه قام بوضع عدّة حلول كانت خاطئةً بالنسبة لك .

فكذلك حين تقول : (أنتنَّ لم تَقْنُتْنَ) ، فالتوقف على التاء بالسكون يشير إلى الفاصلة بين الحركة والنشوء ، فيبقى النون لا لأنه يعبِّر عن جماعة الإناث ، بل لأن النشوء إذا لم يتحقّق فالحركة كلّها غير متحقّقة .

لاحظنا مما سبق أن الياء يعمل نفس العمل ، ومثله مثل أيِّ صوتٍ آخرٍ ، فإنّ المعاني المتعدّدة التي وضعت له عند الاعتباطية كانت معاني التراكيب التي دخلها والمشتقات التي أضيف عليها ولم تكن معاني صوت الياء نفسه.

بعض تسلسلات الياء

ي ـ ب : الياء ديمومة الحركة في الزمان والباء انبثاق .

لقد انفتح الياء على جميع الحركات ، وهو يشير إلى وجودها فقط فهي بعد الياء غير منظورةٍ ولا ملاحظةٍ . ولو رجعت للباء لوجدت الانبثاق يحدث أيضاً من نقطة غير منظورةٍ فيكوّن حركةً عنيفةً بسرعةٍ فائقةٍ .

إذن فحقيقة هذا التسلسل هي في أن القوى موجودةٌ ، والملاحظ منها هو حركةُ انبثاقٍ فقط . فاستُعمل التسلسل للاستفادة من مظهره الخارجي فيقال : يبَّهُ : جعله يباباً ـ خالياً لا شيء فيه .

ولكن هذا الاستعمال ينطوي على ما يسمّى في الفيزياء بقانون حفظ المادة والطاقة . فاليباب على هذا المعنى الصوتي هو الخالي الذي لا شيء فيه (ظاهرياً) وألاّ فإنّه يشتمل على جميع القوى التي يكمن فيها انبثاقٌ من نوعٍ ما .

الأرض اليباب : الخراب الخالية ، لكنّ فيها قوّة كامنة . فالقرآن استعمل (البوار) ولم يستعمل (اليباب) لأن فيه قوّةً كامنةً وهذا قد استعمله للديار . أمّا للنفوس وعملها فاستعمل تسلسلاً آخراً (ت ـ ب) في (تباب) و(تتبيب) .

يَ ـ تَ ـ م : في هذا التسلسل حركةٌ تامةٌ بـ (تمَّ) وقد ظهرت من مجموع الممكنات في الطبيعة عن طريق الياء المنفتح عليها . هذه الحركة رائعة جداً ومتميّزة إلى أبعد حدٍ . وهي تعني التفرّد في الموجودات أو المخلوق الواحد الذي تمَّ من مجموع الممكنات . لكنّهم استعملوه لفاقد الأب قبل البلوغ تحديداً . كأنما هو اعتمد في وجوده على الممكنات لصغر سنه وفقده أبيه . واستعمل اللفظ أيضاً كفعلٍ مطابقٍ للحركة : يتمَ : انفرد . واستعمل بمجازٍ بعيدٍ بمعنى : أعيا وأبطأ . فالإعياء بسبب انفراده . والإبطاء اقرب إلى الحركة لأن التفرّد بطيء الظهور دوماً . وله استعمالات أخرى بعيدة .

قال تعالى : (ووجدك يتيماً فآوى) ـ أي وجدك منفرداً في الموجودات وحيداً لا أحد يشبهك ، فآوى : أي جعل البعض يأوي إليك وتأوى إليهم ليتحقق التفرّد بصورته الظاهرة . وفي هذا ثناء غريب من نوعه حيث يفهم منه أن بعثه بالنبوة والرسالة لشخصه هو أصلاً ، ولأنه هو كذلك فقد تقرّرَ أن يجمع حوله من لهم نصيبٌ من هذه الفردية . (انظر موضوع الفردية في كتاب الحل القصدي للغة في مواجهة الاعتباطية[١]) . لذلك لم يأخذ الفعل مفعوله فلم يقل (آواك) كما زعم الاعتباط في تقديره فما أدراه أن لا يكون التقدير هو فآواهم ـ المفعول (هم) ـ إليك ؟

---

[١] يبدو أن المؤلف يشير إلى موضوع الاعتباطية ومجاز القرآن من كتاب الحل القصدي فهناك قد تحدّث عن الفردية في مواجهة الآخر الاعتباطي .

ي ـ د : الياء ديمومة الحركة وهو الآن منفتح على الممكنات ، والدال اندفاعٌ مقصودٌ إلى أبعد مدى . الحركة العامة تفيد معنى القوّة المتعدّدة الأغراض والمتعدّدة الأصل . فأصلها متعدّد بالياء وغرضها متعدّد بالدال الذي لم يأت بعده صوت . وقد استعملت استعمالات عديدةً لا تخرج عن هذه الحركة . يقال : (ابتاع الأشياء باليدين) أي بثمنين مختلفين : غالٍ ورخيصٍ ، فهذا استعمال يلاحظ القوّة أو القدرة السعرية أو النقدية . وكذلك القول : (هم يدٌ على غيرهم) أي أن منشأ حركتهم وغرضها واحد وهو مأخوذ من (اليد) العضو ، فهو مجاز متفرّع على هذا الاستعمال . فاليد متعدّدة الاغراض ومتعدّدة في دوافع الحركة ، ولكنها تعود لشخصٍ واحدٍ . والاستعمال صحيح لأن الدال حركةٌ مقصودةٌ ، فالأغراض المتعددة ذات هدف واحد بالدال .

قال المعجم : واليد : السلطان واليد القوّة واليد القدرة واليد من كلّ شيء (المقبض) . وهذا عندهم مجاز فهو إطلاق اسم اليد على ما تقبض عليه اليد . ولكن ذلك غير صحيح ، لأن السيف آلةٌ لا يصل إلى تحقيق الغاية منها إلا (بيد) . وكذلك كلّ آلةٍ وأداةٍ فإنّ لها يدٌ بهذا المعنى . صحيح أنّها آلةٌ جامدةٌ ولكن الصانع جعل فيها قوةً كامنةً كما في الفيزياء إذ نقول : للحجر المرتفع قوّةٌ كامنةٌ تساوي القوّة التي صرفت على رفعه . وعلى هذا المفهوم صمّمت الكثير من الآلات الحديثة .. كالقوّة الكامنة في لولب الساعة والذي يشغِّلها لمدةٍ طويلةٍ .

(يد الله فوق أيديهم) : في هذا النص تحليلٌ آخر فقوله : (يد الله) هي نسبةٌ كقولك : (رسول الله) . وقد حدث التباسٌ في الآية عند الاعتباطية . فاليد هنا خارجةٌ بالدال من ذاته تعالى وليس منشأها ذاته لأن ذاته تعالى غير متعدّدة والياء هو من طبيعة الموجودات . ولمّا نسبت اليد إلى الله أصبحت يداً مطلقةً في التصرّف بالموجودات فهي تأخذ قوّتها من الممكنات جميعاً وتندفع بالدال فهي يدٌ مخلوقةٌ وخلقٌ من خلق الله . ولكي تحدث المقارنة التامّة مع (أيديهم) فهي يدٌ بشريةٌ آدمية ونسبتها إلى الله هي مثل النسبة في قوله تعالى : (أرض الله واسعة) ، (ناقة الله) وقوله تعالى : (رسول الله) . فهل عجزت الاعتباطية عن إيجاد مخرجٌ لهذه النسبة كهذا المخرج حتى استمرت تتناقش طويلاً في مجازية هذه النسبة ؟ . كلا .. فالاعتباطية فرحةٌ بما تكتشف من مجازات إن لم تكن فرحةً بتجسيم الإله الأحد الفرد الصمد سبحانه وتعالى عمّا يصفون .

ي ـ ر ـ ع : الياء ديمومة الحركة ، الراء تكرار لهذه الديمومة والعين اتّضاح .

هذه الحركة واضحة في النهاية بالعين . ولكنه اتّضاح مبنيٌّ على كثافةٍ هائلةٍ من الأشياء المكرّرة المتشابهة لانفتاح المكرّرات على الممكنات . والصورة العامة تظهر في (القصَب) حيث هو أحد الاستعمالات . وإذا كنت رأيت تجذّر القصب وعقده وكثافته وعجيب مهاجمته للأرض بحيث

أن العقدة الواحدة إذا اقتلعتها ورميت بها فإنّها تتّخذ لها جذراً وتمتّد وأنت غافل عنها ، ويبلغ طول امتداد العقد أحياناً ثلاثين متراً .ولكن هذا الانكشاف العام للحركة له استعمالٌ آخرٌ نفسيُّ المضمون إذ قيل :

(يرْعَ يرعاً ويراعةً : صار جباناً) . وأنت تلاحظ العلاقة .

واليراع : من لا رأي له ولا عقل وهذا استعمال لطيف جداً حيث يمدُّ نفسه في كلّ اتجاه فهو أحمق . واليراع أيضاً هو اسمٌ لحشرةٍ تضيء في الظلام ، وقد أُخذ هذا الاسم أما من الحمق وأمّا من الجبن أو منهما سواءاً.

ي ـ ع ـ ر : العين اتضاح والراء تكرار . وفي هذا التسلسل ينتقي العين حركاتٍ ممكنةً لفعل الوضوح منها ، والراء يقوم بعمل التكرار . فهذا العمل بمجمله محاولةٌ للحصول على نتيجةٍ ما من خلال استعراضٍ عامٍ لما هو ممكنٌ وتكرير هذا الاستعراض .

اليعارة : اقتياد الفحل وعرض الناقة عليه (في المعجم يعرض هو على الناقة وهو خلاف الحركة) فيقال : (اعترضها يعارةً) .

يعرت الشاة : صاحت . واليعار الصوت الشديد للمعزى والشياه . أقول ليس الشديد وإنّما هو الشديد الملِّح والمستمرّ بتكرارٍ منتظمٍ ، وهو يدل على بحث الحيوان عن شيءٍ عزيزٍ محتاجٍ إليه ، كما لو انفردت الشاة أو أُخذ منها وليدها .

ي ـ م : الياء ديمومة الحركة . والميم تكامل .

هذا انفتاح على الممكنات وتكامل مبنيٌّ عليه . فهذه الحركة ضخمةٌ وواسعةٌ جداً وحاويةٌ على ممكناتٍ كثيرةٍ لا تحصى اكتملت حركتها بالميم فهي تعيش ضمن هذا المكوّن . وهو اسم للبحر ولكن يبدو أنّه محدّد بالبحر الشديد الحيوية المليء بالحركة ، علما أن البحر غير محدّد باليمّ . لم يستعمل منه فعل .

ي ـ م ـ م : تكامل آخر للحركة بميم آخر . فإذا صِغنا اسماً هو (اليَمَم) كاللمم فالمعنى أنّها حركة تشتمل على أدق الأجزاء الأبدية في بقائها واستمرار وجودها . وإذا صِغنا فعلاً فالمعنى أن الحركة متوجّهةٌ إلى أدقِّ التفاصيل والجزئيات المتكاملة .

يممَ فلاناً : قصده . يمّمه بالرمح : توخّاه وتعمّده دون سواه ، وهو استعمال على ناتج الحركة آخذٌ بنظر الاعتبار وجود الطاعن ضمن كثرةٍ يمكن أن يصدر من كلّ فرد منها ذلك .

تيمَّم : طلب اليَمم وهو تحقيق أدق التفاصيل .
المُيَّمم : الظافر بمطالبه .
اليمام : الحمام البري . الواحدة يمامة . هذا مأخوذ من تيمُّمه جميع الأماكن بما في ذلك سطوح المساكن والباحات المسكونة .

ي . و . ح : الياء ديمومة الحركة والواو تواجد موضعي في مكانٍ محدّدٍ والحاء تعاظم . إذا كان هذا التسلسل اسماً فهو شيءٌ ضخمٌ بما يكفي لانفتاح التواجد على الياء المنفتح على الممكنات ، ثمّ تعاظم هذا المكون بالحاء .

المعجم :

يُوُح : من أسماء الشمس . إذا كان كذلك فهذا الاسم إنّما مصدره نشوء الشمس بثلاث نقلات عامَّةٍ :
ممكنات كثيرة أبدية الوجود (ي) اجتمعت في موضع (و) ثمّ تعاظمت (ح) وهو مطابق لأحدث التصوّرات العلمية .

ك . ي : الكّاف تكتل المتشابهات ، والياء ديمومة الحركة .

واضح جداً أن هناك عملاً منظماً وقد تمَّ فوراً جعله دائماً مستمراً بالياء . فلهذه الحركة إذن غاية معينةٌ . وإذا لاحظنا العلاقة في (كَيْ) المفتوحة الكّاف الساكنة الياء فسنجد أن الكّاف يعمل بالفتحة في كلّ زمان ومكان (معنى الفتحة) ، وحدث سكون مفاجئ في زمن الياء . أصبح التسلسل يفيد القيام بشيء غاية في التنظيم والوضوح دفعة واحدة لأجل أن يكون دائمياً وفجأة يتوقّف الزمن . فالحركة بهذه العلامات صارت أداة للتنويه عن الغاية الهامة والخفية منها والتي هي غير ملاحظة مطلقاً وفيها دهشة .

وفي الاعتباطية يقال أنها تفيد التعليل ويقال أنّها بمعنى (إلى) وأنها بمعنى (كيف) بالاستناد على شواهدٍ اعتباطيةٍ غير جديرة ببحثنا هذا .

وبهذا المعنى الحركي استُعمِلت في القرآن :

(كي تقرّ عينها ولا تحزن)

المعنى : فرددناه إلى أمّه لغايةٍ خفيّةٍ وهامة هي أن تقرَّ عينها ولا تحزن .

(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)

المعنى : إنْ أمَرْنا بذلك فلغايةٍ تخفى عليكم وهي تجمّع الأموال عند الأغنياء فيتداولونها بينهم وتتعاظم رؤوس الأموال ثمّ تكونوا فقراء ، فأنفقوا حتى تكونوا أغنياء دوماً ... . ومعلوم أن حركة المال هي حركةٌ لا يمكن رصدها حتى من قبل الحكومات بكلّ إمكانياتها بالدّقة المطلوبة .

(وأُشركه في أمري . كي نسبحّك كثيراً)

أي أشرك هارون في نبوّتي لغايةٍ تخفى على الناس فإنهم لا يعلمون مقامه ما لم يكون شريكاً في النبوة أو الرسالة لديمومة الرسالة وبقاءها الذي ينطوي على كثرة تسبيح المسبحين . فالضمير في نسبّحك عامٌّ للمجموعة والأجيال القادمة ، وليس خاصاً بهما هو وهارون ، لأنهما لا يساومان الربّ فيقولان : (أشرك هارون في الرسالة فنسبحك أنا وهارون كثيرا) كما تدّعي الاعتباطية في تخبّطها . ومعلوم أن الله تعالى يحب من الرسل أن يدعوه بهداية الأمم فيسمع دعاءهم ويجيب مطالبهم .

وإذا قلنا (كِي) بكسر الكّاف فلا سكون في الياء فالحركة أخذت البعد الزمني التام . فهذا اللفظ على هذه الصورة يدلّ على تكوين شيءٍ بنظامٍ معيّنٍ بالكاف وهو ثابت إلى هذا الوضع دوماً ، وله غاية محددة فيها بالطبع شيء من التخفّي والسرية لسرعة الحركة بالكسرة الملائمة للياء . وقد أطلق في الإنكليزية على المفتاح (Key) وهو مطابقٌ تماماً للحركة فتأمل فيه ملياً تجده كذلك .

ك ـ ي ـ ح : الفعل لا يقبل سوى فتح الكّاف وكسر الياء . إذن فهو (كي) مع حاء خلا من التوقف . فالحركة مسرعةٌ جداً لغايةٍ هي التعاظم بالحاء . ومؤكد أن أي شيء تريد توسيعه وتعظيمه يجب أن يكون بلطفٍ واعتناءٍ ليكون متناسقاً لوجود بناءٍ سابقٍ . وهو ظاهر بالكاف . فطالما بقي البناء على حاله بالياء ثمّ يفاجأ بالحاء فمن الواضح أن الناتج لن يكون متناسقا ولا جميلاً .

كيحَ : كيحاً : خشُنَ وغَلُظ .

الكاح : سفح الجبل . (لاحظ الخشونة) .

اشتقاق الاسم من قلب المعتل بالألف الى (ياء) أو (واو)

الفعل المعتل بالألف في وسطه أو آخره تنقلب فيه الألف إلى واو أو ياء أو إلى كليهما بحسب حركته العامة وذلك لغرض صياغة اسم لهذه الحركة .

فالاسمية أمّا عامةٌ إذا كانت الحركة عامةً فتأخذ صيغة الثبات الزماني ليكون اسماً لها مثل (نهي من نها ، وعي من وعى ، طي من طوي ، شيّ من شوى ، ..) . فهذه أسماءٌ للحركة عامةٌ

في الزمان وغير محدودةٍ بمكانٍ . فالحركة المنسوبة بالياء كاسمٍ معيّنٍ لهذا التسلسل لا تختلف عن ياء النسب في أداء هذا الغرض .

وفي أفعال أخرى مثل (خلا خلواً لغى لغواً) انقلب الألف إلى واو لارتباط الحركة بالمكان فالخلو محدّدٌ في مكانه بالواو . وكذلك مثل (لغى لغواً) فإنّ اللغو محدّد بموضوعه وأيضاً (غزا غزواً) فهذا له مكانٌ محدّدٌ . وبصفة عامةٍ فإنّ الحركة إذا كانت عامةً في الزمان غير محدّدةٍ بمكانٍ اشتق لها اسم بقلب الألف إلى ياء لإيضاح زمانية الحركة ، وإنْ كانت لا تصحّ إلاّ في ظرفٍ مكاني كان الاسم مصاغاً من قلب الألف إلى واو . وكلٌّ من الياء والواو في الأصل مظهرٌ زمانيٌّ ومكانٌّي من مظاهر الألف الذي ينطوي على الوجود بالصفتين المكانية والزمانية ، فالألف (زمكاني) في جوهره .

وإذا كانت الحركة ممكنةً على الجهتين اشتقّ منهما اسمان فالذي بالياء يفيد العموم الزماني ، والذي بالواو يفيد العموم المكاني مثلما رأيت في (دحا دحوا ودحياً أو قال قولاً وقيلاً) .

والفعل إذا كان وسطه واواً أصلاً بقي الاسم بالواو ، وإذا كان ياءاً بقي الاسم بالياء لأن وسط الحركة هو جوهرها والمعبِّر عن حقيقتها وفيه توشك على التكامل والظهور مثل (لَوِدَ لَوَداً ، كيحَ كَيحاً ، هيفَ هيفاً) . وإذا كان الواو أو الياء هما أوّل حرف من التسلسل فهما سيعملان مثل بقية الأصوات أي لا علاقة لهما بصياغة الاسم إلاّ من حيث إفادته لحركته الخاصة ضمن التسلسل .

وستأتي أمثلةٌ على تلك الصور السبعة لأوضاع الألف ومظاهره خلال التسلسلات . أما الهمزة فتأتي في موضعها الخاص . وقد يصاغ فعلٌ جديدٌ على الاسم الزماني أو المكاني المشتق من الألف فيتوجب التفريق بين الأصل والفعل الجديد مثل (لاح . لوحاً) ، فيصاغ فعل مشدّد أو مخفف : (لَوحَ) ، (لَوَّحَ) أو مثل (قال . قولاً) حيث يصاغ عليه (قوَّل) ، وأيضاً (جاع . جوعاً) يصاغ عليه (جَوَّعَ) وفائدة ذلك توجيه الحركة لتقع على مفعولٍ محدّدٍ مكاناً .

ويشتق كذلك على الاسم الذي بالياء (بان ، بيناً) يصاغ عليه (بيَّن) ، (خارَ ، خيراً)يصاغ : (خيَّر) ، وفائدة هذا هو توجيه الحركة لتقع على ما هو عامٌّ في الزمان غير محدّدٍ بظرفٍ مكانيٍّ .

وانت تعلم أن مثل هذه النتائج هامّةٌ جداً وعظيمة المنفعة في توضيح أسرار المعتل وتقلّباته والتي تفتقر لها الاعتباطية افتقاراً كاملاً . ويمكن بها إعادة تبويب مواد المعجم .. إلى منافع أخرى .

وبالطبع فإنّ هذا كلّه له صلةٌ بجوهر الحركة في التسلسل فلا تغفل عن ذلك فينعكس عليك الاستعمال الخاطئ فتظن أن الاسماء التي بالواو لا تختلف عن الاسماء التي بالياء في كيفية وقوع الحركة أو تحسب أن الأفعال المشتقة منها مرة أخرى متشابهة .

واضرب لك مثالاً مما مرّ عليك : فأنت تقول (زيد جَوَّعَ عمراً) ، وفي جميع ما يحتمل أن تضعه بدلاً عن (عمر) يظهر التحديد المكاني .

ولكن إذا قلت (زيدٌ بيَّنَ أمراً) اختلفت القضية . فالأمر يمكن أن يكون (تشغيل محرك السيارة . ملحمة كلكامش . إعراب آية . تنبّوء وكهانة . وصفة طبية لمرض .. إلى أشياء أخرى غير متعلقة بزمان أو مكان) . فهذا التعميم يعني شمول كافة الأزمنة وبالتالي الأمكنة معها . وإذن فالياء هي الصيغة الملائمة لأنّها تفيد عموم الأزمنة ، وبالطبع فالرجوع إلى أصل الحركة على المعاني يظهر الحركة بصوره جليةٍ تماماً .

*** ***

*****

تمَّ الجزء الأوّل بعونه تعالى ويليه الجزء الثاني
وفيه مجموعة أخرى من معاني الأصوات
وتسلسلاتها
والحمد لله ربّ العالمين